

م. د. مارطة
د. احمد العمرى
رسالة برسالة

الملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات الفنية
فرع الأدب



٢٠١٢٠٠٠١٠٧٢

الملاجئ والفالخر

بيان

جريدة والفكر وذوق والأخطاء

ر.س.الله عقدت نيل وبرهنة ١٩٩٤ ج.٢٠٣١٩

الملاجئ والفالخر

في

الأدب العربي



إعداد: ظافر عز الدين الشهري
إشراف الأستاذ الدكتور: نعسان محمد أمين طه

١٤٠٦ - ١٤٠٥

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

وَبِهِ لَنْكَتُعِينَ

سکر و نقیر

”(()) شكر وتقدير (()) ”

الحمد لله على ما أنعم به على من اتم هذا العمل ، وأشكرا على نعمته
فيشكرا تدوم النعم ”لئن شكرت لا زهد لكم“ (ابراهيم : ٢) .

ثم أتوجه بالشكر الجليل الى المسؤولين في جامعة الملك فيصل
بالم منطقة الشرقية وعلى رأسهم معايى الدكتور محمد سعيد القحطاني
مدير الجامعة وسعادة الدكتور خالد عبد الرحمن السيف وكيل الجامعة
للشئون الأكاديمية ”سابقا“ .

كما أتوجه بالشكر الجليل للمسئولين في جامعة أم القرى وأخص معايى
الدكتور مدیر الجامعة أرشد الراجح وسعادة عميد كلية اللغة العربية الدكتور
عليان الحازمي ، وسعادة وكيل الكلية الدكتور صالح بدوى ، وسعادة
رئيس قسم الدراسات العليا العربية الدكتور حسن باجوده .

كما أتقدم بخالص شكري وتقديرى وعرفانى لأستاذى الكريم العشرف
على هذه الرسالة الأستاذ الدكتور ”نعمان طه“ فقد كان خير معين
لي بعد الله فبتوجيهاته استترت وكان بحق المخلص الذى جعل
لى الكثير من وقته وعلمه وفتح لي قلبه وبنته ، فأسأل الله أن يطيل
فى عمره ويتمتع بالصحة .

وأخص بالشكر سعادة الدكتور عبد الرحمن العثيمين عميد مركز
البحث العلمي واحياء التراث بجامعة أم القرى فقد ساعدني في الحصول
على بعض المخطوطات والكتب .

كما أشكر الأستاذين الكريمين عضوي المناقشة على تكرهما بالموافقة
على مناقشة هذا العمل ، وتزويدي بلاحظاتهما البناءة .

فللجميع من الله أجزل المثلوبة ، ومني الاعتراف بالفضل لأهله
وشكراهم عليه والله نسأل التوفيق والسداد

الباحث

س س س س س

اللّفـتـرـتـه

(f)

* * * المقدمة *

‡ ‡ ‡ ‡ ‡ ‡ ‡ ‡ ‡ ‡ ‡ ‡ ‡

الحمد لله ، والشكر لله ، والثناء عليه . والصلوة والسلام على
سيدنا محمد رسول الله صلاة طيبة مباركة وعلى آله وصحابته ومن
تبعهم باحسان الى يوم الدين .

ویجہ

فإن من أهم مقومات الحضارة الإنسانية لأى أمة من الأمم أن تعتمد على تراثها ، وأن تحافظ عليه وتداوم على تجديده بالدراسة والبحث تستقى منه مقومات فكرها لحاضرها ومستقبلها . وليس بخاف على ذوى البصر والبصيرة أن اللغة العربية وأدابها وعلماء الإسلام وترجمان القرآن الكريم . ومن هنا كانت العناية بها وفهمها وتذوقها شعراً ونثراً من أهم الوسائل التي تصل المسلم بدينه وتعرفه على مقاصد كتاب الله وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم .

ولقد كانت للأمة العربية شخصيتها الأدبية التي ميزتها عن غيرها من أمم الأرض قاطبة فكان واجبا على أبنائها أن يحافظوا على مقومات هذه الشخصية لتبقى متميزة بفنها الأدبي من خلال اللغة العربية وأدابها ويكون نتاجها الفنى قدما وحديثا حلقة متواصلة الأطراف محكمة النظم ، لذا كانت عناية الباحثين - من أبناء أمتنا ومتذوقى أدابنا الأصيلة - بالآدب العربي شعرا ونثرا على مر العصور الأدبية .

وليس لقائل أن يقول : إن المجال قد ضاق بالدراسات

(ب)

الأدبية الحديثة ، وإن أدبنا القديم ورواده قد أخذوا نصيبهم كاملاً من الدراسة والبحث فما تزال هناك مخطوطات كثيرة في شتى صنوف المعرفة العربية قابعة في المكتبات العامة والخاصة لم تتحقق حتى الآن ولا تزال هناك جوانب كثيرة لم تدرس ولم تأخذ نصيبها كاملاً من عناية الباحثين والمهتمين بالتراث العربي .

ومن هذا المنطلق بدأت الفكرة تراودني منذ البداية إلى أن أحصر جهدي في جانب من جوانب الأدب القديم . ولقد رأيت أن الأدب والشعر وخاصة لا يزال ميدان البحث فيه واسعاً وعندئذ توجّهت بفكري إلى قمة الشعر الأموي ورواده " جرير ، والفرزدق والأخطل " ، فاردت أن أدرس بشيء من التفصيل غرضين من أغراض شعرهم ، وهما " المديح والفخر " وكان من وراء هذا الاختيار عدة أسباب لعل منها :

أنه قد دار صراع بين النقاد القدامى حول الشعراء الثلاثة مما أدى إلى تعدد الآراء النقدية (١) وأصدر الأحكام الجزئية دون دراسة شعرهم دراسة مفصلة ، فحاوت أن أعيش في دوحة أدبهم أطلي ما فيه من جمال فني يكشف عن جوانب مضيئة في شعرنا العربي القديم ، وإن أحاول أن أملأ الفجوة التي تركوها بحكم أدبي نقدي قائم على التحقيق والدراسة المتأدية الشاملة .

وقد رأيت أن إحياء الأدب القديم بالدراسة والبحث واجب

(١) انظر على سبيل المثال : العمدة لابن رشيق (٩٧ : ١) .

(ت)

حتى تفرضه طبيعة الانتقاء ، وحاجة المبدعين إليه ليكون مسداً للمحدثين في نتاجهم الفنى مما دفعنى إلى اختيار هذا الموضوع .

وكذلك أيضاً ما شهير بين النقاد القدامى من اقتذاع الشعراء الثلاثة وما عرفنوا به من فحش القول مما جعل النثر ينصرفون عن أدبهم وقد حججت عليهم منابع الشعر الرائعة والتعبير الصادق ، لذا أردت أن أدلّى بدلوى في محاولة لتقريب تلك الروائع من قلوبهم بهذا العمل ، وقد ران على قلوب كثير من الباحثين المسلمين وطغمة من المستشرقين أن شعر جرير والفرزدق والأخطل ماهو إلا أشباب تعلّى ، بالأقتذاع وبينها وبين ديننا الحنيف حجاب صفيق فكان من دوافع هذه الرسالة محاولة إزالة هذا الحجاب الواهى وأظهار أدب الثلاثة في صورته المشرقة التي تحوطها هالة من نور الإسلام .

وقد دفعنى أيضاً إلى صنعى في هذه الرسالة ماتواتتـرت عليه الآراء قدّيماً ، والدراسات حديثاً من أن فخر الفرزدق ، ودبـح الأخطل ونسـب ، وهـباء ورـئـاء جـرـيرـ قد صـارـ كلـ مـنـهاـ المـثـلـ الـأـعـلـىـ والأـكـلـيلـ الـذـىـ يـعـلوـ هـامـةـ صـاحـبـهـ ، فـكـانـ لـابـدـ مـنـ التـثـبـتـ مـنـ صـحةـ هذهـ الرـؤـىـ فـيـ ضـوءـ النـقـدـ الـحـدـيـثـ .

أما منهجي في هذه الدراسة فقد بدأت فيه بجمع ما يمكن جمعه من المصادر والمراجع القديمة والحديثة وبدأت أقرأ كل ما يتعلّق بالشعراء الثلاثة بالإضافة إلى قراءة تاريخ العصر الأموى وما حدث فيه من تقلبات سياسية واجتماعية ، وأدون كل فكرة تلوح لى

(ث)

يمكن الاستفادة منها . وقد حاولت أن يكون هذا النهج استقرائيًا تاريخياً لكل النصوص سواء في دواوين الشعراء أم غيرها من المصادر وتحليل هذه النصوص متذوقاً لما امتلأ به من روائع في محاولة مني لتدوتها أدبياً جمالياً يظهر ما يكمن فيها من حقائق تتصل بالتاريخ الأدبي لتقييم المدح والفاخر عند الشعراء الثلاثة ..

وقد حاولت في منهجي هذا دراسة الجزء لأصل إلى الكل فكان منهجي يقوم على الانتقال من الفردي إلى العام ومن الجبزى إلى الكلى ، لا يمانى أن الدراسة الفردية هي أصل كل بنيان أدبي (١) . ومن هنا استطعت أن استقرئ كل جزئيات المدح والفاخر عند الشعراء حتى وصلت في النهاية إلى الموازنة الشاملة بينهم في كافة الأغراض ، إذ أن نتاج الشاعر يكمل بعضه ببعضًا واقتطاع الأجزاء أشبه بمحاولة دراسة خصائص كائن حتى من خلال تضمين أجزاء متقطعة منه بهذه المحاولة بعيدة عن النهج السوى مالم تفترض في النهاية إلى دراسة الكل . (٢)

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد وخمسة أبواب وخاتمة تشتمل على أهم النتائج وبعض الجداول الاحصائية عن غرض المدح ثم قائمة المصادر والمراجع والفالهارس . وقد تحدثت في التمهيد عن

(١) انظر مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي - شكري ف يصل :

٢٣٩ - ٢٢١

(٢) انظر جرير حياته وشعره د . نعسان طه : ٢١٦ - ٢١٨ .

(ج)

المديح والفخر في اللغة ، وفرق بينهما . كما تحدثت عنهما في العصر الجاهلي وصدر الاسلام .

أما الباب الأول : وهو الدوافع النفسية والاجتماعية التي أدت إلى ظهور الفرضين عند الشعراء الثلاثة ، فقد جعلته في ثلاثة فصول قدمت بحديث عن المؤثرات النفسية والاجتماعية التي تؤثر في الفرد ، وما يمكن للبيئة أن تحدثه في شخصية الفرد من مؤثرات اجتماعية وغيرها . وجعلت هذا مدخلاً لدراسة هذا الباب حيث تحدثت عن هذه الدوافع فأفردت لكل واحد من الثلاثة فصلاً مستقلاً .

وفي الباب الثاني : وهو دراسة تاريخية موضوعية لفرضي المديح والفخر لدى الشعراء الثلاثة فقسمته إلى ثلاثة فصول ، درست الفرضين من هذا المنطلق عند كل شاعر في فصل خاص به . وقد حاولت بقدر الامكان أن أتبع مراحل تطور هذين الفرضين عند كل شاعر مبيناً موضوعات مدحهم وفخرهم وما فيهما من الصور الفنية .

أما الباب الثالث : وهو أثر الاسلام في نتاج الشعراء الثلاثة فقد جعلته في ثلاثة فصول يسبقها مدخل تحدث فيه عن الحياة الاسلامية وأثرها في الشعر الاموي .

أما الفصل الأول فقد حاولت أن أتبين فيه مدى تأثير الأخطل بالبيئة الاسلامية . وفي الفصلين الثاني والثالث تتبع أثر الاسلام في مدح وفخر كل من الفرزدق وجرير .

وفي الباب الرابع : وهو دراسة فنية لغرضي المديح والفخر

(٢)

لدى الشعراء الثلاثة فقد قسمته أيضاً إلى ثلاثة فصول . درست في الفصل الأول الفن التعبيري في مدح وفخر الأخطل ، وخصصت الثاني والثالث بالفرزدق وجرير . وقد حاولت أن استقرئ كثيراً من النصوص الشعرية لبيان كثير من العلامات الفنية عندهم من خلال تحليل هذه النصوص وتذوقها تذوقاً أدبياً جمالياً .

أما في الباب الخامس والأخير : وهو النقد الذي دار حول الشعراء الثلاثة فقد جعلته في ثلاثة فصول .. عرضت في الفصل الأول لأهم آراء النقاد القدامى في الثلاثة ثم ناقشتها .. وفي الفصل الثاني تتبع دراسات المحدثين حولهم وحاولت التركيز على هذه الدراسات المتخصصة التي تناولت كل شاعر على حدة . وفي الفصل الثالث عقدت موازنة بين الشعراء الثلاثة في ضوء النقد الحديث حيث عمدت إلى استجلاء أهم السمات الفنية والموضوعية في جميع الأغراض عند كل شاعر فلم أقصر هذه المعاوازنة على المدح والفخر فحسب لأن منهجه الذي اختطته يلزمني أن أخلص في هذه المعاوازنة إلى الكل بعد أن تتبع جزئيات كثيرة في الأبواب السابقة ، أفضت بي إلى هذه المعاوازنة الكلية .

وبعد هذا ختم البحث بأهم النتائج التي توصلت إليها وأردفتها ببعض الجداول الاحصائية في المدح عند كل شاعر تبين عدد المدح وحين والقصائد والأبيات وأخيراً ذيلت صناعي بقائمة المصادر والمراجع والفهارس .

ولا أدعى لنفسي الكمال فأنا طالب علم وبهذا حاول الدارس

(خ)

الالام بجوانب موضوع من موضوعات أدبنا العربي ، فستظل هناك
جوانب أخرى تحتاج الى الدراسة والبحث ، ولكنني حاولت
بكل ماتوفّر لي من جهد بشري و الواقع تحت يدي وبصري من مصادر
ومراجع أن أتناول موضوعي هذا بدقة واستقصاءً بقدر ما أسعفني
به الجهد مستمدًا من الله تعالى العون والقوة فعليه توكلت
واليه أنيب .

تَحْمِيدُ
الْكَرِيمُ وَالْفَخْرُ
• فِي الْلُّغَةِ
• وَالْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ
• وَعَصْرِ صَدْرِ الْإِسْلَامِ

* تمهيد *

++++++

* المديح والغخر في اللغة والعصر الجاهلي وعصر *

صدر الاسلام

يحسن بنا أن نقوم بتعريف المديح والغخر حتى يكون لهذين الغرضين صورة واضحة في أذهاننا ثم نلمح بما كانا عليه في الجahلية وصدر الاسلام .

فالمديح : نقىض الهجاء وهو حسن الثناء على الجميل الاختيارى قصدا . (١)

ومادة هذه الكلمة تدور في المعاجم حول الاستلاء والشبع . ففي اللسان وغيره من كتب اللغة العربية (وامتدحت الأرض وتمدحت اتسعت ، وامدحّ بطنه لغة في اندحّ اذا اتسع ، وتمدحت خواصّر الماشية اي اتسعت شبعا) .

فكان المدح في رأيي يوصف بكل ما يدل على الغنى والوفرة في المال أو الشجاعة ، ومن ثم السيادة التي تستحق الثناء ، ومن هنا أخذت الدلالة الفنية وهي المعروفة غرضا من أغراض الشعر .
ويرجح الدكتور " نعيمان طه " أن المدح ربما كان من المصح

(١) انظر : التعريفات - لعلى بن محمد الجرجاني ٢٠٢ .
ومعجم مصطلحات العربية في اللغة والأدب ٣٤٣ .

(٢) انظر : الصحاح ، واللسان ، والقاموس المحيط ، ونتاج العروس وأساس البلاغة ، والمجمع الوسيط (مادة مدح) .

الذى يدور حول استقاء الماء من البئر فمتح البئر استقى منها الماء . (١)

وقد يكون فى هذا أقرب دلالة على ما شاع بين العرب لغواها وفنيا من دلالات حسية للفظة المدح .

أما الفخر : فقد دار معناه فى معاجم اللغة حول دلالة حسية هي النخلة العظيمة الجف الجف الغليظة السعف ، أو الناقصة العظيمة القليلة اللين ، ومن هنا جاءت الدلالة المعنية ، وهى مباهة الفرد وتعاظمه على غيره بالمكان والمناقب من حسب ونسبة إلى غير ذلك من السجايا النبيلة الحسية والمعنية ، أما فسى المتلهم نفسه أو فى آبائه وعشيرته أو فى قبيلته الكبرى التي ينتسب إليها . (٢)

والمدح والفخر ينبعان من منبع نفسى واحد ، وهناك خطأ رفع يكاد يفرق بين هذين الغرضين أو يكاد يكون وصلة بينهما : فالافتخار هو المدح نفسه إلا أن الشاعر يخص به ذاته وقوته ويتطاول على غيره بذلك . وكل محسن في المديح حسن في الافتخار ، وكل ماقبح في أحدهما قبح في الآخر .

ولقد تتبعـت من عنى بالتفريق بين هذين الغرضين فوجدت

(١) جرير حياته وشعره د. نعمان طه ٢٢٠ - ٢٢١ الطبعة الثانية .

(٢) انظر اللسان وغيره من معاجم اللغة (مادة فخر) ، والتعريفات ١٦٥ .

أن رأى " ابن رشيق " أدق الآراء وأكثراها موضوعية ، وهو ما ذهبت إليه هنا . (١) ووُجِدَت أن ابن قتيبة لم يفرق بين هذين الغرضين بل جعل كلاً منهما مدحًا . (٢) ويرى أبو هلال العسكري أن الرثاء والفخر داخلان في المدح أيضًا وفرق بينهما من حيث الثناء على الميت باستخدام الماضي بينما المدح باستخدام الفعل في الحاضر فقال :

(والفرق بينهما وبين المدح أن تقول كان كذا وكذا وتقول في المدح هو كذا وأنت كذا ...) . (٣)

ويحسن بنا قبل التعرض للكلام عن الغرضين في العصر الجاهلي أن نتعرض لأقسام الشعر في دراسات النقاد العرب القدامى والمحدثين . أما النقاد الغربيون (٤) فلعلهم لم يهتموا إلا بتقسيم الشعر إلى تمثيلي وملحمي وغنائي . ولعلهم أعرضوا عن الأفاضة في تقسيم الشعر الغنائي وبيان موضوعاته كما فعل النقاد العرب فيما بعد حينما بدأ تسجيل ذلك أبو تمام المتوفى ٢٣١ هـ في كتابه " الحماسة " فجعل أغراض الشعر عشرة (٥) . أهمها وأولها وأخطرها في نظره هو ما قدم به لهذه الأغراض وجعله عنواناً لمختاراته وأعني به غرض الحماسة إذ أورد من بينها المدح ويقع سادساً . أما الفخر فلم ينص عليه ولعله فعل ذلك لأن

(١) انظر العمدة - لابن رشيق - ١٤٣/٢ - ١٤٤ .

(٢) انظر عيون الأخبار - لابن قتيبة - ٢٧٥/١ وما بعدها .

(٣) الصناعتين - لأبي هلال العسكري - ١٣٧ .

(٤) ومن هؤلاء النقاد على سبيل المثال " أرسطو " في كتابه (فن الشعر) تحقيق وترجمة الدكتور شكري محمد عياد .

(٥) انظر ديوان الحماسة ٣٦/١ (طبعة جامعة الأمام) .

الغرض الأول وهو الحماسة يتضمنه ويشتمل عليه .

أما قدامة بن جعفر ت ٣٣٧ هـ فقد جعل أبواب الشعر ستة (١) أولها المدح والهجاء ، وبعد أن تكلم عن هذه الأبواب حاول ردها كلها إلى هذين الغرضين وقد تابعه أبو هلال العسكري ت ٣٩٥ هـ فقصر الشعر على أبواب خمسة (٢) جعل في مقدمتها أيضاً المدح والهجاء ثم أتبعها الوصف والتشبيب والمراثي وتطرق إلى ابتداع النابغة الذهبياني للاعتذار فجعله سادس أغراض الشعر وإن لم يطرقه كثير من الشعراء .

أما في الأندلس فقد وسع ابن رشيق القيرواني ت ٤٥٦ هـ الذائرة فجعل موضوعات الشعر تسعة هي النسب . المدح الافتخار . الرثاء . الاقتداء . الاستنجاز . العتاب . الوعيد والاعتذار . الهجاء . الاعتذار . (٣) وهكذا جعل باب المدح تاليًا للنسب والافتخار ثالثاً .

وفي العصر الحديث يطالعنا الدكتور " يحيى الجبورى " بتقسيم لأغراض الشعر فيجعلها ستة هي : الغزل ، والحماسة ، والرثاء ، والهجاء ، والوصف ، والحكمة . (٤) ضارباً صفحاً عن المدح والفخر ولعله فعل ذلك اقتداء بأبي تمام الذي رأى - فيما نظن -

(١) انظر نقد الشعر ٩١ (مكتبة الكليات الأزهرية) .

(٢) انظر ديوان المعانى - لأبي هلال العسكري ٩١/١ .

(٣) انظر العدة ١١٣/٢ - ١٨٠ . (طبعة دار الجليل بيروت) .

(٤) انظر الشعر الجاهلى خصائصه وفنونه د. يحيى الجبورى ٢٢٩ - ٤١٢ . (مؤسسة الرسالة ط"٢) .

أنها يسريان سريانا واضحا في ام أبواب مختاراته الا وهو غرض
"الحماسة".

ويحاول الدكتور شوقي ضيف "أن يزيد على الباحثين والقادميين رأي" بروكلمان "المؤرخ الألماني المشهور للأدب العربي وهو الرابط بين الشعر وال술 (١) وجعل التقرب إلى الآلهة في العصور الأولى للإنسانية هو مصدر ما انبثق عن الشعراء من شعر أو مانطلق عليه" تعويذات "يتقررون بها إلى الآلهة حيناً لترضى عنهم . وهذا هو المصدر الأول لل مدح . أو يخيفون بها أعداءهم وهذا هو المصدر الأول للبهجة والفخر . ويحاول الدكتور شوقي ضيف الاحتجاج لرأي" بروكلمان "الذي يعتقد ويأخذ به قوله : (٢)

"ويظهر أنه كانت لاتزال في نفوسهم بقية من هذه الصلة بين الشعر ودعاء الآلهة يدل على ذلك أكبر الدلالة ماجاء في القرآن الكريم من كثرة الرابط بين الشعر وال술 وتعاويذ الكهنة فقد كانوا يرمون الرسول في بدء دعوته تارة بأنه شاعر وتارة ثانية بأنه كاهن وتارة ثالثة بأنه ساحر * وقالوا إن هذا إلا سحر مبين (٣) * ثم يستشهد بعدة آيات أخرى .

أما هذا الذي أوردته" بروكلمان "وشايعه عليه دكتور

(١) انظر تاريخ الأدب العربي "بروكلمان" ٤٤/١ - ٥٠

(٢) العصر الجاهلي د . شوقي ضيف ١٩٦٠ (دار المعارف) .

(٣) سورة الصافات / ١٥ .

شوقى ضيف من علاقة بين السحر والشعر وتعويذات الآلهة وأنها أصل للشعر فهو كلام بهم غامض يعزوه الدليل المقنع الذى افتقدناه عند "بروكمان" وشوقى ضيف وهذا ما يراه الدكتور نعمان طه فى كتابه (جرير حياته وشعره) وأما الزعم بأن الشعر فى الأصل تعويذات للآلهة كان يقدمها الشاعر فهو زعم أقرب إلى لغة الأساطير التى تستهوى الخيال أكثر مما تقنع العقل والواقع الحسى للإنسان هذا المخلوق الذى سرى فى دمه منذ خلقه الله ميل إلى التعبير عما فى النفس تعبيرا ساذجا فى أول عصور الإنسانية الأولى ثم أخذ يتدرج ويتطور نحو الكمال حتى وصل إلى ما وصل إليه - فهو مع أنثاه يشاركه فى ذلك أنواع شتى من الطيور والحيوانات - يملأ أذنيها بلغة حلوة معسولة لعلها مقدمة للغريرة النوعية فهذا هو الغزل . ويملاً أذنى الفتى من بني جلدته بلغة جميلة معسولة لكي ينال رغده فهذا هو المدح ، وهكذا القول فى بقية أغراض الشعر الغنائى . وهو ما نراه تفسيراً لهذه الأغراض تفسيراً نابعاً من نفس الإنسان وحاجته أزاء أفراد جنسه الذين يهفو قلبه اليهم ، ويحاول التقرب منهم لتحقيق غاية مادية حسية هي فى أبسط صورها بإيجاز شديد

شهوة البطن والفرج

أما الربط بين الشاعر والساحر فى خيال الجاهليين وهو الربط الذى ورد فى آيات من القرآن الكريم (٢) . وحاول

(١) انظر جرير حياته وشعره د. نعمان طه ٢١٣ - ٢٢٠ .

(٢) انظر مادة (سحر) فى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .

الدكتور " شوقي ضيف " أن يتخذ منه دليلا على رأى " بروكلمان " في أصل الشعر ومنبعه فلا يجوز في رأينا أن يتخذ دليلا على ربط الشعر بالتعايش وإنما هو دليل على أن قوة تأثير الشعر في النفوس لا تقل عن تأثير السحر فيها أي أن للشعر تأثيرا فنيا مثل تأثير السحر ولاعجب في ذلك فقد قال - صلى الله عليه وسلم - ان من البيان لسحرا (١) .. وبهذا اعتقاد الجاهليون أن النبي - صلى الله عليه وسلم - ساحر شاعر يسحر الناس بشعره أي بقوة بيائه . ومن هذا ينتقض الاستدلال بآيات الله الكريمة على مارتأه الدكتور شوقي ضيف وحاول به مشائعة " بروكلمان " ومن سار على دربه في محاولة رد الشعر في عصور الإنسانية الأولى إلى ما يتصل بالانسانية الجاهلية وألهتها وطقوسها ومعتقداتها (٢) .

وبعد هذه اللῆمة السريعة لأقسام الشعر في كتابات النقاد نعرض للمديح والفخر في العصر الجاهلي . فحينما نستقرئ عرض المديح في العصر الجاهلي نجده ينصب على سادات القبائل حينما يجد الشاعر مطلبه ومبتغاه أو يريد الوصول إلى كسب مادى يحظى فيه بكرم وفادة أو طيب اقامة .

وقد شرق الشعراً وغربوا قاصدين الملوك والأشراف -
يمد حوتهم ويشيدون بمازفهم ومواقفهم وانتصاراتهم البطولية فـ

(١) أنظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث حيث يورد الحديث في البخاري ومسلم وسنن الدارمي ، والترمذى وسنن أبي داود ، والموطأ وأحمد بن حنبل .

(٢) أنظر جرير حياته وشعره للدكتور نعمان طه : ٢١٣ وما بعدها .

الحروب وغيرها لينالوا بذلك الفن الوفير الذي يؤمن لهم حياة
كريمة .

ويظهر أن بعض الحكام كانوا يتخدون من الشعراء وسائل
للدعائية لهم وتأييد سياستهم كما فعل الفاسدون الذين كثروا حولهم
الشعراء يمجدونهم ويشيدون بفضلهم وقوتهم ويكسبونهم حالة من
التعظيم في نفوس الأمم المجاورة والمعاصرة لهم (١) .

ولاشك أن المدح قد نبع استجابة لما يطوى في النفس
البشرية من حب وولع بالإشارة إليها وقد عبر عن هذا النابغة أروع
تعبير حينما أشاد بالنعمان معتذراً (٢) .

كَفِيلُكَ فِي قَوْمٍ أَرَاكَ اصْطَنَعْتَهُمْ فَلَمْ تَرَهُمْ فِي شُكْرٍ ذَلِكَ أَذْنَابُهُمْ
وقد قالت العرب (اللهى تفتح اللها) (٣) ولقد كان غالباً
المدح في العصر الجاهلي صادقاً في مضمونه إذ كان أغلب الشعراء
آنذاك لا يمدحون الرجال إلا بما يرون فيهم من الخصال الحميدة
ويمسون فيهم من شجاعة وكرم يؤيد هذا قول عمر بن الخطاب —
رضي الله عنه - في وصفه لزهير : انه لم يكن يمدح الرجل الا
بطأ يكون للرجال . (٤) وفي هذا القول دلالة على المدح الصادق
بالاعتقاد الصادق بتمتع المدح بالشجاعة أو كمال العقل أو العفة

(١) انظر العصر الجاهلي د . شوقي ضيف ٢١١ - ٢١٢ .

(٢) ديوان النابغة الذبياني ص ١٧ .

(٣) انظر اللسان (لها) . وأساس البلاغة للزمخشري مادة (فهو)

(٤) نقد الشعر لقدامة بن جعفر ٩٥ .

أو السخاء وهي من أبرز صفات الرجال . وقد ظل الشعراً ينعتون مدحهم بهذه الصفات من بداية عصور الشعر العربي حتى الآن .

وقد تفنن الشعراً في مدحهم فامتدحوا الانسان بوصف خلقته ومعرفته بالأمور وقياسها بمقاييسها الصحيح ، ودخلوا بالحياة ، والسياسة ، والكفاية ، والعلم ، والحلم (١) .

ولقد كان الشاعر في الجاهلية لسان القبيلة الناطق باسمها ويرى أن عليه واجباً في مجتمعه القبلي تجاه سادات قومه وفرسانهم فأطلق لسابه بالثناء عليهم وامتد هذا الثناء إلى غيرهم ممّن يأتون أحساناً وتكون لهم فضائل ومكرمات دون النظر إلى القبائل التي ينتسبون إليها حتى أصبح المدح من الأبواب المستقلة في الشعر الجاهلي يشيد بفضائل الجاهلية بعيداً إلى حد " ما " عن التكسب والتزلف هدفه اظهار الحب والشكر والاعجاب بالممدوحين أيا كانوا . (٢)

ويعد زهير بن أبي سلمي ، والنابغة الذبياني ، وأمية ابن أبي الصلت ، وبشر بن أبي حازم ، وحسان بن ثابت الأنصاري من أشهر المداحين في الجاهلية (٣)

(١) المصدر السابق ٩٦ - ١١٣ .

(٢) انظر تاريخ الأدب العربي - حنا الفاخوري ٦٠ - ٦١ .
والشعر في الأدب العربي على ضوء التصور الإسلامي للدكتور شوقي عبد الحليم حماده ٩٧ . (مكتبة النهضة المصرية) .

(٣) انظر أدب ما قبل الإسلام دراسة وصفية تحليلية - محمد عثمان على ١١٨ .

اما الفخر في العصر الجاهلي فلم يكن أقل من المديح شأنها فهو أحد التيات التي تسري في الحماسة (١) لأن العربي بطبيعته شجاع مقدام يتطلع دائماً إلى الفضائل والمثل العليا ويتباهي بالخصال الحميدة ، والسماء النفسية الطيبة ، ويغتتّر بانتقامه القبلي ويزهو بأفعاله العظيمة فهو معتمد بنفسه مفتخر بأصالته ومناقبه ومناقب قومه . لذا كان موضوع فخره مكارم الأخلاق وشرف النسب وبياض الفعال (٢) ولم يخرج في محيط فخره عن ذاته وقبيلته وما يتصل بهذه الذات وهذه القبيلة من فروع وأفخاذ (٣) .

والعربي ذو نفس أبية يلذ له الحديث عن نفسه وخصاله وأفعاله وهو شجاع كريم صاحب مرؤاة ونجدية يتحلى بصفات كانت في مجلتها تشكل روابط متينة تربطه بمجتمعه كالحفاظ على العهد وحماية الجار واجارة المستغيث ولذلك كان مدار الفخر في الجاهلية حول الحديث عن النفس وانتماء الشاعر إلى القبيلة وتأكيد هذا الانتماء ، ومحاولة الارتفاع بمستوى الشاعر من خلال ارتفاعه بمستوى قبيلته والحديث عن طيب المنتبه والأصل العريق للشاعر ، وكثرة المال ، والولد ، والعدد ، والعدة ، والانتصارات في الغارات .

ومن العرف المؤكّد أن الحديث عن النفس واطراءها والتبااهي بخصالها وأفعالها يعد من باب الغرور ، وهو مذموم

(١) انظر الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه د . يحيى الجبورى ٣٠٠ - ٣٠١ .

(٢) انظر تاريخ الأدب العربي - حنا الفاخوري - ٦٠ - ٦١ .

(٣) انظر أدب ما قبل الإسلام - محمد عثمان على - ١٠٨ - ١١٢ .

الا في الشعر فانه مستساغ مقبول . وقد أشار ابن رشيق
إلى هذا بقوله : (ليس لأحد من الناس أن يطري نفسه
ويمدحها في غير منافرة الا أن يكون شاعراً فان ذلك جائز له
في الشعر غير معيب عليه) .

وأصدق الفخر في الجاهلية مادار حول الفضائل النفسية
والخصال الحميدة بعيداً عن الاغراق في التباھي بالأمور المادية
والتعالي بالأحساب والأنساب . وهي أمور كثيرة الفخر بها
في العصر الجاهلي وربما كانت محمودة حينذاك وهي عادة الشاعر
وعدته في ذلك العصر ، اذ لم تكن هناك ضوابط للشعر تحد من
الاغراق في ذكر هذه الصفات والتعالي بها على الناس .
وهي أمور وضع لها الإسلام ضوابط ومقاييس أوقفت الشعراء
عند حدودهم كما سنرى فيما بعد - ان شاء الله - .

^{مقطوع}
وبصفة مجملة نقول : كـ كان قصائد الفخر
في الجاهلية حول الشجاعة والبأس ومنع الجارات واجارة المولى ،
واطعام الفقراء واكرام الضيف ، وبذل المال وايشار الآخرين (٢) ،
واقتحام حومات البغى بقوة وبسالة ، وبذل الروح رخيصة في سبيل
الحفاظ على وحدة القبيلة وشرفها وكرامتها وقد افتخروا كذلك
بشرب الصهباء .

(١) العدة - لابن رشيق ٢٥/١ .

(٢) انظر الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه د . يحيى الجبورى

وكثر من شعراء الجاهلية كانوا يجمعون بين الفروسيّة والشاعرية (١) فكان فخرهم ينطلق من أنفس قوية لا تهاب الموت ولعل من هؤلاء الشعراء الفرسان حاتما الطائي ، وعنتيرة العبسى ، وعمرًا بن معد يكرب ، وعمرًا بن كلثوم ، والحارث بن حلزة وغيرهم . (٢)

أما المديح والفخر في عصر صدر الإسلام فقد جاء الإسلام وال الإنسانية ترسف في قيود العبودية والظلم ، والعرب حينذاك يعيشون حياة جاهلية وثنية مادية . فكان عصر النبوة والخلفاء الراشدين قمة شامخة عبر بالعرب من على شارف جزيرتهم إلى العالم حاملين معهم أعظم هدية للبشرية جماء ليكونوا رسل هداية ورواد أسلوب متفرد جديد في الحياة التي شعت منها مبادئ النهضة المباركة مضيئاً لدروب الحضارة الإنسانية فيما بعد ، ولا زال العالم بأسره يتفيأ ظلالها حتى الآن وكانت هذه النهضة منطلقاً لفكرة راق وأدب تميز مصدره القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهورة والنهج الراشدي . ومن الطبيعي أن يحدث القرآن الكريم تغييراً واضحاً في الفكر والأدب ، ويضع للثقافة الإنسانية منهاجاً يرتاده من هداء الله للحق وسلمت روحه للإيطان بعيداً عن جفوة الجاهلية وفلقتها ، واغراقها في المبادئ التي لا تعرف سوى العرقية والحزبية والنفعية (٣) لينطلق الأدب من قاعدة صلبة ويسير

(١) انظر الشعر في الأدب العربي على ضوء التصور الإسلامي للدكتور / شوقي عبد الحليم حمادة . ٩٩

(٢) انظر أدب ما قبل الإسلام - محمد عثمان على - ١٠٨ - ١١٢ .

(٣) انظر الأدب العربي في الجاهلية والإسلام - عمر رضا كحالة ٨٩ (المطبعة التعاونية دمشق) .

في عوالم فسيحة ترسم للمجتمع صورة واضحة للحياة والكون في آفاق الدين الإسلامي .

وحيينما نتحدث عن غرضي المدح والفخر في عصر صدر الإسلام فإنه لابد وأن يكون لهذه الحياة الجديدة أثراً الواضح العميق في نفوس العرب عموماً وهم الذين أظلمهم هذا الدين والشعراء منهم بصفة خاصة وهم الذين كان لهم شرف الصحبة للرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - ولخلفائه الراشدين . فقد تشربت نفوس هؤلاء بالإيمان الصافى وأصبحت أسلوبهم مقيدة عن قول الفحش فكان واجباً على الشاعر المسلم أن يكون ملتزماً منهج القرآن الكريم لا يتعدى حدوده في مدحه وفخره : فقد ولى عصر التمدح والفخر بالأحساب والأنساب ليحل محل ذلك التمدح والفخر بالدين الجديد ، والسبق إليه والتصديق برسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - والدعوة إلى الله وبيان محسن الإسلام ، واظهار عدالته الاجتماعية فبعد أن كان الشعر الجاهلي ظلاً لحياة الصحراء يعكس جفوتها ، محصور الأغراض في الوقوف على الأطلال ومناجاتها وبكاء الحبيبة الظاعنة ، ووصف الناقة والبعير ، والمعها والجياد وفي مدح السادات والعظام ، ورؤساء القبائل وفي الفخر بالنفس أو القبيلة والزهو بمعركة كان النصر فيها حليف الشاعر وقبيلته ، وفي تحريض القوم على الأخذ بالثار (١) وغيرها من الأمور الدنيوية التي تحركها شهوات النفس وجذوة الجاهلية . أصبح هذا الشعر في

(١) نظرات في الشعر الإسلامي والأموي - ظافر القاسمي
٢٠ وما بعدها . (دار النفائس) .

ظل الحياة الجديدة وسيلة من وسائل الدعوة الى الله وتُبصّر
الناس بدينهم الجديد الذي يكفل لهم الحرية والوحدة والمساواة،
وهكذا تجنب الشعراء القيم الجاهلية القديمة واستمسكوا بقيم
اسلامية جديدة في ظل عدالة سماوية لا تفرق بين أبيض وأسود
أو عربي وأعجمي إلا بمقاييس واحد هو تقوى الله عز وجل * يا أيها
الناس أنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا
ان أكرمكم عند الله أتقاكم (١) *

ومن هنا أصبح للشعراء الذين تمكّن الاسلام من نفوسهم
منهج واضح في الشعر بعامة والمديح والفاخر بخاصة . فكان
لشعراء المدينة خطٌّ متميز في نهجهم الشعري عن شعراء مكة
الذين لما يتمكّن الاسلام من نفوسهم بعد حتى تحولوا بعد فتح
مكة ونهجوا نهج شعراء المدينة . وكان من بركات هذا الدين
الحنيف أن تحول الفخر الذي كان بين الأوس والخزرج بسبب
السيادة القبلية والمطالب العادلة إلى تفاخر اسلامي بينهم وبين
قريش وحلفائهم في سبيل الدين الجديد (٢) . مما أدى إلى توسيع
افق الشعر والسمو بغاياته في ظل الاسلام الذي وقف منه موقفاً
طبيعاً واضحاً مؤيداً للشعر الذي ينسجم مع دعوته وأهدافه
ناهياً عن أي قول يؤدي إلى فحش واقذاع أو تعال بحسب أو حسب
وأصبح المديح لله ولرسول وللأمّة الاسلامية كما تحول الفخر من
قبلى جاف إلى اسلامي يسمى بالدين الحنيف والانتقام إليه والثأر

(١) سورة الحجرات آية ١٣ .

(٢) الأدب العربي في الجاهلية والاسلام - عمر رضا كحالة ٨٤ .

ومنهم الخلفاء الأربعة كانوا ينأون بجانبهم عن سماع المديح
وحسبنا محاولة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - منع حسان من
إنشاد شعره في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنحرام
حسان له (١) ولما يراه الصحابة وال المسلمين من التطاول فـى
التفاخر من سمات الجاهلية .

وخلاصة القول : أن المديح قد اختط في هذا العصر
منحي دينيا بحثا اذ سجل الشعرا لرسولهم الكريم الصفات التي
وصفه بها القرآن الكريم ومدوا صاحبته الأجلاء بالمعانى الإسلامية
وقد جاء في شعرهم ومضات الصدق الفنى نظرا لأنهم يصدرون
فيه عن حب وايمان لصاحب الرسالة ولصحابته ، ولعامة المسلمين
فلم يكن الغرض ماديا وإنما كان احتسابا عند الله وذودا عن حياض
الإسلام لا يقصدون من ورائه التكسب ونيل الجوائز إنما مشاركة
في الدعوة الى الدين الجديد والذود عنه باللسان والسيف

ولكن الدكتور شوقي ضيف يرى أن السمات والخصائص الفنية لل مدح في العصر الإسلامي لم تتغير كثيرا عنها في الجاهلية وأن حسانا وغيره يمدحون الرسول الكريم بالشجاعة والسرعة في الكرم والتصدي للمعتدين ، والوفاء بالعهود لأنها يمدحون ملكا من ملوك الأرض أو سيدا من ساداتها لم تكن له سمة النبوة ، وقد استشهد

(١) انظر الأغانى ٤ / ١٤٣ - ١٤٤ . (مصور عن طبعة دار الكتب) .

(٢) انظر الشعر الاسلامي في صدر الاسلام - د. عبد الله

على رأيه هذا بلامية كعب بن زهير التي نظمها في مدح الرسول - صلى الله عليه وسلم - حينما جاءه معتذراً ومسلاعاً .. يقول الدكتور شوقي ضيف .^(١) (لولا ماجاء في القصيدة من قوله :

أنبئت أن رسول الله أ وعدني والغفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذي أطاك نافلة الـ قرآن فيها مواعيظ وتفصيل
أن الرسول لنور يستضيء به مهند من سيف الله مسلول^(٢)

لما عرفنا أنها في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم - ولتبادر
الينا أنها في مدح سيد من سادات القبائل . . .

والحقيقة أن حسان بن ثابت كان ينافح عن الدعوة الإسلامية
بلغة يفهمها المشركون فقد ورد أنه كان يهجو قريشاً ثلاثة نفر
من الأنصار يجيبهم حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، عبد الله
ابن رواحة فكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم بالواقع والأيام
ويغيرانهم بالمثاب ، وكان عبد الله بن رواحة يغيرهم بالكفر وينسبهم
إليه فكان في ذلك الزمان أشد عليهم قول حسان وأهون شيء عليهم
قول ابن رواحة فلما أسلموا وفقروا الإسلام كان أشد القول عليهم
قول ابن رواحة . . .^(٣)

وأما ملاحظه الدكتور شوقي ضيف على لامية كعب من السمات

(١) التطور والتجديد في الشعر الأموي د . شوقي ضيف ٦٤١ - ٦١٧ .

(٢) أنظر هذه القصيدة في جميرة أشعار العرب ٦٣٢ - ٦٤١ .

(٣) الأغانى ١٦ / ٢٣٠ - ٢٣١ .

الجاهلية فان كعبا قالها حينما وفد على الرسول مسلماً ومنتذراً ولم تشرب نفسه روح الاسلام وقد هذب الاسلام فيما بعد من شعره.

ومن هنا يمكننا القول بأن الاسلام قد حول المديح الى صورة جديدة في اغلب سماته وخصائصه وأفكاره وموضوعاته . فقد كان شعر المديح قليلاً الا أنه يمتاز بصدق اللهجة والابتعاد عن الكذب وهذا في حد ذاته توجيه اسلامي رائع . وبالجملة فان الباحث المصنف لا يستطيع أن يغضض عينيه عما ظهر به المديح في هذا العصر وقد ارتدى ثوباً تظهر عليه مخايل الجدة اذ ارتسست عليه ملامح تتلخص في قلته وصدق معانيه ولهجته وابتعاده عن التكسب والتزلف . وظهرت فيه أفكار لم تكن موجودة قبل كالмедиح بالتفوي والورع والسبق الى الاسلام ، والهجرة وصحابه المصطفى - صلى الله عليه وسلم - والقرب منه ، والجهاد في سبيل الله والشجاعة ، والكرم والجود وغير ذلك من السجايا النبيلة وقد اختص الشعراء رسولهم بفيض من نتاجهم لا يقصدون من ورائهم الا المثلية من الله وتعزيق محبتهم للرسول صلى الله عليه وسلم - ولخلفائه من بعده (١) ورضائهم التام بالدين الجديد الذي ارتضاه الله للبشرية جماء (٢) .

(١) انظر الشعر الاسلامي في صدر الاسلام - د . عبد الله الحامد ص ٢٢٢ .

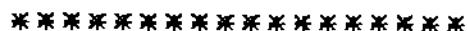
(٢) لم أورد أمثلة على ما ذكرت لأنها أكثر من أن تتعصى هنا ولا يتسع المقام لذكرها في هذا التمهيد الموجز . ولمن أراد ذلك الرجوع لها في أبوابها في كتب الأدب القديمة والحديثة .

اما الفخر في عصر صدر الاسلام فقد تغيرت صورته وكان هذا التغيير طبيعيا بعد ان صقل الاسلام مواهب الشعراء وأمد هم بفيض غزير من القيم الروحية ، والمعانى السامية ، وان كان شعراء مكة وغيرهم الذين لم يدخلوا في الاسلام قد استمروا في الرضوخ لحمق الجاهلية وقد شاب بعض شعر حسان شوب من نزعة جاهلية اقتضاها الوقوف أمام استعلا ، فرثى جاهلي مما اضطر بعض شعراء المسلمين الى أن يقاولوهم بمثل قولهم حتى يخضدوا شوكهم . وبطبيعة الحال فان الفخر في عصر صدر الاسلام قد تغيرت صورته بالنسبة لشعراء المسلمين تدريجيا في بداية الأمر (١) . وبالنسبة لجميع الشعراء بعد أن دانت الجزيرة كلها للإسلام . وقد كان الشاعر يتتجاوز حدود المعقول في فخره ويغرق في امتداح نفسه وقبيلته صنيع عمرو بن كلثوم الذي صور تقلب قبيلته تخر لها الجيابر ساجدين (٢) . وهكذا كان الفخر دائما يطل برأسه في الجاهلية فجاء الاسلام وقد أطاح ببرؤوس الشياطين وكل ما يحيط به فخر الجاهلية بصلة ورسم للشعراء عالم كانت بداية لتحول كبير في أغراض الشعر العربي من حيث الموضوعات التي طرقها الشعراء ل تستقيم هذه الموضوعات مع القيم الجديدة والأخلاق العالية التي يدعو إليها الاسلام ، فالقرآن قد أمد الشعراء بمادة زاخرة من المعانى والصور الخيالية الابداعية استمدوها فسرت في

(١) كما هو الحال بالنسبة لعبد الله بن رواحة الذي أخذ يفتخر
بالمسلم ويغير قريشاً بالكفر من أول وهلة وهذا يدلنا على
تأصل الإسلام وعمقه في نفسية المسلمين حينذاك .

(٢) في معلقته المشهورة - أنظر شرح المعلقات السابع - للزوذني -

شعر ينطق بالحيوية والعفة والصدق ، واتخذ الفخر في هذا العصر منحى جديداً ينسجم مع ماتطلبه الحياة الجديدة وما يدعو إليه الإسلام من مثل علياً وقيم رفيعة فأصبحت أمام الشاعر صور شتى يستمد منها مفاخرة ويتعالى بها . وتمثلت هذه الروافد في القيم النبيلة التي يدعو إليها كالسبق إلى الإسلام والهجرة النبوية الشرفة ، والجهاد في سبيل الله ومشاركة المسلمين في حومات الونぎ وايواء الأنصار للرسول - صلى الله عليه وسلم - وللمهاجرين ، والعمل الصالح والتقوى إلى غير ذلك من الأمور التي تتفق مع منهج الإسلام الخالد .



الباب الأول

الدّوافع الفسيّة والإجتماعية
الّتي أدت إلى ظهور الفرضيّين
عند الشعراء الثلاثة .

وفي مدخل وثلاثة فصول :

مدخل لدراسة هذه الدّوافع

الفصل الأول: الأخطل

الفصل الثاني: الغرزدق

الفصل الثالث: حكير

باب الأول

الى دراسة الدوافع النفسية والاجتماعية التي أدت الى ظهور الغرضين عند الشعراء الثلاثة

يؤكد علماء النفس أن شخصية الفرد تنمو وتطور داخل سلسلة من الأطراف الاجتماعية والثقافية ، والسياسي الذي يعيش فيه ، ويتفاعل معه فقد يولد الإنسان مزوداً بأنواع شتى من الاستعدادات الجسمانية والعصبية ، والنفسية تظهرها وتبلورها المؤثرات المختلفة من بيئته المادية والاجتماعية والثقافية . (1)

لذا كان لزاماً على الباحث حينما يدرس شخصية من الشخصيات من خلال فنها أن يدرسها من زوايا معينة من أهمها البيئة التي نشأت فيها هذه الشخصية ، وتغذت بمعاهمها ، وقيمها وما اتصل بها من ظروف سياسية ، واجتماعية ، واقتصادية إلى غير هذا . ولكي يكون البحث مصروراً لأبعاد تلك الشخصية، وانعكاسات تصرفاتها على الآخرين ومدى تفاعلها مع الأحداث والواقع

(١) انظر علم النفس أصوله وتطبيقاته التربوية د . مصطفى فهمي :
٣٩٥ ، والمدخل الى علم النفس - عبد الله عبد الحفيظ موسى :

(٢) انظر الأخطل شاعر بنى أمية د. سيد غازى : ١٧ .

التي تدور في المجتمع المحيط بها فانه لابد من القاء الضوء ولو بصورة موجزة على النواحي السياسية والاجتماعية التي تكتنف صاحبها. ولاريب أن تلك الأحداث عظيم الأثر في نفسية الشعراء الثلاثة الذين يدور حولهم بحثنا هذا والذين عرّفوا بـ «شعراء العصر الاموي».

هذه البيئة السياسية والاجتماعية التي عاش في كفها هذا المثلث هي بيئه الأميين الذين حملوا معهم ماضياً عريقاً ومجداً مؤثلاً من الجاهلية ظهر ذلك كلّه في منافستهم الشديدة على تبوء الصدارة في المسرح السياسي . (١)

ولذا فانه حينما بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - هادياً ومبشراً لم يكن الأميون من السابقين اليه ، لأنهم رأوا أنفسهم أحق بالملك والزعامة ظناً منهم أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يريد الحكم والسيادة على العرب . اذ لم يفهموا في بادئ الأمر حقيقة هذه الدعوة في ساحتها وعدلها أو أن العناد الجاهلي قد زاد روؤسهم شموخاً . ورأوا كذلك أنه لم يتبعه - صلى الله عليه وسلم - الا الضعفاء وقلة من الناس فلما

(١) كان بنو أمية في الجاهلية أصحاب تجارة وأسفار ومن خلال هذه الأسفار والأموال ازدادوا معرفة بالقبائل في أطراف الجزيرة العربية واكتسبوا شهرة وخبرة ودرأية في معاملة الناس . بالإضافة إلى مكانتهم وشرفهم في قريش ، فلما بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - أنكروا أن يكون هذا في بني هاشم ورأوا أنهم أحق بذلك فلم يسلموا حتى عام الفتح .
أنظر الأخطل شاعر بنى أمية - للدكتور سيد غازي : ٤٨ .

يدخلوا في الاسلام الا بعد فتح مكة ، وقد أدرك - صلى الله عليه وسلم - بحكمته وبعد نظره ما لهذا البيت من مكانة في نفوس العرب فأراد أن يعالج الموقف علاجاً نفسياً اذ جعل دار زعيمهم أبي سفيان يوم فتح مكة دار أمان لمن دخلها في قوله المشهور^(١) الا أن هذه النزعة إلى السيطرة من قبل بنى أمية وتشوّقهم إلى الحكم قد بدأت تطل برأسها منذ أن تولى سيدنا عثمان - رضي الله عنه - الخلافة بعد استشهاد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - اذ رأى بنو أمية أن بضايعتهم وهي الحكم قد ردت إليهم بعد أن حرموا من ذلك وتقديمهم غيرهم أيام النبي والراشدين^(٢) وأنه صار لزاماً عليهم الحفاظ عليها . وقد كان سكوتهم أولاً في خلافة أبي بكر وعمر - رضي الله عنهم - حفاظاً على وحدة الأمة وعدم الخروج على الجماعة ، لأن شخصية عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قد حسمت الموقف عندما بايع أبو بكر بالخلافة ثم توالى الأحداث وظهرت هذه النزعة قوية عنيفة حينما قرر = على = رضي الله عنه - عزل ولادة عثمان ومنهم معاوية الذي لم يتمثل لهذا الأمر وطالب بدم عثمان وشهر أسلحته في وجه = على بن أبي طالب = كرم الله وجهه - على مدى خمس سنوات كانت الحرب سجالاً بينهما ، وانتهت بفوز معاوية بالخلافة وتأسيس

(١) انظر السيرة النبوية - القسم الثاني (ج ٣ - ج ٤) ٤٠٥ .

(٢) انظر جرير حياته وشعره - د . نعман طه : ٤٨ - ٤٩ .
ودراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث الهجري للدكتور - بدوى طبانه : ٢٦ . (الإنجلوالمصرية)

الدولة الأموية سنة (٤٠ هـ) نتيجة لحنكته السياسية وتمرسه في حكم الشام مدة طويلة ، وتخاذل أعون " على " وانقسامهم عليه إلى طوائف .

ومن هنا بدأ معاوية وخلفاؤه من بعده يوطدون الدولة الأموية ويبثتون أركانها ، ويعملون جاهدين على وحدة الأمة واجتذاب الشعراً والاغداق عليهم للاشادة بسياستهم وسيرتهم في الدولة وعراقة نسبهم لعلمائهم التام بأنهم أخذوا الخلافة عنوة ثم جعلوها وراثية فيهم ، وأن بعضًا من فقهاء المسلمين لا يقرؤنهم على علمهم هذا (١) .

وقد يشفع لهم نجاحهم في اتساع رقعة الدولة الإسلامية بالفتحات وحفظهم على هذا التراث الضخم الذي خلفه لهم صفة المجاهدين من الصحابة والتابعين وجموع المسلمين .

وقد أدرك الأمويون خطورة الشعر فأخذوا يسيطرؤن على العقلية الجماعية للناس بواسطة هؤلاء الشعراء الذين يعدون بمثابة وسائل الاعلام في عصرنا الحاضر .

وفي وسط هذه الأحداث الهامة في تاريخ الدولة الإسلامية كان الشعراً الثلاثة يعيشون جوانب الصراع المتلاحقة ويرون بأعينهم تبديدها المؤسف لصفوف المسلمين .

(١) كابن الزبير ، وأبن عمر وغيرها . وقد حيكت تهم كثيرة ضد معاوية - رضى الله عنه - ملئت بها كتب التاريخ ، وأغلب الظن أنها بعيدة عن الصحة ينبغي الاحتياط والتثبت قبل تقبلها . انظر أباظيل يجب أن تمحى من التاريخ د . ابراهيم شعسوط : ٢٦٥ ٢٦٦ . (دار الشروق) .

ومن الطبيعي أن يكون لها آثارها النفسية والاجتماعية على
شعراء العصر خاصة جريرا والفرزدق والأخطل . (١)

(١) وهم الذين يعدون ذوابة الشعر الاموي .

الفصل الأول

الأخطل

* * الفصل الأول - *

• • • • • • • • • • • • • •

* * الأخطـل *

لم يكن الأخطل (١) في أول حياته شاعر مدح وفخر على الرغم من أنه سليل شعراء فحول يعدون من رواد الشعر العربي في الجاهلية والاسلام . (٢) وربما كان للعوامل النفسية والاجتماعية التي أحاطت به حينذاك أثراً الواضح في حياته وفي ابتدائيه الشعر هجاءً اذ لم يكن في نشأته الأولى من الأسباب والدافع ما يجعله يتوجه إلى العديع والفخر فانصرف إلى الهجاء يروض به لسانه وينهش به من يعاديه ، وكان في أول حياته وحيداً أمّه التي كانت تدلله وتلقبه د وبلا (٣) وتضفي عليه فيضاً من حنانها وحبها حتى اذا توفيت او طلقت من أبيه وجد نفسه في يد امرأة غريبة لا ترعااه - بمثل ذلك القلب الحنون لأمه (٤) فانقلب الحب والحنان في حياته الى ذل وحرمان مفتقداً شعور الأم ، ولهاقتها ، ورأى أنه أصبح منبوذاً من الأسرة والقبيلة .

(١) انظر ترجمة الأخطل في الكتاب التالية (ابن سلام : ٤٦١ / ١)
٥٠٢ ، والشعر والشاعر : ٤٨٣ / ١ ، ٤٩٦ - ٤٩٤ ، والأغانى : ٨ / ١
٢٨٠ - ٣٢٠ ، ونواذر المخطوطات : ٢ / ٢ ، ٢٩٠ ، ٣١٢ ، وتاريخ
الاسلام : ٣٣٧ / ٣ ، ٣٣٩ - ٣٤٩ ، ونهاية الأرب : ٣ / ٣ ، والمختلف :
٢١ ، والموشح : ٢١١ - ٢٢٦ ، والاشتقاق : ٣٣٨ ، وخزانة الأدب :
٤٥٩ / ١ ، والأخطل شاعر بنى أمية والأخطل الكبير ، وغيرها من
كتب الأدب والترجمات القديمة والحديثة .

(٢) الأخطل الكبير د . قباوة : ٣٧ .

(٣) الدويل : الحمار الصغير لا يكره أنظر الصحاح (ديل) .

٤) الأغاني : ٨/١ - ٣٠٢ - ٣٠٣

فزوجة أبيه تذيقه مراة الحرمان وتفضل أبناءها عليه وأبواه
ينتهزه ويضربه لتعريضه لهجاء الناس (١) ، والقبيلة ترى أنه هجا
شاعرها والمقدم فيها " كعب بن جعيل التغلبي (٢)" فلم يبق له
حينئذ هدف يقصده ب مدحه ولا ما يعتز به فيفتخـر . ومن هنا
كان في أول حياته وقبل اتصاله بالأمويين منطويـا على نفسه فـى
أغلب الظن منقضا عن الناس (٣) ، ولم يـعرف اصطناعـة المدحـ
والفـخر قبل هذا التاريخ . ولعل من المـفـيد جداً أن ندرس بشـيء
من التفصـيل تلك الأحداث والملابسـات التي هيـأت للأـخـطلـ أن يصلـ
إلى قـصرـ الخـلافـة ، والتـى أثـرتـ فـى نـفـسـيـتهـ حتىـ قالـ عنهـ جـريـسرـ
حيـنـما سـأـلـهـ أـبـنهـ عـنـ أـشـعـرـ النـاسـ فـيـ الـاسـلـامـ فـأـجـابـهـ بـأنـ الفـرـزـدقـ
نـبـعـةـ الشـعـرـ وـأـنـ الـأـخـطلـ يـجـيدـ مدـحـ الـمـلـوـكـ . فـكـيفـ اـرـتـقـىـ هـذـاـ
الـشـاعـرـ مـنـ حـالـةـ النـبذـ وـالـظـلـمـ لـيـصـبـ شـاعـرـ الـمـلـوـكـ (٤) يـجـيدـ مدـحـهمـ
وـيـفـتخـرـ بـهـمـ وـيـضعـ مـنـ قـدـرـ أـعـادـهـ ؟ .

لم تـكنـ المـعارـكـ بـيـنـ بـنـىـ أـمـيـةـ وـالـمـنـاوـيـنـ لـهـمـ مـقـصـورـةـ عـلـىـ
استـخدـامـ السـلاحـ وـالـنـزالـ فـىـ حـوـمةـ الـوـفـىـ بلـ كـانـ لـلـشـعـرـ دـورـ فـىـ
هـذـهـ المـارـكـ إـذـ أـصـبـ سـلاـحـاـ يـسـتـخـدـمـهـ كـلـ فـرـيقـ فـحـمـيـتـ نـارـهـ

(١) أنظر الأغانى : ٢٨٠ / ٨ - ٢٨١ .

(٢) كعب بن جعيل التغلبـي - شاعـرـ مـنـلـوـ فـىـ أـولـ الـاسـلـامـ أـقـدـمـ
مـنـ الـأـخـطلـ وـالـقطـامـيـ وقدـ لـحـقاـ بـهـ وـكـانـ مـعـهـ وـيـعـدـ شـاعـرـ
مـعاـوـيـةـ وـأـهـلـ الشـامـ .

أنظر طبقـاتـ فـحـولـ الشـعـراءـ : ٥٢٢ / ٢ .

(٣) أنـظـرـ الـأـخـطلـ فـىـ سـيرـتـهـ وـنـفـسـيـتـهـ وـشـعـرهـ - إـيلـياـ حـاوـيـ : ١٩ .

(٤) طـبـقـاتـ فـحـولـ الشـعـراءـ : ٦٤ / ١ - ٦٥ .

بين كل من عبد الرحمن بن حسان (١) شاعر الأنصار وعبد الرحمن ابن أم الحكم^(٢) شاعر الأميين في مهاجة متبادلة تجاوزها عبد الرحمن ابن حسان - كما تشير الروايات - إلى التشبيب بابنة معاوية^(٣) فآثار بذلك حفيظة يزيد ليطلب من كعب بن جعيل هجاء الأنصار والرد على شاعرهم ولكنه امتنع ودله على الأخطل الذي تصدى لهم بالهجاء - قبحه الله - قائلاً : (٤)

ذهبت قريش بالسماحة والندى
واللؤم تحت عاصي الأنصار
قدعوا المكارم لستم من أهلها
وخدوا مساحيكم بنى النجار

وقد أثارت هذه القصيدة غضب الأنصار ونقطة الناس على الأخطل وبخاصة أن هذا الشاعر النصراني قد تبجح بهذا الهجاء تحت حماية ابن الخليفة يسده إلى الأنصار ذوى المكانة المرموقة والتاريخ المشرق لدى جميع المسلمين . وعلى الرغم من قلة أبيات هذه القصيدة فإنها فجرت الحقد الدفين في نفسية هذا الشاعر وأضرابه من النصارى ليزرع الفرقة والتناحر في صفوف المسلمين في محاولة منه لتفتيت وحدتهم وإثارة العصبية الجاهلية التي كاد أن يدفنها الإسلام ويقضي عليها بين القبائل ، وهي سابقة ما كان لشاعر مهما

(١) عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري شاعر ابن شاعر كان مقينا في المدينة وتوفي فيها وفي تاريخ وفاته خلاف والراجح أنه توفي سنة ٤١٠ هـ / انظر سير أعلام النبلاء للذهبي : ٦٥٦٤ / ٥ .

(٢) انظر ترجمة عبد الرحمن بن أم الحكم في الأعلام : ٣٥٥ / ٣ .

(٣) ان صحت هذه الروايات .

(٤) طبقات فحول الشعراء : ٤٦٣ / ١ ، والأغانى : ١٠٩ / ١٥ -

أوتي من قوة البيان وبذاءة اللسان أن يجرؤ على الولج في مخبة مخاطرها وما يمتع به الأنصار من فضل وكرم ، وقد استشاط النعمان بن بشير زعيم الأنصار غضباً فدخل على معاوية حاسراً عمامته قائلاً له قوله المشهورة :

“ أترى لئما ياما معاوية ؟ فقال معاوية : لا ، بل أرى كرماً وخيراً . ماذاك ؟ قال : زعم الأخطل أن اللئم تحت عيائمه قال : أفعل ؟ قال : نعم . قال : ماحاجتك فيه ؟ قال : لسانه . قال : ذاك لك (١) . وكان هذا الخبر بمثابة الصاعقة على الأخطل فلجاً إلى يزيد طالباً منه الحماية والنجدة فحمد الله ومنع عنه الحكم بطريقة أو بأخرى . (٢)

(١) طبقات حول الشعراء : ٤٦/١ ، والأغاني : ١٠٨/١٥ .

(٢) قيل في سبب طلب يزيد من كعب بن جعيل هجاء الأنصار كي ينتصر لعبد الرحمن بن الحكم وكان عبد الرحمن بن حسان قد هجاه وقيل انه ثار لما شب ابن حسان بأخته أو عمه . وقيل ان معاوية هو الذى طلب من كعب هجاء الأنصار وأنه رفض ودله على الأخطل ف تكون حيلة مدبرة من معاوية وابنه غير أن هذا بعيد اذ بقى الأخطل مكروهاً من معاوية ولم نظر بقصيدة واحدة في ديوانه يمدح بها معاوية اذا استثنينا بعض الأبيات المترفقات حينما يمدح أحد أبنائه . ولعل عدول معاوية عن تنفيذ حكمه ضد الأخطل حاجة بني أمية الى لسان هذا الشاعر في هذه الحقيقة من الزمن . أما كعب بن جعيل فيعد شريكاً للأخطل فالدال على الشر كفاعله .

أنظر الأغاني : ١١٩/١٥ ، وأدب السياسة في العصر الأموي
أحمد الحوفي : ٢٥٦ .
والهجاء والهجاءون د . محمد محمد حسين : ٢٨ .

عندئذ أخذ يدبح المدائح لبني أمية وولاتهم ينافح عن حكمهم ، ويظهر فضلهم للناس وأحقيتهم وأهليتهم للخلافة .

ولاشك في أن هذا ما يريد به بنو أمية من الشعراً اذ أصبح الشعر السياسي أقوى ضرورة الشعر صوتاً في عهدهم وسياسة يتبعونها لتشبيت ملوكهم وآساتهم مزيداً من التعظيم والتعجيز (١) . وكان معاوية أسبق الخلفاء إلى انتهاج هذه السياسة عندما أراد أحد البيعة بولادة العهد لابنه يزيد اذ لم يجد بدا من اتخاذ الشعراً كسلاح لانتهاج هذه الخطوة (٢) ، فأخذ يقر لهم ، ويغدق عليهم مما جعلهم يتزاحمون على قصور بنى أمية وولاتهم حتى أصبح لهم في كل مصر شعراً (٣) ، وكان الأخطل من الشعراً المقربين من بلاط الخليفة على الرغم من أنه لم يكن شاعراً سياسياً يجيد غرضي المديح والفخر في أول حياته . كما أنه لم يكن هو الساعي من تلقائه نفسه إلى بنى أمية لأنه لم يكن يتصور وصوله في يوم من الأيام إلى قصور الخليفة ، بل يرى ذلك بعيداً بالنسبة له . اذ هُوَ المتبذد من قبل أسرته وقبيلته نتيجة لتصرفه المشين معهم ، وهو لم يصل إلى المكانة المرضية لدى قبيلته فضلاً عن الخليفة ، كما أن نصراناته تقف حاجزاً قوياً لا يمكنه من الوصول إلى هدفه

(١) انظر أدب السياسة في العصر الأموي - د. أحمد الحوفي

• ٢٥٧ •

(٢) المرجع السابق : ٢٥٧ .

(٣) المرجع السابق : ٢٥٨ .

(١) سهولة .

ولذلك فان الفرصة قد واتته وعليه أن يحسن استغلالها
عندما طلب يزيد لهجاء الأنصار فلم يتردد ولم يطلب من يزيد
سوى الحماية مما يتربّ عليه بعد فعلته الشنيعة . ولا يهمه بعد
ذلك أيا من الناس يهجو وأيا يسلط عليهم لسانه البذئ فهو طوع
الأمير الذي أدخله التاريخ من أوسع أبوابه ، ولقد كانت هذه الحادثة
من أقوى العوامل النفسية والاجتماعية لاتجاه الأخطل الى المديح
والفخر^(٢) !

فمن شاعر هجاء مغمور في ربوع تغلب النصرانية في أرض
الجزيرة الفراتية إلى شاعر بلاط مدود صوته يظهر على المسارح
السياسية وتذيع شهرته في الآفاق فأخذ يجوبها قاصداً بنى أميّة
وولاياتهم يمد حهم ويُمجدهم ، ويُفخر بقبيلته وبوقفتها معهم مستغلاً
 بذلك تعاطف الخلفاء والولاة معه ليهجو أعداء قبيلته وبين أنهم
أعداء للخلافة كذلك ، ويُفخر بتغلب في حضرة الخليفة أو الوالي
كما سُنحت له الفرصة فلا تكاد توجد له قصيدة في مدح الخليفة
أو وال إلا ويعرض فيها بأعداء قبيلته وخاصة القيسيين ويُفخر بتغلب
وكأنه بذلك يذكر الخليفة بعظمته ماقدمه لـ

(١) بقيت تغلب على نصرانيتها بعد فتح الجزيرة ، ولم يسلم من
أبنائها إلا عدد يسير فبقيت نصرانية الأخطل رادعاً له في
كثير من الحالات عما يريد .

أنظر دائرة المعارف الإسلامية : ٢٢٨ / ٥ - ٢٢٩ .

(٢) أنظر هذه الحادثة مفصلاً في طبقات فحول الشعراء : ٤٦١ / ١ -

التغلبيين (١) . وهذه الظاهرة تدلنا دلالة واضحة على المعاناة النفسية التي كان يعانيها الشاعر لما حدث لقبيلته من محن وانتكاسات ووقوفها على الرغم من ذلك كله صامدة في وجه الأعداء مؤيدة للخلافة ومن هنا استطاع الأخطل اجتياز الحدود الضيقية حدود الفردية والقبيلة ليجد مكانه بين وجهاً المجتمع لأنّه يدرك تماماً مكانته العهروزة لدى الناس وضعف موقفه منذ تجراً على هجاء الأنصار وأغصان المسلمين فلابد له من تدعيم هذه المكانة العهروزة عليه يظفر باحترام فريق من الناس وتقدير المجتمع فاتجه إلى مدح الخلفاء والولاة مفاخراً بقبيلته تغلب ، وقد نال مبتغاً فأصبح سيداً ورجلاً ملهماً يتتكلّل بالديات واصلاح ذات البين ويتحمل الحالات ليحقق من الدماء (٢) ، وأصبحت كلمته مسومة لدى العلامة والخاصة نتيجة لافساح الخلفاء والولاة له في مجالسهم ، واتخاذهم شاعر بلاط وقد وطّد العزم على أن ينأى عن الفقر الذي صلى به ردها من الزمن وكان يفطن إلى بعده عن رقة جرير وعدم استطاعته اللحاق به في رقة غزله ولا يستطيع تقصص كبريه الفرزدق والا صارت يداه صفراً من المال الذي هو عصب الحياة اذن فلن يجد طلبه من رقد مادىً ومعنىً الا في مدح الملوك ولا مانع من أن يفتخر بقبيلته ضمناً في هذا المدح ومن هنا يمحو تلك الاستكانة التي حاولت أن تجريها في عروقه امرأة أبيه وأخيراً طمع في أن يرفع من شأن قبيلته تغلب النصرانية التي تعيش في بحر متلاطم يسيطر عليه المسلمون سيدرة

(١) انظر : الأخطل في سيرته ونفسيته وشعره - ايليا حاوي : ٤٥ .

(٢) انظر الأخطل الكبير - د. فخر الدين قباوة : ٢٢٠ - ٢٢١ .

تامة ، ويهجو أعداءها من منطلق قوى فلا غرابة اذن أن يجتهد
 مدحه وفخره ويقف الى جانب الأمويين داعية لسياستهم ورافعًا
 من شأنهم ، ولم يذهب هذا هدرا لديهم بل كافأوه اذ رفعوا
 مكانا عليّا لم يصل اليه شاعر سلم ولم ينافسه عليه أحد طوال
 حياته فيما نعلم -

وإذا عرفنا هذا فلا غرابة في أن نرى عبد الملك بن مروان
 يفضله على جرير ويأتي أن يستمع الى مدحه جرير الحائية (١) في
 أول الأمر بل يبقى منصتا للأخطل حتى اذا ما انتهى من مدحه
 قال عبد الملك : (ويحك يا أخطل أتريد أن أكتب الى الآفاق
 أنك أشعر العرب) (٢) وإذا قد عرفنا هذا أيضا فلا غرابة في
 أن يرى أغلب النقاد أن الأخطل يجيد مدح الملوك وهذا ما ستراءه
 عند حديثنا عن الملامح الموضوعية لفرضي المدح والفخر عند الشعراء
 الثلاثة في باب لاحق - ان شاء الله - .

(١) وتعنى بمدحه جرير حائته المشهورة التي يقول فيها :
 أَسْتُمْ خَيْرٌ مِّنْ رَكِبِ الْمَطَّىَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ يَطْمَئِنُ رَاحٍ
 أما قصيدة الأخطل التي شغلت عبد الملك عن الاستماع الى
 جرير فهي رائيته المشهورة والتي مطلعها :

خَفَّ الْقَطِينَ فَرَاحُوا مِنْكَ أَوْ بَكَرُوا وَأَزْعَجُتُمْ نَوْيَ فِي صُرْفِهَا غَيْرُ

(٢) الأغاني : ٢٨٢٠، ٦٢ - ٦٦/٨ ٢٨٨ وشعر الأخطل : ١٩٢/١
 وديوان جرير : ٨٢/١

الفصل الثاني

الفَرَزْدَقَ

" الفصل الثاني "

÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷

* * الفرزدق *

—————

لقد كان للظروف النفسية والاجتماعية التي اكتفت هذا الشاعر^(١) منذ نعومة أظفاره أثراً الواضح في شخصيته فنشأ معتزاً بنفسه مباهاً بطيب منته و الكريم نسبه و وقف معاشرًا بنفسه وأسرته و فبلته - و حق له ذلك - فهو من قبيلة عريقة وأسرة لا تقل عنها عراقة فقبيلته تميم أحدى قبائل مصر الكبرى^(٢)، وهي قوية صخمة تعتمد

(١) وأسمه همام بن غالب بن صعصعة بن عقال بن محمد بن سفيان ابن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم بن مر بن طابخة .

ويرجح الدكتور شاكر الفحام أنه ولد في خلافة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في حدود سنة (٦٢٠هـ) وكانت وفاته سنة (١١٤هـ) وترجمته في الكتاب التالي : (طبقات فحول الشعراء : ٢٨٩-٢٢٤ / ١ ، والشعر والشاعر : ٤٢١-٤٨٢ ، والمؤتلف : ٢٥٠ ، ونواذر المخطوطات : ١٧٠-١٨٢ ، ٢٩٠ ، والموشح : ١٨٦-١٥٦ ، ومعجم الشعراء : ٤٦٥-٤٦٨ ، والسعط : ٤٤ / ١ ، والاشتقاق : ٢٣٩-٢٤٠ ، والأغاني : ٢٢٦ / ٢١ ، وأمالى المرتضى : ٥٨ / ١ ، وابن خلkan : ٢ / ٢ ، ٤٠٤ ، والباقى : ٢٣٨ / ١ ، ٢٤٢-٢٠١ ، والمعاهد : ١ / ١ ، ١٩٦ ، والخزانة : ١١٢-٢٢٣ ، وانظر الفرزدق - ٥ . شاكر الفحام ، وغيرها من الكتب القديمة والحديثة في الأدب والتراجم .)

(٢) جاء الإسلام وتعمم تحتل دياراً كثيرة وتخالط بقاعاً عدّة / انظر معجم ما استعجم : ٩٠ / ٣١٢ ، وصفة جزيرة العرب : ٢٨١ ، وطادة (تميم) في دائرة المعارف الإسلامية .

بكثرتها وقوتها يوم أن كانت لغة القوة هي المسيطرة والفيصل قبل بزوغ شمس الاسلام وظهور النبي - صلى الله عليه وسلم - وكانت هذه القبيلة ببطونها وكثرتها في العدد والعدة وتولى حروتها وغاراتها من أقوى قبائل العرب وأشدتها علواً وفخراً ، وقد أتاح لها مجدها وشرفها أن تحوز مكارم جمة حتى أنهم حينما يوازنون بين قبائل مصر يجعلون تبعاً في مقدمتها عليها تعتمد . (١)

وأما أسرته الدنيا فهي ترجع إلى دارم وهي أسرة عريقة
حلت من تميم ذؤابتها وتبؤات سنام مجدها وإليها انتهى شرفها (٢).
ويعد بيت عبد الله بن دارم وأخيه مجاشع أحد بيوت أربعين
انتهى إليها شرف الجاهلية ومجدها فكثرة فيما الأشراف والسادات
 أصحاب المآثر والمكارم ، والأجواد الذين لا يطأولون جوداً ، وكان
 منهم قائد تميم وجرارها " زراة بن عدس بن زيد بن عبد الله
 بن دارم " وبقيت القيادة والقضاء فيهم حتى انتهت إلى غالب والد
 الفرزدق وخاله الأقرع بن حابس المجاشعي وهو آخر من قضى منهم
 بعكاذه في الجاهلية حتى جاء الإسلام . (٣) وما زاد الفرزدق شرفاً
 وفخراً يتطاول به على الملوك والأشراف أنه لا يوجد بينه وبين
 عدنان أب مجهول وقد أشار إلى هذا بقوله (٤) :

كُمْ فِيْ مِنْ مَلِكٍ أَغْرَى وَسُوقَةٍ
حَكْمٌ بِأَرْدِيَّةِ الْمَكَارِمِ مُخْتَبِرٍ
غَرَاءً قَدْ أَدْتَ لِفَحْلٍ مُنْجِبٍ
وَإِذَا عَدَّتَ وَجَدْتَنِي لِنَجِيَّةِ

(١) انظر الاصابة : ٤٣١/٣ ، والعقد الفريد : ٣٣٢/٣

(٢) انظر الفرزدق للدكتور شاكر الفحام : ١٠٩

(٣) الأغاني : ١٢٨/١٩

(٤) ديوان الفرزدق : ٣٥/١

ونشا الفرزدق سليل هذا المجد التليد يتجازبه من كل مكان .
نجه لأبيه صعصعة بن ناجية المجاشعي اشتهر برجاحة عقله وسعة
خلقه فهو الذي افتدى المؤودات في الجاهلية فقد ورد أنه ما
سمع بمؤودة الا افتداها حتى جاء الاسلام وقد فدى مائة وقيل
أربعمائة (١) .

فسبق بذلك الى عمل خير لم يشاركه أحد فيه من أشراف
العرب في الجاهلية . وقد أصهر الى حابس المجاشعي (٢) ما
أمد الشاعر بكثير من معانى الفخر والسمو ، ووفد على الرسول - صلى
الله عليه وسلم - وقضى عليه كيفية افتدائة المؤودات وقد أسلم وحسن
ورسخ الاسلام في أعماقه فلم يكن أحد من عرب البادية الأشراف
احسن منه دينا وقد حاز شرف مجاشع في الجاهلية والاسلام . (٣)

أما جده لأمه فهو قرظة الضبيّ من بني ضبة ، وهو من
سادات قومه ، وكثيراً ما فاخر الفرزدق بأحواله . وأنه أخذ الشعر
من قبلهم (٤) .

وأما أبوه فهو غالب بن صعصعة من أجود الناس وأكرمه
وأشففهم . (٥) وقد عاش الفرزدق في أسرة متراكمة قوامها
الحب والاحترام بين أفرادها ، وشيمتها الكرم والوفاء وحب المعالي
فنعم مع أخيه وأخته برعاية أبيهم وتأثروا بخلقته الحسن وفضائله

(١) النقائض : ٢٦٤ - ٢٦٥ ، ٤٣٨ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ .

(٢) انظر الفرزدق - د . شاكر الفحام : ١١٠ .

(٣) الأغاني : ٢١/٣٩٦ .

(٤) الصدر السابق : ٢١/٢٧٩ - ٢٨١ .

(٥) الصدر السابق : ٢١/٢٨١ - ٢٨٢ .

المثلى وباهوا به وأحلوه من أنفسهم المقام الأسمى . (١) وأنعكست تلك الحياة المترابطة التي عاشها على نفسه فكان فخره ومديحه صدى واضحًا لتطوراته الساقطة إلى العلا والمجد منطقاً من بيئه اجتماعية راسخة الجذور متدة إلى أعماق التاريخ المشرق ففاخر و مدح ، وكان يمتع بتراث شعرى عظيم يغذيه مجد لم تتوافر مقوماته لشاعر آخر ولغة فصيحة فلم يتكتب بمديحه (٢) ولم يتصنع في فخره فجاءت كلماته جزلة ومعاينة بليفة . وقد أثارت هذه المكارم وهذا التاريخ للفرزدق مجالاً رحباً في الابداع الفنى والاعتزاز بالنفس والنسب الرفيع حتى ليقول مخاطباً الخليفة سليمان ابن عبد الملك : (أنا من قوم منهم أوفي العرب وأسود العرب وأجود العرب ، وأحلم العرب وأفرس العرب وأشعر العرب) . (٣) ، والفرزدق وإن بدأ الشعر هجاً إلا أن هذا الهجاً كان ممزوجاً بالفخر بنفسه والتباھي بمكانته المرموقة التي جعلت منه سيداً في قومه يغير ويغيث ويتحمل الحمالات وينفق بلا حساب مقتدياً بأبيه غالب الذي كان ذا باع طويل في الكرم والساخاء . وكان الفرزدق

(١) معجم الشعراء : ٤٨٦ .

(٢) لم يتكتب الفرزدق في بداية الأمر بمديحه لأنّه كان في غنى ووفرة إلا أنه في أواخر حياته قد ألحف بالسؤال ، ولعل هذا كان نتيجة لكبر سنه وفراغ يده من المال ، لكن غير مدائحه لم يتكتب فيها البتة بخلاف الأخطلل وجرير اللذين مالنفك بالحقان بالسؤال في كل مدائحهما .

(٣) العقد الفريد : ٥٤/٢ - ٥٥ .

يفاخر بأبيه الملوك ويتغالي عليهم حتى جعل قبره مستفاثاً يلاذ به
لينهض الشاعر للنجد والاغاثة . (١) وقضاء الحاجات .

وكان الفرزدق والمجد صنوان يتوق الى بلوغ المعالي فـى
قومه ، وقد قاده طموحه وكريافـه الى مفاخرة الملوك ففاخر معاوية
وطلب منه رد ميراث الحنـات . (٢) قائلاً :

أبوك وعمي يا معاوي أورثـا
تراثـا فيحتاز التـراث أقارـبـه

وقد أثارت هذه القصيدة وغيرها زيـادـ بنـ أبيـهـ والـعـراقـ آنـذاـكـ
فـجـدـ فـيـ طـلـبـ الفـرـزـدقـ لـتـأـديـبـهـ غـيـرـ أـنـ الشـاعـرـ لمـ يـمـكـنـ منـ نـفـسـهـ
إـذـ بـدـأـ حـيـاةـ التـنـقـلـ وـالـهـرـبـ سـنـةـ ٥٠ـ هــ .ـ وـلـمـ يـكـنـ يـمـيلـ لـبـنـيـ
أـمـيـةـ وـلـاـ يـوـدـهـ ،ـ فـهـوـ غـيـرـ مـحـتـاجـ لـعـطـائـهـ ،ـ وـمـكـانـتـهـ فـيـ نـظـرـهـ
تضـاهـيـهـمـ عـلـوـاـ وـرـفـعـةـ فـهـوـ سـيـدـ جـوـادـ فـاضـلـ وـجـيـهـ عـنـ النـاسـ ،ـ وـهـوـ
ضـالـعـ فـيـ هـوـاهـ مـعـ بـنـيـ هـاشـمـ يـمـدـحـ أـحـيـاءـهـ وـيـؤـبـنـ مـوـتـاهـ ،ـ وـيـجـوـ
بـنـيـ أـمـيـةـ وـأـمـرـاءـهـ ،ـ كـمـعـاـيـةـ بـنـ أـبـيـ سـفـيـانـ وـهـشـامـ بـنـ عـبـدـ الـمـلـكـ
وـزـيـادـ بـنـ أـبـيـ وـالـحـجـاجـ بـنـ يـوسـفـ ،ـ وـبـنـ هـبـيـةـ وـخـالـدـ الـقـسـرـىـ
وـغـيـرـهـ (٤)ـ

وقد عـاـشـ الفـرـزـدقـ فـيـ الـمـدـيـنـةـ فـارـاـ مـنـ الـبـصـرـةـ فـنـعـمـ بـماـ فـيـهاـ

(١) انظر ديوان الفرزدق : ٨٥/١ - ٨٦ .

(٢) كان قد وفـدـ عـلـىـ مـعـاـيـةـ وـفـدـ مـنـ تـعـيمـ فـيـهـ مـيـزـيدـ
الـمـجاـشـعـىـ الـذـىـ مـاتـ فـيـ وـفـادـتـهـ ،ـ وـكـانـ مـعـاـيـةـ قـدـ أـمـرـ لـهـ بـعـالـ
فـحـبـسـهـ بـعـدـ مـوـتـهـ مـاـ دـعـاـ الفـرـزـدقـ إـلـىـ مـفـاـخـرـةـ مـعـاـيـةـ وـطـلـبـ مـنـهـ
رـدـ الـسـيـرـاتـ وـقـدـ فـعـلـ مـعـاـيـةـ .

(٣) انظر : أـمـالـىـ الـمـرـتـضـىـ : ٦٢/١ - ٦٨ .

(٤) انظر معجم الشعراء : ٤٨٧ ، والفرزدق - محمود حـقـىـ : ٣٣ .

من دعة العيش ، والجمال الحسى والمعنى ، فراقته الحياة هناك
ما جعله بعد ذلك يكرر الرحلة إليها . وخلال هذه الفترة من
الزمن التي ظل فيها الشاعر شرداً نجده لا يمدح إلا اعترافاً
بجميل وشكراً على فعل حسن وهذا فعل الشعراء السادة الكبار
أمثال أمرى، القيس وغيره والفرزدق يرى أنه أسمى من التردد على
أبواب السلطان ولذلك نجده لا يتقرب من بني أمية ولا يخطب
ودهم لأنه ليس في حاجة إلى عطائهم حتى ولو أدى به الأمر إلى
التشرد والاغتراب . (١)

وحيينا استتب الأمر لهم ، واستقرت الأوضاع رأينا الفرزدق لا
ينبرى متهافتاً على أبوابهم لكنه على الأقل يمسك عن هجائهم ثم
يمدح بعض خلفائهم بقصائد معدودة . وخصوصاً سليمان بن
عبد الملك الذي كانت تربط الفرزدق به علاقة حسنة .

وبهذا عاش الفرزدق في جو مفعم بالعلا والمعامد والفحار
كل هذا زاده شعوراً بشخصيته الطاغية التي تصعب على التهافت
أمام مدح الملوك واستجدائهم حتى في أ Hulk الظروف (٢) لأن
نفسه تواقة إلى العلا وأن بيئته الاجتماعية قد أمدته بفيض غزير
من الأنفة واحترام الذات . فهو شريف وابن شريف ، ويجب أن
يبقى كذلك . كل هذه العوامل قد أثرت في نفسيته وجعلت منه
شاعر فخر ومديح يعد بهما قمة شامخة في سماء الشعر العربي
لأن الرواقد الاجتماعية التي ورثها حددت له المسار الصحيح

(١) انظر : الفرزدق د. شاكر الفحام : ١٣٤ .

(٢) انظر أمالى المرتضى : ٦٣-٥٨/١ .

الفصل الثالث

جريدة

الفصل الثالث

÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷

* * — * *

[View all posts](#)

لم تكن البيئة الاجتماعية والد الواقع النفسية التي أدى إلى ظهور العذاب والغدر عند جرير (١) كذلك التي نشأ فيها الفرزدق والأخطل وإن كان جرير والفرزدق ينحدران من قبيلة تميم الكسرى التي يشرف الانتفاء إليها (٢) إلا أن جريراً ينتسب في "بني كلب" وهي أسرته الدنيا مما أفقده الثقة في تبوؤ مكانة سامية في يربوع التي تتربع منها "بني كلب" (٣) فضلاً عن تميم التي

(١) وأسمه : جرير بن عطية بن الخطفي بن حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كلبي بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

ويرجح الدكتور "نعمان طه" أن تكون ولادته بين سنتي (١١٤-١٢٣هـ) وأن وفاته كانت سنة (١١٤٥هـ)، وترجمته في الكتاب التالية :

(ابن سلام : ٤٦٤/١ - ٣٧٤/٥١ ، والشعر والشعراء : ١/١ - ٤٢ .
 والأغاني : ٨٩-١/٨ ، ونواذر المخطوطات : ٢٩٠-٢١ ،
 والمؤتلف : ٩٤ ، وجمهرة أشعار العرب : ٧١٢-٧١٩ ، والموشح
 ٢١٠-١٨٧ ، وابن حزم : ٢٢٥-٢٢٦ ، واليافعي : ٢٣٤/١ :
 وابن العمار : ١٤٠/١ - ١٤١ ، والعيني : ٩١/١ - ٩٢ ، والخزانة

وجريدة حياته وشعره للدكتور نعمان طه وغيرها من كتب الأدب ، والترجمات القدية والحديثة .

(٢) انظر : البداية والنهاية - لابن كثير : ٦٠ / ٩ .

^(٣) انظر معجم الشعراء : ٢١ .

تنضوى تحتها يربوع وبطونها .

ومن هنا أصبح الشاعر يحس ضعة قبيلته التي لم يرد لها
اسم في الجاهلية اذ لم يذكر النسابون والمورخون لكتاب هذه موقع
تذكرة غير يوم (جود (١)) بين بكر وبني ربيع فلم تهبه كتاب لنجد
بني ربيع وقد استنجدوا بهم فكان هذا التخاذل من أسرة الشاعر
سببا في الخزي والعار لبني يربوع . (٢) .

ومن أجل هذه الضعف كان جرير يستمد راشه القوى في
الفخر من انتسابه في النهاية إلى تميم ، وقد تجلى هذا واضحًا
في هجائه للراعي النميري (٣) وفخره عليه بقوله :

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تمِيمٍ حَسِيتَ النَّاسَ كُلَّهُمْ غُصَابًا

(١) انظر أخبار هذا اليوم في أيام العرب في الجاهلية - تأليف
محمد أبو الفضل إبراهيم وغيره : ١٧٨ - ١٨٣ .

(٢) انظر النقائض (طبعة الصاوي) : ٣٢/٢ - ٣٣ .

(٣) وهو عبيد بن حصين بن معاوية من بني تمير ويكنى أبا جندل ،
عاصر الفرزدق وجرير والأخطل وعده ابن سلام في طبقتهم الأولى
من المسلمين ، هجاه جرير لأنه مال مع الفرزدق ، وسمى
الراعي لأنه كان يصف راعي الأبل في شعره . ومن جيد
شعره قوله :

كَانَ العَيْوَنَ المرسلات عَشِيشَةً شَآبِيبُ دَمْعٍ لَمْ تَجِدْ مُثَرَّدًا
مَزَادِه خَرْقاً، الْيَدِينَ مَسِيفَةً أَخْبَتْ بِهِنَّ الْمُخْلَفَانِ وَأَحْفَدَهَا

انظر ابن سلام في طبقاته : ١/٥٠٢ ، والشعر والشعراء
لابن قتيبة : ٤١٥/١ ، وكتاب الراعي النميري - عصره حياته
شعره للدكتور محمد نبيه مجتبى .

الآن أسرة جرير بقيت مغمورة لم يظهر فيها فوارس يذكرون ، ولا أمجاد يقصدون ، يُؤيد هذا ما رواه بعض المؤرخين : (أ) حينما نزل الحطينة في بنى كلب رهط جرير قالت له ابنته : تركت الثروة والعدد ونزلت في بنى كلب بعر الكبش (١) .

هذا هو رأى ابنة الحطينة في قوم جرير ، فما هو رأى جرير نفسه كشاعر يتوق إلى الظهور والشهرة ؟ وما هو رأى الشعراة الآخرين كذلك ؟ وماذا بقى لجرير من الشرف في هذه الأسرة ؟ فجده حذيفة بخيلاً وقع في أسر البذيل التغلبي في يوم (أراب) (٢) وبقى في الأسر حتى استوهبه عمرو بن عقان اليربوعي من خاله البذيل فوهبه له (٣) .

وأبوه عطية كان رجلاً مضعفاً (٤) وضعياً ، وبيده وأن عطيه قد ورث البخل عن أبيه حذيفة فقد أورد صاحب الأغاني قصة طريفة تدل على شدة بخل الرجل (٥) ، ولم يكن لجرير أحوال يعتز بهم

(١) الكامل في التاريخ : ٢٢٦/١ .

(٢) أخبار هذا اليوم في كتاب جرير حياته وشعره للدكتور نعمان طه : ٩٥ .

(٣) نقائض جرير والأخطل : ٧٨ .

(٤) الشعر والشعراء لابن قتيبة : ٤٦٤/١ .

(٥) وتتلخص هذه القصة في أن رجلاً قال لجرير : من أشعر الناس قال جرير : قم حتى أعرفك الجواب ، ثم جاء به إلى أبيه عطية وقد أخذ عنزاً له فاعتقلها وأخذ يمس ضرعها ، فصاح به جرير قائلاً : أخرج يا أباًت ، فخرج شيخ دميم الخلقة واللبن يسيل على لحيته . فقال جرير : لا ترى هذا الرجل أنه أبي كأن =

اذ ترجع خثولته في كلب نفسها كما ترجع اليها خثولة أبيه .

ان جريرا وقد نشأ في هذه الأسرة الهاابطة الوضيعة وقد تفتقت فيه روح الشعر لا يجد أمامه وهو يريد أن يشق طريقه إلى العلا إلا منحى واحدا وهو أن يجند نفسه بطلًا يدافع عن قبيلته الدنيا كلب ويسمو بها عن طريق شعره ، وأن يجعل لها مزايا ، وسمات لم تكن لها في الأصل ليفخر بها ويمدح من يشاء وهو في الحقيقة يسير في طريق صعب وشاق لا يرتاده إلا الواقع من نفسه المتمكن من فنه . وهو وإن لم يفخر بكلب علانية لكن ظهوره فيها يعد كسبا لها ورفعه ل شأنها (١) ولقد ساعدت على ارتجاد هذا الطريق والتمكن في المدح والفخر عدة عوامل نفسية واجتماعية :

فحياته الأولى بدوية يلفها الغموض ولكنه نشأ فقيرا راعيَا شأنه في ذلك شأن أبناء الباادية الذين امتنجت حياتهم بحياة الصحراء والحيوان . تربى هذا الشاعر في هذا المناخ يرى نطاح الكباش ورماح الحمير وزلاء التيوس (٢) يتمتم في خلوته ، ويناجي نفسه في الصحراء وراء الماشية لأشأن له بالناس حتى إذا ما تعرض بنو الخطفي لهجا "غان السليطي" أخذته الحمية ، وانبرى يذود عنهم ويدافع عن أعراضهم ولما يتجاوز الحادية عشرة من

= يشرب من ضرع العنز مخافة أن يسمع صوت الحلب فيطلب منه لمن ثم قال للرجل : أشعر الناس من فاخر بتشل هذا ثمانين شاعرا فغلهم جميعا . انظر الأغاني : ٤٩/٨ .

(١) من تاريخ الأدب العربي - طه حسين : ٦٥٣/١ .

(٢) نوابغ الفكر العربي جرير - محمد ابراهيم جمعة : ٢٨ .

(١) . بعد عمره

ومن هنا بدأ قول الشعر هجاء كصاحبيه ، وبدأ التحامه بالشاعر ، ولم يكدر هذا الصبي يفصح عن قول الشعر حتى وجده أسرته كلها شعراً ، أباء وجداته ثم جاء هو وأبناؤه وأحفاده فأصبح بيته من بيوت الشعر في الإسلام . (٢) ولكن مafaقيـة الهجاء لهذا الشاعر الفقير طالما أنه لا يرفع من شأنه ولا من شأن قبيلته ولا يدر ربحاً عليه خصوصاً وأن الشعراً أصبحوا يتهاون على أبواب الخلفاء والأمراء والولاة يمدحونهم ويحضون بأعطياتهم . عندئذ أدرك جرير أنه لاطائل ماديّاً ولا معنويّاً من قول الهجاء ، وأصبح يزداد شعوراً بعظم رسالته تجاه رهطه مدركًا أن الشعر شعور ووجودان والتزام قوى في خدمة ذاته ومجتمعه أمام الشعراً الذين ينهشونه من كل جانب وهو يراهم يظفرن بالجوائز من الخلفاء وينعمون بالعطايا والهبات فما عليه إلا أن يشق طريقه نحو الشهرة وأن يجيد فنّي المديح بالمقام الأول ، والفاخر تاليًا للقضاء على روح الفقر والؤس اللذين يكتفان حياته ، ويتقرب من الخلفاء ويمدحهم لينال أطعياتهم الوفيرة . (٣) وبخاصة بعد أن استقر الأمر لبني أمية ، وهدأت الأمور فأخذوا يجزلون العطايا للشعراء ويجدذبونهم إلى بلاطهم ولعله

(١) جرير حياته وشعره - د . نعسان طه : ١٢٢ ، ١٥٢ .

(٢) العمدة لابن رشيق : ٢٣٦/٢ .

(٣) ولذلك رأيناه ينبرى في أول مدحه قالها في عبد الملك بسن مروان أول من اتصل به من البيت المرواني بالسؤال والطلب

بهذا يرفع من شأن رهطه المغمورين لأن ظهوره فيهم غنية لهم
ـ لو كانوا يعلمون ـ لينتشلهم من هاوية الضياع إلى سرّح
الحياة الكريمة .

ومن هنا نستطيع أن نقول : إن الدافع النفسية والاجتماعية
التي دفعت جريحا إلى العذاب والخخر ـ وإن كان مدحه أكثر
من فخره ـ عوامل ذات شقين .

دافع معنوية : وهي شعوره بالنقض نتيجة لضعة أصله وقصور
نسبة عن الأشراف ودمامته خلقه وقصره وما به من غنة ، وضعف بناته
نتيجة لولادته ولما يكتمل بعد اذ ولدته أمه لسبعة أشهر (١) ، كل
هذه الأمور ولدت عنده الشعور بالنقض فكان لابد ازاً هذا من
التمكن عند الخلفاء والأمراء والولاة بالمدح والتعالي بالفخر حتى ولو
كان مصطنعاً ليرفع من روحه المعنوية ويتمكن عند عامة الناس وخاصة
ودوافع مادية حسية وتتلخص في الأوصاف التي ذكرنا آنفـاً
وما يعانيه الشاعر من الفقر والفاقة ومحاولة القضاء على هذا الفقر
الذى لازمه طويلاً وبالتالي الرفع من شأن تلك الأسرة الخامدة

" كليب " (٢)

= الصرح :

أَغْشَنِي يَأْفِدَكَ أَبِي وَأُمِّي
بِسَبِّبِ مِنْكَ إِنَّكَ ذُو ارْتِيَاحٍ
ديوان جرير : ٨٧١ .

(١) الأغانى : ٥٠/٨ .

(٢) جرير حياته وشعره - د. نعمان طه : ١١٤ .

ونتيجة لهذه الأمور مجتمعة أخذ الشاعر يجود فنه تجويدا
فجاءت عباراته قوية ومعانيه عميقة حتى قال عنه خصمه الفرزدق :
..... قاتله الله فما أخشن ناحيته وأشред قافيته ، والله لو
تركوه لأبكي العجوز على شبابها ، والشابة على أحبابها ، ولكنهم
هروه فوجدوه عند الهراش نابحا ، وعند الجراه قارحا ، وقد قال بيته
لأن أكون قلت أحب إلى ما طلعت عليه الشمس (١) .

وهكذا صم جرير على تغيير حياته ليصبح من الشعراء
المعدودين فسلست معانيه ، وتمكن من ناصية اللغة حتى اكمل
عوده ، عندها أخذ ينحدر على الخلفاء مع شعراء عصره مادحا ولا يتزدد
في التكسب بشعره مظهرا حاجته لأن رغبته في الثراء والتخلص من
قيود الفقر الذي رزح تحته فترة من الزمن كان ذلك من أقسى
الدوافع التي أذكت قريحة المديح عنده ودفعته إلى الوقوف بأبواب
السّراة وسؤالهم العطاء .

ومن هنا كان مدحه صدى لما في نفسه من تطلعات إلى
أفق الحياة الرحب ليجد نفسه وقد سد فاقته وتداعت له العطایا
والهبات وودع حياة الفقر والبعوس إلى غير رجعة .
أما فخره فإنه لم يقصد إليه قصدا ، وإنما ساقه إلى ذلك

(١) الأغانى : ١١/٨

يقصد الفرزدق قول جرير في معرض هجائه للراعي النميري وفخره
بنعم :

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بُنُوْتَمِيمٍ حَسِيْتَ النَّاسَ كُلَّهُمْ غَضَابًا =

(٤٢)

ملأه من فخر الفرزدق واغراقه في هذا الغرض فجاءه في ذلك
ليطامن من كيرياك (١) وقد طور هذا الفخر تلك النقائض التي
كانت سجلا حافلا لنتاج الشعراء الثلاثة في ذلك العصر .

(٤) وقد قال جرير نفسه : (والله لولا ماشغلى من هذه الكلاب
لشبيت تشبيها تحن منه العجوز الى شبابها حنين الجمل الى
عطنه .) . العقد الفريد : ٢٢/٢

(١) جرير حياته وشعره - د. نعман طه : ٣٥٧ .

الباب الثاني

دراسة تاريخية موضوعية
لل مدح والغخر عند الشعراء الثلاثة

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول: الغرضان لدى الأخطل

الفصل الثاني: الغرضان لدى الفرزدق

الفصل الثالث: الغرضان لدى جرير

الفصل الأول

الغرض
 لدى
 الأخطل

" الفصل الأول "

+ + + + + + + + +

* * الغرمان لدى الأخطل *

وبدا هنا بالمدح فعلى الرغم من أن اتصال الأخطل
بالأمويين بدا في خلافة معاوية - رضي الله عنه - إلا أنها لم تجد
له شيئاً يذكر في مدحه باستثناء بعض الأبيات المترفقات التي قد
تاتي في آناء مدحه لأبنائه أو مارواه أبو حاتم السجستاني عن
العتبي للأخطل في معاوية (١)

تَسْمُو الْعَيْنُ إِلَى إِمَامِ عَادِيلٍ مَعْطَى الْمَهَابَةِ نَافِعٌ ضَرَارٌ
وَتَرَى عَلَيْهِ إِذَا الْعَيْنُ لَمْحَنَهُ سِيمَا الْحَلِيمِ وَهَبَيْهِ الْجَبَارِ

ويبدو أن تطاول الأخطل في هجاء الأنصار قد أغضب
ـ معاوية ـ فهدد بقطع لسانه مما جعله يتحاشى العثول بين يديه
ـ مادحاـ ، فمكث بعيداً عن مجلسه مكتفياً بمجالسة يزيد الذي وجد
عنه بغيته فمدحه لأول شخصية من بنى أمية بأربع قصائد (٢) تمثل
فترقة زمنية في حياة الأخطل كان فيها متراجحاً بين الخوف والرجاء
ـ وكانت بداية لشعر المدح عند الأخطل .

(١) العقد الفريد : ٣٨/١ .

(٢) بالإضافة إلى مقطوعة وبيتين مفردين حفظها لنا ديوانه فـ
ـ مدح يزيد . انظر شعر الأخطل: ١٦٦/١، ٢٩٢، ٣٠٢، ٩٣٠ .
ـ وانظر مطالع هذه القصائد في الجدول الملحق رقم (٢) .

قصيدته (الطلان) لانجد نصيب المدح فيها الا خافتا
قليلا لا يتعدى ثلاثة أبيات فقد أنسدتها تحت ظروف متقلبة وغير
مستقرة فجاءت معانيها محصورة في شفاعة يزيد له ولم يخرج فسي
هذه المدحه عن موضوع هذه الشفاعة . (١)

فَلَوْلَا يَزِيدُ ابْنُ الْإِمَامِ أَصَابَنِي قَوَاعِدَ (٢) يَجْنِيهَا عَلَى لِسَانِي
وَلَمْ يَأْتِنِي فِي الصَّحْفِ إِلَّا تَذَرُّكُمْ وَلَوْ شَتَّتُمْ أَرْسَلْتُمْ بِأَمَانِي
فَاقْسَطْتُمْ لَا آتَيْتُ نَصِيبَيْنَ طَائِعًا وَلَا السَّجْنَ حَتَّى يَضِيقَ الْحَرَامِ
ولايتناول في هذه القصيدة حادثة الأنصار ، وإنما يكتفى بالإشارة
إلى هذه القواعع التي يجنيها عليه لسانه مضمونه جريمه هذه
الأبيات .

أما في قصيده الأخرى الرائية (دمنة الدار) فاننا نجد
يمدح بنى حرب بعامة وقد أجمع الرواة على أنه قالها في مدح يزيد
وان كنا لانجد له اسمها بل يركز على مدح بنى حرب وما
"يزيد" الا واحد منهم . (٣)

إِنِّي حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاقِصَاتِ وَمَا أَضْحَى يَمْكَهُ مِنْ حُجَّبٍ وَأَسْتَارٍ
وَمَا لِهَدِيَ إِذَا اخْمَرْتُ مَذَارِعَهَا فِي يَوْمِ نُسُكٍ وَتَشْرِيقٍ وَتَحْمَارٍ

(١) شعر الأخطل : ٢٩٨/١ .

(٢) قواعع : جمع قارعة وهي النازلة الشديدة . اللسان : (قرع)
نصيبين : بفتح النون وكسر الصاد والباء - موضع في الشام .

(٣) شعر الأخطل : ١٢١/١ .

وَمَا يَشْرِبُ مِنْ عُونٍ (١) وَأَبْكَارٌ
وَمَوْلَتْنِي قُرْيَشٌ بَعْدَ إِقْتَارٍ
رِبِّي الْعَنْيَةُ وَأَسْتَبَطَتْ أَنْصَارِي
حَتَّى تَرَفَعَ عَنْ سَمْعٍ وَأَبْصَارٍ
عَنِ النَّسَاءِ وَلَوْبَاتَ بِأَطْهَارٍ
وَمَا يَزْمِنُ مِنْ شُمْطٍ مُّحَلَّقَةً
لِأَلْجَاثَنِي قُرَيْشٌ خَائِفًا وَجِلًا
الْمُسْتَعِمُونَ بَرِّي حَرْبٍ وَقَدْ حَدَّقَ
بِهِمْ تَكَشَّفَ عَنْ أَهْيَاءِهَا ظُلْمٌ
فَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا شَدٌّ وَمَا زِدُهُمْ

ولا تخرج أفكار هذه القصيدة و موضوعها عن تصوير حاله وقد أحدثت به المصيبة وتخلى عنه أنصاره فتملکه الخوف ، لكن بني حرب تدارکوه وأنقذوه مما حل به ، وقد ألحف في هذا المدح بالقسم وأغرق في ايراد الألفاظ الدينية كمة ، والمدينة ، والحب ، والأستار والنسك ، والهدى ، وزمز . ليتخدوا وسيلة الى قلوب المسلمين ف تكون شفيعة له عند آل حرب ، وكثيرهم معاوية الخليفة فيؤمن به ويغيثوه ، والا فلماذا يذكر هذه المقدسات مع أنه لا يعتقد بها ؟ .

ولا يزال هول الوعيد يلاحق الشاعر في هذه الحقبة من الزمن
فيقول في قصيدة الدالية (فأصعدا) مادحا يزيد (٢) :

لِرَأْيِي مِنَ السُّلْطَانِ أَنْ يَتَهَدَّدَا
 تَجَلَّتْ حَذْبَارًا مِنَ الشَّرِّ أَنْكَدَا
 وَخَرْسَاءً لَوْيِرْمَيْ بِهَا الْفِيلُ عَرَدَا
 وَانِي غَدَاءَ اسْتَعْبَرْتُ أَمَّ مَالِكٍ
 وَلَوْلَا يَزِيدُ ابْنُ الْمُلُوكِ وَسَبِيلِهِ
 وَكَمْ أَقْذَدْتُنِي مِنْ جَرْوِ حِبَالِكُمْ

فيه تأخذ من ضعف نفسه وقلة حيلته وسيلة للثأر على مدحه الذي

١١) العنوان : جمع عوان - المرأة التي كان لها زوج وقيل هي الشيب .

أنظر اللسان (عن)

٢) شعر الأخطل : ٣٠٥ / ١

تداركه قبل أن يهلك ويستطرد في المديح قائلا : (١)

وَدَافَعَ عَنِّي يَوْمَ جِلْقٍ غَمَرَةً
وَهُمَا يُنْسِينِي السَّلَافُ الْمُهُودَا
إِذَا عَضَّ لَمْ يَنْسِ السَّلِيمُ وَأَقْصَادَا
وَبَاتَ نَجِيَا فِي دِشْقَ لِحَيَةٍ
وَيَخْفَتُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا إِذَا رَأَى
مِنَ الْوَجْهِ إِقْبَالًا أَلَّاهَ وَأَجْهَدَا

فيحشد في هذه الأبيات كثيرا من الألفاظ ذات الدلالة الحسينية من الحدباء إلى الفيل إلى البئر إلى الحية التي ان لدغت لم يبرا لدغها وفي هذه الألفاظ من المعنى ما يهول عظم المصيبة التي أحاطت به مؤكدا هذا المعنى من خلال قوله في نفس

المدح : (٢)

أَبَا خَالِدٍ دَافَعَتْ عَنِّي عَظِيمَةٌ
وَأَدْرَكَتْ لَحْمِي قَبْلَ أَنْ يَتَبَدَّدَا
وَأَطْفَلَتْ عَنِّي نَارَ نُعْمَانَ بَعْدَ مَا
أَغْذَ لِأَمْرِ عَاجِزٍ وَجَرَدَأ
وَلَمَّا رَأَى النُّعْمَانُ دُونِي أَئْنَ حُرَّةٌ طَوَى الْكَسْحَ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْنِي وَهُودَا

و قبل أن يهنىء مدوحه بولادة العهد يمتدح معاوية بالقوة فلا تزعزعه الأحداث فهو أصلب قريش عودا وأكثرهم عفة ووفاء وأشد هم عزما وحزما في كل الأمور ، ولعله أراد بهذه التوطئة أن يبيّن أن الخليفة لا يقدم على عمل إلا بعد تدبر وروية وأن اختياره " يزيد "

(١) شعر الأخطل : ٣٠٦/١ .

(٢) جلق : بكسر الجيم وتشديد اللام وكسرها اسم موضع بالشام وكانت احدى منازل أمراء الفساسنة من بنى جفنة .

انظر دائرة المعارف الإسلامية (جلق) .

(٣) شعر الأخطل : ٣٠٦/١ - ٣٠٧ .

لولية العهد لم يكن أمراً مرتجلاً ليرد بذلك على من رفضوا البيعة

ليزيد بولية العهد فيقول : (١)

وَمَا وَجَدْتُ فِيهَا قُرْيَشٌ لِأَمْرِهَا
وَأَصْلَبَ عُودًا حِينَ ضَاقَتْ أَمْرُهَا
وَهَمَتْ مَعْدًا أَنْ تَخِيمَ وَتَخْمَدَا
أَفَرَى بِزَنْدِيْهِ وَلَوْ كَانَ غَيْرَهُ
أَعْفَ وَأَوْفَى مِنْ أَبِيكَ وَأَمْجَدَا

ثم ينتقل إلى تهنئة يزيد بولية العهد فيقول : (٢)

فَأَصْبَحْتَ مَوْلَاهَا مِنَ النَّاسِ بَعْدِهِ
وَأَخْرَى قُرْيَشٍ أَنْ يَهَابَ وَيَخْمَدَا

ويردف بالقسم ليؤكد فضل يزيد : (٣)

فَأَقْسَمْتُ لَا أَنْسَى يَدَ الدَّهْرِ سَيِّدَهُ
غَدَاءَ السِّيَالِيَ (٤) مَائِسَاعَ وَزَوْدَا

ولقد كان لعمل يزيد الكبير تجاه الشاعر من شفاعته فيه أشرف
كبير فلا تخلو قصائد المدح التي خص بها من ذكر هذه الشفاعة
والبالغة في شكره مبيناً عظيم جميله وأنه لن ينساه أبد الدهر
إلى أن يموت ويدعوه له : (٥)

أَمَّا يَزِيدُ فَاتَى لَسْتَ نَاسِيَهُ
حَتَّى يُغَيْبَنِي فِي الرَّوْمِ مَلْحُودُ
جزَاكَ رَبِّكَ عَنْ مُسْتَفْرَدٍ وَحْدَ
مُسْتَشْرِفٍ قَدْ رَمَاهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ
نَفَاهُ عَنْ أَهْلِهِ جُرمٌ وَشَرِيدٌ
كَانَهُ مِنْ سَمْوِ الصَّيفِ سَفَرْدُ

وفي هذه الأبيات يصور ضعفه الشخصي وسوء حالته حينما

(١) شعر الأخطل : ٣٠٨/١

(٢) شعر الأخطل : ٣٠٩/١ (٣) شعر الأخطل : ٣١١/١

(٤) السِّيَالِي : اسم موضع . وقد ورد البيت برواية أخرى هي :

صدر أمر الخليفة بقطع لسانه اذ أصبح وحيداً بعيداً عن أهله
بسبب جرسه فقد رماه الناس كلهم بأبارصهم فأصبح منيذاً بينهم
ويكرر اعترافه بجميل يزيد فيقول : (١)
 فَمَا يَرَالْجَدَا نُعَمَّاكَ يَمْطُرُنِي قَلْنَتَأْيَتَ وَسَبَبَ مُنَكَ مَرْفُودٌ

ويعد الكرم والأمان من أهم الصفات التي نعت بها الأخطل مدحه
في هذه الفترة لأنها كانت فترة ابتلاء له بقطع لسانه فلجاً إلى
يزيد يمدحه ويطلب منه الحماية والأمان . ويركز على التشبيه
الاستطرادي (٢) ليقارن بين الفرات في فيضانه وكرم مدحه (٣)

يَشَقُّ إِلَيْهَا كَثِيرًا نَّارًا وَعَرَقَدَا كَسَّا سُورَهَا الْأَعْلَى غَثَاءَ مُنَضَّدَا حِدَارُوَانَ كَانَ الشَّيْخَ الْمَعْوِدَا زَفَّا بِالْقَرَاقِيرِ التَّعَامَ الْمُطَرَّدَا أَبَارِيقُ أَهْدَتْهَا دِيَافُ لِصَرْخَدَا بِأَجْوَدَ سَيِّداً مِنْ يَزِيدَ إِذَا أَغَدَتْ	وَمَا مُنْيَدٌ يَعْلُو جَرَائِرَ حَامِزٍ تَحْرَزَ مِنْهُ أَهْلُ عَانَةَ بَعْدَمَا يَقْمَصُ بِالْمَلَاحِ حَتَّى يَسْفَهُ الْأَهْلُ يَمْطَرِدُ الْأَذْيَجُونِ كَانَتَا كَانَ بَنَاتِ الْمَاءِ فِي حَجَرَاتِهِ بِأَجْوَدَ سَيِّداً مِنْ يَزِيدَ إِذَا أَغَدَتْ
--	--

وتتكرر هذه الصورة عنده في مدحه لعبد الله بن معاوية (٤)
الذى يمدحه الأخطل بالشجاعة والقادم والكرم في شببه بالبازى الذى

(٤) فَأَقْسَمْتَ لَا أَنْسَى مَدَى الدَّهْرَ سَيِّدَهُ غَدَةَ اللَّيَالِي كَأَسَاغَ وَرَوْدَا

شعر الأخطل : ٩٢/١ .

(٥) شعر الأخطل : ٩٨/١ .

(٦) أى الذى يجعل فيه الشبه به صورة مكونة من عناصر عدة .

(٧) شعر الأخطل : ٣١٠/١ - ٣١١ . (٨) دياف وصرخدا : اسم لقريتين

(٩) شعر الأخطل : ٤٤٣/٢ - ٤٤٤ .

ينقض على سائر الطيور فيتركها خاشعة لا تتحرك . (١)

بَارِ تَظَلُّ عِنَاقُ الطَّيْرِ خَاسِعَةً
مِنْهُ وَتَمْتَصُّعُ الْكِروَانُ (٢) وَاللَّبَدُ
لَمْ يَرْفِدِ النَّاسُ إِلَادُونَ مَارَقَدَ وَ
وَلَوْ يَجْمَعُ رِفْدُ النَّاسِ كُلَّهُمْ
وَلَيْسَ بِخَدَكَ خَيْرٌ حِينَ تَفْتَأِدُ
فَالْمُسْلِمُونَ يَخِيرُ مَا بَقِيَ لَهُمْ

وهكذا فإن عطايا الناس كلهم لو جمعت لم تواز عطايا بنى أمية
وأن سلامه المدوح هي التي ترفف ظلالها على المسلمين ولو
أودى لهم .

ولقد كان لي بعض الولاية في عهد آل حرب نصيب من مدائح
الأخطل اذ امتحن عباد بن زياد وأخاه سلما كلا بقصيدة
واحدة (٣) فيقول في مدح عباد :

إِلَيْكَ أَبَا حَرْبٍ تَدَافَعَنَ بَعْدَمَا
إِلَى مُسْتَقِلٍّ بِالنَّوَابِ وَاصِلِ الْكِ
وَمَا أَرْضَ عَبَادٍ إِذَا مَا هَبَطَتْهَا
رَسِيعٌ لِهُلَالِكَ الْحِجَازِ إِذَا ارْتَمَثَ
وَطَارَتْ بِأَكْفَافِ الْبَيْوتِ وَحَارَدَتْ
إِلَيْهِ أَشَارَ النَّاظِرُونَ كَانَتْ

(١) شعر الأخطل : ٤٤١ / ٢ - ٤٤٨ .

(٢) الكروان : طائر أغير بعظم الدجاجة إلا أنه أسيط وأطول عنقا وأطول

رجلين ، وجمعه " كروان " أنظر الأفصاح في فقه اللغة : ٢ / ٨٨١ .

(٣) انظر مطالع هذه القصائد في الجدول رقم (٢) الملحق بالبحث .

(٤) شعر الأخطل : ٢٦٣ / ١ - ٢٦٥ .

عَلَيْنَا أَذَا نَادَاهُ رُنَانًا بِخُطُوبِ
 وَلَوْلَا أَبُو حَرْبٍ وَفَضَلَ نَوَالِهِ
 مِنَ الْمُرْبِيَاتِ الْحَسَانِ لَعُوبِ
 حَبَانِي بِطَرْفِ أَعْوَجِيَّةِ وَقِينَةِ
 وَهَمَالٌ أَنْتَالٌ وَفَرَاجٌ غَفَرَةِ
 كَرِيمٌ مَنَاعِ الصَّيْفِ لَأَعَاتِمِ الْقَرَىِ
 كَثِيرٌ بِكَيْمِ النَّدَىِ حِينَ يُعْتَرَىِ
 عَوْفٌ لِحَقِّ السَّائِلِينَ كَانَةِ
 وَغَيْثٌ لِمَجْلُومِ السَّوَامِ حَارِبِ
 وَلَا عَنْدَ أَطْرَافِ الْقَنَاءِ بِهِيَّوبِ
 عَشَيَّةً لَا جَافِرٌ وَلَا بِغَضْبِ
 بِعَرْقِ الْمَتَالِيِّ طَالِبٌ بِذَنْبُوبِ

ففي هذه القصيدة نجد تزاحماً كبيراً بين الأفكار فالمدح متفرد بحمل النوايب الثقال عن الناس وهو كريم تفيف يداه جوداً ، وأرضه ليست غليظة ولا وعرة ومنازلها ليست مقفرة حالية ولكنها رياح الشريا تلك التي تنذر بالمحل والفقر ويصف مدوحة بأنه كريم معطاء اذا اشتد الشتاء فزلزل جوانب البيوت وانقطع لبن الناقمة الحلوب فإذا اشتد البرد وضاقت الحال عندئذ تجد الناس ينظرون إليه كأنه هلال ظهر بعد ظلام شديد كانوا يتخبطون فيه فلواء لعضهم الدهر بنوايه . وقد اتخذ من صبغ المبالغة وسيلة لتعظيم هذا المدح والزيادة في ايضاح الصورة الفنية فيري أنه حمال أنتقال فرآج للشدائد كثير بكفيه الندى فير هيوب لحرب ولا يرى غضوباً إذا ما استحث للندى ، وهو عروف لحق السائلين ثم يختتم صبغ المبالغة الخمسة بصورة لطيفة حين يجعله أشبه في جنونه واندفعه في عقر المتالى بطالب ثار .

ويقول في مدح سلم (١) :

نَفْسِي فِدَاءً أَبِي حَرْبٍ غَدَاءَ غَدَا
 مُخَالِطُ الْجِنِّ أَوْ مُشَوِّحُ فَرِيقٍ
 عَوْلِ النَّجَاءِ إِذَا مَا اسْتَعْجَلَ الْعَنْقَ

فهو يغدو مدحوماً بنفسه وهو قد جد في السير إليه فقد بات بهم
 في الفيافي مخالطاً للجن من هموم أثقلته فخافها وسيبتها فور وصوله
 إلى المدح ويستمر في مقطع طويل يصور فيه حالته وحالة راحلته
 في هذه الرحلة المضنية حتى ألقى عصا الترحال، ثم يقول : انه
 بعد هذا السير كله لا يخاف نصباً لأن وجهته انسان لا يلجمي

المستغيث به إلى غيره . (١)

جَدِّبِ الْخَوَانِ إِذَا مَا اسْتَبَطَى الْعَرْقُ
 إِلَى امْرِيٍّ لَا تَخْطَأَهُ الرِّفَاقُ وَلَا
 هَزَّ الْقَنَاءُ وَلَا مُسْتَعْجِلُ زَهْرِيٌّ
 صَلْبُ الْحَيَازِيمِ لَا هَذِهِ الْكَلَامُ إِذَا
 مِنْكَ الْبَلَاءُ وَأَنْتَ النَّاصِحُ الشَّفِقُ
 وَأَنْتَ يَا ابْنَ زِيَادٍ عِنْدَنَا حَسَنٌ
 غَسْنُ مِنَ الْقَوْمِ رِعْدِيٌّ وَلَا فَرِيقٌ (٢)
 وَالْمُسْتَقْلُ بِإِمْرٍ لَا يَقُولُ لَهُ
 إِذَا تَزَعَّزَ فَوْقَ الْفَيلِيقِ الْخِرَقُ
 وَأَنْتَ خَيْرُ ابْنِ أَخْتٍ يُسْتَطَافُ بِهِ
 عِنْدَ الْحَمَالَةِ لَا كَزْ وَلَا وَعِيقُ
 مَوْطَأُ الْبَيْتِ مَحْمُودٌ شَمَائِلُهُ

فالمدح هنا مقصد المحتاجين لأنَّه كريم خوانه ليس بجدب صلب
 الصدر قوى القلب كناء عن شجاعته لا يخلط كلامه باقط ، مستقل
 بأمره يضبط الأمور بنفسه ليس ضعيفاً في عقله أو رأيه ولا خائفاً
 فرعاً وهو خير من يدير الأمور بحزن وقطنة عندما يتزعزع الأمر ويخفق

(١) شعر الأخطبل : ٦٦٠ / ٢ - ٦٦١ .

(٢) المستقل بالأمر : الذي يستبد به . والنفس : الرخو الضعيف في عقله ورأيه .
 والفرق : الخائف الشديد الفزع .

قائد الجيش وتضطرب الرأيّات وكذلك فهو ليس بسيءُ الخلق ولبيخيل
اذ هو كريم ذو شمائل محمودة يتحمل الحمالات ويلبي طلب أصحاب
ال حاجات .

هذه أهم القصائد التي خص بها الأخطل بنى حرب وعمالهم
وهي نابعة من صلته الوثيقة بهم غير أنه عندما تنازل معاوية بن
يزيد عن الخلافة واشتعلت نار الفتنة وعمت الأمصار الإسلامية لم
يستطع الشاعر وقتئذ أن يتخبط الجزيرة الفراتية إلى الشام فأثر
الإقامة في ربيع تغلب (١) ريثما تستقر الأمور .

و عندما تولى عبد الملك بن مروان (٢) الخلافة وقضى على
الفتن انبرى الأخطل ثانية يجدد عهوده لبني أمية فمدح عبد الملك
بثلاث قصائد (٣) كان صوت السياسة ظاهرا واضحا فيها فاذا ما
استعرضنا مثلا رائيته (آخر الدهر) وجدناها مزيجا من الغزل
والهجاء ، والوصف ، والفخر بينما نجد نصيب المديح التقليدي فيها
قليلا جدا تغلب عليه صفة الالاحاج في طلب العطا ، الكبير ، ويستغله
حادية الصلح مع قيس فيركز عليها ليكتشف نوايا القيسيين أمام

(١) انظر الأخطل شاعر بنى أمية - د. سيد غازى : ٨٧ .

(٢) عبد الملك بن مروان بن الحكم تولى الخلافة سنة (٥٦٥) بعد
موت أبيه مروان . وكان عبد الملك من أعظم الخلفاء ودهاته
فقها واسع العلم أديبا نافدا توفي سنة (٥٦٨) .

أنظر ابن الأثير : ٤/٩٨ ، والطبرى : ٨/٥٦ ، وميزان الاعتدال :
٢/٦٤ ، وسير أعلام النبلاء : ٤/٢٤٦ ، وغيرها من كتب التراجم
والتاريخ والأدب . (٣) انظر مطالع هذه القصائد في الجدول رقم
(٢) الملحق بهذا البحث .

ال الخليفة . (١)

أَعْنَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِنَائِبِهِ
وَأَنْتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا بِنَا
فَانْ تَكَ قَيْسٌ يَا ابْنَ مَرْوَانَ بَأَيَّعْتَ
عَلَى عَمِّ إِسْلَامٍ وَلَا عَنْ بَصِيرَةٍ
وَلَكُمْ سِيقَا إِلَيْكَ عَلَى صُفْرٍ (٢)

وهذه الأبيات تتضمن مدحًا غير مباشر يمكن في خضوع قيس للأمويين أذلاء . ومن هنا غلت الصبغة السياسية على هذه الأبيات كما نرى في بيانه لنوايا القيسية وأنهم لم يبايعوا عن اختيار بل دفعوا إلى ذلك دفعا ثم يعود ليذكر الخليفة بما أظهره التغلبيون من بطولات في ركب الأمويين . (٣)

تَخْبَبُ الْمَطَابِيَا بِالْعَرَانِينِ مِنْ بَكْرٍ
إِلَيْكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ نَسِيرُهَا (٤)
وَأَوْدَ قَيْسًا لَجَّ ذِي حَدَبِ غَمْرٍ
بِرَأْسِ امْرِئٍ (٥) دَلَّ سَلِيمًا وَعَامِرًا
فَاسِرِينَ خَفْسًا ثُمَّ أَصْبَحَنَ غُدْوَةً

(١) شعر الأخطل : ١٨٩ / ١ .

(٢) وَهِلْتُ : أي نزعت اليك عن خوف .

(٣) يريد أنهم لم يبايعوا عن عقيدة وايمان وهداية لكنهم دفعوا إلى ذلك دفعا وسيقوا إليه صاغرين .

(٤) شعر الأخطل : ١٩٠ / ١ - ١٩١ .

(٥) نَسِيرُهَا : أي نسوقها أي أنهم يسوقون إلى الخليفة رؤساء بكر وأسيادها أسارى .

(٦) هو عمير بن الحباب بن جعدة السلمي رأس القيسية في العراق وقد قتله بنو تغلب .

وكما نلاحظ فان شخصية الخليفة بقيت متوازية وراء هذا التيار السياسي الذى يسرى فى أبياته وبالتالي فإنه يمكننا أن نقول ان فن المدح فى هذه القصيدة جاء سياسيا أكثر منه شخصيا بينما تعاظم فخره وهجاؤه . (١)

ولكن عبد الملك يبدوا أكثر ظهورا فى القصيدة الثانية وهى باعثته التى يقول فيها : (٢)

عَلَى الطَّائِرِ الْمَيْمُونِ وَالْمَنْزِلِ الرَّحْبِ بِلَابِلِ تَفْشِى مِنْ هُمُومٍ وَمِنْ كَرْبِ عَطَاءٍ كَرِيمٍ مِنْ أَسَارِى وَمِنْ نَهْبٍ (٣) عَلَى مُسْتَخِفٍ بِالنَّوَافِرِ وَالْحَرْبِ عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ ذَلُولٍ وَمِنْ ضَعْبٍ (٤) قَلَادِيدُ فِي أَعْنَاقِ مُعْلَمَةٍ حُدُبٍ (٥)	إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَحْلَتِهَا إِلَى مُؤْمِنٍ تَجْلُو صَفِحَةً وَجْهِهِ مُنَاخٌ ذُوِّ الْحَاجَاتِ يَسْتَمْطِرُوهُ تَرَى الْحَلَقَ الْمَادِيَ تَجْرِي فُضُولَهُ أَخْوَهَا إِذَا شَالَتْ عَضُوضًا سَعَالَهَا إِمَامٌ سَعَا بِالْخَيْلِ حَتَّى تَقْلَقَلَتْ
---	--

وقد ابتدأ المدح مخاطبا الخليفة وبينما أنه ساق مطاييه إلى فناء الواسع لأن فيه الخير ويتمدحه بحسن الإيمان والعطاء من الغنائم لذوى الحاجات الذين ينتجعون داره وكان هذا العطاء

(١) انظر الأخطل فى سيرته ونفسيته وشعره - ايليا حاوي : ١٠٦ .

(٢) شعر الأخطل : ٤٢/١ - ٤٤ .

(٣) النَّهْبُ : الغنيمة .

(٤) العَضُوضُ : الشديدة .

(٥) الْحُدُبُ : جمع حدباء وهي الدابة التي بدت عظام رأس وركبتها من الهزال . (السان / حدب) .

مطر لأنَّه من كريم ويصفه بالشجاعة وأنَّه مستقلٌ بالحرب قادرٌ عليها
إذا دارت رحاهُ أدارها شبيهاً هيجان الحرب بشولان الناقة حين
تهياً للضراب فهو يركب الحرب على كل حالٍ من حالاتها وهذا
منتهى الشجاعة ويصفه كذلك باللامامة وأنَّه من كثرة حروبه ومداومته
عليها قد أتعب خيله فأصابها الهزال حتى تقللت القلائد فـ
أعناقها ، ويستمر في تصوير هذه الخيول ليصل من خلال هذا التصوير
إلى امتداح عبد الملك بالكر والفر فيقول : (١)

شَوَّاخْصُ بِالْأَبْصَارِ مِنْ كُلِّ مُقْرَبٍ
 سَوَاهِمَ قَدْ عَاوَدَنَ كُلَّ عَظِيمَةٍ
 يُعَايِدُنَ عَنْ صُلْبِ الطَّرِيقِ مِنَ الْوَجَاءِ
 إِذَا كَفَوْهُنَ التَّنَائِي لَمْ يَزَلْ

أَعْدَدَ لِهِيجًا أَوْ مُوَافَقَةَ الرَّكْبِ
 مَجَلَّةَ الْأَشْطَانِ طَيَّبَةَ الْكَسْبِ
 وَهُنَّ عَلَى الْعِلَّاتِ يَرْدِينَ كَالْنَكَلِ
 غَرَابٌ عَلَى عَوْجَاءِ مِنْهُنَّ أَوْ سَقَرٍ

فهذا الانهك والهزال اللذان لحقا بالخيل انما هما نتيجة لطول بقائها في الحرب فقد دأبت على القتال ، وتمرسـت به ، وهو بهذا يعزم المدوح من خلال تعظيمه لخيـله ، ويمتدح عبد الملك بغزوـاته المتكررة للروم ويرکز هنا على وصفـ الخيـل فيقول : (٤)

٤٤ / ١ - الأخطل شعر (١)

(٢) يَعَايِدُنَ : أى يعدلن ولا يذعن . الْوَجَأَ : التعب الذى يصيب حواجزهن الحفا . على العِلَّاتِ : أى على مختلف الأحوال .

النُّكْبَ : المَوَالِي وَهِيَ الَّتِي تُشَكِّلُ مَنَاكِيرَهَا

(٣) يقصد بالغرب : الفارس الأسود .

٤٥ - ٤٦ : شعر الأخطل (٤)

وَفِي كُلِّ عَامٍ مِنْكَ لِلرُّومِ غَزَوةٌ
 يُطْرَحُنَ بِالدَّرْبِ السَّخَالَ كَانَمَا
 بَنَاثُ غُرَابٍ لَمْ تُكَمِّلْ شَهْرُهَا
 كَانَ لَهَا يَوْمٌ يَوْمٌ إِقَامَةٌ
 غَمْوَسُ الدَّجَى تَنْشَقُّ عَنْ مَتَضَرِّمٍ
 بَعِيدَةُ آثارُ السَّنَابِكِ وَالسَّرْبِ^(١)
 يَشْقَقُنَ بِالْأَسْلَاءِ أَرْدِيَةُ الْعَصْبِ^(٢)
 تَقْلُقُنَ مِنْ طُولِ الْمَفَازِ وَالْجَذْبِ
 وَيَوْمًا تَشَكَّى الْقَقْشَ منْ حَذَرَ الدَّرْبِ^(٣)
 طَلُوبُ الْأَعَادِي لَاسْتَوْمِ وَلَا وَجَبِ^(٤)

فَالْمَدْوَعُ يَسْعى بِخَيْلِهِ إِلَى الرُّومِ وَهَذِهِ الْخَيْلُ تَقْتَحِمُ السُّبُلَ
 النَّاعِيَةِ فِي كُلِّ سَنَةٍ وَنَتْيَاجُهُ لَهَذِهِ الْغَزَوَاتِ الْمُسْتَمِرَةِ أَصْبَحَتْ هَذِهِ
 الْخَيْلُ تَضَعُ أَوْلَادَهَا قَبْلَ الْأَوَانِ مِنْ شَدَّةِ الْأَعْيَاَءِ . وَهُوَ يَرِيدُ بِهَذِهِ
 الصُّورَةِ أَنْ يَصِلَ إِلَى شَجَاعَةِ الْخَلِيفَةِ وَاقْدَامِهِ .

ثُمَّ يَعُودُ لِلْمَدْحِ الْمَبَشِّرِ فَيَقُولُ :^(٥)

عَلَى ائِنِّي أَبِي الْعَاصِي قُرِيشٌ تَعَطَّفَتْ
 إِلَى صَلَبِهَا لَمَّا لَمَسَ الْوَشَائِظَ كَالْمَلِبِ^(٦)
 وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْخِلَافَةَ فِيَكُمْ
 عَلَى رَفِمْ أَعْدَاءِ وَصَادَرَةِ كُذْبِ

(١) السَّرْبُ : الطَّرِيقُ .

(٢) سِخَالٌ : جُمْعُ سَخَلَةٍ وَهِيَ أَوْلَادُ الصَّفَانِ . وَالْأَسْلَاءُ : الصَّنَادِيلُ الَّتِي
 تَفْشِي الْوَلِيدُ اثْرَ وَلَادَتِهِ . أَنْظُرْ أَمَالِيَ الْمُرْتَضِيَ : ٢٤٣/١ .
 وَالْعَصْبُ : الشَّيَابُ الْمُصْبَفَةُ .

(٣) الْقَقْشُ : الْحَصْى الصَّفَارُ .

(٤) غَمْوَسُ : أَى أَنْهَا تَسِيرُ اللَّيلَ كُلَّهُ . وَالْمَتَضَرِّمُ : الَّذِي يَتَسْعَرُ فِيهِ لَهِيبُ
 الْحَمَاسَةِ . وَالْوَجْبُ : الْجَيَانُ .

(٥) شِعْرُ الْأَخْطَلِ : ٤٢/١ ، ٤٩٠ ، ٥١٠ .

(٦) الْوَشَائِظُ : الْزَوَادُ وَاحِدُهَا وَشِيَظَةٌ ، وَالْمُعْنَى أَنَّ الْأَنْلَى الشَّرِيفَ لَيْسَ =

قَرْوَمْ أَبُو الْعَاصِي غَدَاءَ تَخْمَطَتْ دِمْشَقُ يَا شَبَابَ الْمَهْنَدَةِ الْجُرْبِ
 يَقُودُونَ مَوْجًا مِنْ أُمَّةٍ لَمْ يَرِثُ دِيَارَ سُلَيْمٍ يَا لِلْعِجَازِ وَلَا الْهَضَبِ

فالمعدوح ذو أصل عريق أحاط به نسب قريش الكريم من كل جانب فهو كريم ابن كريم جعل الله الخلافة فيهم ففت سلطتهم مستمددة من سلطة الله لأنه رآهم موضع ثقة فقد قادوا أمواجاً كثيرة من الجندي في الشام حينما أحاطت بدمشق جحافل الأعداء بخيولهم التي تشبه الأبل المطلية بالقطران ، وهنا يريد أن يعود لإشارة عبد الملك على قيس متذذا من هذا المنعطف السياسي وسيلة لازدياد كراهيته ببني أمية للقيسيين .

على أن أجمل مانظمه الأخطل في عبد الملك هي رأيته (غير) التي أطربت عبد الملك كثيراً ومن أجلها لقب الأخطل بشاعر بني أمية . (١) وهذه المدحاة تعد من غير قصائد الأخطل في المديح وقد استهلها بالمقدمة الغزلية التي بلغت سبعة عشر بيتاً ثم ولج من ذلك إلى المديح المباشر لل الخليفة قائلاً : (٢)

إِلَى امْرِيٍّ لَا تُعَدُّنَا نَوَافِلُهُ أَظْفَرَهُ اللَّهُ فَلِيَهُنَّئُ لَهُ الظَّفَرُ
 الْخَائِضُ الْفَقَرُ وَالْمَيْمُونُ طَائِرَهُ خَلِيقَةُ اللَّهِ يُسْتَسْقَى بِهِ الْعَطْرُ

لقد عمت عطایا المدحوع الشاعر ، وكأنها كانت حبساً عليه

(=) كاللاحق الدنى، النسب .

(١) انظر الأغانى : ٢٨٨/٨ .

(٢) شعر الأخطل : ١٩٦/١ - ١٩٧ .

لاتعداه الى غيره كما يمتدحه بالشجاعة والاقدام ، ولم يطرق الشاعر هذا المعنى مباشرة بل اتخذ من الكناية سبيلا للوصول الى مقصده فال الخليفة يخوض الماء الكثير الذى قلما ينجو من يخوضه ، ويقابل بين هذه الشجاعة وشدة تقواه اذ أن العرب يعتقدون أن انحسار المطر يكون نتيجة لغضب الله لكن عبد الملك لشدة صلته بالله أصبح الناس يطلبون السقيا به لأن الله يستجيب له لتقواه ، ويعود ليتخذ من الفرات أيضا صورة يقابل بينها وبين كرم معد وحه :

وَالفَرَاتُ إِذَا جَاءَتْ حَوَالِبَهُ فِي حَافَّتِهِ وَقَى أَوْسَاطِهِ الْعَشَرَ^(١)
وَذَعَدَتْهُ رِيَاحُ الصَّيفِ وَاضْطَرَبَتْ فَوقَ الْجَاجِيَّهُ مِنْ آذِيَّهُ غُدُرُ
مُسْخَنِفِرًا مِنْ جَبَالِ الرُومِ تَسْتَرَهُ^(٢) زَورَ^(٣)
يَوْمًا بِأَجْوَدِهِ حِينَ تَسْأَلُ^{كُلُّ}

ان هذه الصورة التشبيهية العبالغ فيها تحمل وجهى شبه هما الكرم والعطاء والوسامة والعظمة . وكل هذه المشاهد المحسوسة التى رسمها للفرات ليست بأجود سبيا من عبد الملك ولا بأحسن وسامه وعظمه منه . ويوازى فى مدحه لعبد الملك بين معانى التقوى كالقرب من الله وبين المعانى الفاضلة الأخرى كالجدود

(١) شعر الأخطل : ١٩٢/١ - ١٩٨ .

(٢) حَوَالِبَهُ : أمواجه . العَشَرُ : نوع من الشجر العظيم .

(٣) المُسْخَنِفِر : السريع الجرى بامتداد ومضاء . والأكافيف : هو ما يكف به الماء عن الجرى .

وَزَورُ : أى ميل .

والكرم والبطولة فهذا المدح يخوض معركة كبيرة يسطر خلالها
ملحمة رائعة تنم عن الشجاعة والاقدام (١)

وَمَقْدَمٌ مَايَتِينَ أَلْفٌ لِمُنْزِلٍ **مَا إِنْ رَأَى مِثْلَهُمْ حِنْ وَلَا بَشَرٌ**

فالصورة هنا موجلة في الغلو لكنها تتحقق بأجواء الملحمية
خفقاً وهي تأخذ غلوها من صفة هؤلاء الجن الذين يقودهم عبد
الملك فهو جيش خارق مروع ليس من الجن ولا من البشر بل أعظم
من الجنسين وليس هناك أسمى من الجن والبشر إلا الملائكة
وهذه مبالغة موجلة في الغلو أوصلت الشاعر إلى هذا المعنى . ثم

يسתר في امتداده بالشجاعة مستكملاً المعانى السابقة : (٢)

مُسْوِمٌ فَوْقَهُ الرَّأْيَاتُ وَالْقَتَرُ **يَغْشَى الْقَنَاطِرَ يَبْنِيهَا وَيَهْدِمُهَا**
وَبِالْكُوَيْتِ لَمْ يُنْبُضْ بِهَا وَتَرُ **حَتَّى تَكُونَ لَهُ بِالْطَّفْ مَلْحَمَةٌ**
وَيَسْتَقِيمُ الْذِي فِي خَدَّهُ صَعْرُ **وَتَسْتَبِينَ لِأَقْوَامٍ ضَلَالَتْهُمْ**
كَانَتْ لَهُ نِعْمَةٌ فِيهِمْ وَمَدَّ حَرُ **وَالْمُسْتَقِلُ بِأَنْقَالِ الْعِرَاقِ وَقَدْ**

فيمازج هنا بين الصورة الحسية والمعنوية اذ يومئذ الى مقتل مصعب
ابن الزبير (بالطف) وقبل هذا يشير الى بعض الاصلاحات التي
يقوم بها الخليفة وان كان في حالة حرب فهو يبني القنطرة اذا
كان في ذلك مصلحة عامة ويهدمها لنفس الغرض . وفي ذكره

(١) شعر الأخطل : ١٩٩/١ .

(٢) شعر الأخطل : ٢٠٠ - ١٩٩/١ .

لأماكن بعينها في هذا المديح (كالطف ، والثوبية ..) إنما يريد أن يصل إلى نسبة النصر في الأحداث التي جرت في هذه الأماكن إلى مدوحه الذي يتفوق دائمًا في معارك مع أعدائه وأعداء المسلمين قاطبة . ومن هنا استقامت له الأمور ثم يعود الأخطل لتبني أصول مدوحه العريقة فيقول شيداً ببني أمية : (١)

مَا إِنْ يُوَازِيْ يَأْعُلَى نَبْتَهَا الشَّجَرُ (٢)
 أَهْلُ الرِّبَاءِ وَأَهْلُ الْفَخْرِ إِنْ فَخَرُوا
 إِذَا أَمْتَبِهِمْ مَكْرُوهَةً صَبَرُوا
 كَانَ لَهُمْ مَخْرُجٌ مِّنْهَا وَمُعْتَصِرُوا (٣)
 لَا جَدَّ إِلَّا صَغِيرٌ بَعْدُ مُخْتَرٌ (٤)
 وَلَوْ يَكُونُ لِقَوْمٍ غَيْرُهُمْ أَشْرَرُوا (٥)
 وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَخْلَامًا إِذَا قَدَرُوا (٦)
 وَلَا يَبْيَسُنُ فِي عِيدِ اتِّهِمْ خَسُورٌ
 قَلَّ الطَّعَامُ عَلَى الْعَافِينَ أَوْ قَرُورًا (٧)
 تَمَتْ فَلَامِنَسَةً فِيهَا وَلَا كَدَرًا (٨)

فِي نَبْعَةٍ مِّنْ قُرْيَشٍ يَعْصِبُونَ بِهَا
 تَعْلُو الْهِضَابَ وَحَلَوْافِي أَرْوَمَهَا
 حَسْدٌ عَلَى الْحَقِّ عَيَّافُوا الْخَنَا أَنْفُ
 وَإِنْ تَدَجَّتْ عَلَى الْآفَاقِ مُظْلِمَةً
 أَعْطَاهُمُ اللَّهُ جَدًا يَنْصَرُونَ بِهِ
 لَمْ يَأْشِرُوا فِيهِ إِذَا كَانُوا مَوَالِيَّةً
 شَعْسَ الْعَدَاوَةِ حَتَّى يَسْتَقَادَ لَهُمْ
 لَا يَسْتَقِلُّ ذُوو الْأَضْفَانِ حَرَبَهُمْ
 هُمُ الَّذِينَ يَبَارُونَ الرَّيَاحَ إِذَا
 بَنَى أُمَّةً نَعَمَّاكَمْ مَجَلَّا

(١) شعر الأخطل : ٢٠٢ - ٢٠٠ / ١ .

(٢) النَّبْعَةُ : هي من أجود الشجر . يعصبون بها : أى يلازمونها .

(٣) حَلَّوا : أى نزلوا . أَرْوَمَهَا : أى أصلها .

(٤) تَدَجَّتْ : أى أظلمت ، والمظلمة الكوب .

(٥) أَعْطَاهُمُ اللَّهُ جَدًا : أى حظا .

(٦) لَمْ يَأْشِرُوا فِيهِ : أى لم يبطرروا فيه . (٧) شَعْسَ : أى عسر .

(٨) قَرُورًا : أى ضاق عيشهم نتيجة القلة والفتور .

لقد امتدح عبد الملك بعراقته التي تضرب في أعماق التاريخ
وهذه الأبيات تعد بحق خير ماتفتق به قريحة الأخطل الشعرية في
هذا الفرض لأنها تضمنت معانٍ وأفكاراً غاية في القوة والعظمـة
صوت هؤلاء القوم بأنهم أعز الناس وأكرمهم وأقدرهم على الحرب
وأحلّهم وأصبرهم إلى غير هذه المعانٍ العظيمة . وقد جعل
من سواهم يقرون عنهم في النسب فنبوthem يعلو كل نبت وكل
هضبة ثم يدقق في ترتيب أفكار هذه المدحـة فيجعل بنـى أمـة أـفضل
قريش ثم يجعل القرشـيين أـفضل الناس فـلـآن بنـى أمـة في نـظر الأـخطـل
صفـوة الصـفوـة . ولـعمـرـى أن هـذـهـ المـعـانـىـ بـعـيـدةـ المـعـنىـ عـمـيقـةـ
المـدـلـولـ . ولـقدـ تـجـلـىـ اـبـدـاعـ الأـخـطـلـ فيـ هـذـهـ القـصـيـدةـ وـظـهـرـتـ
عـاطـفـتـهـ فـعـبـرـ عـاـمـاـ يـرـيدـ مـجـسـداـ مـعـانـيـ بـالـصـورـ الـحـسـيـةـ وـالـعـنـوـيـةـ ،ـ
وـمـرـكـزاـ عـلـىـ الـأـحـدـاـتـ الـتـارـيـخـيـةـ مـسـتـمـداـ مـعـانـيـ مـنـ وـاقـعـ الـحـيـاـةـ الـسـيـاسـيـةـ
وـالـاجـتمـاعـيـةـ وـالـدـينـيـةـ لـيـصـوـفـهـ أـفـكـارـاـ تـنـطـقـ بـعـظـمـةـ هـؤـلـاءـ الـمـدـ وـحـيـنـ
وـفـىـ مـقـدـمـتـهـ عـبـدـ الـمـلـكـ الـذـىـ أـوـسـعـ لـلـأـخـطـلـ كـرـماـ وـجـودـاـ وـتـقـرـيـباـ
وـاشـادـةـ .

وبعد وفاة عبد الملك اتصل هذا الشاعر بالوليد (١) ومدحـهـ

(١) الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ولـىـ الخـلـافـةـ بـعـدـ وـفـاةـ
أـبـيهـ سـنـةـ (٦٦٨ـهـ)ـ وـكـانـ مـهـتـمـاـ بـالـفـتوـحـاتـ الـإـسـلـامـيـةـ فـاتـسـعـتـ الـخـلـافـةـ
الـإـسـلـامـيـةـ فـيـ عـهـدـهـ وـشـمـلـتـ بـلـادـاـ كـثـيرـةـ لـمـ تـتـجاـزـهـ بـعـدـهـ وـلـاقـبـلـهـ
كـمـاـ كـانـ وـلـوـعاـ بـالـبـنـاءـ وـالـعـمـرـانـ وـغـيـرـ هـذـاـ مـنـ شـئـونـ الدـوـلـةـ تـوـفـىـ
سـنـةـ (٦٩٦ـهـ)ـ بـعـدـ خـلـافـةـ دـاـمـتـ حـوـالـىـ ثـمـانـ وـعـشـرـيـنـ سـنـةـ (٦٢٨ـهـ)ـ .

وقد شاخ فتى تغلب وتقدمت به السن ، ولم يكن الوليد ذا ولع بالشعر أو مقبلاً عليه مثل أبيه وإنما كان منشغلاً بأمر المسلمين ، ومهام الفتح التي اتسعت في عهده (١) اتساعاً لا نظير له في التاريخ ومع هذا لم نجد في مدائع الشعراء له ما يشير من قريب أو بعيد إلى هذه الفتوح ومنها على سبيل المثال فتح الأندلس الذي يعد أعظم حدث في تاريخ الدولة الإسلامية .

ولقد كان للوليد موقف من النصارى إذ شدد عليهم الجزية وهدم بعض بيئهم وحولها إلى مساجد . (٢)

ومن الطبيعي أن يكون لهذه العوامل وغيرها (٣) أثر واضح فيما اتبثق عن الأخطل من مدائع لبني أمية بعامة والوليد بخاصة بعد موت عبد الملك وأن تنحسر عاطفته ويکاد يجف نبع تلك المعانى

(١) انظر تاريخ الإسلام د . حسن إبراهيم حسن : ٢٩٩/١ - ٣٠٠ .

(٢) انظر تاريخ الطبرى : ٤٩٦/٦ ، ومروج الذهب للسعودى :

١٦٢-١٢٥/٣ ، والبداية والنهاية - لابن كثير : ٢٠/٩ - ٢١ ،

١٦١ وما بعدها .

(٣) كان الاستقرار الأمور للوليد بعد أن هدأت العاصفة السياسية وانصرافه لمهام الفتح والاصلاحات أثر في ضعف مكانة الأخطل لديه فلم يعد يأبه بدعاية شاعر نصراوي ، فقرب غيره من شعراء المسلمين .

كما يرى الأستاذ محمد محمد حسين في كتابه *المجاء والهجاء* ونون في صدر الإسلام : ١١٦ - ١١٧ .

التي كانت تسير في موكب من الصور الفنية المتلاحقة الرائعة وقد نلمس هذا التراجع من خلال قصائد الـ خـلـ لل مدـحـ وكـأنـهـ يـحسـ فـىـ نـفـسـهـ شـيـئـاـ يـبـاعـدـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ مـدـوـحـهـ فـيـرـيدـ أـنـ يـوـكـدـ اـخـلاـصـهـ بـهـذـاـ القـسـمـ اـذـ نـجـدـهـ فـىـ الـبـاهـيـةـ (ـ وـالـحـطـبـ)ـ يـقـسـ بـرـبـ الـكـعـبـةـ وـالـسـتـورـ ،ـ وـالـحـجـبـ ،ـ وـالـحـجـاجـ بـأـنـ الـولـيدـ أـنـقـذـهـ مـنـ الـمـخـاطـرـ الـتـىـ كـانـتـ تـحـقـىـ بـهـ وـأـنـهـ مـنـ الـخـوفـ .ـ كـماـ يـقـسـ فـىـ مـدـحـةـ أـخـرىـ بـمـنـ تـسـاقـ لـهـ الـهـدـاـيـاـ إـلـىـ الـكـعـبـةـ عـلـىـ نـجـاـتـهـ خـيـلـ الـمـدـحـ وـأـصـالـتـهـ وـثـبـاتـهـ فـىـ الـقـتـالـ كـمـاـ يـقـسـ أـيـضـاـ فـىـ مـدـحـةـ ثـالـثـةـ بـالـهـجـجـ الـذـىـ نـذـرـتـ لـهـ دـمـاءـ الـبـدـنـ فـىـ الـحـرمـ أـنـ الـولـيدـ أـنـقـذـهـ .ـ

وبهذه النفس المتأرجحة بين الرجاء والمنع يظهر الأخطل
أمام الـولـيدـ متـضـعـضـ الشـخـصـيـةـ فـاقـدـاـ لـمـكـانـتـهـ السـالـفـةـ عـنـ بـنـىـ أـمـيـةـ ضـعـيفـ الـعـزـيمـةـ فـيـعـوـضـ عـنـ هـذـاـ كـلـهـ بـالـاـكـتـارـ مـنـ صـيـغـ الـقـسـ اـذـ يـقـولـ
مـادـحـاـ لـلـولـيدـ :ـ (ـ ١ـ)ـ

وَقَدْ حَلَفُتُ يَمِينًا غَيْرَ كَانِ ذِي الْحُجَّبِ
بِاللَّهِ رَبِّ سُتُورِ الْبَيْتِ ذِي الْحُجَّبِ
وَكُلَّ مُوفِّ بِنَذْرٍ كَانَ يَحْمِلُ
إِنَّ الْوَلِيدَ أَمِينَ اللَّهِ أَنْقَذَنِي

أَتَيْتُهُ وَهُمُومِي غَيْرُ نَائِمَةٍ أَخَا الْجِدَارِ طَرِيدَ الْقَتْلِ وَالْهَرَبِ (١)
 قَدَمَ الْمَوَاهِبَ مِنْ أَنْوَاءِ الرَّغَبِ (٢) كَامِنَ النَّفْسَ مَا تَحْشِي وَمَوْلَهَا

فهو ينسب ولاليه الله ليخلع عليه الصفة الدينية (خليفة الله .. أسين الله ..) .

وفي هذه الأبيات وجدناه يشخص الهموم فينسب إليها الأرق .. وهو مומי غير نائمة .. مع أنها لاتنام ولا تستيقظ لكنه وحد بين الهموم وصاحبها تعبيرا عن قوة أرقه وعظيم مصيبيه وكثيرا ما يذكر على الصفات الدينية في مدحه قوله : (٣)

خَلِيفَةُ اللَّهِ يَسْتَسْقَى بِسُنْتَرِي الْغَيْثُ مِنْ عَنْدِ مَوْلَى الْعِلْمِ سُنْتَرِي

فقد بالغ في هذا المديح حتى خرج به عن مضمون الدين فأهل السنة لا يقرؤن مثل هذا لأن السقيا إنما تطلب من الله وحده دون واسطة .

وفي معرض مدحه للوليد بالشجاعة والمجد يعتقد بنى أمية وأنه لا عديل لهم في حلمهم وعفوهם مقابلًا بين هذا المعنى وبين شدة بطشهم وغضبهم فهم ملوك حلو من الناس في أعلى منزلة لا تساميها منزلة غيرهم ورثوها من سابق الدهر أبا عن آب .

(٤) فيقول :

حَتَّى تَنَاهَى إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ لَهُمْ عَزَّ الْمُلُوكُ وَأَعْلَى سُورَةِ الْحَسَبِ

(١) يحذر القتل : أي يهرب منه كالطريد .

(٢) قدم المواهب : كثير العطا ويقصد بالأأنواه هنا : العطا . والرغب : الكثيرة الواسعة .

(٣) شعر الأخطبل : ٢٤٥/١ .

(٤) المصدر السابق : ٢٥٢ - ٢٥٣ / ١ .

فِي كُلِّ مُعْظَمٍ مِنْ سَادَةِ الْعَرَبِ
 وَالْأَخْمَدِينَ قِرْوَى فِي شِدَّةِ اللَّزَّابِ (١)
 وَلَا كَطْشِيمِ بَطْشٌ لَدَى الْغَصَبِ
 وَهُمْ صَمِيمُهُمْ لَيْسُوا مِنَ الشَّذَّابِ (٢)
 وَرَاشَةً وَرَشُوهَا عَنْ أَبْفَابِ
 بِسْعَ مَصَالِحٍ لَمْ يُعَدَّلْ بِهِمْ أَحَدُ
 الْأَكْثَرَيْنَ حَصَى وَالْأَطْبَيْنَ شَرَى
 مَا إِنَّ كَاحِلَّا مِنْهُمْ حَلْمٌ إِذَا قَدَرُوا
 وَهُمْ ذُرَاعَبُ شَمْسٍ فِي أَرْوَافِهَا
 وَكَانَ ذَلِكَ مَقْسُومًا لِأَوْلَيْنَ

وقد يعمد في مدحه للخلفاء إلى تعظيم خيلهم فخيّل الوليد في نظره قد وصلت إلى شارف لم تبلغها خيل قبلها (٣) :

وَمَا بَلَغَتْ حَيْلُ اُمَّرِئٍ كَانَ قَبْلَهُ بِحَيْثُ اَنْتَهَىٰ آثَارُهُ وَمَحَارِبُهُ

ويجسد لل الخليفة أثناء مدحه له همومه وهموم قومه بنى تغلب وما يعانونه
لبيين للوليد ماحل بهم فيقول : (٤)

وَإِنَا مُعْشَرٌ نَابَتْ عَلَيْنَا
غَرَامَاتٌ وَمَعْضِلَةً كَوْدٌ (٥)
وَعَضَ الدَّهْرِ وَالْأَيَّامَ حَتَّى
تَغَيَّرَ بَعْدَكَ الشَّعْرُ الْجَدِيدُ (٦)

ولا يخرج مابقى من مدائح الأخطل للوليد عن هذا النسق الذى يلهم الالحاح فى طلب النجدة والمساعدة له ولقومه مؤكدا ضعفه وقلة

(١) شدّة اللَّزَبْ : أى شدة القحط .

(٢) الأَرْوَةُ : أَصْلُ الشَّجَرِ ، وَالشَّذَبُ : مَا يَسْدُبُ مِنَ الشَّجَرِ فَيُسْقَطُ

ویہ عمل

٢٩١ - ٢٩٠ / ٤ : شعر الأخطل (٣)

٢٤٠ / ٢ : شعر الأخطل ())

(٥) **المُعَضَّلَةُ** : المصيبة الشديدة . وال**كُوْدُ** : الصعبه .

(٦) يقصد بتغير الشعر : أنه شاب .

حيلته من خلال عبارات القسم الكثيرة التي تظهر في أغلب مدائنه للوليد (١) ولا أجد من الضروري تتبع بقية مدائنه الأخطل في الوليد لأنها تكاد تكون صورة مكررة لبعضها ليس فيها ما يجسد المعانى والأفكار في صور تختلف عما ذكرت لأنه في هذه الحقبة بالذات بعد أن خلس إلى الوليد قد احذ ودب ظهره من الكبر (٢) فهو في مقام الفراعة والاستعطاف وطلب العطاء فلا مندوحة إذا من تعظيم مدوحه ونعته بالكرم وكثرة العطاء ليناله شيء من رفده الوليد بعد أن هدأت عاصفة السياسة واستقرت الأمور لبني أمية وعند هما لم يدم للأخطل نفوذه السابق في بلاط الأمويين ، فقد أخذ النصارى يفقدون ما كانوا يتمتعون به من مكانة وعندئذ تزعمت منزلة الأخطل لدى الوليد وتقلص سلطانه (٣) وقد خص الأخطل بعض الأمراء من بنى أمية والولاة والقادة والashraf ، والقبائل بمدائنه تتفاوت فيما بينها من حيث قوة المعانى وتدفقها وترابط أفكارها وانسجام موضوعها مع مكانة كل مدعوه ، ومن هؤلاء على سبيل المثال - بشر بن مروان (٤) - فقد اتصل به الأخطل ومدحه

(١) انظر مثلاً شعر الأخطل : ٢٢٢/١ - ٢٢٠، ٢٢٢/١ .

(٢) ربما كان يرسل قصائده للوليد في دمشق ويبقى في الجزيرة بعد أن تقدمت به السن وبلغ من الكبر عتيًا . ولم يك بدعا في هذا فقد روى عن جرير أنه فعل ذلك في شيخوخته .

(٣) انظر الهجاء والهجاءون في صدر الإسلام - د . محمد محمد حسين

: ١١٦ - ١١٧ .

(٤) بشر بن مروان بن الحكم بن أبي العاص القرشي الأموي - =

بخمس قصائد (١) جاءت في مضمونها أقوى من مدائحه في الوليد لأنّه اتصل به في عهد أخيه عبد الملك بن مروان يوم أن كانت منزلة الأخطل عند بنى أمية بعيدة عن يد المتناول ، وقد امتدح بشرا بالكرم والشجاعة وكثرة العطاء وعراقة نسبه ، وهي معان درج على امتداح بنى أمية بها فهو من أبناء الملوك . (٢) :

يُعَاظِمُونَ أَبَا الْعَاصِي وَهُمْ نَفَرٌ
فِي هَامَةٍ مِنْ قُرْيَشٍ دُونَهَا شَذَبٌ
يُذْرِكَ مَاقَدَّمًا عَجْمٌ وَلَا عَرَبٌ
يُبَيِّضُ مَسَالِيَّتَ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ فَلَنْ
إِنْ يَكْلُمُوا عَنْكَ فَالْأَحْلَامُ شَيْمَتُهُمْ
وَالْمَوْتُ سَاعَةً يَحْمِي مِنْهُمُ الْغَضَبُ
كَانُوا مَوَالِيَ حَقَّةٍ يَطْلُبُونَ بِسِ
فَأَذْرَكُوهُ . وَمَالُوا وَلَا لَغِبُوا
إِنْ تَكُ لِلْحَقِّ أَشَابٌ يُدْعُ بِهَا
فَنِي أَكْهِمُ الْأَرْسَانَ وَالسَّبِّبَ (٣)

(=) من أمراء بنى أمية تولى امرة العراق لأخيه عبد الملك سنة (٥٢١هـ) كان كريماً ممدحاً يغري بين الشعراء كما كان يحب سماع الشعر وتوفي سنة (٥٢٥هـ). انظر: تاريخ الطبرى: ٦٤٠-٦٩١ و البخلاء للجاحظ: ٤٢٥.

(١) انظر هذه القصائد في شعر الأخطل : ٨٤/١، ٢٣٨، ٣١٣، ٨٤/١، ٣٧١، ٣٥٦ ومطالعها في الجدول رقم (٢) الملحق بهذا البحث
(٢) شعر الأخطل : ٨٤/١-٨٥. ولذلك أن هذا من أقوى صنوف الملح
السياسي الذي نما في العصر العباسي فيما بعد

(٣) الشذب : الشوك والعشر .

(٤) الأرسان : جمع رسن وهو مكان من الأزمة على الأنف .

والسبب : هو الحبل . وما يتوصل به إلى غierre .

انظر معجم البستان للشيخ عبد الله البستانى : ١٠٣٨/١ .

المطبعة الأمريكية بيروت ١٩٢٧ م .

وكعادته يشيد ببني أمية كما نلاحظ هنا ويتهم من يعادونه
بأنهم جهلاً لأن الأميين اقتعدوا من قريش سنام المجد فلا أحد
يساميهم ، ويختص بثرا بمحاجة مباشر ف يقول في قصيدة أخرى : (١) :

وَالْخَيْرُ قَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ مُتَّسِعٌ
إِنَّى دَعَانِي إِلَى بِشْرٍ فَوَاضِلُهُ
الْأَقْرَى يَدِيهِ عَلَيَّ الْأَزْلَمُ الْجَدَعُ (٢)
يَا بِشْرُ لَوْلَمْ أَكَنْ مِنْكُمْ بِعَنْزَلَةٍ
وَاهْلُ بَطْحَائِهَا الْأَثْرَقُونَ وَالْفَرَعُ
أَنْتُمْ خِيَارُ قُرَيْشٍ عِنْدَ رِشْتَبِتِهِمْ
إِذَا الْعُلُوكُ عَلَى أَمْتَالِهِ اقْتَرَعُوا
أَعْطَاكُمُ اللَّهُ مَا أَنْتُمْ أَحْقُّ بِهِ
وَلَا تَتَالَ أَكْفُّ الْقَوْمِ مَا مَنَعُوا
لَيْسُوا إِذَا طَرَدُوا يَنْبِغِي طَرِيدَهُمْ

وكتيراً ما نجده يمتدح بهم بأنهم خيار قريش وهو معنى يكاد يطرقه
كل الشعراً فالكرم والأصالة والشجاعة من الأمور التي يجد فيها
الشاعر متسعًا لقوله فيكثر من ترددتها في شعره وقد لمسنا هذا

كتيراً عند الأخطل فها هو يمتدح بثرا كذلك بالشجاعة (٣)
أَخُو الْحَرَبِ مَا يَنْفَكُ يُبَعِّنُ لِعَصَبَةٍ حَرُورَيَّةٌ أَوْ أَعْجَمَيَّ يُقَاتِلُهُ (٤)
مَعَانِ يَكْبِيمُ الْأَعْنَةَ أَشْعَالَتْ لِكُلِّ عَدَى يُبَرِّأْهُ وَقَنَابِلُهُ (٥)

(١) شعر الأخطل : ٣٦٥/١ - ٣٦٦ .

(٢) الْأَزْلَمُ الْجَدَعُ : الشديد الكثير البليا الفتى وهو يزيد بالأذى
هذا الدهر ، والجذع الذي لا يفهم .

(٣) شعر الأخطل : ٣٤٨-٣٤٧/١ ، وانظر مثل هذا المعنى كذلك
في شعر الأخطل : ٣١٨/١ .

(٤) الْحَرُورَيَّةُ : فرقة من الخوارج .

(٥) مَعَانِ : أي ملازم للخيل . وَالْقَنَابِلُ : جمع قنبلة وهي الجماعة من
الخيول .

أَبْحَثَ حُصُنَ الْأَعْجَمِينَ فَأَسْكَنَ
بِأَبْوَابِهَا مِنْ مَنْزِلٍ أَنْتَ نَازِلُهُ
ضَرُوبُ عَرَاقِبِ الْمَطَيِّ كَانَمَا
يُبَارِى جَمَادَى إِذْ شَتَا أَوْيَخَالِهُ

كما يمتدحه بالكرم فيسبقه بالفرات : (١)

إِذْ غَابَ عَنَا غَابَ عَنَّا فُرَاتُنَا
فَلِنْ شَهَدَ أَجْدَى فَيَضُهُ وَجَدَ اولَهُ
يُبَشِّرُ بَحْرٌ مِنْكُمْ مَا أَزَالِهُ (٢)
وَلِنَكَ حِصْنٌ مِنْ قُرْيَشٍ وَلِنَنِسِي

وبهذا نجده يتخد من عناصر الطبيعة أدوات ليجسد معانيه ويرسم صورة وكأنه مخترع مبدع . وقد اتصل الأخطل بكثير من الولاة ومدحهم ، ومنهم خالد بن أسد (٤) ، عبد الله بن سعيد بن العاص (٥) وغيرهما ، لكنه في مدائحه لغير بنى أمية نجده يبتعد عن الصبغة السياسية ويركز على الكرم والشجاعة وحسن العطاء وهكذا تكاد تكون كل مدائحه في بنى أمية متماثلة مع بعضها بينما نجد مدائحه في غيرهم تختلف من حيث الحضور السياسي فتكاد تتمثل هي الأخرى مع بعضها ومن خلال استقرائنا تاريخياً وموضوعياً لمدائح الأخطل في بنى أمية وغيرهم من الأمراء والولاة يمكن أن نجمل خصائص هذه المدائح من حيث الأفكار فنقول :

لقد برزت النواحي السياسية في مدحه لمبني مروان أكثر من

(١) شعر الأخطل : ٣٤٨/١ .

(٢) شَهَدَ : أي شَهِدَ - انظر ماورد في هذه الكلمة من لغات في الكتاب : ٢٢٩/٢ ، والمخصوص : ٢٢٢/١٤ . (٢) أَزَالِهُ : أفارقه .

(٤) هو خالد بن عبد الله بن خالد بن أسد بن أبي العيس بن أمية .

(٥) عبد الله بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص . / انظر: جمهرة الأنساب : ٨١-٨٠

ذى قبل وبخاصة عندما مدح عبد الملك والوليد بينما افتقدتا
 معانى البطولة والشجاعة فى مدحه ليزيد بن معاوية الذى طفت
 عليه الموضوعات الجانبية الاستطرادية فحظيت المقدمات بنصيب الأسد
 من القصيدة فى مدائحه لبني سفيان مع أنه كان يفترض العكس
 بالنسبة ليزيد الذى حماه وأمنه وأغدق عليه ، وفتح له قصور بنى أمية
 فقد جاءت معاناته خافتة الصوت لم تكن من القوة بحيث تشكل صورا
 تنطق بالعظمة وتنبئ عن عاطفة صادقة تجاه يزيد ولكنه اقتصر فى
 معاناته على ذكر حماية يزيد له . . واذا كان هناك من تعلييل
 لقلة أبيات المدح التى خصه بها وقلة معاناتها وعدم رقيها الى
 مستوى مدائحه فى عبد الملك فإنه يمكن فى مصاحبته ليزيد فسى
 شبابه بعيدا عن سمة الملك وهيبة الامارة فزال الحجاب بين الشاعر
 وهذا المدح ، ولاشك أن فى الشباب ما فيه من النزق والطيش
 عندئذ لم يدخل فى روع الأخطل دخول البطولة فاقتصرت مدائحه
 له على الثناء بجميله وكرمه ، بالإضافة الى أن تجربة الأخطل الأولى
 فى المدح قد انطلقت من هنا ، بينما حشد لعبد الملك كثيرا من
 صور البطولة ومعانى القوة والعظمة وتضاءلت نفسه أمام الوليد وضعفت
 قريحته ومنزلته فى آن واحد ، وأما مدائحه فى بشر فقد جاءت فى
 أيام مجده فجودها ورسم لها فيها صورا من البطولة والكرم وأصالحة
 المنبت . . وأما مدائحه فى الولاة من غير بنى أمية فقد اقتصرت
 على الاشادة بكرمهم وحسن عطائهم وقيادتهم فى الحروب وابتعدت
 فيها عن الجانب السياسى ما استطاع الى ذلك سبيلا .

وإذ قد انتهينا من الدراسة التاريخية والموضوعية للفرض الأول وهو المدح فانتا نولى وجهنا الآن شطر الغرض الآخر لندرسه : ألا وهو الفخر .

ويحسن قبل الخوض فيه أن نقدم بين يدي الموضوع بما يجعله عند الأخطل . فقد عاش هذا الشاعر في طفولته وشبابه واقعاً مربراً فإذا ما اتصل بالأمويين في خلافة معاوية فلعله بدأ يرسم لنفسه خططاً متميزة يجتاز من خلاله الحدود الضيقه ليصل إلى الذروة ، فأصبح سيداً في تغلب وزعيمها يصلح ذات البين ويتحمل الحطالت ويتكلل بالديات حقنا للدماء ومسحا للشحنة . (١)

وقد تخطى صيته قبيلته تغلب التي تبوا فيها مكان الزعامة وأصبحت له دار للضيافة يقصده فيها القاصدون وأصحاب الحاجات (٢) وكان من الطبيعي أن يكون لهذه المكانة الساقمة أثرها الواضح في نفسه وأن تكون مدة لا ينضب معينه في مفاخره بالإضافة إلى مكانة تغلب ونسبها العربي الأصيل . ومع أنه لا توجد لديه روافد إسلامية له أو لقومه فهم نصارى يعيشون في وسط إسلاميّ كبير ، ولهذا فقد اتخذ من القبيلة ومن نفسه منطلقاً لفخره ومرتكزاً لمناقشه مع خصمه جرير .

(١) انظر طبقات حول الشعراء - لابن سلام : ٤٨٤/١ ، والأغانى :

٣١٩ و ٣٠٣ ، والمشح : ٢١٤ ، والهجاء والهجاءون —

د. محمد محمد حسين : ٨٣-٨٧ .

(٢) انظر الأغانى : ٣١٨/٨ .

وقد غلت الناحية القبلية على جل فخره وكان حبه الشديد والتحامه بقبيلته قد فرضا عليه أن يكون ابنها البار ، ولسانها الناطق بعد أن وجد أبواب الخلفاء مفتوحة له فرأى أن أقل واجب عليه أن يفاخر بتغلب وبين موقفها من الخلافة لأن هذه القبيلة النصرانية في حاجة إلى من يرفع اسمها بين القبائل عند الخلفاء ولذا انبىء يشيد ببطولة قومه ويعظمهم ، وينوه بكرمهم وحمايتهم للجوار ، ونجابة خيالهم التي أضفي عليها الكثير من نعوت الجلال والعظمة ، ولم يسرف كثيرا في الفخر الشخصي ، ولعل دياته قد كبلته بعض الشيء في هذه الناحية .^(١) فاتجه لأمجاد قومه دونما اغراق في امجاده الخاصة كما سنرى في الصفحات التالية - بساذن الله - ونبدأ بالحديث عن الجانب القبلي في فخر الأخطل .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

(١) انظر الأغاني : ٣٠٦/٨ .
وراسة عن " نقائض جرير والأخطل " للدكتور عبد المجيد المحتب : ٤٩٦ .

أما الفخر القبلي عند شاعر بنى تغلب فقد انطلق فيه من واقع عريق الجذور فتقلب ليست بالقبيلة الهيئة الشأن لكنها صاحبة أمجاد ولها أيامها المعروفة في الجاهلية . ولذا فان الأخطبل في فخره القبلي يدوى صوته بفخارق قبيلته ويشرف بانتقامه اليها فيتغنى بأمجادها وكان لهذا الانتقام الجياش في وجданه المالك لروعه أثر في تزويده بالمعانى والصور .

وقد اتخذ الفخر القبلي عنده مرتکزين أساسين : مرتكز الشجاعة والقدام ، ومرتكز الضيافة والكرم ، وهما أساس الفخر القبلي التقليدي منذ الجاهلية .

اما الشجاعة فان تغلب في نظره قوية لا أحد يجاريها أو يتمكن منها بل هي التي تتمكن من الأعداء وتتركهم صرعى فيفترخ بها قائلا : (١)

نَصَبْنَا لَكُمْ رَأْسًا فَلَمْ تَكُلِّمُوا بِـ
وَنَحْنُ ضَرَبْنَا رَأْسَكُمْ فَنَصَدَّعْـا
وَنَحْنُ قَسَمْنَا الْأَرْضَ نِصْفَيْنِ نِصْفَهَا
لَنَا وَنِرْلِمِي أَنْ تَكُونَ لَنَا مَعَا
يَتْسِعِينَ أَلْفًا تَالَّهُ الْعَيْنُ وَسَطَهُ
إِذَا مَا أَكَلْنَا الْأَرْضَ رَعِيَّا تَطَلَّعْـتُ
مَتَى تَرَهُ عَيْنُ الْطَّرَامَةِ تَدَمَّعَا^(٢)
بِنَا الْخَيْلُ حَتَّى تَسْتَبِعَ الْمُسَعَا

فهو يفاخر بواقع تغلب بين أعدائها فقد عجز هؤلاء الأعداء عن منازعة التغلبيين فيما تمكن منهم بنو تغلب ومثلوا بهم غاية التمثيل ،

(١) شعر الأخطبل : ٥٥١/٢ .

(٢) تَالَّهُ الْعَيْنُ : أي تحير ، والطَّرَامَةُ : السحابة .

ويتجلى في هذا الفخر تطلعه إلى الغلبة والتفوق إذ نصف الأرض لهم ويطمعون في النصف الآخر وفي هذا ما يذكروا بفعال "كليب"^(١) . في الجاهلية مما كان سبباً في اشتعال حرب السوس .

وتبدو نزعة الاستيلاء مسيطرة على معظم فخره القبلي وكأنه لاهم لغصب سوى التوسع في أراضي الغير . (٢)

وَنَحْنُ أَنَّاسٌ لَا حُصُونَ بِأَرْضِنَا
 إِذَا الْحَرْبُ أَمْسَتْ لَاقِحًا أَوْتَلَعَ
 فَفَافِ عُمَانَ فَالْجِمَى لَيْ أَفْيَحُ^(٣)
 وَهَيْثُ تَرَى الْقَرْقُورُ^(٤) فِي الْمَاءِ يَسْعَ
 لَنَا مِقْدَحًا مَجْدٍ وَلِنَاسٍ مِقْدَحٌ
 وَتَأْوِي مَعْدٌ فِي الْحُرُوبِ وَتَسْرَحُ
 نَدَعْ بَارِقَاتٍ مِنْ سَرَابٍ تَضَخَّضُ
 وَأَمَّا بَيَانُ فَالصَّرِيمَةِ أَرْجُ^(٥)
 وَإِنَّا لَمَدُودُونَ مَابِينَ مَثْبِجٍ
 وَإِنَّ لَنَا بَرَّ الْعِرَاقِ وَبَحْرَهُ
 وَإِنَّ ذَكَرَ النَّاسُ الْقَدِيمَ وَجَدَنَا
 بِنَا يَعْصُمُ الْجِيَرَانُ أَوْ يُرْفَدُ الْقِرَى
 ذَرْوِي يَحْنِنُ إِلَّا تَرَنَّا لِنَصْرِنَا
 فَإِمَامًا مَقَامًا صَادِقَ كُلَّ مَوْطِينٍ

(١) كليب بن ربيعة بن مرة التغلبي . سيد بكر وتغلب في الجاهلية - أحد من تشبهوا بالملوك في السلطة بلغ من هيبته أنه كان يحمي مواقع السحاب وكان لا يعود أحد مع أبله ولا توقد نار مع ناره ، ولا يمر أحد بين بيته ولا يحتسي أحد في مجلسه وهو أخوه مهلهل بن ربيعة ، وحال أمر القيس قتلته جساس بن مرة البكري الوائلى فثار حرب السوس أطول حرب عرفت في الجاهلية / انظر الأعلى للقالى : ١٢٩/٢ - ١٢٤ .

(٢) شعر الأخطل : ٢٥٠ / ٢ - ٢٥٢ .

(٣) مثْبِج : مدينة قريبة من حلب . وَغَاف : موضع في عمان يكثر فيه الشجر ، والأَفْيَح : الأوسع . (٤) الْقَرْقُور : السفينة العظيمة .

تَرَوَا أَنَّا نَجْزِي إِذَا هِيَ أَبْهَمَ
بِصَمَاءَ يُلْفَى بَابَهَا لَيْسَ يُفْتَحُ (١)
مَسَالِيْتُ نَصَطْنِعُ السَّيْفَ مَعَادَةً
لَنَا عَارِضَ يَنْفِي الْعَدُوَّ وَيَرْجِعُ (٢)

وقد اعتمد في هذا الفخر على الأنكار الحسية التي تجسد المعنى
أعظم تجسيد . ويبدو هنا وكأنه يريد أن يضع صوراً للحدود
السياسية التي تسيطر عليها تغلب فيحدد في شيء من التفصيل
تلك الديار التي تناشر التغلبيون فيها فسيطروا عليها وبذلوا حياتهم
في سبيل العز والمجد فهم لا يزالون يضرمون نار العرب في كل
مكان مخوف دليل شدتهم وشجاعتهم . (٣)

فَقُلْ لِلنَّاسِ إِنَّهُمْ فَاعْلُونَ
 أَكْسَانًا مِنْ دِمْشَقٍ إِلَى عَمَانٍ
 وَدِرْجَةَ وَالْفَرَاتَ وَكُوَيْنَ وَادِي
 وَنَحْنُ الْمُوقِدُونَ يَكُلُّ شَفَّارٍ

ويفتر بالأرقام (٤) ذلك الحى من تغلب الذى له مكان الصدارة
فيها مصروا شجاعتهم وأنهم فلقوا همات العدو . (٥)

(١) الصَّمَاءُ : الْدَاهِيَةُ الشَّدِيدَةُ . وَأَبْهَمَتْ : أَيْ اشْتَدَتْ .

(٢) العَارِضُ : السَّحَابُ يُعرَضُ فِي الْأَفْقِ ، وَاسْتِعَارَةُ هُنَا لِلْجَيْشِ
الْعَظِيمِ ، وَرَجَبُ : أَى يُغْلِبُ .

(٢) انظر مجلة الشرق العدد ٤٣٣/٦، والعدد ٤٢٥/٢.

(٤) الأَرَاقِمْ : جَسْمٌ ، وَمَالِكٌ ، وَعُمَرٌ ، وَشَعْلَةٌ ، وَمَعَاوِيَةٌ ، وَالْحَارِثٌ . بَنُو
بَكِّيَّةٍ حَسْبَنَ عَصْرٍ - انْظُرِ الْمَعْارِفَ لَابْنِ قَتْبَةَ : ٩٦ .

(٤) نقاشف حبیب والأخطل : ١٧٨، ٣٤، ٣٣، ٣٢

الم تعلموا أن الأراقم فلقت
جماع قيس بين ودان والحضر
السائل سال بأبطحية سيل

ويفتخر بقومه فيأتي بأحداث يسردها سرداً تعدادياً ويربط بين
أحداث هذا السرد التعدادي بحرف العطف (الواو) و " قد " .
التحقيقية . (١)

حتى احْتَذَيْنَ مِنَ الدَّمَاؤِنِعَالَا (٢)
جَعَلْتُ لِضَيْثَةَ بِالسَّيْفِ ظِلَالًا
وَلَقَدْ رَأَيْنَ يَخْدُدُ نَصْرَةَ خَالَا
بِإِرَابَ حَيْثُ تُقْسِمُ الْأَنْفَالَا
كَوَالِبِنِيْعِ وَجَلَّنَ شَمَّ مَجَالَا
وَلَقَدْ قَتَلَنَ ثَقِيفَهَا وَهِلَالَا
وَأَزَلنَ جَدَّتِي الْحُبَابِ فَرَا لَا
وَتَرَكَنَ فَلَمَّا عَلَيْكَ عِيَالَا

وَطَحَنَ حَائِرَةَ الْمُلُوكِ بِكَلَّكَلٍ
خَرَدَ الْعَيْنِ إِلَى رِيَاحٍ بَعْدَمَا
وَلَقَدْ دَخَلَنَ عَلَى شَقِيقِ بَيْتَهُ
وَلَقَدْ سَمَا لَكُمُ الْهُدَيْلَ (٣) فَنَالَكُمْ
وَلَقَدْ عَطَفَنَ عَلَى فَزَارَةَ عَطَفَةَ
وَلَقَدْ وَقَعَنَ عَلَى الْمَشَاعِرِ كَلَّهَا
وَسَقَيْنَ مِنْ عَادَيْنَ كَلْسَا مُرَّةَ
وَقَتَلَنَ مِنْ حَلَّ السَّلَاحَ وَغَيْرَهُمْ

ان هذه الأبيات كما نرى يكثر بها التكرار والسرد وذكر الوقائع
وتضخيمها واحتاطتها بهالة عامة من الانفعال الحماسي فذكر أعلاماً
من أعداء تغلب وموقع بعضها كان النصر فيها لهم على أعدائهم

(١) نقائض جرير والأخطل : ٨١ - ٢٦ .

(٢) حَائِرَةَ الْمُلُوكِ : يعني مجتمعهم ويقصد عمرو بن هند الذي قتلته
عمرو بن كلثوم .

(٣) الْهُدَيْلَ : من بني حرقة وهو : ابن هبيرة التغلبي ، وإراب : ما
لبني رياح . انظر: نقائض جرير والأخطل : ٢٧ .

وتوجد في هذه الأبيات بعض الومضات التصويرية التي ترقى بها إلى درجة مقبولة من درجات الفن الشعري بعد أن ضمن السياق اشارة معنوية إلى قصة "عمرو بن كلثوم" الذي قتل عمرو بن هند "وكذلك عصم بن النعمان التغلبي" الذي قتل "شرحبيل بن الحارث" (١)

وقد امتدح قومه بأنهم "خر العيون" هذه الصفة التي لا يغيب فيها ، وقد أشار في شيء من الإيجاز إلى ما وقع بينهم وبين بنى ضبة فأصابوا منهم الشيء الكثير وقد دخلوا على "شقيق الضبي" وأمراته (٢) في بيته وقد غزوه بجيش جل فرسانه من الأرقام ليسوا بعزل ولا أكفال بل سلاحهم كامل وهم متربون برکوب الخيل والثبات على دوابهم في المعارك . ويفتخر بأن قومه مصالحت شجعان أقواء يستأصلون جرثومة الشر أينما وجدت : (٣)

لَقَدْ عِلِّمْتُ هَذِي الْقَبَائِلَ أَنَّا مَصَالِيْتُ جَدَّاً مَوْنَ آخِيَةَ الشَّفَّابِ (٤)

ويفتخر بأنهم فضلا الناس بخصال عديدة منها الكرم ، وحماية الجار والشجاعة إلى غير ذلك من الخصال الطيبة (٥)

فَضَلَّنَا النَّاسَ أَنَّ الْجَارَ فِينَا مِجِيرًا وَأَنَّ جَارِ يُسْتَجَارُ

(١) عصم بن النعمان - ابن مالك بن عتاب أبو حتش وهو ابن عم عمرو بن كلثوم - الشاعر المعروف - قاتل شربيل بن الحارث الملك آكل الموار انظر جمهرة الأنساب لابن حزم : ٤٣٠ .

(٢) شقيق من بنى ضبة ونمرة امراته ، وقد أغاث الهذيل على بنى ضبة فأصاب فيهم وسبها منضورة بنت شقيق . انظر النقائض : ٧٧ .

(٣) نقائض جريروالأخطل : ٩٨ (٤) آخِيَةَ الشَّفَّابِ: أي الأصل الثابت/النقائض

(٥) المصدر السابق : ١٢٨ .

وَإِذَا الْعَذْرَاءُ أَخْرَجَهَا الْقَتَارُ (١)
 كِبَاسَ الْقَوْمِ قَدْ عَلِمَتْ نِزَارُ (٢)
 وَنَعْلَمُ أَنَّ جُبْنَ الْقَوْمِ عَارُ
 كَأَفَوَاهِ النَّعَادِ لَكَ شَرَارُ (٣)

وَإِنَّا نُطْعِمُ الْأَضِيافَ قِدَمًا
 وَإِنَّا لِضَارِبِونَ إِذَا لَقِينَا
 نَدِيفُ فِي الْكَرِيمَةِ عَنْ بَنِينَا
 بِضَرْبٍ لَا كَفَاءَ لَهُ وَطَعْنَ

فهو يتغنى بـ ما ثر قومه في معرض فخره فهم سادة ملوك يعز بهم الجار حتى يغير المطاردين ، وأن الأضياف تقصدهم في أيام الشدة والجدب ، ويطولاتهم لا يجهلها أحد في أيام الصراع والقتال ، وهما ينضوي تحت قبيلته تغلب ويميل معها حيث مالت شأنه في فخره القبلي كله ، ويفخر بيكر وتغلب معاً مجدداً مافي نفسه من حب وولاً لهاتين القبيلتين الشقيقتين :

وَإِذَا سَمِعَ الْمَجْدَ فَرِعَا وَائِلَ
 وَاسْتَجْمَعَ الْوَادِي عَلَيْكَ فَسَالَ (٤)
 وَهُوَ يَرِيدُ بِفَرْعَى وَائِلَ هُنَا : بَكْرٌ وَتَغْلِبٌ ، ثُمَّ يَأْتِي بِجَوابِ الشَّرْطِ
 فِي الْبَيْتِ الثَّانِي فَيَقُولُ :

كُنْتَ الْقَذَى فِي لَحْىِ أَكْدَرَ مُرْبِدٍ قَذَفَ الْأَثْرَى بِهِ فَضَلَّ ضَلَالًا .

وهو يتغنى بهذه الحال الحميدة كثيراً ويزجيها في مفاخره مصوراً تلك المكارم التي يحظى بها التغلبيون . (٥)

(١) التعبير هنا باخراج القتار للعذراء إنما هو كناية عن القحط ، والقتار هو ريح اللحم المشوى / انظر : نقائض جرير والأخطل ١٢٨ ، والمصباح المنير (قتر) . (٢) كيش القوم : رئيسهم وسيدهم .

(٣) لا كفاء له : أى لا مشيل له وله شرار مثل شرار النار المتطاير / نقائض جرير والأخطل ١٢٨ . (٤) المصدر السابق : ٨٣-٨٢ .

(٥) شعر الأخطل : ٥٤٩/٢ .

وَإِنَّا لَقَوْلُونَ لِلأَخْطَلِ قَوْلَنَا
يَكُونُ بِنَا مَمْوُنَهُ وَأَشَائِمُهُ
وَبِالشَّرِّ حَتَّى يَسَّأَ الشَّرَائِمُهُ
وَإِنَّا لَجَزَاؤُنَّ بِالْخَيْرِ أَهْلَنَا

ويهتز وجدان الأخطل لصلابة قومه وشدة صمودهم للأعداء وقد أطربه
هذا الصمود وهذه الشدة . (١)

فَإِنَّ صَفَّاً تَغْلِبُ لَا تَلِمِينُ
إِذَا لَأَنَ الصَّفَا عَنْ طُولِ نَخْسِتِ
وَأَطَّتْ صَخْرَةً فِيهَا زَبُونُ (٢)
فَكَانَ لَنَا وَلِلْجَبَارِ دِينُ (٣)
فَقَبْلَكَ رَامَهَا الْجَبَارُ فِينَا

فمهما ألت بالتلغليين من أحداث فانهم لا يلينون لها ، ولقد يليس
الصخر الأصم من دونهم ومهمها تأب عليهم الأعداء فانهم سيرتدون
خائبين . ويستمر في فخره بأن قومه يقتسمون على الجبارية دونهم
بحيوشهم الكثيفة الласبة للدروع والخوذ فلا أحد ينال منهم منالا
لعلو مجدهم وشجاعتهم . (٤)

وَكَنَّا إِذَا الْجَبَارُ أَغْلَقَ بَابَنَا
تَسِيرُ وَنَكُونُ الدَّارِعِينَ الْقَوَافِسَا
يَجِدُ أَثْرًا بَعْدًا وَعِزًا خَنَابِسَا (٥)

(١) شعر الأخطل : ٥٦٣/٢ .

(٢) أطت الصخرة : أي صوت . وزبون : جمع زبن وهو القطع والدفع .

(٣) المراد بالذين هنا : الحال .

(٤) شعر الأخطل : ٥٢٨/٢ .

(٥) البَقْ : يزيد به هنا الواسع الضخم ، والخَنَابِسَ : الشديد
الرفيع ، والقوافيس : جمع قوسن وهو أعلى البيضة ، وأراد هنا
البيضة نفسها .

كما يفتخر بأنه تغلبى الأصل نما عوده فى أبناء هذه القبيلة وهزه
كرم عريق ، وقد شبه أصله الكريم بشجرة عظيمة نمت وأينعت وأنه
لا يتسامى على أجداده أحد فى الفضل والسؤدد ، ويشيد كذلك
ببكر فيقول : (١)

أَلَمْ تَرَأَنَّ عُودِي تَغْلِبَتِي
 فَسَلَّنِي بِالْكَرَامَةِ فَلَمَّا قَوْمِي
 وَقَوْمِي تَغْلِبَتِي وَالْحَمِيْيَّ بَخْرَتِي
 نُسَارَهُزَهُ كُرَمَهُ فَطَالَ
 كُرَمَهُ لَا أُرِيدُ بِهِمْ بِرَدَالَهُ
 فَمَنْ هَذَا يُوازِنُنَا فِضَالَهُ

كما ينساني في فخره القبلي هذا فيصور قومه بأنهم أصحاب حلم وأخلاق ، وأنهم ليسوا ذوي طيش وجهل وهذه صفات ينبغي على الانسان الكريم أن يصونها ويتحلى بها . ويستمر الأخطل في فخره فيصف هيئة قومه وأنهم يلمسون الثياب الفاخرة فلا يقترون على أنفسهم لأنهم كرماء وأنهم يخرسون من يتقول عليهم وهم أصحاب العدد والعدة والأحلام النقال ويشبههم بالبحر في فيضانه .

وإذ قد ملکوا على الناس هذه الصفات فلا أحد يساميهم
ويعادلهم الا قريش لأن منها الخلفاء فهم الذين يكافئون تغلب . (٢)

(١) هذه الأبيات من قصيدة مطلعها :

فِيَاضاً حَبَّى بِنَا أَلْمَانَا عَلَى دِمْنِ نَسَائِلُهَا سُؤَالٌ
لِمَ يَذَكُرُهَا سُعْقٌ شِعْرُ الْأَخْطَلِ د. فَخْرُ الدِّينِ قِبَاوَةُ.

وقد وجدت هذه القصيدة في نسخة جديدة من ديوان الأخطل ببغداد ونسخة أخرى في يد العلامة القانوني "أوجينيو غربني" في مدينة ميلانو وهذه القصيدة تتالف من اثنين وستين بيتاً، أغلبها في الفخر.

انظر مجلة الشرق العدد ٦ ص ٤٣٣، والعدد ٢ ص ٤٢٥ .

^{٢)} انظر مجلة الشرق ٤٣٣/٦، ٤٢٥/٢٠.

شَابُ الْخَرَّ تَبَذَّلُ ابْتِدَا
 فَلَمْ تَرُكْ لِذِي قِيلٍ مَقَالًا
 تَرَى عَدَدًا وَأَحْلَامًا ثَقَالًا
 أَسْنَا خَيْرًا مَنْ وَطِيَ النَّعَالَ
 تُصَانُ حُلُومًا وَتَرَى عَلَيْنَا
 فَكَمْ مِنْ قَائِلٍ قَدْ قَالَ فِينَا
 وَسَلَّمَ عَنَا فَإِنْ تَنْظُرْ إِلَيْنَا
 فَمَنْ يَعْدِلُ بِنَا إِلَّا قُرْيَشٌ

وقد أغرق في البيت الأخير غالغ إلى حد غير مقبول حينما جعل
 تغلب خير من وطى النعال ، وهو مع نشوء الفخر قد نسى نفسه
 وقبيلته ومن يكونون فليسوا خير الناس بل هم من أرذل البشر
 لأنهم رجس لم يدخلوا في الاسلام الذي يطهر القلوب من أدرانها
 ويخلص العبودية لله وحده لا شريك له . فكيف يكونون خير الناس؟
 وبخت خيل قومه بتصيب كبير من فخره ليجسد بالتالي شجاعتهم
 وقادتهم ، فيصور بشيء من التهويل والتفضيل خيلهم وقد ضمرت
 وهزلت من الطراد فيقول : (١)

وَطِيمَرَةٌ (٢) أَثْرُ السَّلَاحِ بِنَحْرِهَا وَتَحَالُ فُوقَ لَبَانِهَا جِرَيَا
 قُبَّ الْبَطْوَنِ (٣) قَدْ انْطَوَيَنِ مِنَ السَّرَّى وَطِرَادِهُنَّ إِذَا لَقَيْنَ قِتَالًا
 مُلْحَ الْمُتُونِ كَانَتَمَا أَلْسَتَهَا بِالْمَاءِ إِذْ يَسِّنَ النَّضِيجَ جِلَالًا
 وَلَقْلَ مَا يَلْقَيْنَ إِلَّا شُرَبَّا (٤) يَرْكَنُنَ مِنْ عَرَضِ الْمُنِيَّةِ حَالًا

ففي هذا الفخر يتسامي بهذه الخيل إلى درجة عليا من الشجاعة

(١) النقائض : ٢٥ - ٢٢ .

(٢) الطِيمَرَةُ : فرس أنشى وثابة وهي الطويلة القوائم وهي من الخيول الجياد

(٣) أى جمع قباء وهي الضامرة .

(٤) الشرب : أى الضمير .

والاقدام فهى لكترة ارتياها لعيادين القتال أصبحت مضرجة نحورها بالدماء وكأنها قد صبغت باللون الأحمر وهي ضامة قد انتابها الهزال لكترة سيرها ولكنها متعرضة بالجوع الشديد لأنها فى قتال مستمر فى الليل والنهار مع الأعداء . ويصور شدة الكفاح الذى قامت به هذه الخيول من خلال تمثيله للعرق الذى نضج وتصب منها فهى خيل لا تلتفى الا ضامة ، وهذه صورة مطولة للخيول وقد تضرجت نحورها بالدماء وضمرت بطونها وبدا هزالها الى آخر هذه الصورة الحسية التى يريد من خلالها تصوير شجاعة قومه . وقد شبه خيبتها بخوب السباع فهى تبدو فى جريها وكأنها معجبة بنفسها لأنها جياد أصيلة .

ويضى فى فخره مجدًا القوة محتفلا بها وكان سنابك الخيول تقع أذنه فيطرب وينتشى لخيل قومه قائلا : (١)

إِنَّا لَنَقْتَادُ الْجِيَادَ عَلَى الْوَجَىِ
نَعَوَ الْعِدَى بِمَسَاعِرِ أَبْطَالٍ (٢)
وَنَسِيرُ فِي الشَّغْرِ الْمُخْفِفِ فِجَاجَةً
بِسَلَاهِبٍ جُرْدِ الْمُتَّوْنِ طِوَالٍ (٣)
خُوصٌ كَانَ شَكِيمٌ مُعَلَّقٌ
يَقْتَأِرُدِينَةَ أَوْجَدُونَعَ أَوَالِ (٤)
مِنْ كُلِّ أَدَهْمَ كَالْفَرَابِ سَوَادَهُ طَرْفٌ وَأَخْمَرَ كَالْأَدِيمَ شَالِ (٥)

(١) شعر الأخطل : ٦٩٤ / ٢ - ٦٩٧ .

(٢) الْوَجَىِ : أن يشكو الفرس باطن حافره ، والمساعر : جمع مساعر وهو الفارس الذى يقود النار للحرب .

(٣) السَّلَاهِبُ : جمع سلهب وهو الفرس الطويل الجسم ، والجُرْدُ : جمع أجرد وهو الخيف الشعر . (٤) أَوَالِ : اسم قرية بالبحرين (٥) الْأَدَهْمُ : الأسود ، والطرف الكريم ، والآدِيمُ : الجلد المدبغ ، ونُسَالِ : أى سريع .

يُسْقِي الرَّبِيعَ يُصَانُ غَيْرَ مُصَرَّدٍ
 مَحْضَ الْعِشَارِ وَقَارِصَ الْأَشْوَالِ (١)
 وَدَنَا الْمَعَارِلَهَا فَهُنَ شَوَّارِبٌ
 خَلَلَ الْمَطْرَى كَانَهُنَّ مَغَالِي (٢)
 يَمْشِينَ إِذْ طَالَ الْقِيَادُ عَلَى الْوَجْهِ
 نَحْوَ الْعَدُوِّ كَمَشَةِ الرَّئَبَالِ (٣)

وهنا نجد أنه يصور خيل قومه في موقف حماسي معظمًا صفاتهم وخصائصها التي تبرز الصفة البطولية للتغلب ،فهم يسيرون بها في الأماكن الطويلة المظلمة ،ويدقق في وصف هذه الخيل معظمًا فخره بهذا الوصف فيصورها غائرة العيون لأن حديدة نعها معلقة بالرمح أو بجذوع النخل إذًا فهي شامخة باستعمار . وهي خيسول أصيلة ذات صهيل مجلجل اذ يخرجون بها في الصباح للغارة وكلها نشاط وقوة وهي تتفاوت في ألوانها في بعضها أسود وبعضها أحمر وكلها جرد أعدتها تغلب للحرب فأكرمتها وسقطها اللبن الصافي المحض فهي عندما تهم بالغارة تبدو خفيفة كالسهام والأسود نسبي سرعة انقضاضها .

(١) المَحْضُ : هو اللبن الحالص . والعشار : جمع عشراء وهي الناقلة التي مضى على حملها عشرة أشهر ولما تضع . وهنا ي يريد النواق التي وضعت حملها لأن العشار يطلق على النوق الحوامل اذا وضع بعضها وبعضاً لم يضع . والقارص : الحامض من لين الابل والأشوال : جمع شول وهي الناقلة قل لبنتها بعد تناجها بستة أشهر .

(٢) ي يريد بالمعالي : السهام .
 (٣) الرَّئَبَالُ : من أسماء الأسد والذئب .

ويزيد من فخره أن قومه يصونون هذه الخيل ويكرمونها
وينزلونها من أنفسهم منزلة الأهل فهى خيل مقربات نجيبة أصيلة (١)

إِذَا مَالَخَيْلُ ضَيَعَهَا رِجَالٌ
تُقَاسِمُهَا الْمَعِيشَةُ إِذْ شَتَّوْنَا
نَصُونُ الْخَيْلَ مَا دُنْدَنَا حُضُورًا
وَنَبْعَثُهُنَّ فِي الْفَارَاتِ حَتَّى
وَكَلَ طِمِرَةٌ جَرَدَاءٌ تَسْرِدِي
أَصَابَتْ مِنْ عُزَّاً قُلُومٌ جَهْدًا
إِذَا مَلَّتْ قَوَارِسْنَا وَكَلَّتْ
جَنَائِنَا الْعِنَاقُ لَهَا صَهِيْلٌ
إِذَا نَادَى مَنَادِيْنَا رَكِيْنَا
فَهُنَّ إِلَى الصَّبَرَاحِ مُجَلَّحَاتٍ
عَوَاسِنٌ بِالْقَنَسَا مُتَوَاتِرَاتٍ
بِهَا يُلْنَ غَرَائِبٌ مِنْ سِوانِسَا

عِنَاقُ الْخَيْلِ زِدَنَاهَا كَلَّا
يَقُودَ الْفَحْلَ صَاحِبَهُ مُذَلَّا
شَرَى الْأَضْلَاعَ بَادِيَةً هُزَّالًا
يُعْرِقُ مِنْ جُزَارِتِهَا السَّحَالَا (٢)
بِأَيْدِيْنَا يُعَارِضُنَ الْمِغَالَا (٣)
إِلَى الدَّاعِي فَطِئْنَ بِنَا عِجَالَا
بِنَا يَقْعِنَ إِنْعَانًا رِسَالَا (٤)
شَرَى الْأَبْطَالَ يَعْلُوْنَ التَّهَالَا (٥)
وَأَخْرَزَنَا الْفَرَائِبَ أَنْ شُسَالَا

(١) انظر مجلة الشرق العدد ٤٣٣/٦ والعدد ٤٢٥/٢ .

(٢) الجَزَارَةُ : السيدان والرجلان والعنق لأنها تستبقى للجزار ولا تدخل في الميسرة .

(٣) الجَنَائِبُ : جمع جنبية وهي الخيل يتتجنب ركوبها الا في القتال .

(٤) التَّجْلِيْحُ : السير الشديد . والرسال : جمع رسالة وهي الفرس النشيطة السريعة العدو .

(٥) مُتَوَاتِرَاتٌ : أي متتابعات .

والأخطل في هذه الأبيات ينخر بأنهم يكرمن الخيل ويجعلونها في بيوتهم كعيالهم مما يدل على حبهم الكبير لها وفروسيتهم وشجاعتهم فقد قاسموها المعيشة وكسونها أجمل الأكسيه صيانة لها ورعايه وقت السلم حتى اذا ما استعرت نار الحرب أذاقوها ألوانا من التعب وكلفوها الكثير من الجهد فهى معدة لهذا ، ويستطرد في وصف الخيل التغلبية مما يعكس شجاعتهم وشدة بطشهم وسرعة نجدتهم وتمرسهم بالقتال فقد قادتهم هذه الخيل الى النصر فقتلوا الأعداء وسبوا النساء مستحضرها صورة أخرى للخيل التغلبية فيقول : (١)

عَلَيْهَا الْأَرْدُ غُصْنًا وَالنَّمَارُ (٢) مِنَ الْغَارَاتِ وَالْغَزُورِ اقْوَارًا وَأَجْرَدَ مَا يُشَطِّطُهُ الْخَبَارُ بَدَثَ مِنْهُ الْجَنَاحُ وَالْفَقَارُ يُطِيقُنَ بِهِ كَمَا قَلَقَ السَّوَارُ زَهَاءُ يَوْمٍ رَائِحَةٌ قِطْسَارُ	وَأَوْلَادُ الصَّرِيجِ مُسَوَّمَاتٍ شَوَارِبَ كَالْقَنَاقَدِ كَانَ فِيهَا ذَوَابِلَ كُلَّ سَلَبَيَةٍ خَنُوسِيٍّ فَأَتَرَزَ لَحْمَهُ التَّعَدَّادُ حَتَّى وَقَدْ قَلَقَتْ قِلَادَهُ كُلَّ غَنِيٍّ تَرَاهُ كَانَهُ سِرْخَانٌ طَلَّ
---	---

صور الخيل هنا تصوبرا يوميًّا بأنهم رجال حرب وقد تسامت وتعاظمت بطولاتها الشبيهة بالمعاناة الإنسانية فهى متحفزة للقتال تخوضه بجلد وصلابة قد أعيتها الكروافر حتى هلكت وذاب لحمها وتقلقلت أعنتها وتناثرت أضلاعها ..

(١) شعر الأخطل : ٢٨١/١ - ٢٨٢ .

(٢) الصَّرِيجُ : فعل تنسب اليه النجائب من الخيل ، والمسومات : المعلمات ، والأَرْدُ : الأَرْد جمع أَرْد وأَرَاد بنى أَرْد بن ربيعة ، والغضف : جمع أغضف وهو الكثير الوبر ، والنمار : جمع نمر ، وأَرَاد بنى النمر من ربيعة .

و رغم هذه الصورة المتناهية في الضعف والهزال التي رسمها لها فانها لاتزال تنقض كالأسود .

و حينما تتبع فخر الأخطل بخيل قومه نجد أنه قد صورها صورتين متباينتين . فهى في الأولى ضامرة هزلة أعيها السير والتعداء إلى القتال ، وفي الثانية عظيمة حبيبة حللت من نفوسهم محل عيالهم يسوقنها اللبن الخالص ولا يقترون عليها حبا و كرما منهم لها ومع هذا فهم لا يبالون براحتها وقت القتال اذ يركبون بها الوعر والخطر وقد أعدوها لذلك فهى ضامرة كالسهم لا تحفل بالتعب والاعباء . مفتخرا بأن هذه الخيول قد قادتهم إلى النصر المؤزر

فسبوا شاء الأعداء بينما بقيت نسائهم في مأمن من الصبي (١)

بِهَا يُلْنَا غَرَائِبَ مِنْ سِوانَا
وَأَحْرَزَنَا الْقَرَائِبَ أَنْ تَنَالَ
بِمَرْدَفَةٍ عَلَيْهَا الْقِدْحُ جَاهَا
وَمَا تَحَتَ السَّمَاءَ لَنَا إِنْ أَخْتَ
فَمَا قَامَتْ لَنَا قَيْسٌ نِضَالَا
تَنَاهَلَنَا وَهَلَّ النَّاسُ عَنَّا

ويقدر ما يفتخر بشجاعة قومه المتمثلة في الكر والفر ، وامتلائهم صهوات الجياد النجيبة لخوض المعارك ، وما أضافه على هذه الخيول من صور البطولة والعظمة - نجد أنه كذلك يقرن هذه الشجاعة بكرمه المتناهى في العظمة فيدعى أن قومه فاقوا جميع الناس في الضيافة . (٢)

أَلَسْنَا نَحْنُ أَقْرَاهُمْ لِضَيْفٍ
وَأَفَاهُمْ إِذَا عَقَدُوا حِبَالًا (٣)

(١) انظر مجلة الشرق العدد ٤٣٣/٦، ٤٢٥/٢٠ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) عَقَدُوا حِبَالًا : أى أعطوا عهدا .

وهو في هذا الفخر يعتمد على صيغة التفضيل التي تم عن
الاطلاق وهذه في الواقع عاطفة جائحة من الشاعر نحو قومه فهم في
نظره "الأوفي ، والأقرى " وهم من أكثر الناس نجدة للطارئ الغريب
الذى ينطبع ديارهم فبنال نوالهم ، وهذه المعانى ليس فيها ابتكار
ولا جدة ، ولكنها معان مطلقة يحاول من خلالها تصوير هذا
الكرم من خلال حبهم للضيف فهم لا يتخلون بالعلل والأعذار حرصا
على مالهم ويخلا به ولكنهم يبذلونه رخيصا ، يشهد بذلك الضيفان
أنفسهم فهم ينبعون ديار تغلب طلبا للقرى في الوقت الذي تشتد
فيه الريح الشمالية الباردة ، وهذا المعنى مطروق منذ القدم ، ويرى
أن قومه لا يقتصرن على اكرام ضيفهم مادام حالا ومقينا عندهم
بل انهم يراعون كذلك جواره عندما يرتحل عنهم فهم يتبعونه الاكرام
أينما حل وارتحل .

ويقول في صورة أخرى معظمها هذا الكرم : (٢)

(١) الرِّفْدُ : العطاء، والاعانة.

(٢) البرك : جمع بروك وهي الابل المقيمة .

(٣) شعر الأخطل : ١٠٢ / ١ - ١٠٨

هَدَاجُ الرِّئَالِ تَكْهِنَ شَمَالًا
حَتَّى يَبْيَسَ عَلَى الْعِضَاءِ جُفَالًا
قَبْلَ الْعِيَالِ وَنَقْتُلُ الْأَبْطَالَ

وَلَقَدْ عَلِمْتِ إِذَا العِشَارُ^(١) تَرَوَحَتْ
تَرْمِيَ الْعِرْضَاهَ بِحَاصِبِهِ مِنْ ثَلْجِهَا
أَتَأَ نَعْجَلُ بِالْعَيْطِ لِضَيْفَهَا

فيقين هنا بين الكرم والشجاعة وأنهم يفضلون الضيف على الأهل
والولد ، ومع ذلك فالشجاعة ديدنهم فهم يفتكون بالأبطال .

ومن الحاحه في الكرم وافتخاره بأن قومه كrama يصف تلك الابل
التي أعدوها للضيغان فهى محبوسة فى مرابطها لاتتعداها تحسبا
لعرقها لضيق يطرق فى أية ساعة .

إِذَا اللَّيلُ وَأَفَاهَا بِأَشْعَثِ سَاغِبِهِ^(٢)
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَعْسِلِ حَالِبِ
تُطْبِقُ أَوَابِهَا بِأَكْلَفِ شَالِلِهِ
وَلِنَ أَصْبَحَتْ شَهْبَ الدُّرَى وَالْغَوَارِبِ
وَنَابَ رَهَنَاهَا بِأَغْلَى النَّوَافِيرِ
أَوْئِنَ لَهُ مُشَيِّ الشَّاءِ الْلَّوَاعِرِ
إِذَا جَاؤَ الْحَيْزُومُ تَرْجِيْعُ قَاصِبِ
إِذَا شَوَّتِ الْجَوَاءُ وَقَقَ الْجَنَادِبِ

وَمَحْبُوسَةِ فِي الْحَيَّ ضَامِنَةِ الْقِرَارِ
مُعَقَّرَةِ لَا تُنْكِرُ السَّيْفَ وَسَطَهَا
مَرَازِيجُ فِي الْمَأْوَى إِذَا هَبَتِ الصَّبَا
إِذَا اسْتَقْبَلَتِهَا الرِّيحُ لَمْ تَنْقِلْ لَهَا
إِذَا مَالَدَمُ الْمَهْرَاقُ أَضْلَعَ حَمْلَهُ
إِذَا مَابَدَا بِالْفَيْبِ مِنْهَا عِصَابَةُ
يُطِقْنَ بِرَيْنَافِ كَانَ هَدِيشَةُ
تَرْدُ عَلَى الظُّمُرِ الطَّوِيلِ بِطَافَهَا

(١) العِشَارُ : جمع عشراء الناقة التي مر على حملها عشرة أشهر ، تَرَوَحَتْ : أى رجعت في العشى ، الرِّئَالِ : جمع رأس وهو ولد النعام.

(٢) شعر الأخطل : ٣٤/١ ، والأشعش الساغب : الجائع .

(٣) "المَرَازِيجُ" الشقال في مباركتها . "وَالْأَوَابِي" بكارتها التي أبت أن تلقع في عامها .

فهذه الابل العازب لها ثلاث خصائص تكمن في احتباسها في الحى
وقيامها في المأوى وليس في العراء وثقل لحمها فهى تعلف وتترك
في أماكنها تحسبا لأى طارىء ، وهى من أبكار الابل تألف مواقعة
الفحل . وعقر الابل للضيغان خاصة لا توجد الا عند العرب وهذا
منتهى الكرم الأصيل ، وهذه الابل أعدتها تغلب نفيسة غالبة تغدوى
بها الديات وتقتدى بها الأرواح . وقد رسم الأخطل لها صورتين
متغيرتين وقد جره الى هذا التغاير في التصوير ما عرف عنه من
الاستطراد فقد صورها في الأولى محبوسة في الحى تعلف بعيدة
عن الفحل وهى من الأبكار تغدوى بها الديات . أما الصورة
الثانية فتكتمن في كونها في مرعاها ملتفة حول محلها .

إِذَا مَابَدَا بِالْفَيْبِ مِنْهَا عِصَابَةٌ أَوْ إِنْ لَهُ شَيْءٌ النَّسَاءُ الْلَّوَاغِرِ
وَمِنْهَا يَكُنُّ مِنْ أَمْرِ هَذِهِ الْأَبْلِ فَهِيَ مَعْدَةٌ لِلْقُرَى وَهِيَ مَصْدَرٌ
فَخَرُّ الشَّاعِرِ كَمَا نَرَى .

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

(١) اللها : جمع لهأة ، وهي اللحمة المشرفة على الحلقة .

(۲) مُنَاجِلُهَا : آئی اُنیا بہا۔

(٢) القسطلاني: نوع من القطاف منسوبة إلى قسطلة في الأندلس، والشfan: الريح
الباردة ذات الندى.

اما الفخر الشخصى عند الاختطل فبيدو وأن نصيبيه قليل جدا
اذا ماقيس بفخره القبلى حتى انه عندما يفتخر بنفسه لا يتناسى أن
يشير الى ذروة تغلب التي ينتمى اليها : (١)

وَلِرَبِّي لَمْ يَأْتِيَهُ تَغْلِيبٌ وَأَيْلٌ
لَا طُولَهَا بَيْتًا وَأَثْبَتَهَا أَمْلًا
أَنَا الْجَسِيمٌ (٢) الرَّحْبُ فِي الْحَيٍّ مُنْزَلًا إِذَا احْتَلَّ مَضْهُودٍ بِمُضْنَيَّهِ هَزْلًا
وَعَمَّا يَنْعَمُ الْمَرْءُ عَمَّرُوا وَمَالِكٌ وَشَعْلَيْهِ الْمُولَى بِعَنْطُورَةِ فَضْلًا (٣)
وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّنَا تَغْلِيبٌ أَنْشَيٌ
نُشَارٌ لَمْ أَنْبَتْ بِقَرْقَرَةِ أَثْلًا (٤)
وَلِرَبِّي يَوْمًا لَا مُضِيَّنَعٌ ذِي سَارَهَا وَلَا مُفْلِتٍ هَاجِ هَجاً تَغْلِيبًا بُطْلًا (٥)

انه يفتخر بمجد وسؤده ، لأنه يحل من تغلب علياًها ، ويقيم فى
ارفع بيتهما ، وهو من اشرافها ، اذ انه ارحب الناس منزلة للضيف
الطارىء الذى اخذ منه الاملاق مأخذ ، ولا غرابة فى هذا فاعمامه
هم الذين يفيسون على الناس ، ويغدقون الأموال . وبشهه اصله
بالشجر الصلب الذى ينabit فى أعلى الجبال والذى رسم عوده فى
اعماق الأرض ، فهو الحامى للذمار يدافع عن قبيلته ضد اي شخص
يتعرض لها بالهباء بطل وافترا .

(١) شعر الاختطل : ٤٣١/٢ - ٤٣٢ .

(٢) نسبة الى جسم من الأرقام " والمضهود " الع فهو " والمضنيه " - المعرضة .

(٣) هم " عمرو ومالك ، وشعيبة " من الأرقام . بنو بكر بن حبيب .

(٤) " الأَنْفَاءُ " اي الفروع . و " النُّصَارُ " مانبت فى الجبل ويكون خشبها
صلبا . و " الْقَرْقَرَةُ " الأرض اللينة ، و " الأَثْلُ " شجر لا ثمر له ولا شوك

(٥) الدَّمَارُ : العرض وكل ما يجب على الانسان حمايته .

ولذلك فان أشد الشعراء لا يستطيع ان يقف في وجهه بل انهما
حينما يرونها يهربون خوفا منه . (١)

**إِذَا الشُّعْرَاءُ أَبْصَرُ شَنِي تَشَلَّبُ
مَقَاحِيمُهَا وَأَزُورُ عَنِي فُحُولُهَا**

ويفتخر بأنه رزين فليس بالخفيف الذي يستخف لما يطرأ من الأمور
العارضة ، وأنه عندما يصيبه الدهر بمصائبها فإنه لا يشك ولا يتضجر (٢)

**وَمَا يَزَدُ هِينَيِّ فِي الْأَمْوَارِ أَخْفَهَا
وَلَكِنْ جَلِيلُ الرَّأْيِ فِي كُلِّ مُوْطِنْ
وَمَا يَزَدُ هِينَيِّ فِي الْأَمْوَارِ أَخْفَهَا
وَأَكْرَمُ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ جَلِيلُهَا**

وقد ترد في فخر الأخطل الشخصي بعض الأسماء : "جسم ، والهذيل
وابيه غوث " يقول متاخرا بجسم : (٣)

**إِذَا هَبَطَنَ مَنَاحًا يَنْتَطِحُنَ بِهِ
كَرْعَاءُهُ إِنْ خَافَ أَقْوَامٌ وَإِنْ أَمْسَوْا
أَحْلَاهُنَّ سَكَانًا مَا عَافَهَا جَسْمُ**

كما يفتخر بالهذيل الذي أغاد على بنى رياح بن يربوع في يوم اراب (٤)
ولقد سما لكم الهذيل فنالكم
بابا رب حيث يقسم الأنفال .

كما يفتخر بأبيه غوث قائلة : (٥)

(١) شعر الأخطل : ٦٢٦/٢

(٢) **مَقَاحِيمُهَا** : جذعنها والجذعان جمع جذع وهو الشاب الفتى من الخيل
وقد شبه الشعراء هنا بالخيل .

(٣) شعر الأخطل : ٦٢٦/٢ . (٤) شعر الأخطل : ٤٢١/٢ .

(٥) نقاءض جرير والأخطل : ٢٢ . (٦) شعر المخطل : ٧٤٩/٢

أَلَا جَعَلَ اللَّهُ الْأَخْلَاءَ كَلَمَّا
فِدَاءً لِغَوْثٍ حَيْثُ أَصْبَحُوا
فَغُوْثٌ فَتَّى الْغَلَبَاءِ تَفْلِبَ لِلنَّدَى
إِذَا عَيَّ أَقْوَامٍ لِئَامٍ وَقَرَدَ حَوْا

ويتسامي في هذا الفخر الشخصي ليصل إلى عمرو بن كلثوم التغلبي
قاتل عمرو بن هند ، وكذلك عاصم بن النعمان التغلبي قاتل شرحبيل

(١) ابن العارث (١) فيقول مفاخرًا في معرض هجاء بنى كلثيم (٢)

أَبْنَيْ كَلَيْبٍ إِنْ عَمَّيَ الَّذِي
قَتَلَ الْمُلُوكَ وَكَكَّا الْأَغْلَالَ

ويختبر بكرمه الشخصي فيأتي بصورة فنية مطولة حيث يقول : (٣)

بِصُوتِي فَاسْتَعْشَى بِنَضْوٍ تَرَعَّمَا (٤)
وَسُسْتَبِحُ بَعْدَ الْهُدُورِ دَعَوَةً
سَحَابَةً مُسَوَّدَةً مِنَ اللَّيلِ أَظْلَمَهَا
فَجَاءَ وَقَدْ بَلَّثَ عَلَيْهِ شَيَابَةً
إِذَا نَهَيَ الْمُبْلُودُ فِيهَا تَغْمُمَا (٥)
وَفِي لَيْلٍ لَا يَنْبَغِي الْكَلْبُ ضَيْفَهَا
إِذَا نَهَيَ الْمُبْلُودُ فِيهَا تَغْمُمَا (٦)
عَلَمَا أَضَاءَتْ لَنَا النَّارُ وَأَصْطَلَهَا
أَنَّا ضَيْلًا صَوْتُهُ حِينَ سَلَمَا (٧)
فَنَبَهَتْ سَعْدًا بَعْدَ نَوْمِ لِطَارِقٍ
وَلِنَ كَانَ قَدْ لَاقَى لَبُوسًا وَمَطْعَمًا
فَقُلْتُ لَهُمْ هَاتُوا ذَخِيرَةَ مَالِكٍ
فَقَالَ أَلَا لَا تُجْشِمُوهَا وَلِنَمَا (٨)

(١) انظر نقائض جرير والأخطل : ٢٣ - ٢٤ .

(٢) المصد السابق : ٢٣ .

(٣) شعر الأخطل : ٦٠٠ - ٥٩٩ / ٢ .

(٤) النَّضْوُ : بغير أضناه السفر . تَرَعَّمَا : ضعف رغافه .

(٥) الْمُبْلُودُ : الثقل البليد . وَالْتَّغْمُمُ : الكلام الضعيف غير المفهوم

(٦) الْهِجَّ : الجافى الغليظ . (٧) سَعْدٌ : غلام للأخطل .

(٨) الْمُكَرَّعَاتِ من الأبل الذى أدخل للاصطلاء من البرد وغشها الدخان

فاستودت أعناقها .

وَرِشْتَيْ لَحَلَالٍ بَيْنَ الْحَقِّ أَنْتَيْ
إِذَا نَزَلَ الْأَضْيَافُ أَنْ تَجْهَمَ
إِذَا لَمْ تَذَدْ أَلْبَانَهَا عَنْ لُحُومِهَا حَلَبَنَا لَهُ مِنْهَا بِأَسْيَافِنَا دَمَا

وهذه الصورة الفنية الرائعة حقا هي من أجود الصور القصصية النادرة ، ولعلها تكون الوحيدة في فخر الأخطل يبين من خلالها حالة ذلك الضيف الذي أدركهم وأصطلي نارهم في تلك الليلة الهدئة . ثم يصور هذا الضيف وقد بدا غليظا متہشم الوجه قد أله الاقامة في الأمكنة الموحشة وقد نبه الأخطل سعدا ليقوم بحق الضيافة لهذا الضيف الذي يكاد يفقد صوته من شدة الاعباء فأکرمـه ثم زودـه بذلك الإبل لتكون عونـا له .

ويستمر في توضيح الصورة التي تتم عن كرمـه فيقول : انه يحلـب للأضياف حتى اذا لم تفـ ألبـانـها بالغـرضـ حلـبـها بـسيـفـهـ لـحـماـ نـاضـجاـ لـلـأـضـيـافـ دونـ أنـ يـتجـهمـ بلـ يـبـقـىـ فـرـحاـ سـرـروـراـ . وـغاـيـةـ ماـ هـنـالـكـ أـنـ الأـخـطـلـ لمـ يـطـلـ فـيـ فـخـرـهـ الشـخـصـيـ ، وـلـمـ يـنـطـلـقـ فـيـهـ نـفـسـيـهـ مـتـشـعـبةـ بـالـعـالـىـ وـالـمـحـامـدـ فـهـوـ نـصـارـىـ ، وـفـخـرـ بـالـصـلـيـبـ لـيـسـ شـرـفاـ لـهـ لأنـ النـصـارـىـ آنـذـاكـ أـقـلـيـةـ يـعـيـشـونـ وـسـطـ مجـتمـعـ اـسـلامـيـ كـبـيرـ . وـمـنـ هـنـاـ لـمـ يـقـ للـأـخـطـلـ مـيـدانـ فـسـيـحـ يـنـطـلـقـ فـيـهـ وـيـفـخـرـ سـوـيـ كـوـمـ قـوـمـ وـشـجـاعـتـهـ التـيـ ضـخـمـهاـ وـأـغـرـقـ فـيـ غـلـوـاهـ بـعـضـ الـأـحـيـانـ . وـكـذـلـكـ كـوـمـ الشـخـصـيـ وـشـجـاعـتـهـ ، وـفـخـرـ بـأـبـيهـ غـوـثـ فـيـ حـالـاتـ نـادـرـةـ ، أـمـاـ الـصـلـيـبـ وـالـنـصـارـىـ فـلـمـ نـجـدـ لـهـ فـخـرـاـ بـهـماـ سـوـيـ بـيـتـينـ اـثـنـيـنـ فـقـطـ حـيـثـ يـقـولـ فـيـ هـذـاـ : (١)

(١) شـعـرـ الـأـخـطـلـ : ٧٤٤/٢ - ٧٤٥ .

لَمَّا رَأَوْنَا وَالصَّلِيبَ طَالِعًا
 وَمَارٌ^(١) سُرْجِيسَ وَسُمًا نَاقِعَةَا
 كَالْطَّيْرِ إِذْ تَسْتَوِدُ الشَّرَائِعَا
 وَأَبْصَرُوا رَأْيَاتِنَا لَوَامِعَةَا

أما الخمر : فقد افتن في وصفها وافتخر بها كثيراً وشربها
 ولعلها قد طفت على فخره الشخصي فأكثر من التفنى بها وباح بما
 يكتنفه لابنة الحان من حب ووفاء وقد رأى بعض الباحثين المحدثين
 أنه كان يفاخر بالصهباء يزجيها أنفاماً مرسلة ويترسل في وصفها^(٢)
 والواقع أن الأخطل النصراني قد أباح له ديانته أن يصرح
 بشرب الخمر وبوصفها في أي مكان شاء فأكثر من ذلك حتى سيطر
 سلطانها على نفسه ، وأصبحت معشوقه له يسرف فيها القول ، وينكر
 على من ينكر عليه شربها . وهو يعرف أنها ليست مدار فخر بدل
 منقصة ومذلة ، ولذلك أحبها وقربها من نفسه ، ولم يفخر بها كما
 يظن البعض فأصبح شعره فيها شعر حب ووفاء وليس فخرها واعتزازاً .
 وقد كانت متنفساً له يلقى لنفسه العنوان في أن تعبّر التعبير
 الحر غير المقيد وبخاصة إذا وزناً موقفه النفسي من وصف الخمر
 بموافقه الأخرى في الفخر وغيرها تلك المواقف التي كان يشعر فيها
 بضآلته نفسه وبكت مشاعره إذا ما أراد أن يطلق لها العنوان فتصطدم
 بشخصيات الخلفاء القوية التي سرعان ما كانت ترده إلى صوابه والتي

(١) "مار" لفظة سريانية تعنى السيد . و"سرجيس" هو قديس كانت
 تتشفع به تغلب .

(٢) انظر الأخطل الكبير حياته وشخصيته وقيمة الفنية - د . عبد الحليم
 قباوة : ١١٤ - ١٣٠ .

مكانه الحقيقة في مجتمع إسلامي كبير .

ونستطيع أن نستلهم ذلك من خلال الحوار الذي دار بينه وبين الخليفة عبد الملك بن مروان عندما أراد أن يخرج عن طوره في بيته المشهور :

فَإِنْ لَمْ تُفْعِلْهَا قُرْبَسٌ بِطْلَكَهَا يَكُنْ عَنْ قُرْبَسٍ سُتْمَازٌ وَمَزْحَلٌ

وعندما صفعه الخليفة بتساؤله القوي : إلى أين يا ابن الخطاء ؟ .. فاستدرك الأخطل بسرعة وثاب إلى رشده بقوله : إلى النصار يا أمير المؤمنين (١) وبهذا التخلص اللبق من الأخطل استطاع أن يرجع إلى حجمه الحقيقي ويتجنب ايقاع الخليفة به .

xxxxxxxxxxxxxx

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة : ٤٨٥/١ .
وأمالى المرتضى : ٢٦٢/١ .

ومن خلال استعراضنا لمفاخر الأخطل وجدنا أنه يفتخر في
عرض مدحه لبني آية لكنه يخفف نغمة الفخر حتى تتلاشى ، وكأنه
يعلن عليهم وقوفه هو وقبيلته في صف الخلافة .

وقد تبدو معانى فخره صورة لمعانى القدماء فالشجاعة والكرم
وقتل الملوك والأبطال معان مطروقة ليست من ابتكار الأخطل وحده
كما نجده يفتخر برجالات قومه كعمرو بن كلثوم التغلبى ، والسفاح
التغلبى ، والهذيل بن هبيرة كما افتخر بانتصارات قومه على قيس
عيلان وتغنى بهذه الانتصارات كثيرا وبخاصة نقاشه مع جرير .
وقد جاءت صورة الفنية سواء في فخره القبلى أم الشخصى مستمدة
من البيئة تبدو عليها سمة الوصف المجرد للأشياء بعيداً عن الفوضى
في أعماق الصورة وداخلها . ولذلك كان وصفه تقليدياً لما كان
عليه شعراء الجاهلية كما رأينا من قبل .

وان لم يعد فخره كله من لفقات فنية موحية إلا أنها ليست
من الكثرة بحيث تمكنا من الحكم على فخره بالعمق والاستقصاء
لدقائق الصور . وإن كان في وصفه لبعض الأشياء يبدو متعمقاً
وبخاصة ما يتصل ببيئته المحيطة به .



الفصل الثاني

الغرضان

لدى
الفكر زدقة

" الفصل الثاني "

÷ + ÷ + ÷ + ÷ + ÷ + ÷ + ÷ + ÷

* * الغرّسان لدی الفرزدق *

أما العدّي فقد مرّ بثلاث مراحل أساسية في حياة الشاعر، ولعل المرحلة الأولى هي مرحلة بدء العدّي وابتهاج من نعمة الفرزدق اذ لم يكن يدفعه إلى هذا الفرض آنذاك فقر أو حاجة وإنما كانت نظرته إلى ما حوله نظرة المتعالي الذي ليس في حاجة إلى استجداء الخلفاء، والأمراء، والولاة، غير أنه وجد نفسه مندفعاً إلى المدح يزجيء لمن كانت لهم عليه منة، فهو كريم يأسره المعروف وكما قال الحكم الجاهلي :

اللها تفتح التمّى ..

وهذه المرحلة تمثلها أشعاره في عيسى بن خصيلة السلمي (١) وقبيلة بكر بن وائل، وقد وجد عند الجميع الأمان والضيافة الحسنة في أثناء رحلته من العراق إلى المدينة . (٢) وحينما تستقرىء معانى هذه العدائج نجدها لا تتعدى الشكر

(١) وهو من بنى بهز وقد آوى الفرزدق حينما جد زياد في طلبه اذ مكث عنده ثلاثة ليال ثم أعطاه ناقة أرجحية ليركتها إلى الشام. انظر الطبرى

٠ ٢٤٤ / ٥

(٢) استعدى قوم زيادا على الفرزدق وزعموا أنه هجائم، فأرسل في طلبه فهرب ميمما وجهه شطر المدينة حيث وآلها سعيد بن العاص وكان ذلك حوالي سنة (٥٠ هـ) .

أنظر: طبقات فحول الشعراء: ١/٤٠، والعقد الفريد: ٦/٤٢

لعن أنعموا عليه مشيدا بما فعلوه معه ، ولعل هذه الحادثة - وهي خروجه من العراق - كانت سبباً مباشرًا لاتصال الفرزدق بالأمسار ، والخروج من حيز القبيلة والبادية (١) وهو الحيز الضيق إلى مجال أوسع وأرحب وهو أكتاف معظم الخلافة الإسلامية .

أما المرحلة الثانية : فهي مرحلة النضج والكمال لمدائح الفرزدق .

فبعد أن وطد بنو أمية الخلافة ويسطوا نفوذهم على رقعة كبيرة من العالم القديم منذ بداية عهد عبد الملك بن مروان تكر الأشراف وتعددت البيوتات وتدفق المال في أيدي الناس ، وكان لهذه الطفرة المادية والاستقرار الأمني أثر في نهوض شعر المدح في ذلك العصر فاتخذ الشعراء قصور الخلفاء وبيوت الأشراف قبلة لهم يولونهم مدائحهم ويقتنون في عرض تلك المدائح وما الفرزدق إلا واحداً من هذا العدد الكبير من الشعراء الذين قصدوا الخلفاء ، والأمراء ، والولاة ، وغيرهم من الأشراف وعليمة القوم و مدحهم ، يُعد من هؤلاء الحجاج بن يوسف (٢) ،

(١) انظر كتاب الفرزدق للدكتور شاكر الفحام : ٤٠٠ .

(٢) الحجاج بن يوسف بن الحكم الشقفي أبو محمد ، ولد في الطائف سنة (٤٠ هـ) تولى إمارة مكة والمدينة والطائف في خلافة عبد الملك بن مروان ثم العراق إذ مكث أميراً عليه عشرين سنة وتوفي سنة (٩٥ هـ) . انظر سير أعلام النبلاء للذهبي : ٣٤٣ / ٤ .

وابن عمّه الحكم بن أيوب (١) ، وعبد الرحمن بن شيبة (٢) ، وعلی رأسهم عبد الملك بن مروان ومن كان في عصره من الرجال الفضلاء والقادة الكبار ، فقد مدح العباس بن الوليد (٣) ، وعمر بن هبيرة الفزارى (٤) ، وعبد الرحمن بن سليم الكلبى (٥) ، وهلال بن

(١) الحكم بن أيوب بن الحكم الثقفى أمير وهو ابن عم الحجاج قتل في خلافة سليمان بن عبد الملك سنة (٩٧هـ) .
أنظر تهذيب ابن عساكر : ٤/٢٨٩ .

(٢) عبد الرحمن بن شيبة بن أم الحكم بن عثمان الثقفى استخلفه عبد الملك بن مروان سنة (٦٩هـ) على دمشق عندما خرج لبعض غزواته ، ولد في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - وتوفى في خلافة عبد الملك حوالي سنة (٦٩هـ) .
أنظر الأعلام للزرکلى : ٣٢/٣ .

(٣) العباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان أمير من كبار القادة توفي حوالي سنة (١٣١) هـ .
انظر جمهرة الأنساب لابن حزم : ٨٨-٨٩ .

(٤) عمر بن هبيرة الفزارى أمير من الدهاء الشجعان تولى عدة امارات في عهد عبد العزيز ويزيد بن عبد الملك مدحه الفرزدق وهو في السجن فأثنى عليه ، وسار إلى الشام وطلب الأمان من هشام بن عبد الملك فأمنه مسلمة ورضي هشام - توفي سنة (١١٠هـ) .

الأعلام : ٥/٦٨ - ٦٩ .

(٥) عبد الرحمن بن سليم الكلبى . قائد شجاع من قواد الحجاج
انظر الطبرى : ٦/١٤١ ، ٣٤٩ ، ٥٨٤ ، ٥٠٥ .

أحوز المازني (١) وهريم بن أبي طحمة المعاشى (٢) ، والمسور بن عمر بن عباد (٣) . وقد أكثر من مدح الولاة والأشراف والقبائل فأخذ يمدح من يراه حقيقة بالمدح ، ولم يتهاون كغيره من شعراء عصره في هذه المرحلة على أبواب الخلافة والولاة .

ويبلغ الفرزدق ذروة الكمال والنضج بهذا الغرض ابتداءً من مدائحه للوليد وسليمان وسلامة (٤) أبناء عبد الملك . وقد تجلست في مدائحه هذه سمات الفتوة وتعالى المزهو بنفسه والمعتز بنسبه إذ لم يجد له يمدح إلا الكريم الجدير بالمدح متعداً عن التكسيب

(١) هلال بن أحوز التميمي من بني مازن قائد شجاع -
انظر الطبرى : ٦٠٢/٢ .

(٢) هريم بن أبي طحمة المعاشى . من فرسان تميم وسادات بني مجاشع قائد شجاع لا يشق له غبار .
انظر تاريخ الطبرى : ٣١٤/٦ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٥١٣ ، ٥٤٠ ، ٥٨١ . ٥٩٠ .

(٣) المسور بن عباد من سادات أهل البصرة المدحين .
جمهرة الأنساب : ٢٠٢ .

(٤) سليمان بن عبد الملك تولى الخلافة بعد موت الوليد سنة (٩٦هـ) فسار على نهج أخيه وأحسن إلى الناس وفك الأسرى وأخلى السجون ، كان عاقلاً فصيحاً توفى سنة (٩٩هـ) .
وسلامة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم من قيادات
وأمراء بني أمية له فتوحات مشهورة مات في الشام سنة (١٢٠هـ) .

انظر المسعودى : ١٢٢/٢ ، والأعلام : ٢٢٤/٢ .

والأستجداء . (١)

وَمَا سَاقَهَا مِنْ حَاجَةٍ أَجْحَفَتْ بِهَا إِلَيْكَ وَلَا مِنْ قِلَّةٍ فِي مُجَاشِعِ
وَلَكُنْهَا اخْتَارَتْ بِلَادَكِ رُغْبَةً عَلَى مَاسِواهَا مِنْ شَأْيَا الْمَطَالِعِ
فَهُوَ لَا يَرْزَالُ يَشْعُرُ بِشَخْصِيهِ الطَّاغِيَةِ ، وَيَتَنَاهِي مِنْ حَوْلِهِ حَتَّى وَلَوْ
كَانَ الْخَلِيفَةُ ، وَلَا يَرْتَدُ فِي أَنْ يَخَاطِبَ بِصِيَغَةِ الْأَمْرِ تَلَكَ الصِّيَغَةُ
النَّابِعَةُ أَصْلًا مِنْ نَفْسِيَّةِ تَشْعُرُ بِعَظَمَةِ الْإِنْتِمَاءِ وَطَيْبِ الْمُحْتَدِ وَيَطْلُبُ
الْإِغْاثَةَ لَيْسَ لِضَعْفِهِ وَانْتِهَا لِكَرْمِهِ وَتَفَرْدِهِ بِزَعَامَةِ الشِّعْرِ فِي عَصْرِهِ .

أَغْشَنِي بِكُنْهِي فِي نِزَارٍ وَمَقْبَلِي فَإِنِّي كَرِيمُ الْمَشْرِقَيْنِ وَشَاعِرُهُ (٢) !!

وَهَذَا يَخَالِفُ تَلَكَ النِّبْرَةَ الْمُتَهَافِتَةَ عِنْدَ جَرِيرَ فِي قُولِهِ : (٣)
أَغْشَنِي يَأْفَدَاكَ أَبِي وَأَمِي بِسَبِيلِكَ إِنَّكَ ذُو ارْتِبَاحٍ

فَنَجِدُ مدح الغزدق قد تحول إلى فخر وتحول هذا الفخر إلى طلب
صريح بصيغة الأمر يؤكد عراقة الشاعر وأصالته انتماه .

وَنَلْهُظُ عَلَى مَدَائِحِهِ فِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ أَنَّهَا بَقِيتُ مُحْتَفَظَةً
بِطَابِعِ الْجَزَالَةِ وَالْقُوَّةِ وَتَنْوِيَّ الْمَعَانِيِّ ، وَتَدْفُقُهَا ، وَالْأَفْتَنَانُ فِي الصُّورِ
وَهَذَا مَا جَعَلَنَا نُطْلِقُ عَلَيْهَا مَرْحَلَةَ النُّضُجِ وَالْكَمالِ .

وَكَانَتِ الْمَرْحَلَةُ الْثَالِثَةُ : مَرْحَلَةُ الذَّبُولِ وَالتَّرَاجِعِ لَيْسَ فِي الْجَزَالَةِ
وَالْقُوَّةِ ، وَانْتِهَا فِي مَسَأَةِ انْهِسَارِ الوضُوحِ عَنْ مَعَانِيهِ وَتَدَالِلِ الْعَبَاراتِ
النَّاتِجُ عَنْ كَثْرَةِ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ .

(١) دِيَوَانُ الغَزْدَقِ : ٣٩٣/١ .

(٢) مِنْ قَصِيدَةٍ يَمْدُحُ بِهَا الْوَلِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكَ . دِيَوَانُ الغَزْدَقِ :

(٣) دِيَوَانُ جَرِيرٍ : ٨٩/١ - ٢٤٨ - ٢٥١ .

ولعلها سمة غالبة على شعر الفرزدق لكنها لم تظهر جليّة واضحة الا في مدائع الطور الأخير (١) عندما أخذت الصور وتنوع المعانى تقل شيئاً فشيئاً على مر الزمن وتقدم السن بالشاعر وتغير الحال ، فحلت العبالغة محل الصور الموجية ، وتراجعت العاطفة المتداقة ، وكان العبرة الشعرية التي تالت زماناً طويلاً أصابها بعض الخمول والذبول ، فأى غموض وعدم وضوح أكبر منه فنى قوله : (٢)

وَكُنْتُمْ لِهَذَا النَّاسِ حِينَ أَتَاهُمْ رَسُولُ هُدًى الْآيَاتِ ذَلِكَ رِقَابُهَا
لَكُمْ أَنَّهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ دَوَخَتْ لَكُمْ مِنْ ذُرَاهَا كُلَّ قَرْمٍ صِعَابُهَا

وتمثل هذه الفترة مدائعه في يزيد بن عبد الملك وأخيه هشام وابنه الوليد بن يزيد وغيرهم من رجال عصرهم .

وعلى ضوء هذه المراحل الثلاث ستكون دراستنا لفرض المدح عند الفرزدق - إن شاء الله - ذلك الشاعر الذي اشتهر في عرف النقاد بالتعقيد وكثرة التقديم والتأخير (٣) ، وهذه سمة بارزة في شعره بصفة عامة ، لكننا حينما نبحث في مكونات اللغة الشعرية

(١) انظر الفرزدق - للدكتور شاكر الفحام : ٤١١ .

(٢) ديوان الفرزدق : ٥٨/١ .

(٣) كانت هذه الشهرة نتيجة لتبني اللغوين والبحارة لما في شعره من تقديم وتأخير وتدوينهم بعض المأخذ على هذا الشاعر وقد اشتهر بداخلة الكلام فكان ذلك سبباً في اعجاب أصحاب النحو به كما يقول ابن سلام في طبقاته : ٣٦٤/١ .

عند نجد شاعرية فذة قد لا يبلغ شأوه فيها شعراء عصره أو حتى من جاءوا بعده .

ففي المرحلة الأولى عندما بدأ شعر العديع كان يعمد إلى اختيار المعانى السهلة الواضحة التي تعتمد على الحقيقة أكثر مما تعتمد على المجاز ويتجلّى هذا في مدائحه لعيسى بن خصيلة السلمي بقوله : (١)

فَتِي الْجُودِ عِيسَى ذُو الْمَكَارِمِ وَالنَّدَى إِذَا الْمَالُ لَمْ تَرْفَعْ بَخِيلًا كَرَائِمُهُ

فالمعنى هنا واضح سهل لم يزد الشاعر على أن نسب المدح للجود والمكارم والندى ..

ويقول في قصيدة أخرى حول هذا المعنى (٢) :

فَنِعْمَ الْفَتَى عِيسَى إِذَا الْبَزْلُ حَارَدَتْ وَجَاءَتْ بَصْرَادِ مَعَ اللَّيْلِ بَارِدِ (٣)
نَعْتَهُ التَّوَاصِي مِنْ سُلَيْمٍ إِلَى الْعُلَا وَأَعْرَاقُ صِدْقٍ بَيْنَ نَصْرٍ وَخَالِدٍ
بَحَقَّكَ تَحْوِي الْمَكَرُومَاتِ وَلَمْ تَجْرِيْ أَبَا لَكَ إِلَّا مَاجِدًا وَابْنَ مَاجِدٍ
وَأَنْتَ الَّذِي أَمْسَتْ نِزَارَ تَعْنَدَهُ لِدَفْعِ الْأَعَادِيِّ وَالْأُمُورِ الشَّدَادِ

(١) ديوان الفرزدق : ٢٠٤ / ٢ - ٢٠٥ .

(٢) ديوان الفرزدق : ١٦٢ / ١ .

(٣) حاردت : أى ذهبت ألياتها . والمراد بالبزل : النساق والصراد : ريح باردة مع ندى . وقيل سحاب بارد ليس فيه ماء .

انظر اللسان (حسرد ، صرد) .

فهو يصفه بالكرم والجود في الليالي الباردة الممحلة مشيداً بأجداده وأنهم حwoوا المكرمات ويوصل هذه المعانى الى ذهن المدحوع بالفاظ سهلة تجسد أفكار الشاعر بعاطفته تجاه ممدوحه نتيجة لما قدمه له من عن ويشنى عليه فيقول : (١)

سَأْتُنِي بِمَا أَوْلَيْتَنِي وَأَعْذُّهُ
إِذَا الْقَوْمُ عَدَ وَفَضَّلُهُمْ فِي الشَّاهِدِ
نَحَّاكَ مُغْبِثَ ذَوَالْمَكَارِمِ وَالْعَلَّا
إِلَى خَيْرٍ حَتَّىٰ مِنْ سُلَيْمٍ وَوَالْمَدِّ

فهو يعده لقاء مقدم له - أن يباهي بهذا المعروف . وذكره له على طول الأيام وفي أوساط الناس ، ثم يشيد بجد المدح وقبيلاته ووالده بهذا الأسلوب البسيط السهل ، ويستمر في رحلته معرجاً على قبيلة بكر بن وائل فيجد عندهم الضيافة وطيب الوفادة فيمد حهم بقوله : (٢)

لحرمتها كالحبي بكر بن وائل
وخيراً إذا سأوى الذرى بالكواهل
مكان الشريا من يد المتناسل^(٣)

(١) ديوان الفرزدق : ١٦٢ / ١

(٢) ديوان الفرزدق : ٩٥ / ٢

(٣) الخمس : يقصد بها خمس ليالٍ أى أنه سار خمسة أيام بلياليها .
والروحاء : موضع بين الحرمي على بعد ثلاثين أو أربعين ميلاً
من المدينة .

العبارات التي تزيد المعنى جمالاً فيقول : (١)

إِلَى الصَّيْدِ مِنْ أَبْنَاءِ عَمْرُو بْنِ مَرْثَدٍ أَنْيَخَتْ لَبَوْنِي عِنْدَ خَيْرِ الْمَاهِلِ
إِلَيْهِمْ فَأَمْبَيْهِمْ فَإِنِّي وَجَدْتُهُمْ حِجَازًا لِمَنْ يَخْشَى اصْطِفَاقَ الْوَلَازِلِ

ونجد الفرزدق ينطلق في هذا الغرض مشيداً بفضل بكر وقد زاد المعنى جمالاً تعبيره بالمجاز كما نرى في الشطر الثاني من البيت الثاني ، والذى بدأه بصيغة الأمر فكانه لا يعرف على ظهر البسيطة من هو خير منهم فأمر مطيته بالتوجه اليهم فوراً .

ويستقر به المطاف عند سعيد بن العاص (٢) وكما نتوقع أن نجد للفرزدق قصائد عده يمدحه بها لما له عليه من أيادٍ بيضاء فقد أنه من زياد . ومع هذا فلم نجد في ديوانه المطبوع سوى قصيدة واحدة فقط أغلبها في مدح بنى أمية عامّة ولم يكن نصيب سعيد منها إلا بيتين أو ثلاثة (٣) ، ليست من القوة والجزالة بحيث تصور لنا شخصية سعيد الذي أمن الشاعر .

وكل ما هنالك أن المقربين من الفرزدق نصحوه أن يلجموا إلى بنى أمية هرباً من زياد ، وهو ما يوضح عن هذا قوله : (٤)

فَقَالَ لِيَ الَّذِي يَعْنِيهِ شَائِسٌ نَصِيحةً قَوْلِهِ سِرَا وَقَسَا

(١) ديوان الفرزدق : ٩٥ / ٢ .

(٢) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء : ٤٤٤ / ٣ .

(٣) ديوان الفرزدق : ٦٩ / ٢ .

(٤) ديوان الفرزدق : ٧٠ - ٧٩ / ٢ .

عَلَيْكَ بَنِي أُمَّةَ فَاسْتَجِرْهُمْ
وَحْدَهُمْ لَمَا تَخْشَى حِبَالًا
فَإِنْ بَنِي أُمَّةَ فِي قُرْيَشٍ
بَنَوْا لِبَيْوَتِهِمْ عَمَدًا طِوَالًا
فَرَوَحَتُ الْقُلُوصُ إِلَى سَعِيدٍ
إِذَا مَالَ الشَّاءُ فِي الْأَرْطَاءِ قَالَ (١)

وتتضمن هذه الأبيات مدحه مباشرًا لبني أمية ، ويشير إلى أنه يم
راحلته شطر سعيد في المدينة بعد أن حمى النهار ، واشتدت
الليلة .

والفرزدق ذو النفس الأبية المتعالية ليس من السهل أن يجرد
لسانه لمدح الناس لأنّه يرى نفسه أحق بالمدح ، ولكن قدره ساقه
إلى هذا الطريق فلا بد أن تظهر عظمة تلك النفس ويكون شعره
صدق لها .

ومن هنا نجد الفرزدق في هذه المرحلة لا يزيد على أن يشكر
من أنعموا عليه ، ويشيد بفضلهم بعيداً عن التشبيهات والاستعارات
الكثيرة لأنّه لا يتكلّم من واقع تجربة طويلة في هذا الفرض كالغخر
مثلاً .

ومن خلال تتبعنا لشعر المديح عند الفرزدق في هذه المرحلة
تراءى لنا عدة سمات منها :

أن هذه المدائح تعد أول مصدر عن الفرزدق في هذا
الفرض حيث مدح عيسى بن خصيلة السلمي وقبيلة بكر بن وائل وهو

(١) يريد أنه يم وجهه شطر سعيد في وقت القيلولة في حر شديد .
والشاء : يريد بها الثور الوحشي .

في طريقه الى سعيد بن العاص والى المدينة من قبل معاشرة
بن أبي سفيان ومدحه له بعد أن استقر به المطاف عنده ، وكذلك
الجزالة والوضوح في الألفاظ والمعانى اذ لم يكن مدحه عسرا ولم
يشع فيه الغريب وكان بعيدا عن التعقيد الذى اشتهر به الفرزدق
فيما بعد كذلك تظهر لنا هذه المدائج جانبين هامين من جوانب
نفسية الفرزدق :

اما أولهما فنفسية الفرزدق الشاب النشط الذى يحس من
نفسه هذه القوة وهذا النشاط اذ لم تره يبكي على فراق أهله
وعشيرته ووطنه .

واما ثانية فخوفه ووجله الذى ظهرت به هذه النفس فى
حضره سعيد بن العاص فهو يبرر خطأه كالخائف أو التهم الماشر
فى قفص الاتهام وهو يحاول أن يدافع عن نفسه واظهارها بالظاهر
الذى لا تستحق عقابا عليه ، وكأنه يقول : ما فعلت هذا الا دفاعا
عن النفس وردا على الأعداء ، ويصور هذا الضعف وهذا الوجسل
بقوله :

(١)

إِلَيْكَ فَرَرْتُ مِنْكَ وَمَنْ زِيَادٍ وَلَمْ أَحْسِبْ دَمِي لَكُمَا حَلَّا
وَلَكِنِي هَجَوْتُ وَقَدْ هَجَنْتِي مَاعِشْرُ قَدْ رَضَخْتُ لَهُمْ سِجَالًا

(١) ديوان الفرزدق : ٢٠٢/٢ .

وكان من نتيجة هذا الهجاء أن رفعوا أمره الى زياد فلنج فـ
طلبـه فـهـربـ الى سـعـيدـ بنـ العـاصـ بـالـمـدـيـنـةـ كـمـاـ عـلـمـنـاـ مـنـ قـبـلـ .

انظر العقد الفريد : ٦/٤٢ .

فَإِنْ يَكُنِ الْهِجَاءُ أَحَلَّ قَتْلِي فَقَدْ قُلْنَا لِشَاعِرِهِمْ وَقَالَ
وَإِنْ تَكُنِ الْهِجَاءُ تُرِيدُ قَتْلِي فَلَمْ تُدْرِكْ لِمُنْتَصِرٍ مَقَالاً

محاولاً أن يبرر ما فعل بمنطق قوى يسوقه في أسلوب جزل يتصزع
فيه الضعف النفسي بقوة الآباء ولا ينسى في ختام هذه الشكوى
أن يشيد ببني أمية مرة أخرى، ويمتدحهم مدحاً مباشرًا يتضمن
أفكاراً واضحة ومعانٍ حقيقة . وبشيد بسعيد وبشببه بالهلال

وأنه شجاع مقدام فيقول : (١)

تَرَى الشَّمَسَ الْجَحَاجِحَ مِنْ قُرْبَشٍ إِذَا مَا الْأَمْرُ فِي الْحَدَّاثَانِ عَالَا
بَنِي عَمَ الرَّسُولِ وَرَهْطَ عَمَّرِي وَعَثْمَانَ الَّذِينَ عَلَوْا فَعَسَالَةٌ
قِيَامًا يَنْظَرُونَ إِلَى سَعِيدٍ كَائِنَمْ يَرْوَنْ بِهِ هَلَالًا
ضَرْبٌ لِلْقَوَافِسِ غَيْرَ هِنْدَى إِذَا خَطَرَتْ مَسُومَةً رِيمَانَالا (٢)

هذه أبرز السمات التي يمتاز بها شعر المديح عند الفرزدق في
مرحلة الأولى عندما بدأ يطرق هذا الغرض .

أما المرحلة الثانية فهي مرحلة النضج والكمال لشعر المديح
عند الفرزدق وتبدأ هذه المرحلة بمدائحه في الحجاج وابن عمّه
الحكم بن أيوب بعد عودة الشاعر من المدينة واستقراره في العراق

(١) ديوان الفرزدق : ٢١ - ٦٩ / ٢ .

(٢) لم يختص سعيداً وحده بالمدح بل أرسل الكلام عاماً يشمل بني
أمية كلهم لكن يصل هذا إلى أسماع من ولوه فيتخذ عندهم مكاناً
وجواراً .

اثر موت معاوية . (١)

ولقد شهد الفرزدق ماحدث في العراق من أحداث جسام وأخيرا خضوع الأقليم كله لبني أمية وتولي الحجاج امارته من قبل بنى مروان ، ومن هنا انطلق الفرزدق في مدح الحجاج قبل أن يمدح الخليفة . (٢)

ولقد نتساءل لماذا مدح الحجاج في البداية ؟ ولعل الاجابة على هذا التساؤل تكمن في قوة شخصية الشاعر التي حالت بينه وبين الاسراف في تعلق الخلفاء ، وقد أتى أن يذهب إلى دمشق أيام عبد الملك وابنه الوليد . (٣) في الوقت الذي كان فيه الأخطل وجربير متهافتين على أبواب بنى أمية (٤) .

وليس معنى هذا أن الفرزدق قد مدح الحجاج بدافع الجبن والخوف لكن شخصية الحجاج الطاغية جعلت كل الناس يتقوون منه فهو لا يعاقب بالسجن ولا بالقول بل يجعل من السيف فیصلأ بينه وبين أي شخص يريد أن يعاقبه بأى شبهة كانت (٥) ومن أجل

(١) كان ذلك في سنة (٦٧٥هـ) أثناء ولاية الحجاج على العراق .
انظر الكامل - لابن الأثير : ٤/٤١٨ .

(٢) كان من الطبيعي أن يمدح الحجاج قبل الخليفة لأنه أحكم السيطرة على العراق وكان أقرب إلى الشاعر موطننا من الخليفة بالإضافة إلى الأسباب الأخرى المذكورة هنا .

(٣) وقد صرخ بذلك أثناء مدحه لسليمان بن عبد الملك .
انظر ديوانه : ١/٢٦٢، ٢٦٢، ٢٦٤ .

(٤) انظر من تاريخ الأدب العربي - د . طه حسين : ١/٦٤٩ - ٦٥٠ .

(٥) المرجع السابق : ١/٦٤٨ .

هذا فلا يلام الفرزدق في مدحه للحجاج (١) ، وهو لا يمدحه لقاء معروف أسداء اليه ، ولكنه يمدحه بتحفظ فين الفاظه قبل النطق بها ، وربما كان الحجاج يعرف أن هذه المدائج من باب التفاق والتزلف ليس الا (٢) لأنها تخلو من العاطفة الصادقة التي تهز الوجدان وتبعث في النفس أريحية ، وإنما قوامها الخوف الذي بدا يسيطر على الناس من هذا الرجل الذي أصبح كل يخافه حتى الفرزدق وهو ابن الأكرمين - يقول : (٣)

لَقَدْ خِفْتُ حَتَّى لَوْأَرَى الْمَوْتَ مُقْبَلًا
لِيَأْخُذَنِي وَالْمَوْتُ يَكْرَهُ زَائِرًا
لَكَانَ مِنَ الْحَجَاجِ أَهْمَنْ رَوْعَةً
إِذَا هَوَأْغْضَى وَهُوَ سَامِ نَوَاطِرًا

ويصفه في أغصائه بالموت فكيف به ناظرا متأملًا يقطا . ثم زاد المعنى عملا حينما نزهه عن الاغصاء فقال : " وهو سام نواطره " وكان المعنى يناقض ما سبق لكنه واياه ينبعان من منبع واحد ذاك هو تدقيق الشاعر في تحديد جوانب معناه حتى لا يقع السامع في وهم .

وفي اطار هذا الخوف وهذا التخبط بهذا الفرزدق هذه المرحلة بمداديه في الحجاج فصوره شخصا مرهوب الجانب هيمنت سلطته على الأحياء وملكت سطوطه قلوب الناس بالرعب والوجل . (٤)

(١) ربما كان خوفه السابق من زياد هو الذي دفعه أن يخطب ود الحجاج بهذا المدح .

(٢) يعيد كلامنا هذا أن الفرزدق ما كان يمدح الحجاج إلا ارضاء للوليد وليس حبا فيه - انظر العقد الفريد : ٥/٢٨٨ .

(٣) ديوان الفرزدق : ١/١٥١ . (٤) ديوان الفرزدق : ٢/١٣٧ .

مَخَافَتِهِ مَا فِي بُطُونِ الْحَوَامِلِ
يَعِشُّ وَهُوَ مِنْهَا مُسْتَخْفَالْخَمَائِلِ (١)
وَلَا طَالِبًا يَوْمًا طَرِيدَةَ تَابِلِ (٢)
بِسِيرَةِ مُخْتَالٍ وَلَا مُتَضَّايلٍ
أَقْتَمَ وَذِي رَأْسٍ عَنِ الْحَقِّ مَائِلٍ
عَلَى قَصْرِ الْأَعْنَاقِ فَوْقَ الْكَوَاهِلِ
بِهِ رِبَيَّةٌ بَعْدَ اصْطِفَاقِ الزَّلَازِلِ

إِذَا وَدَدَ الْحَجَاجُ أَوْهَمَ أَسْقَطَتْ
لَهُ صُولَةٌ مِنْ يُوَقَّها أَنْ تُصِيبَهُ
وَلَمْ أَرَ كَالْحَجَاجِ عَوْنَانًا عَلَى التَّقْسِيَةِ
وَمَا أَصْبَحَ الْحَجَاجُ يَتَلَوَّرَ عِيَّتَةً
وَكُمْ مِنْ عَشِيَّ الْعَيْنَيْنِ أَعْمَى فَوَادَهُ
بَسِيفٌ بِهِ لَهُ تَضَرُّبٌ مِنْ عَصَمِيَّ
شَفَيْتَ مِنَ الدَّاءِ الْعِرَاقَ فَلَمْ تَدْعُ

وبهذه المعانى القوية المعبرة امتدح الحجاج فأى خوف يغشى
الانسان وبهتزله كيانه أكبر من أن تسقط الحوامل ما في بطنهم من
من أجرة ؟ !

وبلغة هذه المعانى مقتبسة من القرآن الكريم حينما صور يوم
القيمة وما ينتاب الناس فيه من هلع وفزع $\#$ يوم ترونها تذهب
كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها . . . (٣) * ومعانى
الشاعر وأفكاره في هذه الأبيات عديدة منها الحقيقى وضباب المجازى
فالحجاج له صولة من لم تصبه فهو آمن ! وهو عن على التقى
لا يسأل الناس ولا يطلبهم ، أما المعنى الأكثر عمقة فيكون فى

قوله :

(١) الواحدة خصيلة وهي العضلة . وأراد بستخف أنه لا ترتعد عضلاته
خوفا .

(٢) التابل : هو صاحب الحقد والعدواة والثأر ، اللسان (تبل) .

(٣) سورة الحج : الآية (٢)

وكم من عَشِي العَيْنَيْنِ أعمى فَوَادُهُ أَقْتَ وَدِي رَأْسِيْنِ الْحَقِّ مَايِلٍ
 فكان الحاج جاء الى العراق وبه كثير من المنحرفين الذين
 أعشى لله أبصارهم وأعمى قلوبهم وأمال روؤسهم عن الحق فقومها
 الحاج بسيف الله ثم يشبهه بالطبيب الذي يحسن تشخيص الداء
 للمربيض ويتابعه حتى يشفى .

والفرزدق في هذا المديح يبتعد عن التكسب والاستجادة
 مصوراً عظمة شخصية المدحور أروع تصوير من خلال تصويره للمجتمع
 العراقي قبل مجىء الحاج اليه وما فيه من المنحرفين والمتمردين (١)

وَكَانُوا كَذِي دَاءِ أَصَابَ شِفَاءَهُ طَبِيبٌ بِهِ تَحْتَ الشَّرَاسِيفِ دَاخِلٍ
 كَوَى الدَّاءَ بِالْمَكْوَاهِ حَتَّى جَلَّا بِهَا عَنِ الْقَلْبِ عَيْنِيْنِ كُلَّ جِنٍّ وَخَابِلٍ

فأهل العراق مرضى ، وال الحاج طبيب يحسن العلاج بالكي ، والكي
 الذي يحسنه يزيل حتى عيون الجن ويشفي المرضى من جميع
 أمراضهم .

ولكن مرض أهل العراق معنوي ومعرفة الحاج بالطب ليست
 بالكي وإنما بالسيف فجاء الشاعر بهذه الصورة ليجسد شغب أهل
 العراق وقوة الحاج في اخضاعهم مسترسلًا في بيان عيوب

(١) الديوان : ١٣٢/٢ .

(٢) الشراسيف : جمع شرسوف ، وهو الطرف اللين من الضلع مما
 يلي البطن .

انظر المعجم الوسيط : ٤٧٨/١ .

الولاة السابقين : (١)

وَكَا بِأَرْضٍ يَا ابْنَ يُوسُفَ لَمْ يَكُنْ
يَرْفَنَ إِذَا الْخَضْمَانَ جَاءَ إِلَيْهِمْ

وفي هذا تصوير دقيق لحياة العراق قبل مجى الحاج اليه فالولاة يرثثون والناس تمحى بهم فوضى وعدم استقرار والحق غير موجود والكاسب للدعوى من تكون جعبته ملؤة للوالى من فضول المال غير أن الحاج اجتث هذه المظاهر وقضى عليها فهو صارم لا تطلب الحاجات عنده بالعطاء والهدايا والرشى . (٢)

وَمَا تُبْغِي الْحَاجَاتُ عِنْكَ بِالرَّشَىٰ وَلَا تُقْتَضِي إِلَّا بِمَا فِي الرَّسَائِلِ
فَيَمْتَدِحُه بِمَا قَامَ بِه مِنْ بَسْطِ الْأَمْنِ وَقَضَاءٍ عَلَى الْفَتْنَ وَالْفَسَادِ .
وَيَمْثُلُ هَذِه الْمَعَانِي الْجَزْلَةُ وَالْأَفْلَارُ الْمُتَنَوِّعَةُ يَسِيرُ الْفَرَزْدَقُ فِي
امْتِدَاحِ الْحَجَاجِ وَالْحَكْمَ بْنِ أَبْيَوبٍ (۲۳) وَتَظَهُرُ رُقَّةُ الشَّاعِرِ فِي اخْتِيَارِ
مَعَانِيهِ وَأَلْفَاظِهِ حَتَّىٰ غَدَتْ مَدَائِحَه صُورَةً صَادِقَةً لِشَخْصِيَّتِهِ الْمُتَمَرِّدَةِ
وَنَفْسِيَّتِهِ الْحَافِيَّةِ وَمَزاِجِهِ الْبَدْوِيِّ الْحَادِ .

واللافت للنظر أن هذا الشاعر بقى متبعاً عن بلاط الأمويين
يدمشق، ولعل تبعاده هذا ناتج عن احساسه العميق بشرفه وأن

• ديوان الفرزدق : ١٣٢ / ٢ (١)

الديوان : ١٣٢ / ٢ (٢)

(٣) انظر مثلاً ديوان الفرزدق : ٨٢/١ ٣٤٩، ٤١٢، -

• 1 T A / T

يضاهיהם في هذا الشرف حتى اذا جاء عهد سليمان بن عبد الملك وفد على دمشق وقد أسن (١) وان كان قد مدح بنى أمية فansa كان يرسل مدائحه اليهم ويبقى في العراق . .
وأول خليفة مدحه الفرزدق هو عبد الملك بن مروان اذ خصه بقصيدة ومقطوعة وبعض الأبيات المترفقات . (٢)

ويبدو الفرزدق في مدحه لعبد الملك متاثرا بالسياسة اذ لم يجد بدا من السير في ركب بنى أمية حيث يقول في مدح الخليفة (٤)

يَا إِيَّاهَا الرَّاكِبُ الْمَرْجُى مَطِيقَتَهُ
يُرِيدُ مَجْمَعَ حَاجَاتِ الْأَرَاكِبِ
إِذَا أَتَيْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقُتِلَ
بِالنَّصْحِ وَالْعِلْمِ قَوْلًا غَيْرَ مَكْذُوبِ
كَمَجَاهِدٍ لِعِدَادِ اللَّهِ مُحْتَسِبِ
إِذَا الْحُرُوبُ بَدَتْ أَنْيابُهَا خَرَجَتْ
سَاقًا شَهَابٍ عَلَى الْأَعْدَاءِ مَصْبُوبِ
فَالْأَرْضُ لِلَّهِ وَلَا هَا خَلِيفَتَهُ
وَصَاحِبُ اللَّهِ فِيهَا غَيْرُ مَغْلُوبِ

(١) انظر تاريخ الشعر العربي في العصر الإسلامي للدكتور يوسف خليف

١٨٤ :

(٢) انظر كتاب "الفرزدق" للدكتور شاكر الفحام : ٤٠٣

(٣) انظر هذه القصيدة والمقطوعة والأبيات المترفقات في ديوانه : ٢٢/١

٢٥٥، ٢٦ - ١٢٢، ١٣٥، ٢٣

ويرى الدكتور شاكر الفحام أن أول خليفة وفد عليه الفرزدق هو الوليد بن عبد الملك ولكن ما أشرنا إليه هنا ينقض هذا الرأي :

انظر "الفرزدق" : ٤٠٣ .

(٤) ديوان الفرزدق : ٢٤/١ .

وحيثما نتأمل هذه المدحنة نجد الشاعر يعمد الى اثبات الحقائق وكأنه لا يريد أن يقع سمع الخليفة الا بحقائق ثابتة واضحة للعيان (١) . فالخليفة مجاهد للأعداء وهو محاسب لهذا العمل عند الله ، والأرض له سبحانه ولاها عبد الملك ومده بعون منه وتوفيق . ولا يتورع وهو يمدح عبد الملك أن يصب غضبه على ابن الزبير تلقاً للخليفة وارضاً لبني أمية فيقول : (٢)

بَعْدَ الْفَسَادِ الَّذِي قَدْ كَانَ قَامَ بِهِ
كَذَابُ مَلَكَ مِنْ مَكْرِ وَتَخْرِيبِ
رَأَمُوا الْخِلَافَةَ فِي عَدْرٍ فَأَخْطَاهُمْ
مِنْهَا صُدُورٌ وَفَازُوا بِالْعَرَاقِيبِ
كَانُوا كَسَالِيَّةٍ حَقَّاءَ إِذْ حَقَّتْ
سِلَاهَا فِي أَدِيمٍ غَيْرِ مَرْبُوبٍ

وكأن الفرزدق قد وجد منفذاً هنا فعاد إلى غرضه الذي يحسنه قبل المديح وهو الهجاء ليصبه على ابن الزبير مع أنه لم يصب به بأذى لكن السياسة تفعل الأعاجيب ، وما كان ينبغي للفرزدق نعت ابن الزبير بهذا (٣) .

(١) وهذا ضرب من التصوير الفني الكامن في الصورة التقريرية التي لا تحوي تشبيهاً أو مجازاً وإنما تجسم المعنى بحقائق ثابتة . انظر الصورة الفنية في الشعر الجاهلي للدكتور نصرت عبد الرحمن

١٣ :

(٢) ديوان الفرزدق : ٢٤/١ . وفي هذا المدح تبدونقة السياسة واضحة ربما يرجع هجاء الفرزدق لابن الزبير - بالإضافة إلى ارضاً الخليفة - إلى نقمته عليه منذ أن قضى للنوار عندما هربت إليه فهم بقتل الفرزدق لو لا أن قبلته زوجاً . انظر شرح مقامات الحريري : ٣٦٨/١ .

ثم يعود ثانية ل مدح عبد الملك فيقول : (١)

وَاللَّهُ يَسْمَعُ دَعَوَى كُلَّ مَكْرُوبٍ
سَاعِرُ الْحَرَبِ مِنْ مُرْدٍ وَمَنْ شَبَّ
فِي مَنْزِلٍ بِنَهَارٍ غَيْرَ تَأْوِيْبٍ
مِنْ وَقْعِ مُنْعَلَةٍ تُزْجِي وَمَجْنُوبٍ
يَطْلُبُنَ شَرْقَيْ أَرْضٍ بَعْدَ تَغْرِيبٍ

دَعَا لِيَسْتَخْلِفَ الرَّحْمَنَ خَيْرَهُمْ
فَانْقَضَ مِثْلَ عَتِيقِ الطَّيْرِ تَتَبَعَّهُ
لَا يَعْلِفُ الْخَيْلَ شَدَّدَ وَدًا رَحَائِلُهَا
تَغْدُ وَالْجِيَادُ وَيَغْدُ وَهُوَ فِي قَتْمٍ
قِيدَتْ لَهُ مِنْ قُصُورِ الشَّامِ ضُمُرَهَا

فقد شبه الخليفة بالطائر القوي الذى انقض على فريسته بقوه وسرعه
كما شبه جيش عبد الملك بالذئاب المسعورة . فال الخليفة مثل عتيق
الطير وجيشه مثل الذئاب والطير عادة يعيش العلو ويعيش فى القمم
والذئاب تعيش فى الأدوية والكهوف وهذه الصورة الحسية تنبعى بعلو
مكانة الخليفة وشرف منزلته فهو مستعر فى الحرب واحمد الأداء
اذا ان خيله فى سير طول النهار لا تتوقف جاءت من قصور الشام
إلى العراق بعد أن أنهت مهمتها فى المغرب . فهو يعلفها
الجد والتشمير فى طلب العدو . ويستمر فى مدحه لعبد الملك (٢)

فَأَصْبَحَ اللَّهُ وَلِيَ الْأُمْرَ خَيْرَهُمْ بَعْدَ اخْتِلَافٍ وَصَدْعٍ غَيْرِ مَشْعُوبٍ
سِرْيَالَ مُلْكٍ عَلَيْهِمْ غَيْرَ مَسْلُوبٍ
مِثْلَ الْقَرْوَمِ تَسَامَى لِلْمَصَاعِبِ
قَرْمٌ نَجِيبٌ لِحَرَابٍ مَنَاجِيبٌ
تُرَاثَ عُثْمَانَ كَانُوا الْأُولَاءَ لَكَ
يَحْمِي إِذَا لَبِسُوا الْمَاذِي مَلَكَهُمْ
قَوْمٌ أَبُوهُمْ أَبُو الْعَاصِي أَجَادَ بِهِمْ

(١) ديوان الفرزدق : ٢٤/١

(٢) ديوان الفرزدق : ٢٦-٢٥/١

قَوْمٌ أَثْبَيُوا عَلَى الْإِحْسَانِ اذْ مَلَكُوا وَمَنْ يَدِ اللَّهِ يُرْجِي كُلَّ تَشْوِيبٍ

والشاعر يعمد الى انتقاء اللفظة المصورة لتفدوا في كلامة موحية تحمل من المعنى ما لا تطيقه جملة بأكملها تكون بعفردها صورة تثير الخيال وتشغل الفكر فها هو يختار صيغة المبالغة (حرّاب) لامتداح عبد الملك بأنه شجاع ينتمي لأسرة لا يظام من استجرار بهم حلو من الناس محل الذئابة .

ويأتي بعد عبد الملك ابنه الوليد فيقصده الشعراً ويمتد حونه وكان الفرزدق واحداً من أولئك حيث مدحه بست قصائد ومقطوعة (١) ولقد كانت مدائحه في الوليد أكثر من مدائحه في أبيه ولعل هذا راجع إلى أن نفسه قد تمرست هذا الفن وأنصهرت مع الشعراً الآخرين الذين ملأوا الدنيا بمعديح الخلفاء، فلم يكن له بد من أن يسلك هذا المسلك متاجهلاً خفياً تلك النفس التي ما فتئت تتوق إلى العلا والمجد . يقول في الوليد :

أَمْ يَكُونَ جَهْلًا بَعْدَ سِتِينَ حِجَّةَ تَذَكِّرُ أَمَّا الفَضْلِ وَالرَّأْسُ أَشِيبُ
أَسْنَا بِمَحْقُوقِينَ أَنْ نُجَهَّدَ السُّرَى وَأَنْ يُرْقَسَ التَّالِي لَنَا وَهُوَ مُتَبَعٌ
إِلَى خَيْرٍ مِّنْ تَحْتِ السَّمَاءِ أَمَانَةَ وَأَوْلَاهُ بِالْحَقِّ الَّذِي لَا يُكَذِّبُ
تُعَارِضُ بِاللَّيلِ النَّجُومَ رِكَابُنَا وَبِالشَّمْسِ حَتَّى تَأْفِلَ الشَّمْسُ تُذَأْبُ

(١) انظر هذه القصائد والمقطوعة في الديوان : ٢٨٣٠٧٩/١ ،

٢٤٨ - ١٢٦/٢ ، ١٤٩ ، ٢٤٣ ، ٢٠٩ ، ٢٠٩ ،

(٢) ديوان الفرزدق : ٧٩/١

أَنْيَخَتْ وَمَانَدَرِي أَمَا فِي ظُهُورِهَا
 حَلَفَتْ بِأَيْدِي الْبُدْنِ تَدْمِي نُحُورِهَا
 لَأُمَّ أَتَتْنَا بِالْوَلِيدِ خَلِيفَةً
 مِنَ الْقَرْحِ أَمْ مَافِي الْمَنَاسِمِ أَنْقَبَ^(١)
 نَهَارًا وَمَاضَ الصَّفَاحَ وَكَيْكَ^(٢)
 مِنَ الشَّمْسِ لَوْكَانَ ابْنُهَا الْبَدْرَ أَنْجَبَ

وأول ما لاحظه على هذه القصيدة أنه بدأها بالاستفهام التقريري ليثبت حقيقة واقعة هي أنه تجاوز الستين ، وأنه من الجهل بعد هذا العمر الطويل الذي اشتعل فيه الرأس شيئاً أن يتذكر أم الفضل التي نص عليها ، وكان ذاك الشاب الطاغي والفتوة التي عاشها قد آذنته بالرحيل . ثم يدخل إلى غرضه وهو المدح بالاستفهام التقريري أيضاً ليقرر حقيقة لا ينكرها إلا جاحد ، وهي أن الوليد خير من تحت السماء أمانة وأولاهم بالحق ، وأحرامهم بأن تشد اليه الرحال . وبين في تصوير أخباري محكم أن ركبهم واصلت الليل والنهر سيراً لتصل في النهاية إلى ساحة الوليد ثم يقسم بأن تلك السيدة الفضلى التي أنجبت الوليد أنجب من الشمس فيما لو كان البدر ابنتها ، فقد استلهم الشاعر هذه الصورة الفنية مما يحيط به بصره من مظاهر الكون في أسلوب موح لا يستطيع مثله إلا الشعراء الكبار حيث قرن بين أم الوليد والشمس ثم أضاف في المبالغة حتى أن الشمس لو كانت أنجبت البدр وكانت أم الوليد أنجب منها . ويسترسل في المدح فيقول :

(١) أنقب : أي أرق .

(٢) الصفاح : جبال تناخم نعمان ، وكيك : جبل بعرفات .

(٣) الديوان : ٨٠ / ١ - ٨١ .

تصعد جد بالوليد إلى التي
أرى كل جد دونها يتضَبَّ
أرى التقلين الجن والإنس أصبحا
يمدان عنقًا إلى تَقْرَبَ
وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا يُرجِي كَرَامَةً
بكفتك أو يخشى العِقَابَ فِيهِ رُبُّ
ومادون لكفيك انتهاء لراغبٍ
ولا لمناه من ورائك مذهب

ونجد الشاعر هنا يبالغ الى درجة عليا في التعبير فيذكر أنه يرى الجن والانس يتقربيون الى الوليد ويمدون اليه عناقهم زيادة في تعظيمه وهيبيته ، وهذا المعنى يذكرا بعمرو بن كلثوم التغلبي الذي جعل الجن يخافون لتعظيمهم . وهذه الرؤية التي يراها الفرزدق مجازية فمن المستحيل رؤية الانس والجن معا لأن نظر الجن مما لا يحيط به نظر الانسان لكن مبالغة الشاعر في المديح اقتضت هذا السياق . وبين أن هؤلاء الجن والانس جميعاً ما يزالهم كرامة من كفي الوليد وهذا ما يرجون ، أو يصيّبهم عِقَابَ فِيهِ رُبُّ وهذا من باب المجاز أيضا فالجن لا يريدون من الوليد كرامة ولا يخافون منه عِقَابا .. فجاء بهذا المعنى من خلال المقابلة بين شطري البيت التالي :

وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا يُرجِي كَرَامَةً بكفتك أو يخشى العِقَابَ فِيهِ رُبُّ

كما أن في شطر هذا البيت الثاني مجاز بالحذف والتقدير (أو يخشى العِقَابَ من كفيك فِيهِ رُبُّ) .

(١) ليس معنى جد هنا الحظ والا لكان المدح أقل قيمة من الجد الحقيقي .

ويقول مادحا الوليد أيفا : (١)

إِلَيْكَ نَشَدَّ أَنْسَاعَ الصَّدُورِ
يَطَّانَ دَمًا مُكَدَّحَةُ الظَّهُورِ
تُحَلِّ إِلَيْهِ أَهْنَاءُ الْأَمْرُورِ

خِيَارَ الْلَّوِي لِلْإِسْلَامِ إِنَّا
سَتَحْمِلُنَا إِلَيْكَ مُلْفَسَاتٌ
لِنَأْتِي خَيْرَ أَهْلِ الْأَرْضِ حَيْثَا

ثم يقول : (٢)

وَنِيلًا يَطْمُونَ عَلَى الْبَحْرِ
عَبَابِهِمَا إِلَى حَلْبَ غَزِيرِ
وَضَرْبٍ بِالْمُهَنْدَةِ الْذَّكُورِ
وَعَنْ عُثْمَانَ بَعْدَ ثَائِي كَبِيرِ (٣)
وَأَرْمَلَةٌ وَاصْحَابُ الشَّغُورِ
وَفِيهِ الْعَاصِمَاتُ مِنَ الْفُجُورِ
عَشَّا عَيْنِيَهُ مِنْكَ بِيَاضِ نُورِ
بَعْدَ لِيَدِكَ أَدْوَاءَ الصَّدُورِ

وَلَكِنْ يَنْتَجِعُنَّ بِنَا فُرَاتًا
هَمَا فِي رَاحَتِكَ اذَا تَلَاقَنِي
بِهِمْ ثَبَّتَ رَحْنِي إِلَاسْلَامَ قَسْرًا
تَوَارَثَهَا بَنُوا مَرْوَانَ عَنْهُ
رَجَاكَ الْمَشْرَقَانِ لِكُلِّ عَانِ
وَكُنْتَ جَعَلْتَ لِلْعَمَالِ عَهْدًا
فَعَنْ يَأْخُذْ بِحَبْلِكَ يَجْعَلُ عَنْهُ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْتَ تَشَفِّي

فيستهل هذه القصيدة ببيان فضل بنى أمية وأنهم خيار أهل الاسلام ، وأن الوليد خير أهل الأرض ثم يصفه بالفرات والنيل كرما .

وَنِيلًا يَطْمُونَ عَلَى الْبَحْرِ

وَلَكِنْ يَنْتَجِعُنَّ بِنَا فُرَاتًا

(١) الديوان : ٢٨٣/١ - ٢٨٦

(٢) الديوان : ٢٨٣/١ - ٢٨٦

(٣) الثائى : الجهاد .

وهذا من أبرز مظاهر التفنن في دقة المعنى وهو في هذه الأبيات
لامداخ الوليد يعرض صورة من صور الظلم والاضطهاد التي حلّت
بالعراق من قبل الولاة السابقين وكان المجتمع قد فوضه للحدث
عن آلامه وأماله فهو يجسد روح الشاعر الاجتماعي الذي يصور حياة
قومه ويدافع عن شرفهم وأحسابهم وأنه ينطق بلسان قومه اذ يقول
مخاطبا الخليفة ومقدما شكوى المجتمع العراقي :

بِعَدْلِ يَدِكَ أَدْوَاءَ الصَّدْرِ يُكْفُنَا الدَّرَاهِمَ فِي الْبَدْرِ كَرَافِعِ رَاحِتَيْهِ إِلَى الْعَبُورِ وَصَدَّ عَنِ الشَّوَّهَةِ وَالْعَيْرِ أَخَذْنَا بِالرَّبَا سَرَقَ الْحَرَيرِ مِنَ الْإِرْبَاءِ مِنْ دُونِ الظَّهُورِ يَنْادِي اللَّهُ هَلْ لِي مِنْ مُجِيرٍ وَصِبَّيَانٌ لَهُنَّ عَلَى الْحُجُورِ لِدِينِ اللَّهِ مِغْضَابٌ نَصُورِ بِدِينِ مُحَمَّدٍ وَهِيَ أَمْسُورِ	أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْتَ تَشْفَى فَكَيْفَ بِعِامِلٍ يَسْعَى عَلَيْنَا وَأَنْتَ بِالدَّرَاهِمِ وَهِيَ مِنْتَا إِذَا سُقْنَا الْفَرَائِضَ لَمْ يُرْدِهَا إِذَا وَضَعَ السَّيَاطِ لَنَا نَهَارًا فَأَدْخَلْنَا جَهَنَّمَ مَا أَخَذْنَا فَلَوْ سَمِعَ الْخَلِيفَةُ صَوتَ دَاعٍ وَأَصْوَاتَ النِّسَاءِ مُتَسَرِّنَاتٍ إِذَا لَأْجَابَهُنَّ لِسَانَ دَاعٍ أَمِنِ اللَّهِ يَصْدُعُ حِينَ يَقْضِي
---	---

وهنا تظهر هذه اللوحة الفنية الرائعة اذ عرض لها حل بمجتمعه
من الظلم والقهر في أسلوب بلغ و واضح و مؤثر ، وقد أضفى على
معانيه لونا من التأثير في النفس حيث شبه الخليفة بطبيب يكمن

على يديه شفاء الصدور ما بها من الفل وشبه العدل الذى يأتي على يديه بالدواء الناجع ثم يأتي دور الاستفهام الانكاري اذ ينكر أن يكون الخليفة راضياً عما يفعله الولاة من تكليف الناس مالاً يطيقون ، وكأنه يريد أن يقول للخليفة مارأيك فيمن يكلف الرعية مالاً يطيقون .

فَكَيْفَ يُعَامِلُ يَسْعَى عَلَيْنَا
يُكْلِفُنَا الدَّرَاهِمَ فِي الْبُدُورِ

ومن أين لنا هذه الدرهم وهي بعيدة عنا بعد الجوزاء فالناس في فقر والولاة يكلفوهم مالاً يستطيعون ، وبين في أسلوب مؤثر أن ماحل الناس دفعهم إلى التعامل بالربا ، وأن هذا الربا سيؤول بهم إلى جهنم لأنه حرم بنص الكتاب والسنة . * وأححل الله البيع وحرم الربا * (١)

ويصور نساء مجتمعه وحالتهن المؤلمة وقد قرن وصبيانهن على حجورهن يتالم الجميع من الجوع ثم يؤكد أن الخليفة لو رأى هذا المنظر لأجاب غضباً لدين الله الذي لا يقر هذه الأشياء .

وقد عمد الشاعر هنا إلى اتخاذ الصور الحقيقة التي تدل على ماحل المجتمع من الظلم فالوالى حينما يأتي إليه شخص بشارة أو بغير صدقة يرفضها ليأخذ مقابلها دراهم ومن لم يأت بذلك فقد أعدت له السياط التي تجعله والحالة هذه يقدم على الربا لتسديد مافرض عليه ، وهذه الأنكار التي يجسدها الفرزدق فى مدحه للوليد إنما هي أفكار حقيقة تعكس صورة الوضع الاجتماعى

للمجتمع .

ولعل هذا من أخص ما يميز مدائح الفرزدق في الوليد تصويره
البارع لحالة المجتمع الذي يعيش فيه وما حل به من ظلم ومن أنة
فالشاعر ينهاض بهذه المهمة ليوصل الى سمع الخليفة شكاوة الناس
ويصور حالهم كما مر معنا .

ويمثل هذا التفنن في الأفكار والقوة في المعانى والتدقيق
في الصور تكون بقية مدائح الفرزدق في الوليد . (١)

xxxxxxxxxxxxxx

(١) انظر الديوان : ١/٢٤٨ - ٢٤٩ - ١٤٥ .

ومن خلفاء الدولة الأموية سليمان بن عبد الملك الذي لم تدم خلافته أكثر من أربعة أعوام ، وقد اتصل به الفرزدق ومدحه بأرقى قصائده وزاد من فرط حبه له أن وفده عليه وأنشده شعره ولم يكن وفده على خليفة من قبل كما أشار هو إلى ذلك بقوله : (١)

تَرَكَتْ بَنِي حَرْبٍ وَكَانُوا أَئِمَّةً
وَمَرْوَانَ لَا آتَيْهِ وَالْمُتَخَسِّرَا
أَبَاكَ وَقَدْ كَانَ الْوَلِيدُ أَرَادَنِي لِيَفْعَلَ خَيْرًا أَوْ لِيُؤْمِنَ أَوْ جَرَا
فَمَا كُنْتُ عَنِ نَفْسِي لِأَرْجِلَ طَائِعًا إِلَى الشَّامِ حَتَّى كُنْتَ أَنْتَ الْمُؤْمِنَا

وبهذه النسبة المندفعه في حب الخليفة سليمان كانت غرر مدائع الفرزدق بعد أن تمرست نفسه مدح الخلفاء فاختصه بسبع قصائد وثلاث مقطوعات . (٢) كانت كلها مليئة بالصور الخيالية التي تملأ النفس أريحية ، وكلها تبث الحياة في الكلمات والعبارات التي انتقاها الشاعر :

بِأَوْتَادِ قَرْمِ مِنْ أَمَّةِ أَزْهَرَا
إِلَى خَيْرِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَرِعَا وَعَنْصِرَا
إِلَيْيَ وَرَوْيَيَا بِعَمَانِ أَقْشَرَا
بِإِحْدَاهُمَا مِنْ دُونِكَ الْمَوْتُ أَحْمَرَا
مَدَاهَعَسْتُ نَفْسِي بِهَا أَنْ تَعْمَرَا

فَلَمَّا أَتَانِي أَنْهَا ثَبَتَ لَهُ
نَهَضْتُ بِأَكْنَافِ الْجَنَاحِينِ نَهَضَهُ
فَحَبِّكَ أَغْشَانِي بِلَادَأَ بَغِيَضَهُ
فَلَوْكَتْ ذَانَفَسِينَ إِنْ حَلَّ مُقْبِلًا
حَيَّتْ بِأُخْرَى بَعْدَهَا إِذْ تَجْرَمَتْ

(١) القصيدة في الديوان : ١٩٦/١ .

(٢) هذه القصائد والمقطوعات في ديوانه ١٩٦، ١٩٧، ٢٦١، ٢٩١، ٣٢٣ - ٣٣٣ .

(٣) الديوان : ١٩٢/١ .

إِذَا لَتَغَالَتْ بِالْفَسَلَةِ رَكَابُنَا
إِلَيْكَ بَنَا يَخْدِينَ شَمِّيَا عَشْرَأَ

ولقد جاءت الاستعارة أجمل ماتكون في قوله :
فَلَمَّا أَتَانِي أَنَّهَا ثَبَتَ لَهُ
بِأَوْتَادِ قَرْمٍ مِّنْ أُمَّةِ أَزْهَرَا

اذ شبه ثبات الخلافة لسليمان بالبيت الذي تضرب أوتاده في أعماق الأرض لتشبيهه ، كما شبه بنى أمية بالأوتاد القوية الثابتة جذورها في بطن الأرض ، ويصور نفسه تصويرا دقيقا حينما اتجه سليمان وكان الخبر جاءه نجاة فنهض من مكانه مسرعا لمقابلة الخليفة وتهنئته :

نَهَضَتْ بِأَكْنَافِ الْجَنَاحَيْنِ نَهْضَةً
إِلَى خَيْرِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَرْعًا وَعَنْصَرًا

وقد أكد هذه النهضة بالمعنى المطلق " نهضة " لكنه باللغة فى الشطر الثاني فوصف سليمان بأنه خير أهل الأرض فرعا وعنصرا .

ونجد الشاعر هنا يعتمد الى اختيار الألفاظ القوية المعبرة التي تزيد المعنى قوة ، تلك الألفاظ النابعة من ذاتية الشاعر المتمرسة حب الbadia ، ولكنه مع هذه النفسية البدوية الجماسة قد حباء الله قريحة متوقدة فلم يكن غريبا عليه أن نجد في البيت الواحد أو الـبيتين عنده الكثير من الصور الفنية الخصبة التي تفسح للخيال أن يتمثل ما يريد الشاعر من صنوف المديح .

يمثل هذا قوله : (١)

فَحُبَّكَ أَغْشَانِي بِلَادًا بَغْيَضَةً
إِلَى وَرَقِّيَا بِعَمَانَ أَقْسَرَا

فَلَوْكُتْ ذَا نَفْسَيْنِ إِنْ حَلَّ مُقْبَلًا
 يَاحِدَاهُمَا مِنْ دُونِكَ الْمَوْتُ أَحْمَرًا
 حَيْثُ بِأُخْرَى بَعْدَهَا إِذْ تَجَرَّتْ
 مَدَاهَا عَسْتَ نَفْسِي بِهَا إِنْ تَعْمَرَا

ان اختيار الشاعر لهذه الألفاظ والمعانى القوية الجزلة كما نرى تعطى فكرته بعداً أعمق ومفهوماً أبلغ لدى القارئ، أو السامع ، فكلمة " أغشاني " تعطى من الابحاء ما لا تعطيه جملة بأكملها فهذا الحب للمدح جعل الشاعر يستسهل الصعب ويستلزم المر حتى تلك البلاد البغيضة لديه صارت حبيبة الى نفسه - وبغضه لهذه البلاد ليس لها ذاتها وانما لأهلها نتيجة للعلاقة التي كانت تربط الشاعر بهم - أما وقد جاء سليمان فان الفرزدق حتى لو كانت له نفسان ماتت احدهما والأخرى تنازع فانه سيبقى حيناً بهذه النفس طالما بقي سليمان ، وهذا تعبير فيه من المجاز ما يجعله يحمل من المعنى الموجى الذى يدل على سعة مفهوم الشاعر لغرضه وسعة ثقافته العربية وتمكنه من فنون الشىء الكبير فهى صور فيها من العمق والاستقصاء للمعنى ما لا يطيقه فيض من الألفاظ والمعانى مالم تكن على هذا النسق وهذا الترتيب .

ومدح الفرزدق لسليمان بن عبد الملك تتجلى فيه روعة الخيال وصدق العاطفة وبلاغة الصور الفنية التى جادت بها قريحة الشاعر لتعبير عن نفسية غمرها حب الخليفة اذ وجد الشاعر عنده ما يريد له مجتمعه ، فقد أطلق سليمان الأسرى وأعطى المحتجزين ، وخلص العراق من ظلم الحجاج الذى خلفه بعد وفاته ورسف فيه المجتمع العراقي طوال العهد السابق سهماً الحجاج بالظلم وقهر

الناس ، وهذا يؤكد ماقلناه من أنه مكان يمدح الحجاج
الآنقاء لشهر ..

يقول في مدح سليمان أيضا : (١)

فَقَدْ ماتَ عَنْ أَرْضِ الْعَرَاقِ خَبَالُهَا
وَلَا غَيْرُهَا إِلَّا سَلَيْمَانُ مَالُهَا
وَخَيْرُ شَمَالٍ عِنْدَ خَيْرِ شَمَالِهَا
إِلَى الْقَصْدِ وَالْوَثْقَى الشَّدِيدِ جِبَالُهَا
وَأُخْرَى هِيَ الْغَيْثُ الْمُغْيَثُ نَوَالُهَا
وَمِنْ عُقْدَةٍ مَا كَانَ يُرْجَى اِنْحِلَالُهَا
فَكَتَ وَأَعْنَاقًا عَلَيْهَا غَلَالُهَا
كَمَا الْأَرْضُ أَوْتَادَ عَلَيْهَا جِبَالُهَا
بِهَا إِنْ يَضِلُّ النَّاسُ يَهْدِي ضَلَالُهَا

هَلَمْ إِلَى إِلْسَامِ وَالْعَدْلِ عِنْدَنَا
فَمَا أَصْبَحَتْ فِي الْأَرْضِ نَفْسٌ فَقِيرَةٌ
يَعْيَنُكَ فِي الْأَيْمَانِ فَاصْلَةٌ لَهَا
فَأَصْبَحَتْ خَيْرَ النَّاسِ وَالْمُهَتَّدِي بِهِ
يَدَكَ يَدَ الأَسْرَى التِّي أَطْلَقْتَهُمْ
وَكُمْ أَطْلَقْتَ كَفَاكَ مِنْ قِيدِ بَائِيسٍ
كَثِيرًا مِنَ الْأَسْرَى التِّي قَدْ تَكَعَّبَتْ
وَجَدْنَا بَنَى مَرْوَانَ أَوْتَادَ دِينَنَا
وَأَنْتُمْ لِهَذَا الدِّينِ كَالِقَبْلَةِ التِّي

هذه المقطوعة مليئة بالأفكار والمعانى الصادرة عن عاطفة
ستاجة ، فالعدل مقرونا بالاسلام عند الخليفة سليمان ، ونتيجته
لوجود هذا العدل فقد مات عن ارض العراق ماحل بها من الظلم
والاضطهاد ، سليمان هو المال لكل الانفس الفقيرة والمحتاجة يعينه
فاصلة في الایمان وشماله خير شطال ، وبهذا رسم الشاعر مدحته
هذه فووصف مدوحه كذلك بالكرم ، وهداية الناس الى الطريق المستقيم

وأن أحدي يديه تمتد بالعفو لتطلاق الأسرى ، وأما الأخرى فتشبه الغيث المنهر والناس ينظرون نوالها ، وعلى يديه تفك القيود ، وتقضى حوايج الناس . وتزداد قوة المعنى وبراعة التصوير في قوله :

وَجَدْنَا بَنِي مَرْوَانَ أُوتَادَ دِينِنَا
كَمَا الْأَرْضُ أُوتَادَ عَلَيْهَا جِبَالُهَا
وَأَنْتُمْ لِهَذَا الدِّينِ كَالْقِبْلَةِ الَّتِي
بِهَا إِنْ يَفِلُّ النَّاسُ يَهْدِي ضَلَالُهَا

إذ يصف بنو مروان بأنهم أوتاد للدين ، ويشبههم بالقبلة التي يجتمع المسلمون في استقبالها ، وقد وفق الشاعر إلى هذا التشبيه الذي أضفى على المعنى هيبة وجلا . (١) وقد تجلت عبرية الفرزدق الشعرية في مدح سليمان فكانت له رواية تجلت فيها عظمة الشاعر وطول نفسه وافتئاته في الصور المعبرة ك قوله :

وَلِلَّى سَلَيْمَانَ الَّذِي سَكَنَ
أَرْوَى الْهَضَابَ بِهِ مِنَ الذَّعْرِ
وَتَرَاجَعَ الطَّرَاءُ اذْ وَثَقُوا
بِالْأَمْنِ مِنْ رَتَبِيلَ (٢) وَالشَّحْرِ
أَوْكَلَ دَائِرَةً كَانَ يَجْرِي
قَارًا وَلَيْسَ سَفِينَهَا يَجْرِي

(١) لأنَّه بهذه يركِّز على قيمة القبلة الروحية عند المسلمين فالكعبة رمز لاتجاههم إلى الله وتوحيدهم جميعاً على ملة واحدة فاراد أن يأخذ من هذا المعنى فكرة توحيد الأمة ووجوب اتباع الامام انطلاقاً من قوله تعالى : * يا أيها الذين آمنوا أطاعوا الله وأطاعوا الرسول وأولى الأمر منكم * الآية ٥٩ من سورة النساء . فكان طاعة الخليفة من طاعة الله سبحانه ، وهذه عقيدة المسلمين .

(٢) الديوان : ٢٦١/١ .

(٣) رتبيل : ملك من ملوك الترك . انظر الطبرى : ٣٢٢/٦ .

أَوْكِلَ صَادِقَةً إِذَا طَلِبَتْ
تُسِيِّي الْرِّيَاحُ بَهَا وَقَدْ لَغَبَتْ
مِنْ دُونَهَا الرِّيحُ الَّتِي تُذْرِي
أَوْكِلَ صَادِقَةً عَلَى الْفَتَرِ^(١)

والشاعر قد اعنى كما نرى بتصوير شخصية المدوح تصويرا يظهر
من خلاله عظمة سليمان وقوته وأنه مد مظلة الأمن حتى شملت
الطرداء الذين أخافوهم طفاة الأرض، وكذلك حيوانة الفلاة أصبحت
آمنة مطمئنة في عهد سليمان :

وَإِلَى سُلَيْمَانَ الَّذِي سَكَنَتْ
أَرْوَى الْهَضَابَ بِهِ مِنَ الدُّعْرِ
وَتَرَاجَعَ الْطَّرَدَاءُ إِذْ وَثَقُوا
بِالْأَمْنِ مِنْ رَتَبَلَ وَالشَّرِّ

حتى المصيبة ثبتت في مكانها ولم تعم في الأرض فسادا بعد أن
تولى سليمان الخلافة ، فهي تشبه السفينة الراسية التي وضع فيها
أثقال لتشتيتها في مكانها .

وقد صور الشاعر هذه الأشياء ليخلص بالتالي إلى امتدادح

سليمان فيقول :

أَوْكِلَ دَائِرَةً كَانَ بِهَا
قَارَا وَلَيْسَ سَفِينَهَا يَجْرِي
أَوْكِلَ صَادِقَةً إِذَا طَلِبَتْ
مِنْ دُونَهَا الرِّيحُ الَّتِي تُذْرِي
تُسِيِّي الْرِّيَاحُ بَهَا وَقَدْ لَغَبَتْ
أَوْكِلَ صَادِقَةً عَلَى الْفَتَرِ

ولقد بلغ من براعة الفرزدق أن معانيه قد تحمل صورا واقعية
حدثت بالفعل وقد تكون كناية تحمل من المعنى الشيء الكبير

(١) نلاحظ في هذا المديح عمق المعانى وقوتها وبراعته فى تصوير هذه
الشخصية العظيمة .

ففي قوله : (١)

في الصُّبْحِ وَالْأَسْحَارِ وَالْعَصْرِ
أَنْتَ إِلَامَ وَوَالِيُّ الْأَمْرِ
بِخِلَافَةِ الْمَهْدِيِّ مِنْ ضُرَّ
يَبْقَى لِحَزْ نَوَابِ الدَّهْرِ
كَالْعِهْنِ وَهِيَ سَرِيعَةُ الْمَرِّ

كَمَا شَنَادِيَ اللَّهُ تَسَاءَلَهُ
أَنْ لَا يُعِيتَكَ أَوْ تَكُونَ لَنَا
فَأَجَابَ دَعْوَتَنَا وَأَنْقَذَنَا
يَا أَيُّنَ الْخَلَائِفِ لَمْ نَجِدْ أَحَدًا
إِلَّا الرَّوَاسِيُّ وَهِيَ كَائِنَةٌ

نجد كثيراً من المعانى الحقيقة والمجازية على السواء ، فالله
أنقذهم بخلافة سليمان من الفر الناتج عما خلفه الحاج وولاته
على العراق من الظلم والاستعباد ، فهذه المعانى الحقيقة
والمجازية قد تزامنت وجاءت معاً في هذه الأبيات مما زاد في
عمق المعنى . وتمكن الشاعر من استيفاء غرضه بمثل هذه الصور
الجميلة .

وقوله كذلك : (٢)

بِرَّ الْقُرُوحِ وَعَصْمَةُ الْجَبَرِ
مِنْ مَفْرَمِ ثَقْلٍ وَمِنْ إِصْرِ
سَاقِ لَهُ حَدَبَ مِنَ النَّهَرِ
لِلْمَاءِ بَعْدَ جِنَانِهِ الْخُضْرِ (٣)

جَعَلَ إِلَهُ لَنَا خِلَافَتَهُ
كَمْ حَلَّ عَنَا عَدْلُ سُرْتَهُ
كُنَّا كَنْزَعِ مَاتَ كَانَ لَهُ
عَدْلُوهُ عَنْهُ فِي مَغْوِلَةٍ

(١) الديوان : ٢٦٢/١ .

(٢) الديوان : ٢٦٤/١ .

(٣) عدلوه في مقوله : أى في أرض بعيدة عنه حتى مات .



(١٣٢)

أَحَبَّتْ بَعْسَابَ مُثْلِمٍ
وَلَاهُ مِنْكَ مُغَرِّ الدَّبَرِ
أَحَبَّتْ أَنْفَسَنَا وَقَدْ بَلَغَتْ
مِنْهَا الْفَنَاءَ وَنَحْنُ فِي دُبَرِ

فهو يشبه حالهم قبل مجىء سليمان بالزرع الميت الذى كان يسكنى
من النهر حتى يرتوى لكنه منع عنه الماء فمات وذبل ثم جاء سليمان
وأعاده اليه فنما واحضر وعادت له النضارة والجمال ، والتعبير باحياء
النفس يدل على هول ما حل بهم في العهد الماضي وعظم ماقدم
سليمان لهم بعد أن آلت اليه الخلافة فكانه أعاد لهم الأمل في
الحياة بعد أن طرح بهم الظلم :

أَحَبَّتْ أَنْفَسَنَا وَقَدْ هَلَكَتْ
وَجَبَرَتْ مِنَا وَاهِيَ الْكَسْرِ

فاحياء النفس بعد هلاكها يعد جبرا للكسر ، ولكن هذا الجبر جزء
من الاحياء ، ومع أنه يتบรร إلى الذهن عند ذكر الاحياء ، أنه
لا لزوم لجبر الكسر ، لكن ذكره هنا نوع من أنواع التأكيد ، وهذه
صورة حسية فاحياء النفس احياء عام لا يمكننا من معرفته لأننا نجهل
أساسا كنه النفس : * ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى
وما أتيت من العلم الا قليلا * (١) أما جبر الكسر فهو حسي مادى
وليس ذكره تزيدا بل تأكيدا للمعنى عندئذ جاء ذكره للحسى المادى
بعد المعنى .

ولقد بدأ الفرزدق صانعا ماهرا يحسن التأثير لفكته حين
يختار لها مثل هذه المعانى الموحية التى لا تتكلف فيها وكأنه لم

(١) سورة الاسراء الآية (٨٥) .

يقصد إليها قصدا .

ولو استرسلت في تعداد الصور الخيالية في هذه القصيدة ،
وغيرها وما تضمنته هذه المدائح من معانٍ وأفكار وصور لطال حصرها
لأن هذه المرحلة تمثل فترة النضج عند الشاعر في هذا الفرض
نتيجة لصدق العاطفة ناحية سليمان حباً وولاً ، وما أجملها من
عاطفة صادقة وصور موحية في مثل قوله : (١)

بَعَثَ إِلَاهٌ لَهَا وَقَدْ هَلَكَ نُورُ الْبَلَادِ وَمَاطِرُ الْقَطْرِ
يَرْجُونَ سَيِّكَ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ كَالنَّيلِ فَاضَ عَلَى قُرَى مِصْرِ

فهو يشبهه بالنور الذي أضاء أرجاء البلاد في تشبيه بلغ مؤثر
وبالمطر الذي ينزل على الأرض فيحييها بعد موتها ، كما يشبهه
كذلك بالنيل في تدفقه وما يحيطه من بشائر الخير لقرى مصر
وهذه صورة حسية مأخوذة من الطبيعة التي تكتنف الإنسان ، كما
تجده يشبهه بضوء القمر حينما تلتئم معه الكواكب .

إِلَى بَدْرٍ لَيْلٍ مِنْ أُصْمَاءَ ضُوءِهِ إِذَا مَابَدَا يَعْشَى لَهُ كُلُّ كَوْكَبٍ (٢)

وهو قريب من قول النابغة يمدح النعمان بن المنذر ويعتذر إليه (٣) :

فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالنَّجُومُ كَوَابِكُ إِذَا طَلَعْتَ لَمْ يُبُدْ مِنْهُنَّ كَوَابِكُ

ولمن أراد المزيد من هذه الصور الجميلة الرجوع إلى ديوان الفرزدق
وي خاصة مدائحه لسليمان فإنها قمة لشعر المديح في هذه المرحلة (٤) .

(١) الديوان : ١ / ٢٦٦ . (٢) الديوان : ١ / ٢٢ .

(٣) ديوان النابغة : ٢٨ .

(٤) انظر ديوان الفرزدق : ١ / ٢٤٨ - ٢٤٩ - ١٤٥ / ٢٠ .

اما عمر بن عبد العزيز (١) - رضي الله عنه - فلم يكن بعد ان تولى الخلافة من يفتون ب مدح الشعراً ويتطعن اليه ، بخلاف ما كان عليه غيره من خلفاء بنى امية وأمرائهم ، وانما كان يسير على نهج الراشدين في سيرته وحكمه وورعه وتقواه ، والمحافظة على مال المسلمين (٢) .

وبناءً على هذا الاتجاه قل مدح الشعراً له ، ولم نعثر في ديوان الغزدق الا على قصيدةتين فقط يمدح بهما عمر (٣) .

ومنهما قوله : (٤)

لَمَا تَفَرَّقُ بِي هُمَّيْ جَمَعْتُ لَهُ
نَقْلَكُمْ مَا هُوَ لِأَلَّا شَامٌ تُرْكَكُمْ
أَوْ أَنْ تَزُورَ تَسِيمًا فِي مَنَازِلِهَا
أَوْ تَعْطِفَ الْعِيْسَ صُعْرًا فِي أَرْمَتِهَا
فَعَجَجَهَا قِيلَ الْأَخْيَارِ مَنْزِلَةً
مِثْلُ النَّعَائِمِ يُزْجِيْنَا تَقْلَهَا
سِيَرُوا فَإِنَّ ابْنَ لَيْلَى مِنْ أَمَامِكُمْ
وَبَادِرُوا بِابْنِ لَيْلَى الْمَوْتِ إِنَّ لَهُ

صَرِيمَةً لَمْ يَكُنْ فِي عَزْمَهَا خَوْرُ
كَانَمَا الْمَوْتُ فِي أَجْنَادِ الْبَغْرُ
بِعَرْوَ وَهِيَ مَحْوَفُ دُونَهَا الْفَرَوْرُ
إِلَى ابْنِ لَيْلَى إِذَا بَزُورَزَى بِكَالسَّفَرِ
وَالْطَّبَيِّبِ كُلُّ مَا تَنَاثَتْ بِهِ الْأُزْدُ
إِلَى ابْنِ لَيْلَى بِنَا التَّهْجِيرُ وَالْبَكْرُ
وَبَادِرُوهُ فَإِنَّ الْعُرْفَ مُبَتَدِرُ
كَفَنِ مَا فَيْهِمَا بُخْلٌ وَلَا حَصَرٌ

(١) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم - أبو حفص - الخليفة الصالحة والملك العادل خامس الخلفاء الرشادين ، ولد سنة ٦١ هـ ، وتولى الخلافة سنة ٩٩ هـ بعهد من سليمان بن عبد الملك ، وما شره وصفاته لا تخفي توفي سنة ١٠١ هـ - / سير أعلام النبلاء ٥/١١٤-١٢٧. والأعلام ٥/٥٠٠.

(٢) ظاهرة التكتب وأثرها في الشعر العربي - د . درويش الجندي : ٨٨

(٣) انظر هذه القصائد في الديوان : ١/٢٠١٨٢ - ١/٢٠١٨٣ .

(٤) الديوان : ١/١٨٣ - ١/١٨٤ .

فالشاعر هنا يصف حاله بعد الهموم التي ألمت به وما انتابه من الآلام ، وعند ذلك لم يجد بدا من تحمل الصعب والتصدى لتلك الهموم والأحزان وهذا لا يتم الا بأحد أمرين : اما السفر الى الشام ومقابلة الخليفة لشرح الحال وما آلت اليه . واما زيارة تسمى في مازلتها - وهذه نفحة فخر قبلى لم يستطع الشاعر التخلص منه حتى بين يدي عمر ، ولكنه سرعان ماجد عزمه واختار زيارة الخليفة فعندئه الخلاص ، وهو الحريص على مصلحة الأمة . ونجد أنه يكرر نسبة المدح الى امه "ليلي" (١) تشريفا له وتعظيمها لهذه المرأة التي أنجبت عمر وكأنه يريد هنا أن يومئ الى عظم نسب عمر من جهة امه ، وهذه لفتة تدل على معرفة الفرزدق بالأنساب (٢) وكأنه اثناء رحلته الى "عمر" قبلها قد أصابه ما أصابه من العناء والضيق حتى لقد أوشك الموت قريبا منه نتيجة لما حل به من العوز وال الحاجة لكن عمر سرعان ما ينقذه بكرمه وعدله :

وَبَادُرُوا بِأَبْنَى لَيْلَى الْمَوْتِ إِنَّ لَهُ كُفَّيْنِ مَا فِيهِمَا بُخْلٌ وَلَا حَسْرٌ

والفرزدق هنا يصور نفسه بأنه شخص فقير يحتاج جدا عليه الزمن وأوهنته هموم الدنيا ليظهر أمام عمر بأنه يحتاج الى عطاياه لعلمه أن عمر يتائسر للضعفاء والمعوزين ، ويعود ثانية ليكرر

(١) وهي ليلي بنت عاصم بن عمر بن الخطاب - رضى الله عنهم أجمعين - انظر تاريخ الخلفاء للسيوطى : ٢١٢ .

(٢) انظر تاريخ الاسلام للذهبي : ١٨٢/٣ ، والنقائض : ٢٠٠ -

الإشارة بحسب عمر من جهة أبيه وأمه معاً فيذكر مروان جده لأبيه
وعمر الفاروق جده لأمه : (١)

أَلَيْسَ مَرْوَانُ وَالْفَارُوقُ قَدْ رَفِعَا
كَثِيرًا وَالْعُودُ مَا الْعِرْقِ يَعْتَصِرُ
مَا اهْتَزَّ عُودُ لَهُ عِرْقَانِ مِثْلُهَا
إِذَا تَرَوْعَ فِي جُرُثُومِ الشَّجَرِ

ويأخذ في عرض لحال الناس قبل مجىء عمر إلى الخلافة وبعد مجيئه
إليها في صور معبرة تفسح للخيال التعمق في المعنى وتقبل
النفس للفكرة التي يرمي إليها الشاعر فيقول :

أَلْفَيْتَ قَوْمَكَ لَمْ يَنْتَرْكُ لِأَثْلَاثِهِمْ
ظِلَّ وَعَنْهَا لِحَاءُ السَّاقِ يُقْتَشِرُ
فَأَعْقَبَ اللَّهُ ظِلًاً كُوْكُبَهُ وَرَقَهُ
مِنْهَا يَكْهِيَكَ فِيمَ الرَّيْشِ وَالشَّمْرِ
وَمَا أُعِيدَ لَهُمْ حَتَّى أَتَيْتَ لَهُمْ
أَزْمَانَ مَرْوَانَ إِذْ فِي وَحْشِهَا غَرَرُ
فَأَصْبَحُوا قَدْ أَعَادَ اللَّهُ بِعْضَهُمْ
إِذْ هُمْ قُرَيْشٌ وَلِذِ مَا مِثْلُهُمْ بَشَرٌ
وَهُمْ إِذَا حَلَفُوا بِاللَّهِ مُقْسِمُهُمْ
يَقُولُونَ لَا وَالَّذِي مِنْ فَضْلِهِ عُمَرُ
عَلَى قُرَيْشٍ إِذَا اخْتَلَّتْ وَعَصَمْهُمَا

فهو يعرض لحال قوم المدعى قبل مجيئه لهم فهم كالشجرة التي
لا ظل لها ، والتي عرى ساقها عن اللحاء الذي يكسوه ، وقد اعتمد
على التضمين (٢) في بيان فكرته التي يريد لأنـه اذا لم يكن للشجرة

(١) ديوان الفرزدق : ١٨٥/١ .

(٢) يرى أبو هلال العسكري أن التضمين هو أن يكون الفصل الأول
مفتقراً إلى الفصل الثاني ، والبيت الأول محتاجاً إلى البيت
الثاني ، وهو مانعنه في كلامنا هنا . الصناعتين : ٤٢ .

ظل فمعناه أنه لا ورق لها ، وتساقط الورق يدل على الجدب ، وأنه لا يوجد شعر ، وإذا اقتصر لحاء الساق تعرض للشمس والهوا ، نعماً .
الشجرة .

وتحتاج لهذا التأمل التاريخي الموضعى فى شعر المديح عند الفرزدق من خلال النماذج الشعرية التى عرضنا لها فى هذه المرحلة والتى تمثل مرحلة النضج والكمال لشعر المديح عند الشاعر تحددت لنا بعض السمات واللامعات الفنية يمكن اجمالها فى أن الفرزدق قد تفنن فى الصور الخيالية الموحية من تشبيهات واستعارات وكنایات ، واستخدم المحسنات البدوية ذات الأثر فى توضيح الصورة كالجناس والطباق والمقابلات والتضمين إلى غير ذلك من مظاهر الجمال الفنى فى نتاج الشاعر . ووضوح المعنى وعدم الغموض والبعد عن التعقيد الذى اشتهر به والناتج عن كثرة التقديم والتأخير ، وكان تقديمـه وتأخيرـه فى هذه المرحلة قرب المائى ما جعل التصوير واضحا ، والسبك محكما فى الأبيات التى توجد فيها هذه الظاهرة ، وقد ظهر بوضوح فى هذه المرحلة عفاف الفرزدق وعزـة نفسه فلم نجدـه - يستجدـى أحدـا من الخـلـفاء أو غـيرـهم من مدـحـهم ، وإذا ما حصلـ ان طـلبـ شيئاً فـانـما يـريـده لـمـجـتمـعـه ولـأـفـرـادـ قـبـيلـتهـ وكـانـ كانـ فىـ غـنـىـ عنـ عـطـاءـ الخـلـفاءـ وـالـولـاةـ وـالـأـمـراءـ ، وقدـ لـعـبتـ السـيـاسـةـ دـورـاـ واضـحاـ فىـ شـعـرـ الفـرزـدقـ فىـ هـذـهـ المـرـحـلـةـ فـحـطـبـ فـيـ حـبـلـ بـنـىـ أـمـيـةـ وـمـدـحـهـ بـكـيـرـ مـنـ قـصـائـدـهـ ، وـدـافـعـ عـنـ مـجـتمـعـهـ وـتـحـدـثـ بـلـسـانـ قـومـهـ مـصـورـاـ مـاـ يـنـتـابـهـ مـنـ شـكـلـاتـ وـمـاـ يـحـتـاجـونـ إـلـيـهـ ، وـمـعـارـضاـ لـبعـضـ الـوـلـاةـ الـذـينـ لـاـ تـحـمـدـ سـيـرـتـهـ وـمـبـيـنـاـ لـلـخـلـيفـةـ عـيـوبـ هـذـاـ الـوـالـىـ

أوذاك ، وكأنه شاعر معارضة له الحق في ابداء رأى مجتمعه
والتصريح به حتى ولو كانت هذه المعارضه للواли لا يأبه أن يذمه
متى أساء ويمدحه متى أحسن بغض النظر عن مركزه ، يؤيد هذا قول
عمر بن هبيرة الفزارى :

(مَارِيَتْ أَشْرَفَ مِنَ الْفَرْزَدقَ هَجَانِيْ أَسِيرَاً وَمَدْحَنِيْ أَسِيرَاً (١))

وقد خلا شعره في هذه الفترة من المبالغات الكثيرة والتكرار
واذا ماحدث ان كرر بعض الالفاظ فانه تكرار محمود لغرض يريده
ولم يتسع له البيت الأول ، وهذا يدل على تشبع الشاعر باللغة
وامتلاء نفسه بالفكرة التي يريد أن يطرقها وكما نلاحظ على مدحه
أيضا في هذه الفترة أنه لم يكن يمدح مدحه مباشرا بل كان ذلك
المدح بالقيم النفسية والاجتماعية ولم يكن بأوصاف في الجسم كالحسن
والبهاء والزينة ، وإنما بالفضائل التي تختص بالنفس كالعقل والعفة
والعدل ، والشجاعة ، وهذه الأمور عدها بعض النقاد القدامى من

× × × × × × × × × × × × × ×

(١) الكامل لابن الأثير : ٣٢ / ٥ ، ٣٨ ، ٤٦ ، ٤٧ .

٢) الصناعتين لأبي هلال العسكري : ١٠٤ .

أما المرحلة الثالثة، وهي مرحلة الاضطراب التعبيري والغموض عند الفرزدق فانها تبدأ بمدحه ليزيد بن عبد الملك وأخيه هشام، ومن كان في عصرهما من الأمراء والولاة فقد اتصل بهم ومحهم، وعمره حينذاك يتراوح الخامسة والثمانين، وقد أطلقنا هذه التسمية على شعره في هذه المرحلة نتيجة لما دخله من الغموض وعدم الوضوح الناتجين من كثرة التقديم والتأخير المخل بالمعنى وظهور سمة التعقيد التي أصبحت ظاهرة في شعر الفرزدق وكثرة المبالغات والتكرار لمعان بعضها لا يعود لها إلى غيرها وقد مدح يزيدا بسبع قصائد (١) كلها لا ترقى إلى مدائحة في الوليد، ولا حتى الحاج فضلاً عن سليمان بن عبد الملك.

ولعل حكم السن كان له دور في خبو عاطفة الشاعر المتاجدة التي رأيناها من قبل وإن بقيت لديه بعض الصور الخيالية فاما هي صور ضعيفة اذا قسناها بصورة المتقدمة .

يقول في مدح يزيد : (٢)

وَرِثْتَ ابْنَ حَرْبٍ وَابْنَ مَرْوَانَ وَالَّذِي
بِهِ نَصَرَ اللَّهُ الَّذِي نَصَرَهُ
فَلَا أُمَّ إِلَّا أُمَّ عِنْسَى عَلِمْتُهُ سَا

فمن الذي نصر الله به النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - ثم التشبيه في البيت الثاني ضعيف نتيجة لكترة التقديم لبعض الألفاظ

(١) هذه القصائد في ديوانه : ١٤٣/١ ، ٢١٣٠١٤٣ ، ٣٤٤٠٢٠٣٤٤ ، ١٦/٢

٣٠١٠٢٨١٠١٢٤

(٢) الديوان : ١٤٤/١

(٣) إلا إذا كان يقصد به الذين مثلا في القرآن الكريم

على بعض فهو يريد أن يشبه أم يزيد بأم عيسى وهي " مريم " عليهم السلام ، فجاء بهذه الصورة التي تفتقد الترابط وحسن الصياغة ومن الأمور التي طفت على شعر العدیع عند الفرزدق في هذه المرحلة كثرة المبالغات التي تصل بال الخليفة أحياناً إلى درجة النبي قوله في يزيد : (١)

لَوْلَمْ يُبَشِّرْ بِهِ عِيسَى وَبَيْنَهُ
كُنْتَ النَّبِيَّ الَّذِي يَدْعُونَ إِلَى النُّورِ
فَأَنْتَ إِذْ لَمْ تَكُنْ إِيَّاهُ صَاحِبُهُ
مَعَ الشَّهِيدَيْنِ وَالصَّدِيقَيْنِ فِي السَّورِ
فِي عَرْفِ الْجَنَّةِ الْعُلْيَا الَّتِي جَعَلْتُ
لَهُمْ هُنَاكَ سَعْيٌ كَانَ مُشْكُورٍ

فما الذي نجد هنا من المعانى المعبرة غير هذه المبالغة المقوية التي جعلت يزيد بن عبد الملك في مرتبة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام أبي بكر وعمر وثمان وعلي - رضي الله عنهم أجمعين .

ويمثل هذا المعنى الضعيف يستمر في مدح يزيد فيقول : (٢)

فَإِنَّ مُنَى النَّفْسِ الَّتِي أَقْبَلَتْ بِهَا
وَحَلَّ نُدُورِي إِنْ بَلَغَتِ الْمُوْقَرَا
بِهِ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ حَيَا وَمِيتًا
سَوَى مَنْ بِهِ دِينُ الْبَرِّيَّةِ أَسْفَرَا
إِمَامًا كَائِنَ مِنْ إِمَامِيْنِ نَمِيَ بِسِهِ
وَشَمِسِ وَبَدْرٍ قَدْ أَضَاءَ فَنَّورَا
فَرَحَنَا وَلَمْ تَنْظُرْ عَدَا مَنْ تَعَذَّرَا
فَلَيَتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِيْنَ قَضَى لَنَا

فكل مني نفس الشاعر أن يصل الخليفة لأنه سيد عنده بغيته فهو خير أهل الأرض حيا وميتا ويبالغ في جعل يزيد خير الناس ماعدا

(١) الديوان : ٢١٤/١ .

(٢) الديوان : ٣٤٦/١ .

الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، ويزيد يشبه الشمس والقمر ،
ونراه يلح صراحة في استعجال الخليفة للعطاء، ليقضي لهم حوائجهم
حتى يتمكنوا من العودة إلى ديارهم ثم يستطرد قائلاً : (١)

تَنَاهَلْتَ مَا أَعْيَا ابْنَ حَرْبٍ وَقَبْلَهُ
وَمَا كَانَ قَدْ أَعْيَا الْوَلِيدَ وَبَعْدَهُ
سُلَيْمَانَ وَمَنْ كَانَ فِي الرُّومِ أَعْصَرًا
وَأَغْيَا أَبَا حَفْصٍ فَكَسَرْتَ عَنْهُمْ
عَلَى أَسْوَقِ أَسْرَى الْحَدِيدِ الْمَسْمَرًَا
فَلَوْلَا الَّذِي لَا خَيْرٌ فِي النَّاسِ بَعْدَهُ
يَهْ قَتَلَ اللَّهُ الَّذِي كَانَ خَيْرًا

ان هذا المديح كما نلاحظ يفتقر الى الصدق الفنى ولذلك لجأ
الشاعر الى المبالغة غير المقبولة وهي البديل عن المعانى الصادقة
التي تعطى القارئ أو السامع الرغبة في القراءة والاستماع وتفتح
النفس لتقبل الفكرة والعنابة بها .

والمعنى هنا ساذج بل ربما عذر ذما للخلفاء السابقين وأنهم
كانوا جبناء مما أعيادهم جميعاً، وتغلب عليه يزيد، ثم هل
الناس بعد يزيد غباء لا خير فيهم حتى الخليفة المرتقب .
ونجد الفرزدق صاحب النفس الشامخة الذي يفخر على الخلفاء
ويدل بشرفه الرفيع يتهاوى على باب يزيد ملحاً في نواله فيقول : (٢)

أَتَيْنَاكَ رُوَارًا وَسَعْيًا وَطَاعَةً
فَلَبِيكَ يَا خَيْرَ الْبَرِيقَ دَاعِيَا
فَلَوْلَمْ أَجِدْ ظَهْرًا أَتَيْتَكَ سَاعِيَا
وَلَوْلَمْ أَجِدْ دَعَوْتِي
فَلَوْلَمْ أَتَنِي بِالصَّيْنِ ثُمَّ دَعَوْتِي

(١) الديوان : ٣٤٢/١ .

(٢) الديوان : ٣٥٢/٢ .

وَمَا لِي لَا أَسْعَى إِلَيْكَ مُشَمِّرًا
 وَكَفَاكَ بَعْدَ اللَّهِ فِي رَاحَتِي هُمَا
 لِمَنْ تَحْتَ هَذِي فَوْقَنَا الرِّزْقُ وَأَنْيَا
 بِكَ اللَّهُ قَدْ أَحْيَا الَّذِي كَانَ بَالِيَا
 وَأَنْتَ فِيَاتِ الْأَرْضِ وَالنَّاسِ كُلُّهُمْ
 أَرَى اللَّهَ بِالإِسْلَامِ وَالنَّصْرِ جَاعِلًا
 عَلَى كَعْبٍ مِنْ نَاَوَكَ كَعْبَكَ عَالِيَا

فَإِنْتَ نفسية ضعيفة متهافة أكثر من هذه النفسية التي تصورها هذه الأبيات حيث ظهر الشاعر هنا متسللاً مغرياً في التسول، وبهذه المعانى والأفكار المهزوزة المضطربة يسير الفرزدق في مدح يزيد وهشام فاختص هشاماً بطبع قصائد أيا (١) لا تصل في مجلمهما إلى بعض مدائنه في سليمان بن عبد الملك وربما كانت أقوى من سابقتها التي اختص بها يزيد، ونجد أنه يتكئ على كلمات بعضها فيذكرها وكان ذاكرته لم تعد تحفظ غير هذه الألفاظ، فمثلاً يذكر في القصيدة الواحدة قوله : (رأيت بنى مروان) كما يذكر من ذكر مروان هذا الاسم الذي لازم الفرزدق كثيراً في شعره آخر حياته إذ نراه يقول في مدح هشام : (٢)

رَأَيْتُ بْنَيْ مَرْوَانَ يَرْفَعُ مُلْكَهُمْ
 مُلُوكَ شَبَابَ كَالْأُسُودِ وَكَيْهُمَا
 إِذَا دَرَّكَتْ نَفْسِي أَبْنَ مَرْوَانَ صَاحِبِي
 وَمَرْوَانَ فَاضَتْ مَاءُ عَيْنِي غَرُوبِهَا
 لَهَا أَحَدٌ إِذْ فَارَقَاهَا يُجْهِهَا
 وَهَلْ دُعْوَتِي مِنْ بَعْدِ مَرْوَانَ وَابْنِهِ

(١) هذه القصائد في ديوانه : ٥٩/١ - ١٤٠٨٢ ، ١٨٨/٢ - ١٨٨ .

٣٠١ ، ٢٩٠ ، ٢٢٨

(٢) الديوان : ٥٩/١ - ٦٢ .

رَأَيْتُ بْنَى مَرْوَانَ إِذْ شُقَّ الْعَصَمُ
وَهُرَمَنَ الْحَرْبُ الْعَوَانُ كُلِّهَا
رَأَيْتُ بْنَى مَرْوَانَ شَبَّ مُلْكَهُمْ
مَشْوَرَةً حَقَّ كَانَ مِنْهَا قَرِيبَهَا

فهو يشبه ملوك بنى مروان بالأسود وأن ملكهم ثابت بالشورة فلا يأتي بشئٍ جديداً في هذا المدح كما يلحظ بالسؤال فيطلب صراحة مريقاً ما، وجهه أمام هشام ولم نعهد فيه قبل مثل هذا، وكان عليه أن يخص مدحه فقط بالمدح ولكن نراه يلقى الحigel على الغارب والكلام على عواهنه فيتكلم عن بنى مروان بعامة، وهذا يدلنا على ضحالة عاطفته أزاء الخليفة.

ولعل أجود ماقاله في مدح هشام في هذه المرحلة قوله : (١)

إِلَيْكَ مِنَ الصَّمَانِ وَالرَّمْلِ أَقْبَلَتْ
تُخْبَتْ وَتَخْدِي مِنْ بَعِيدٍ سَبَاسِبُهُ
لِنَلْقَائِكَ وَاللَّاقِيْكَ يَعْلَمُ أَنَّهُ
كَانَ هِشَامًا إِنْ تُلَاقِهِ سَالِمًا
كَتُونِي كَمَنْ بِالْغَيْثِ يُنْصَرُ جَانِبُهُ
لِتَأْتِيَ خَيْرَ النَّاسِ وَالْمَلِكَ الَّذِي
فَإِنَّ دُنْوَيَا مِنْ سِجَالِكَ مَالِيَّ
وَمِنْ أَيْنَ أَخْشَى الْفَقَرَ بَعْدَ الدُّرْتَقِيَّ
يُكْفِيكَ مِنْ مَعْرُوفٍ مَا أَنَا طَالِبُهُ

ومع أنه يلح في طلب العطاء إلا أنها لا تعدم الصور الفنية المعبرة في هذا المدح والتي اعتدنا على مثلها عند الفرزدق فهو يبيّن أنهم شدوا رحالهم للقيا هشام لعلمهم أنهم سيلقون خير أهل

النعت كفاه بكتفي هشام .

ومع أن هذه الصور قوية لكن الشاعر أغرق في المبالغات إذ
أن هشاما في نظره خير أهل الأرض وهو خير الناس والملك الذي
لا يعادله ملك في الأرض ، ويبلغ في الطلب بنفسية متهاقة متطلعة
إلى هذا العطاء . ولقد اتسم مدح الفرزدق لهشام بالجزالة
والقوة والتنوع في الصور الفنية أكثر مما اتسم به مدحه لأخيه يزيد
ولعل السبب في ذلك طول الفترة التي مكثها هشام في الخلافة
إذ أنه مكث تسع عشرة سنة (١) مما أتاح للشاعر أن ينظم فيه بعض
المدائح التي ترقى إلى شعر الفرزدق في أوج قوته ، مطبوعا بطبع
الجزالة والقوة بين هذا قوله :

أَقُولُ لِنَاقِتِي لَمَا تَرَامَتْ
 أَغْبَشُي مَنْ وَرَأَيْكَ مِنْ رَبِيعٍ
 يَدِي حَيْرَ الْذِينَ بَقُوا وَمَا تُوا
 يَهُ بِيَعْيِي الْبِلَادَ وَمَنْ عَلَيْهِ

(١) تولى الخلافة بعد أخيه يزيد سنة ١٠٥ هـ وتوفي سنة ١٢٥ هـ، فكانت مدة خلافته تسع عشرة سنة - انظر مروج الذهب للمسعودي ٣ / ٢١٦

الديوان ٢ / ٢٩١

عَدْمِ إِلَيْكَ خَيْرُ النَّاسِ حَيَّا
 إِلَى مَلِكِ الْمُلُوكِ جَمِيعَ هُمَّي
 وَحْبَلَ اللَّهُ حَبْلَكَ مَنْ يَئْلُمُ
 يَدَاكَ يَدُ رَبِيعُ النَّاسِ فِيَّا
 فَإِنَّ النَّاسَ لَوْلَا أَنْتَ كَانُوا

لِتُنْعِشَ أَوْ يَكُونَ لِكَ اعْتِصَامِ
 عَلَى الْمُرْتَدَفَاتِ مِنَ السَّمَاءِ
 فَعَالِغُرَّى إِلَيْهِ مِنَ انْفِصَامِ
 وَفِي الْأُخْرَى الشَّهُورُ مِنَ الْحَرَامِ
 حَصَى حَرَزٌ تَسَاقَطَ مِنْ نِظَامِ

فهو يشبه هشاما بالربيع الذى يغيث الأرض ومن عليها لكنه يبالغ
فيذكر أن يدى هشام خير الأيدي سواء من الأحياء أو الأموات
 فهو امام ابن ملوك عظام . وتلازمه المبالغة فيصوّره بأنه خير الناس ،
 وأنه قصده لينعشء أو يعتصم به ، ويصفه بأنه ملك الملوك ثم يبيّن
أن حبله مستحد من حبل الله ومن يعتصم بحبل الله فلا انفصام
له كنایة عن عدله ، وأن الناس ينتظرون الخير من يديه ، وأجمل
ما يروقنا هنا تصوّره الفنى لحال الناس لولا هشام فقد شبههم
بالخرز المنظوم المتراص فلو لم يكن هشام موجودا لاختل هذا العقد
وتناشرت حياته .

وبعد هذا كله فإنه من خلال تتبع شعر المدح عند الفرزدق في هذه المرحلة وهي مرحلة الاضطراب التعبيري والغموض أمكننا أن نتخلص بعض النتائج التي بسطها البحث نجملها في هذه الأسطر :

لقد بقى شعر الفرزدق في هذه المرحلة على الرغم من كسر سنه محتفظاً بطبع الجزلة والقوة لكنه خلا من تنوع المعانى والافتنان في الصور الفنية وكثرت عنده المبالغات التي ترقى أحياناً بالمدح

الى مرتبة الأنبياء وصحابة الرسول (١) - صلى الله عليه وسلم - ولاشك أن هذه الكثرة في المبالغات تدل على ضعف قريحة الشاعر فأخذ يعوض فقر هذه القرية بقوة رنين اللفظة حتى تعوضه عن الصورة الخيالية المبتكرة فقدت هذه المبالغة سارية في معظم أبيات المديح عنده في هذه الفترة . وقد كثر أيضا تكراره لألفاظ بعضها لا تعطى المعنى قوة ولا تزيد الصورة جمالا وقد بدا متهافتًا على أبواب الخلفاء يربق ما وجده في الالاحاج والطلب وانتظار عطاهم ، وكان العطاء مقصده وملبغ غايته كما كثر التقديم والتأخير عنده في هذه المرحلة فاتسمت بعض أشعاره بسعة الغموض والتعقيد الذي لا يدفع إليه عمق الفكرة بل غموضها وارتباكتها في ذهنه مما حدا ببعض النقاد إلى القول : (وَكَانَ الفَرَزِدُقُ حَرِيصًا شَرَهًا جَشِيعًا) (٢) .

ومهما يكن بهذه الطباع ليست أصيلة فيه وإن كانت صورة الأخيرة في مدائحه تعبر عن هذه السمات التي أشرنا إليها (٣) ، فلعل هرمه مع عسر وضيق صاحبه في آخريات عمره حدث به إلى هذا .

(١) لاشك أن الناحية السياسية كانت من أهم الأسباب التي حدت بالفرزدق إلى هذه المبالغات ، وأغرقه المفرط في غلوائه تجاه مدوحه بالإضافة إلى كبر سنه وضعف قريحته في هذا السن بالذات ولهذا تراجعت عاطفته وخبت قريحته .

(٢) صاحب هذا القول هو أبو عبيدة / انظر النقائض ١٠٤٩ .

(٣) انظر الفرزدق - للدكتور شاكر الفحام ٤١١ .

وبعد :-

فلقد قال الفرزدق شعر المديح حوالي نصف قرن كان خلالهما صورة حية لحياة الصحراء ، وما تمثله من قيم وعادات أصيلة (١) فلم تخب قريحته بل كانت حية متقدة حتى بعد بلوغه من الكبر عتيماً واشتعال رأسه شيئاً .

ولقد مدح هذا الشاعر أشخاصاً كثراً من الخلفاء والولاة ، والأمراء ، والأجود ، والقبائل فافتتن في مدائحه وجود فنه (٢) ولعل في الجداول التوضيحية المرفقة ما يبين تلك الكثرة من مدحه هذا الشاعر الفحل ليستدل الدارس على غزارة نتاجه الفني وما خلفه للعربية من تراث ضخم يستمد منه العلماء شواهدهم في صنوف المعرفة العربية ما عاشت هذه الأمة حية بين الأمم تحفل بتراثها وتحترم نتاج شعراها .

وبعد أن انتهينا من دراسة المديح نعرض لدراسة الفخر عند الفرزدق .

(١) انظر مقدمة القصيدة العربية في العصر الاموي للدكتور حسين عطوان : ١٤-١٥ (طبعة دار المعارف) .

(٢) ليس معنى هذا أن مالم تتعرض له من مدائح في أشخاص آخرين دون ما أوردناه في الجودة ، فإن الباحث يجد نماذج كثيرة يصعب معها الحكم على بعضها بالجودة دون بعض ولكننا اختربنا هذه النصوص التي أوردناها لأنها تمثل أنواع المديح الثلاث عند الفرزدق .

فلقد كان لنشأة الفرزدق في بيت من أشرف بيوت العرب ، وأعظمها مجدًا أثر في شخصيته اذ وجهته هذه النشأة إلى التعلق بمحال الشرف المتينة ، والاعتصام بحسب عريق يتجازبه من كل مكان ، فعاش سيدا من سادات تميم (١) يفخر وحق له ذلك ، وكانت أشعاره الأولى مقاخرة ومهاجة اذ لم يكن هناك من الداعي النفسية ما يجعله يطرق باب المدح الأقليلًا اذ كان في غنى مادىٌ ومعنوى عن التكسب بالشعر واستجداء العظماء .

وكان من الطبيعي أن يكون للشباب ، والترف ، وأصل المحبب أثر واضح في حياة هذا الشاعر يجعله ينسى أو يتناهى من حوله حتى ولو كانوا خلفاء أو ولاة ظنا منه الا أحد يستطيع الوقوف في وجهه وردعه عن التعالي على الناس ، والقدح في أعراضهم .

وقد تمالكه العظمة بحيث غالب عليه الفخر وعد فارس حلبيه ، وبمكتنا القول ان الفرزدق فاق شعراً عصره في هذا المجال (٢) لأنّه ينطلق فيه من واقع حقيقي يعضده في ذلك نسب رفيع ونفس سياهية متعالية :

وَإِذْ فَخَرْتُ فَخَرْتُ غَيْرَ مَكْذِبٍ وَلِيَ الْعُلَا وَكَرِيمُهَا الْمَأْوَرُ (٣)

في بيته من بيوت مجاشع بن دارم وقد حلوا من تميم ذواتها واقتعدوا

(١) النقائض : ١٠٥١ .

(٢) العمدة : لابن رشيق : ٩٦/١ ، وتاريخ الأدب العربي - عمر فروخ ٦٥١/١ .

(٣) ديوان الفرزدق : ٢٩٢/١ .

سهام مجدها (١) ، وجده صعصعة بن ناجية بن عقال عرف برجاحة عقله ، وقد أنكر وأد البنات في الجاهلية فافتداهن بماله ، وكان من خيار العرب في الجاهلية والاسلام . (٢)

وأبوه غالب بن صعصعة كان سيداً من سادات مجاشع جواداً ميلاً شديد التعلق بفضائل الباادية ومكارمها ، وقد اشتهر بمعاقرة سحيم بن وشيل الرياحي ، فعقر أربعين بعير في يوم واحد ، وكان يعطي السائلين دون أن يسألهم عن أصلهم ونسبهم ، فقد تراهن ثلاثة نفر من كلب على أن يختاروا أفضل تيم ، وبكر فكان خيرهم غالب إذ أعطاهم مائة ناقة وراعيها دون أن يسألهم من هم . (٣)

ووجده ليلى بنت حابس (٤) أخت الأقرع بن حابس الذي أقرت له العرب بأن يكون حكمها ترضي بقضائه وتستجيب لحكمه .

ويعتبره هنددة بنت صعصعة أخت أبيه غالب بلغ من اعتدادها

بنفسها واعتزازها بنسبها أن قالت :

(من جاءت من نساء العرب بأربعة كاربعتي يحل لها أن تضع

(١) انظر المحير : ٢٤٧ والفرزدق دراسة للدكتور شاكر الفحام : ١٠٩

(٢) المحير : ١٤١ ، والأغاني ٢١ / ٣٠٠ ، وشرح نهج البلاغة ٤٢٦ / ٣ ،

وأنساب الأشراف : ٢٦ / ١١ - ٣٢ .

(٣) المحير : ١٤٢ ، والأغاني : ٢٨٢ / ٢١ .

(٤) خلافاً للدكتور محمد عبد القادر أحمد الذي يرى أنها أم الفرزدق

- دراسات في أدب ونحو العصر الأموي : ٢٨٩ .

خمارها عندهم فصرمتى (١) لها . أبي صعصعة ، وأخي غالب ، وحالي الأقرع بن حابس ، وزوجي الزبرقان بن بدر (٢) فسميت بذات الخمار .

وأمه لينسة بنت قرظة من بنى ضبة أخت العلاء بن قرظة الشاعر المجيد الذى كان له أثر فى موهبة الفرزدق الشعرية . (٣) ومن هنا فقد ملك الفخر على الفرزدق نفسه ومكتبه هذه المكانة السامية والنفس الشابة المتعاظمة أن يفخر على أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان فـى وقت لم يبلغ فيه من العمر ثلاثين عاما (٤) لكنه كان معجبا بنفسه معتدا بآبائه حيث قال : (٥)

أَلْسُتْ أَعْزَّ النَّاسِ قَوْمًا وَأَسْرَةً
وَأَنْعَمْهُمْ جَارًا إِذَا ضِيمَ جَانِسُهُ ؟
كَمْثُلِي حَصَانٌ فِي الرَّجَالِ يُقَارِبُهُ
وَمَا وَلَدَتْ بَعْدَ النَّبِيِّ وَأَهْلِهِ
أَبِي غَالِبٍ وَالمرْءُ صَعْصَعَةُ الَّذِي
إِلَى دَارِمٍ يَنْهُي فَمَنْ ذَا يُنَاسِبُهُ
أَنَا ابْنُ الْجِبَالِ الشَّمْسُ فِي عَدِ الْحَصَى
وَمَنْ دُونِي الْبَدْرُ الْمُضِيُّ كَوَاكِبُهُ
وَبَشِّتِي إِلَى جَنْبِ رَحِيبٍ فِي نَاؤِهِ

(١) الـَّصَرْمَةُ : القطعة من النخل أو الابل أو السحاب / المعجم الوسيط

(صرم) .

(٢) العقد الفريد : ٦٧/١ .

(٣) الأغانى : ٤/٢٠ ، والطبرى : ٤/٢٩٠ .

(٤) لعل الفرزدق تطاول على معاوية رضى الله عنه بهذا الفخر دونما خوف

لعله بحلم معاوية وسعة صدره ، والا ما كان يجرؤ على مثل هذا .

(٥) ديوان الفرزدق : ١/٥٣ .

أَفْرَيْبَارِي الرِّيحَ مَا رُورَجَانِبُهُ
أَبُوكَ الَّذِي مِنْ عَبْدِ شَعْشِ يُخَاطِبُهُ
جَوَادًا تَلَاقَيَ الْمَجَدَ مُذْ طُرْشَارِبُهُ
قُصْيُ وَبَدِ الشَّمْسِ مِنْ يُخَاطِبُهُ

وَكُمْ مِنْ أَبِ لِي يَامَعَاوِي لَمْ يَزَلَ
كَمَثَة قَرُونُ الْمَالِكَةِ وَلَمْ يَكُنْ
تَرَاهُ كَنَصِلِ السَّيْفِ يَهَتَزُ لِلنَّدَى
طَوْبِيلُ نَجَادِ السَّيْفِ مَذْ كَانَ لَمَيْكَنْ

ومن استقرارنا للفخر عند الفرزدق وجدناه ينطلق فيه من منطلقين
أساسيين أدار حولهما فخره .

فقد رمايجد في نفسه من أنفة وكبراء ، وما يشعر به من تفوق
على الناس في الحسب والنسب وعلو المنزلة . (١)

يَا وَقْعَ هَلَّاسَاتِ الْقَوْمَ مَا حَسَبَيْ
إِذَا تَلَاقَتْ عَرَى ضَفَرٍ (٢) وَأَحَقَابٍ
رِكَابُهُمْ غَيْرَ أَنْقَاءٍ (٣) وَأَصْلَابٍ (٤)
إِنِّي أَنَا الزَّادِ إِذْ لَا زَادَ يَحْمِلُهُ

يرى كذلك أن الله قد هيأه ، وهو سليل مجد تليد ليدافع عن
أبناء قبيلته ويحمي أعراضهم ويرفع من شأنهم في وقت كان للشعر
فيه دور هام في رفع منزلة القبيلة أو العكس : (٥)

(١) ديوان الفرزدق : ١/٣٠ .

(٢) وَقْع : مرخم وقعة : وهي أم سوداء زوجته . والضَّفَر : حزام الرجل
وكل خصلة من الشعر ضفت على حدة ، والأحَقَاب : بريد بها
السنين . انظر المعجم الوسيط مادة (ضفر ، حقب) .

(٣) الْأَنْقَاءُ الْوَاحِدُ نَقِيُّ : مخ العظم .

(٤) وَالْأَصْلَابُ ، الْوَاحِدُ صَلْبٌ : الظهر .

(٥) ديوان الفرزدق : ١/٩٥ .

أَرْفَنِي مَنْ يَقُومُ لِكُمْ مَقَامِي
إِذَا مَا أَمْرَأَ جَلَّ عَنِ الْعِتَابِ
إِلَى مَنْ تَفْزَعُونَ إِذَا حَشَوْتُمْ
بِأَيْدِيْكُمْ عَلَيَّ مِنَ التُّسَارِ

ومن هنا يمكننا القول بأن المنطلق الأول للفخر عند الفرزدق قبلى يتبعد منطلق شخصي ذاتي .

وقد استثار الجانب القبلى بجزء كبير من شعر الفخر عنده اذ ظهر متعصباً لقبيلته شديد الاعتزاز بها متفانياً في سبيل رفع شأنها ، وقد وجد في دارم عزا ومنعة ففاخر وتطاول بها على القبائل والشعراء لما عرفت به من نبل المحتد ورفعه النسب وعلى المنزلة وكرم الخلال : (١)

دِيَارَ الْمَنَّا يَرْغَبُ فِي الْمَكَارِمِ إِلَى الْمَجْدِ بِالْمُسْتَأْثِرَاتِ الْجَسَائِمِ؟ تَطْحَطَحَتْ فِي آذِيهَا الْمُتَصَادِمِ (٢) نَمِيلُ بِأَنْضَادِ الْجِبَالِ الْأَضَاجِمِ عَلَيْكَ بِأَطْوَادِ طِوَالِ الْمَخَارِمِ (٣) إِلَى ابْنَيِّ مَنَافِ عَبْدَ شَمْسٍ وَهَاشِمٍ ذَرَاهَا إِلَى حَيْثُ التَّجُومُ التَّوَائِمِ	فَإِنَا أَنَّاسٌ نَشْتَرِي بِدِمَائِنَا أَلْسَنَا أَحَقَّ النَّاسِ يَوْمَ تَقَايِسُوا (٤) مُلُوكٌ إِذَا طَمَتْ عَلَيْكَ بُحُورُهَا إِذَا مَا وَزَنَا بِالْجِبَالِ رَأَيْتَنَا تَرَكَانَا إِذَا صَدَدَتْ عَيْنَكَ مُشْرِفَا وَلَوْسَلِكَتْ مَنْ كَفُونَا الشَّمْسَأَوْمَاتِ وَكَيْفَ تُلَاقِي دَارِمًا حَيْثُ تُلْتَقِي
---	--

(١) ديوان الفرزدق : ٣١٥ / ٢ - ٣١٦ .

(٢) تقاييس القوم : ذكرروا مأربهم ، تطحطحت : أى هلكت .

(٣) طمت : أى كسر حتى عمت .

(٤) المخارم : جمع مخرم وهي الطرق في الغلظ .

انظر اللسان (خرم) .

ويقول أيضاً في معرض فخره على جرير : (١)

تَعَاطَ مَكَانَ النَّجْمِ إِنْ كُنْتَ طَالِبًا
بَنِي دَارِمٍ فَانْظُرْ مَنِي أَنْتَ نَائِلُهُ
وَلَنَجْمٌ أَذْنِي مِنْهُمْ أَنْ تَنَاهِي
عَلَيْكَ فَأَصْلِحْ زَرْبَ مَا أَثْتَ آثِلُهُ

وأحياناً نجده يفخر بضبة ودارم معاً فيقول : (٢)
 خَيْرُ الْقَرُومِ فَهَذَا خَيْرُ مُنْتَسَبٍ
 أَنَا ابْنُ ضَبَّةَ لِلنَّقْوَمِ الَّذِي حَضَعْتُ
 مَجْدَ تَلِيدِ إِلَيْهِ كُلُّ مُنْتَجَبٍ (٣)
 وَبَيْتُ مَكْرُمَةٍ فِي عِزٍّ أَوْلَانَا
 مَصَادِرُ النَّاسِ فِي رَجَافِ الْكَرْبِ
 مِنْ دَارِمٍ حِينَ صَارَ الْأَمْرُ وَاشْتَهَيْتُ

ويقول مفتخراً بدارم ومتاقضاً جريراً : (٤)

وَجَدْتُ لِدَارِمٍ قَوْمِي بَيْوَسْتَا
عَلَى بُنْيَانِ قَوْمِكَ قَاهِرَاتِ

ويقرن مع دارم مجاشعاً فيقول : (٥)

فَلَكُشتُ وَإِنْ كَانَتْ ذَوَابَةُ دَارِمٍ
نَمْثَنِي إِلَى قَدْمُوسِ مَجْدِ حَلَاحِلِ (٦)
وَإِنْ حَلَّ بَيْتِي مِنْ سَمَاءِ مَجَاشِعٍ
بِمَنْزِلَةِ فَاتَّيَدَ المُتَنَّـاولِ
إِلَيَّ لَدَى الْحِذَلَانِ مِنْ كُلِّ خَاذِلٍ
بِنَاسٍ لِيَكُرِّ حُسْنَ صُنْعِ أَخِيهِمْ

(١) ديوان الفرزدق : ١٢٥/٢ .

(٢) ديوان الفرزدق : ٣٩/١ .

(٣) **المنتجب** - المصطفى المختار .

(٤) الديوان : ١٠٩/١ .

(٥) الديوان : ١١٠/٢ .

(٦) **الحلحول** : الضخم .

وبقدر ما يفتخر بدارم ومجاشع وضبة نجده يفتخر بخندف قائلا :

تَهَامَةُ وَالْبِطَاحُ إِذَا سَدَدْنَا بِخَنْدَفَ مِنْ تَهَامَةَ كُلَّ بَابٍ (١)
لَهُ مِنْ أَظْلَلَهُ السَّمَاءُ اسْطِرَابُهَا لَنَاحَوْمَ بَحْرَيْ خَنْدَفٍ قَدْ حَمَّتْ بِهِ (٢)

ويقول مفاخرا بخندف وقيس عilan معا : (٣)

إِذَا خَنْدَفَ بِالْأَبْطَحِينِ تَغَطَّرَفْ وَرَائِيْ وَقِيسِ دَيْلَتْ بِالْشُّرَقِ
وَأَرْيَابَهُ مِنْ فَوْقَهِ حِينَ نَلْقَيْ فَمَا حَدَّ إِلَّا يَرَانَا أَمَامَهُ
بِخَنْدَفَ أَوْقِيسِ بَنْ عَيْلَانَ يَغْرِقِ وَمَنْ يَلْقَ بَحْرِيْنَا إِذَا مَاتَنَاطَحَا
مَعَ النَّجَمِ فِي أَعْلَى السَّمَاءِ الْمُحَلَّقِ هَمَاجَبَلا اللَّمَالَلَّدَانِ ذُرَاهُمَا
مِنَ الْبَنْدَارِيَّاً بِهِ مِنَ الرَّوْمِ مُغْلِقِ فَتَحَنَّنَيْ إِذِنِ اللَّهِ كُلَّ مَدِينَةٍ

والملحوظ على الفرزدق أنه لا يجد مدخلًا يلتج منه للشرف والعلو
الا ولجه ، فها هو يفتخر بمضر لأن الرسول - صلى الله عليه وسلم -

منها وهي بذلك في الذروة من الشرف :

عَلَىَ وَقَدْ دَقَ اللَّجَامَ شَكِيْبِيِ إِذَا مُضَرَّ الْحَمَراءُ حَوْلِيْ تَعَطَّفَ
وَكَنْتُ ابْنَ ضِرْغَامِ الْعَدُّ وَظَلْلُومِ أَبْوَا أَنْ أَشْوَمَ النَّاسَ إِلَّا ظُلْمَةً
عَلَىَ النَّاسِ يَغْلُو كُلَّ جَدَّ جَدُودُهَا أَبْتَ مُضَرَّ الْحَمَراءِ إِلَّا تَكَرَّمًا
وَلَا خَتْلَافٌ إِذَا مَا جَمَعْتُ مُضَرَّ ، يَخْتَلِفُ النَّاسُ مَا لَمْ يَجْتَمِعْ لَهُمْ (٤)

(١) الديوان : ٣٣/١

(٢) الديوان ٦٣/١

(٣) الديوان : ٣٨/٢

(٤) ديوان الفرزدق : ٢٨٦/٢ ، ١٥٨/١٠ ، ٢٠٠ ، ٢٠٠

وقد يجره هذا الفخر الى أن يذكر النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم يفتخر به ك قوله : (١)

وَمِنَ رَسُولِ اللَّهِ أَرْسَلَ بِالْهُدَى وَإِلَيْهِ جَاءَتِ الْيَقِينُ نَوَادِرُهُ بِهِ دُوَخَتْ أَوْثَانُهَا وَبَهُودُهَا بِنَا وَلَنَا مَجْدُ الْفَخُورِ الْمُصَدَّقِ بِهِ اللَّهُ مِنْ صَلَى بِغَرْبٍ وَشَرِيقٍ	وَمِنَ رَسُولِ اللَّهِ أَرْسَلَ بِالْهُدَى وَمِنَ نَبِيِّ اللَّهِ يَتْلُو كِتَابَهُ أَلَمْ تَرَ أَنَا بِالشَّاعِرِ يَهْتَدِي أَبِي مَضْرِ مِنْهُ الرَّسُولُ الَّذِي هَدَى
--	--

وقد وجد هذا الشاعر في تميم القبيلة العظيمة الكثيرة في العدد والعدة مجالاً لفخره فهو ابنها البار الذي يضرب نسبه في دارم ،

وهو سيفها المسلول في وجه الأعداء : (٢)

إِذَا مَا أَعْظَمُ الْحَدَثَانِ نَابَأَ أَنَا ابْنُ الْعَاصِمِينَ بَنِي تَمِيمٍ أَفَرَّ تَرَى لِقْبَتِي حِجَابًا تَعَافِي كُلَّ أَصْيَدَ (٣) دَارِمِيَعَ	إِذَا مَا أَعْظَمُ الْحَدَثَانِ نَابَأَ سَرَادِقُهَا الْمَقَوْلُ وَالْقِبَابَا بَيْوَاتَا يَبْتَثُونَ تَوَارِثُوهَا
---	---

ويقول في مناقضة جرير : (٤)

وَرَاجِلُهَا الْمَعْرُوفُ عِنْدَ الْمَوَاسِمِ إِذَا أَسْلَمَ الْجَانِي ذِمَارَ الْمَحَارِمِ	مَنْعَتْ تَمِيمًا مِنْكَ إِنِّي أَنَا ابْنُهَا أَنَا ابْنُ تَمِيمٍ وَالْمُحَامِي وَرَاءَهَا
--	--

ويقول مصوراً قوة هذه القبيلة وعظمتها حتى أن الناس لابد وأن يطيعوا ويمثلوا لأمرها وإلا حزت حلقوم المتمردين (٥) :

(١) ديوان الفرزدق : ٢٢٢/١ - ١٥٩٠ - ٣٨/٢ .

(٢) الديوان ٩٩/١ . (٣) الأصيد : المائل العنق المتكبر

المزهو بنفسه ، وكل ذي حول وطول من ذوى السلطان - المعجم

الوسيط (صيد)

(٤) الديوان ٣١٢/٢ . (٥) الديوان : ٣١٢/٢ .

فَمَا بَيْنَ مَنْ لَمْ يُعْطِ سَمْعًا وَطَاعَةً
 فَإِنَّ تَعِيمًا لَمْ تَكُنْ أُمَّهُ ابْتَغَتْ
 كَانَ أَكْثَرُ الْقَابِلَاتِ لِأَمْسَأَ
 تَأَزَّرَ بَيْنَ الْقَابِلَاتِ وَلَمْ يَكُنْ

(١) رَمِينَ بِعَادِيَ الْأَسْوَدِ الضَّرَاغِيمِ
 (٢) لَهُ تَوَاءُمٌ إِلَّا دَهَاءُ الْحَازِمِ

واذا تتبعنا فخر الفرزدق بقومه ترأت لنا صور العجد من كل جانب
 فتارة يصوّرهم بأنهم كرام أجود يكرمون الضيف وبالفنون في اكرامه
 اذا تقاعس غيرهم عن ذلك فيقول مصروا هذا الكرم وفتخر به : (٣)

وَكَنَّا إِذَا نَامَتْ كُلُّبُ عَنِ الْقِرَى
 إِلَى الْفَيْفِيْنِ نَشَرِيْ بِالْعَبِيْطِ وَنَلْجِفُ
 وَقَدْرُ فَثَانَا غَلِيْبَا بَعْدَ مَاغَلَتْ
 وَكُلُّ قِرَى الْأَضِيَافِ نَقْرِي مِنِ الْقَنَا

(٤) (٥)

وتارة يفخر بقومه ويصوّرهم بأنهم أفضل من يعشى على الأرض ، وأن
 قبور أمواتهم أفضل القبور قائلًا : (٦)

وَأَنْفَلُ مَنْ يَعْشَى عَلَى الْأَرْضِ حَيْنَا
 وَمَا ضَمَّتْ فِي الدَّاهِيْنِ قُبُوْرَهَا
 لَنَا دُقَنَّ مَنْ تَحْتَ السَّمَاءِ عَلَيْهِمُ
 مَنْ أَخْذَنَا بِآفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْهِمْ

(٦)

(١) القابلات : جن اللواتي يتلقينه عند الولادة . والضراغم : الأسود الشديدة

(٢) الحازم : هو الشديد .

(٣) الديوان : ٢ / ٣٠ .

(٤) العبيط : هو اللحم الطرى غير ناضج .

(٥) السنام السدف : السدف لحم السنام جمعه سداف و هو الشحم المقطع
 انظر المعجم الوسيط (سدف) .

(٦) الديوان : ١ / ٢٢٣ .

وكان الفرزدق هنا متأثر بقول عمرو بن كلثوم التغلبي الجاهلي في
عرض فخره القبلي :

لَنَا الدُّنْيَا وَمَنْ أَمْسَى عَلَيْهَا
وَنَبْطِشُ حِينَ نَبْطِشُ قَادِرِينَا (١)
مَلَأْنَا الْأَرْضَ حَتَّى ضَاقَ عَنَّا
وَمَا الْجَرِنْعَلَةُ سَفِينَّا

وأحياناً أخرى يصور قومه بأنهم حلماء وقت الحلم وأنهم كالجحش
أو الجبار وقت الغضب حينما يهم أحد بالجهل عليهم فيقول مفتخرا

بهذا الجانب : (٢)

إِنَّا لَتُونَّ بِالْجِبَالِ حَلُومَنَا
وَإِنَّا لَتُونَّ بِالْجِبَالِ حَلُومَنَا
ءَأَحَلَّنَا جِنَّا إِذَا مَانَجَهُنَا
ءَفَضَّلَنَا بِشَتَّى الْمَعَاشِرِ كُلُّهُمْ
كُلُّهُمْ وَرَدَنَا حُلُومَنَا إِلَى جِبَالِنَا
كُلُّهُمْ وَرَدَنَا حُلُومَنَا إِلَى جِبَالِنَا

ويفتخر بأن قومه ملوك في منازلهم قادة شجعان في حومات
الوفى (٣) :

حُلُولُ الْمُلُوكِ لِيَاسِنَنا فِي أَهْلِنَا
وَالسَّابِغَاتِ إِلَى الْوَقَى نَتَسْرِبُ

ويفتخر بأن قومه أحق الناس بالمجد فهم ملوك لا يصادهم أحد
الاغرق في بحورهم وهلك ويصور هذه الصفات بقوله مفتخرا : (٤)

(١) انظر معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي وهي من عيون الفخر القبلي .

(٢) ديوان الفرزدق ١٦٥/٢، ١٥٢، ٣٣٠ : ١٠٠ / ١ - ٠

(٣) الديوان ١٥٢/٢ .

(٤) الديوان : ٣١٥/٢ .

أَلَّا أَحَقُّ النَّاسِ يَوْمَ تَقَيَّسُوا
كُلُوكٌ إِذَا طَمَتْ عَلَيْكَ بُحُورُهَا
إِذَا مَا وُزِّنَا بِالْجِبَالِ رَأَيْنَا
إِلَى الْمَجْدِ بِالْمُسْتَأْثِرَاتِ الْجَسَارِ
تَطْخُطَحَتْ فِي آذِيهَا الْمُتَصَادِرِ
تَعْيَلُ بِأَنْضَادِ الْعِبَالِ الْأَضَاحِرِ

ويُفْخَرُ بِقُوَّمِهِ وَيَصُورُهُمْ بِأَنَّهُمْ بَلْغُوا ذُرْوَةَ الْشَّرْفِ وَأَنَّهُمْ سَادَةُ الدُّنْيَا
يَتَحْمِلُونَ الْحَمَالَاتِ وَالَّتِي هُمْ يَهْرِبُ كُلُّ مُظْلومٍ ، وَأَنَّهُمْ لَا يَقْتَلُونَ الْأَسْرَى
بِلَّا يَفْكُونُهُمْ لِأَنَّهُمْ أَنَّاسٌ شَيْمُهُمُ الْعَفْوُ عِنْدَ الْمُقْدَرَةِ : (١)

إِذَا عَجَزَ الْأَحْيَاءُ أَنْ يَحْمِلُوْدَمَا
أَنَّا نَحْنُ إِلَى أَجْدَاثِنَا كُلُّ غَارِمٍ
تَرَى كُلَّ مُظْلومٍ إِلَيْنَا فِرَارًا
وَبَهْرَتْ مِنَا جَهَدَةُ كُلُّ ظَالِمٍ
(٢) إِذَا أَثْقَلَ الْأَعْنَاقَ حَمْلُ الْمَغَارِمِ
وَلَا نَقْتُلُ الْأَسْرَى وَلَكِنْ نَفْكَهُمْ
وَكُمْ مِنْ أَسِيرٍ قَدْ فَكَنَا وَمِنْ دِمْ
حَطَّنَا إِذَا مَاضَجُ بِالثَّقْلِ غَارِمَةُ

وَفِي هَذَا الْمَعْنَى مِنَ الْجَمَالِ وَالْعُمَقِ مَا لَا يَخْفِي لِأَنَّ الْأَحْيَاءَ إِذَا
عَجَزُوا عَنِ الْعَطَاءِ وَدَفَعُ الْحَمَالَاتِ يَكُونُ الْأَمْوَاتُ مِنْ بَابِ أُولَى ، لَكِنْ
قَوْمُ الشَّاعِرِ يَكَادُونَ يَخْتَلِفُونَ عَنِ النَّاسِ فَأَمْوَاتُهُمْ يَسْتَطِيعُونَ الْقِيَامِ
بِمَا لَمْ يَسْتَطِعُ الْقِيَامُ بِهِ الْأَحْيَاءُ مِنْ غَيْرِهِمْ . فَهُوَ يَرْتَفِعُ بِالْمَعْنَى
دَرْجَةً فَوْقَ الْمَعْقُولِ ، لَكِنْ هَذَا نَتْيَاجٌ مُتَوقَّعٌ لِمَا يَشْعُرُ بِهِ الشَّاعِرُ
مِنْ عَزٍّ وَعَظَمَةٍ بِأَنْتِمَاهُ الْقَبْلِيِّ ، وَهُوَ بِهَذَا يَوْمِهِ إِلَى قَبْرِ أَبِيهِ

(١) دِيَوَانُ الْفَرَزْدِقَ ٣١٤ / ٢ .

(٢) (غَرم) غَرْمًا وَغَرَامَةً : لِزَمْهِ مَا لَا يَجْبُ عَلَيْهِ ، وَيُقَالُ : غَرمُ الدِّيَةِ

وَالدِّينِ أَدَاهُمَا عَنِ غَيْرِهِ .

الْمَعْجمُ الْوَسِيطُ (غَرم) .

غالب المدفون بظاهرة ، وقد تسامى به هذا الشرف وهذا المجد
إلى أن يفخر بأن الشمس لو أنكحت النجوم نباتها لكان قوم الشاعر
أسبق إلى نكاح نبات الشمس قبل الكواكب : (١)

وَلَوْ شَنِيقُ الشَّعْسُ النَّجَومَ بَنَاتِهَا إِذَا لَنَكَحْنَا هُنَّ قَبْلَ الْكَوَافِرِ .

ويرى أن مجدهم قد تسامى بهم إلى أعلى العنازل حتى أن السحاب
لو سبق وأن رفع إليه أحدها لكانوا قوم الشاعر : (٢)

وَلَوْ رَفَعَ السَّحَابَ إِلَيْهِ قَوْمًا عَلَوْنَا فِي السَّمَاءِ إِلَى السَّحَابِ

ويقول مفتخراً بكثرة قومه في العدد والعدة : (٣)

لَنَا قَمَرُ السَّمَاءِ عَلَى الشَّرِيكَ وَنَحْنُ الْأَكْثَرُونَ حَصَّيْ وَغَابَا

ويقول : (٤)

لَنَا عَدَدُ يَرِيَ على عَدَدِ الْحَصَّيْ وَيُضَعِّفُ أَضْعَافًا كَثِيرًا عَذِيرَهَا

فأى فخر أكبر من هذا ؟! الذي تومي ، لنا الألفاظ والمعانى
فيه بكثير من التجاوز لحدود المعقول والبالغة فلا أحد يستطيع
أن يطck القمر والشريا مهما علت منزلته وكثرة نفيه ، ولكن خيال
الشاعر ترمى إلى أفق رحب فاستطاع أن يقدم لنا هذه الصورة
الشعرية الرائعة التي تتم عن خيال متدفع متطلع إلى أعلى غاية

(١) ديوان الفرزدق : ٩٧/١ .

(٢) الديوان : ٩٨/١ .

(٣) الديوان : ١٠٠/١ .

(٤) الديوان : ٢٢٢/١ .

في المجد والسوء .

والحقيقة أن الكثرة ليست مدار الفخر وإنما العبرة بالصفات الحميدة التي يتحلى بها الناس سواء أكانوا قليلاً أم كثيراً وهذا ما أشار إليه السمو^(١) أولاً بقوله مفتخرًا :

تَعْيِرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكِرَامَ قَلِيلٌ
وَمَاضَرُنَا أَنَا قَلِيلٌ وَجَارُنَا عَزِيزٌ وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلٌ

هذا في الواقع ما يتعلّق بفخر الفرزدق القبلي ، أما عن الجانب الثاني من فخر هذا الشاعر :-

فهو الجانب الذاتي وهو مادر حول الشاعر نفسه وامتد إلى آباءه وأجداده وعشيرته الأقربين كأخواله وأخوال أبيه ومن في حكم هؤلاء من يمتنون إلى الشاعر بصلة قرابة .

والفرزدق كثير الاعتداد بنفسه وقد ملأ الدنيا بالحديث عنها ومن أبيه غالب وجده صعصعة ، وقد كانتا هاتان الشخصيتان رافدانا لا ينضب معينه يستمد منه الشاعر فيصناً غزيراً من المعانى السامية يرجحها في مفاخره الكثيرة ، وقد يمتد هذا الفخر ليشمل أخواله بنى ضبه وكذلك الأقرعين ابني حابس أخوال أبيه .

ولم نجد من شارك الفرزدق خيلاً في العصر الأموي ولا حتى فيما بعده إلا أبا الطيب المتنبي رغم اختلاف الزمن والبيئة والنشأة

(١) وهو السموأل بن عاديا من أهل تيماء وهو من شعراء اليهود ، انظر ابن سلام :

٢٧٩/١
(٢) انظر الحماسة البصرية : ١٤٢/١ .

والمحتد بين الشاعرين ، وهو في نظر نفسه كريم لا يجاري قد
ضحي في سبيل كرمه بناقهه في وقت الشدة : (١)

إِذَا كَانَ زَادُ الْقَوْمِ عَقْرَ الرَّكَابِ
وَلَوْسَالَتْ عَنِّي سَوْدَةُ أُبَيْتْ
وَتَعْلِيقِ رَحْلِي مَاشِيًّا غَيْرَ رَاكِبِ
بِضَرْبِي بِسَيْفِي سَاقَ كُلَّ سَعْيَتْ

وقوله : (٢)

سَتُوقِدُ هَا لِلْطَّارِقِينَ خَلَائِقُهُ وَأَجْهَلُ مَنْ يَخْشَى الْجَهُولُ بِوَاقِعِهِ	إِذَا حَمَدَتْ نَارَ فَلَنَّ ابْنَ غَالِبٍ أَنَا الطَّعْمُ الْمَقْرُورُ فِي لَيْلَةِ الصَّبَا
---	--

وهو يفتخر بأن هذه السجية الطيبة صفة من صفات أبيه حتى بعد
ماته وأنه سيظل وفيها لها .

دُعَاءَكَ يَرْجِعُ رِيقَ فِيكَ إِلَى الْفِيمِ (٣)
وَلَوْكَانَ فِي لَهْدِي مِنَ الْأَرْضِ مُظْلِمٌ
هَسْبَدَةٌ إِذَا كَانَتْ شِفَاءُ مِنَ الدَّمِ
فَقَالَ لِوَالِاسْتَغْفِرَةِ بِالْقَبْرِ أَوْ أَسْمِعِ ابْنَهُ
فَأَقْسَمَ لَا يَخْتَارُ حَيَا بِغَالِبٍ
فَقُلْتَ لَهُ أَقْرِيكَ عَنْ قَبْرِ غَالِبٍ

وأى صورة من صور الفخر الشخصى أعظم من هذه الصورة التى يرسمها
الفرزدق مبينا اغراقه فى الكرم وحبه للضيف . وسرعة القرى فيقول
مفتخرا : (٤)

يَرَاعِي بِعِينَيْهِ النَّجُومَ التَّوَالِيَّا
وَمُسْتَبِّحٌ وَاللَّيلُ بِئْنِي وَبَيْنَهُ
إِلَى الصَّبَاقَدِ ظَلَّ بِالْأَمْسِ طَاوِيَا
سَرِي إِذْ شَفَشَ اللَّيْلُ تَحْمِلُ صَوْتَهُ

(١) الديوان : ٢٢ / ١ . (٢) ديوان الفرزدق : ٢ / ١٩٨ .

(٣) ديوان الفرزدق : ٢ / ٥٠ . (٤) ديوان الفرزدق : ٢ / ٣٥٧ - ٣٥٢ .

وَقَدْ هَوَ اللَّيلُ السَّمَكُ الْيَمَانِيَا
 لَا سَوْقَدُنْ نَارًا تُحِبُّ الْمَنَادِيَا
 كَفَى سَنَاهَا لَابِنِ إِنْسِكَ دَاعِيَا
 أَخَا قَفْرَةِ يُزْجِي الْمَطِيَّةَ حَافِيَا
 سِلَاحِي يَوْقَيِ الْمُرْبِعَاتِ الْمَتَالِيَا
 ذَوَاتِ الْبَقَايَا الْمُعْسِنَاتِ مَكَانِيَا
 ثَنَاءِ الْمَخَاضِ وَالْجَذَاعِ الْأَوَابِيَا
 غِشَاشَا وَلَمْ أَحْفَلْ بِكَهْ رِغَائِيَا

فَلَمَّا رَأَيْتَ الرِّيحَ تَخْلِجُ تَبَحَّهُ
 حَلَفْتُ لَهُمْ إِنْ لَمْ تُحِبْهُ كَلَابِيَا
 وَقُلْتُ لِعَبْدِي أَشِعْرَاهَا فَإِنَّهَا
 قَمَّا خَمَدَتْ حَتَّى أَضَاءَ وَقُوَّهَا
 فَجَمَتْ إِلَى الْبَرِيكِ الْهَجَودِ وَلَمْ يَكُنْ
 فَخُضْتُ إِلَى إِلَاثَنَاءِ مِنْهَا وَقَدْ تَرَى
 وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنِّي اخْتَرْتُ لِلْقَرَى
 فَعَكَسْتُ سَيْفِي مِنْ ذَوَاتِ رِمَاجِهَا

وهذه الأبيات بينها وأسلوبها القصصي المؤثر تشكل صورة جميلة للشاعر وهو يتاهم لاستقبال ذلك الضيف الطارئ وما يترتب على هذا الاستقبال من حفاوة بالغة . وهي صورة جميلة تحكي لنا الكرم العربي الأصيل وسرعة القرى للضيف ، وهذه القصيدة تشكل أجمل قصائد الفرزدق في الفخر لأنها تحكي سجايا محبيه بعيداً عن التباهی بالنسب والقبيلة ، هذه السجايا هي اكرام الضيف ، والبشاشة في وجهه . كما أن هذه القصيدة تعثل كرم الفرزدق وقت الشباب وهو يرى في نفسه العظمة والسيادة . وقد تجلت فيها عبقريته المصورة وقدرته على الحكاية والقص ، وتمكنه من ناصية اللغة لفظاً ومحاجزاً وصوراً وهو يرى نفسه رفيعاً كالنجم المسلط على رقاب الأداء ف يقول :

وَانِي أَنَا النَّجْمُ الَّذِي عَذَّبْتَ بِـ
 قَرَى أَمَةَ بَادَتْ وَبَادَ نَخِيلَهَا^(١)

ويرى أنه كالموت الذي يأخذ النفس ولا يستطيع أحد رده وأنه
البدر الذي لا يناله أحد فيقول : (١)

فَإِنِّي أَنَا الْمَوْتُ الَّذِي هُوَ ذَا هُبَّ
يَنْفِسُكَ فَانْظُرْ كَيْفَ أَنْتَ مَحَا وَلَدُهُ
أَنَا الْبَدْرُ يَعْشِي طَرْفَ عَيْنِكَ فَالْتَّمِشُ
يَكْفِيكَ يَا اتَّبِعْنِي الْكَلْبُ هَلْ أَنْتَ نَائِلُهُ

ويفتخر بشاعريته وأنه عظيم لم يأته الشعر مصادفة لكتبه سليل شعراً
كما رثى منهم الشعر كامرئ القيس ، والمهلل ، وطرفة ، والأعشى
والمرقس ، وعلقة وغيرهم من الفحول فيقول : (٢)

وَهَبَ الْقَصَادِيدَ لِي التَّوَابِعَ إِذْ مَضَوا
وَالْفَحْلُ عَلْقَمَةُ الَّذِي كَانَتْ لَأَنَّهُ
وَأَخْوَيْنِي قَبْسٌ وَهُنَّ قَتَلَنَّهُ
وَالْأَعْشَيَانِ كَلَاهُمَا وَمَرْقَشُ
وَأَخْوَيْنِي أَسْدٌ عَبِيدٌ إِذْ مَضَى
وَابْنَا أَبِي سَلْمَى زَهْرَى وَابْنَ مَرْمَةٍ
وَالْجَعْفَرِيُّ وَكَانَ بِشَرٌ قَبْلَهُ
وَلَقَدْ وَرِثْتُ لِآلِ أَوْسٍ مَنْطِقَهُ
وَالْحَارِشِيُّ أَخُو الْحِمَاسِ وَرِثْتُهُ
وَبِقَدْرِ مَا يَفْتَخِرُ بِنَفْسِهِ نَجْدَهُ كَذَلِكَ يَفْتَخِرُ بِأَبِيهِ وَجَدَهُ ، فَيَقُولُ فِي
هذا المجال مفتخراً بأبيه : (٣)

(١) الديوان : ١٢١/٢ .

(٢) الديوان : ١٥٩/٢ .

(٣) الديوان : ٣٦/١ .

(١٦٩)

لَعْمِكَ مَا لِلْفَارِسِينَ عَشِيرَةُ
تَفَاخِرْنِي وَلَا لَهُمْ بِئْلُ غَالِبٍ
كَسَامِي بِهِ الْجَوَازَةُ بَيْنَ الْكَوَاكِبِ
بَنَى بَيْتَهُ حَتَّى اسْتَقْلَ مَكَانَهُ

ويستمر في افتخاره بأبيه فيقول :

أَبِي غَالِبٍ وَاللَّهُ سَمَاهُ غَالِبًا
وَكَانَ جَدِيرًا أَنْ يُضْرِبَ وَيَنْفَعَ

وقد بالغ في هذا الفخر فان الضار والنافع هو الله سبحانه وتعالى وليس غيره ، أما اذا كان يقصد انه يضر الأعداء وينفع الأصدقاء فلا بأس به حينئذ ، وقد ورد هذا المعنى من قبل عند قيس بن الخطيم عندما قال :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْفَعْ فَضْرَ فَإِنَّمَا
يُرَادُ الْفَتَنَى كَيْمًا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ

ويستمر في فخره بأبيه ك قوله :

وَقَوْمٌ أَبُوهُمْ غَالِبٌ جُلُّ مَالِهِمْ
مَحَامِدٌ أَغْلَاهَا مِنَ الْمَجْدِ غَالِبٌ
وَأَكْدَثَ بِأَيْمَانِ الرِّجَالِ الْعَطَالِبُ
بَنَوَا كُلَّ فَيَاضِ الْيَدَيْنِ إِذَا شَاءُوا

ويقول مفاجرا بجده صعصعة :

وَصَعْصَعَةُ الْمُجِيرِ عَلَى الْمَنَائِيَّا
بِذِمَّتِهِ وَفَكَّاكِ الْعُنَاءِ

وقد اتخذ الغزدق من عمل جده العظيم حينما افتدى المؤذنات

(١) هو قيس بن الخطيم من بنى ظفر من الأوس عده ما بين سلام من شعراء القرى / طبقات فحول الشعراء : ٢١٥ / ١

(٢) الديوان : ٩٤ / ١ (٣) الديوان : ١٠٩ / ١

وسيلة فافتخر بهذا العمل الجليل الذي لم يسبق اليه أحد : (١)

أَنَا أَبْنَى الَّذِي مَنَعَ الْوَائِدَا
تِوَاحِيَا الْوَئِيدَ فَلَمْ يُؤَدِّ

أَحَلَّ إِلَيْهَا مَاتِ اللَّهَ أَمْرِمِنْ مُصَرَّ
أَنَا أَبْنَى الَّذِي أَحَيَا الْوَئِيدَ وَلَمْ أَزَلْ

على أن من أجمل صور الفخر بهذا العمل الجليل الذي قام به جده تصويره آياه بأنه أفضل من الغيث عندما قال : (٢)

أَبِي أَحَدِ الْغَيَثَيْنِ صَعْصَعَةُ الَّذِي مَنَى تَخْلِفُ الْجَوزَاءُ وَالنَّجْمُ يُمْطِرِ

فقد ارتفع بالمعنى درجة فوق التشبيه ليبين أن جده صعصعة أفضل من الغيث (٣) ويستمر في رسم هذه الصورة الجميلة

فيقول مفتخرا : (٤)

عَلَى الْفَقْرِ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ مُخْفِرٍ تُعَالِجُ وَيُحَا لَيْلَهَا غَيْرُ مُقْمِرٍ أَتَيْتُكَ مِنْ هَرْلَهِ الْحَمُولَةِ مُقْتَرٍ لَهُ أَبْنَةُ عَامٍ يَحْطِمُ الْعَظْمَ مُنْكَرٍ إِلَى خُدُودِ مِنْهَا وَفِي كُرْ مَحْفِرٍ لِبَنْتِكَ جَارٌ مِنْ أَيْمَانِهَا الْقَنَّوْرُ	أَجَارَ بَنَاتِ الْوَائِدِينَ وَمَنْ يُجَرِّ وَفَارِقٌ لَيْلٌ مِنْ رِسَاءِ أَنَّتِ أَبِي فَقَاتَ أَجَرٌ لِي مَا وَلَدْتُ فَإِنَّتِي هِجَافٌ مِنَ الْعُنْوَنِ الرُّؤْسِيَّادِ أَضَفْتُ رَأْيَ الْأَرْضِ مِنْهَا رَاحَةً قَرْمَيِّ بِهَا فَقَالَ لَهَا نَاهِي فَلَرَتَيِّ بِدَمَتِي
--	--

وهذه الصورة الفنية التي أبدعها الفرزدق تدلنا على أنه يتعالى بهذا العمل الجليل ويجد فيه منطلقًا لفخره فيجيد في رسم

(١) الديوان : ١٢٣ / ١ ، ٣٣٩ ، ٣٨٠ - ٣٢٩ / ١ . (٢) الديوان : ٣٨٠ - ٣٢٩ / ١ .

(٣) التصوير البياني - د . محمد أبو موسى : ٢٥ .

(٤) الديوان : ٣٢٩ / ١ - ٣٨٠ .

الصور التى تمثل للقارئ ذلك الواقع المظلم الذى حاربه صعقة ووقف فى وجه من يختط هذا العمل الصسين من عرب الجاهلية حتى جاء الاسلام فأزال هذه العادة الذميمة عندما حرم وأد البنات . وقد استحسن الرسول - صلى الله عليه وسلم - عمل هذا الرجل كما ورد فى بعض الروايات . (١) ويمتد فخر الغرزدق بعشيرته الأدرين ليشمل الأقمار والحقات بالإضافة الى أبيه وجده فيقول : (٢)

إِنَّ الْأَقَارِعَ وَالْحُنَّاتَ وَغَالِيَّا
إِنَّمَا وَجَدْتُ أَبِي بَنْيَ لَيَ بَيْتَهُ
فِي دُوْحَةِ الرَّؤْسَاءِ وَالْحَكَامِ
وَأَبَا هَنْيَدَةَ دَافَعُوا لِمَقَامِي
لِشَرْخَالِهِ

ويتطاول في فخره الشخصي ليشمل ~~ذلك~~ ^{ذلك} كنالك قائلاً : (٢)

حَرْبُ يَشْبَهُ سَعِيرُهَا بِضَرَامٍ
 مِنَ الَّذِي جَمَعَ الْمَلُوكَ وَبَيْنَهُمْ
 غَلْبَ الْمُلُوكَ وَرَهْطَهُ أَعْمَامِي
 وَأَبِي ابْنِ صَفْصَعَةَ ابْنِ لَيْلَى غَالِبٍ
 يَوْمَ النَّقَا شَرِقاً عَلَى بِسْطَامٍ
 حَالِي الَّذِي تَرَكَ النَّجَيْعَ بِرَمْحَهُ

قد جمع في هذا الفخر كما نرى أباه وجده وجدته وخاله ورهطه الأدnen . وهكذا ملك الفخر على الفرزدق نفسه . وكان هذا الغرض يطغى على نتاجه كله .

وبعد هذا يمكننا أن نقول إننا لو تبعنا فخر الفرزدق
القبلي وحده أو الشخصي لكان هذا كفلاً بأن يكون بحثاً متكاملاً
فقد كان قومه في نظره أعز العرب بيتاً، وأرفعهم شرفاً وأوسعهم

⁽¹⁾ انظر الأغانى : ٢١ / ٢٩٦ - ٢٨١ .

(٢) ديوان الفرزدق : ٣٠٥-٣٠٦ . (٣) الديوان : ٣٠٦ / ٢

خيرا وكرما وهم ذروا العقول التي توازى الجبال والثبات الذي لا يتزعزع والشجاعة التي تفوق كل شجاعة .

ويبدو هذا الشاعر في فخره صادق العاطفة متوجب الخيال لأنه ينطلق فيه من نفسية متطلعة إلى العلا والمجد ، وأنه مؤمن بما يقول يعيش هو ذاته هذا الواقع الذي يكتنفه الشرف من كل جانب فكانت الفاظه جزلة ومعانيه عميقة المدلول .

ومن هنا كان الفخر منه الأول الذي برب فيه وعلا حتى لا يدانيه شاعر من شعراء عصره ، ولا من جاءوا بعده فيما نعلم .

كان يفخر بمجاشع ، ودارم ، وتميم ، وبأحواله بني ضبة وخدنف ، ومضر كلها حتى وصلت به تطلعاته للشرف والمجد إلى أن يفخر بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، والخلفاء ، فضلا عن نفسه ، وشرفه وكرمه ، وشعره وأبائه وأسرته .

وقد يأتي باللفظ المعبر ليدل به على معنى جميل يصوّره

تصويراً بارعاً ك قوله مفتخراً بشجاعته : (١)

وَسِيرِي إِذَا مَا طَرْمَسَاهُ تَطَحَّختَ عَلَى الرَّكِبِ حَتَّى يَخْسِبُوا الْقَفَ وَادِيَا

فإن التعبير بلغطي (الطرمساء ، تطخطخت) فيما من الدلالات والإيحاء على ظلمة الليل وهو له ما يجعل الإنسان يتورع عن السير فيه ، لأن هذه العبارة بلغتها وجرس حروفها تدل على ثقل الليل

وَشَدَّةُ ظُلْمِهِ وَبِالْتَّالِي تَعْثَرُ الرَّكَابُ حَتَّى أَنْ الْمَاشِي فِي هَذَا
اللَّيلِ الْبَهِيمَ لَمْ يَعْدْ يَمِيزَ التَّلَّ مِنَ الْوَادِيِّ . لَكِنَّ الشَّاعِرَ تَخْطَبِ
هَذِهِ الْأَخْطَارَ الْمُحَدَّقَةَ وَرَكِبَهَا بِشَجَاعَتِهِ لِيَبْحَثَ عَنِ الْفِضْفِ الْتَّالِيِّ
مَا يَدْلِنَا عَلَى كَرْمِهِ وَعَطَائِهِ وَشَجَاعَتِهِ .
وَمِثْلُ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ كَثِيرًا نَجَدُهَا فِي ثَنَاءِ فَخْرِهِ كَوْلَهُ أَيْضًا

فِي فَخْرِهِ عَلَى جَرِيرٍ : (١)

مُلُوكٌ إِذَا طَمِّتْ عَلَيْكَ بَحْوَرَهَا تَطْحَطَحَتْ فِي آذِيَّهَا السَّتَّاصَادِمِ

فَان لفظ (تطحطحت) يدل بجرس حروفه على قوة قوم الشاعر وعلو
مجدهم وضياع من أراد مصادتهم ، وبمثل هذه الألفاظ البلغة
القوية والصور الفنية المعبرة يسير الفرزدق في فخره كله فيعبر
عما يريد بألفاظ نشم فيها رائحة العظمة من مثل قوله : (٢)

**بَخْيَّنَ لَنَا الشَّرْفَ الْقَدِيمَ وَغِنَّا قَهْرَ الْبِلَادَ فَمَالَهُ تَنْكِيْرٌ
أَحْيَاهُنَا خَيْرُ الْبَرِيَّةِ كُلَّهُنَا وَقْبُورُنَا مَا فَوْقُهُنَّ قُبُوْرٌ**

لقد تجاوزت العظمة بالشاعر إلى أن يصور قبور قومه بأنها تعلو
قبور الناس كافة فضلاً عن الأحياء منهم . ولكن هذه العظمة وهذا
التجاوز قد خرجا بالفرزدق عن حدود المعقول لأن الإنسان في
قيمه لا يفضل غيره إلا بما لديه من رصيد في أعمال الخير .

(١) الديوان : ٣١٥/٢ .

(٢) الديوان : ٢٩٢/١ .

ولكن عظمة الفرزدق ونظرته لعشيرته جعلته ينسى من حوله من الأحياء ، والأموات من غير قومه . ولا يرى سوى قبيلته ونفسه وعشيرته الدنيا فيصور الناس وقد خضعوا لقومه وكأنهم خاريب طير

فرقتها الصقور : (١)

خَارِبٌ طَيْرٌ صَعْصَعُهَا صُقُورُهَا
وَنَحْنُ ضَرِبَنَا النَّاسَ حَتَّىٰ كَانُوهُمْ

وكما نرى فإن من أهم عناصر فن الفرزدق التعبيري في الفخر استعماله بكثرة الألفاظ الثنائية التراكيب وأفعل التفضيل ، وصبح المبالغة لتهويل البالغ فيه ، وجذوحة إلى استعمال الألفاظ البدوية القوية الجافية ، والاكثار في فخره الشخصي من تعداد أسماء آبائه وأجداده وقد وجد في نسبة العريق مثلاً يفاخر به ، حتى أن القساري لشعر الفخر عند الفرزدق يستطيع بعد عدة قصائد أن يسرد أسماء آبائه وأجداده في كل قصيدة قبل أن يقرأها لأن تلك الأسماء لم تلتفت واحتسبت في سحيطها وتمكن من عرضها في كل مناسبة وكأنها معينا لا ينضب يستمد منه معانى فخره وتطاوله على غيره حتى لقد أنساه هذا التطاؤل أن ي مدح الخليفة سليمان بن عبد الملك عندما طلب منه أن ينشده ، فقال مفتخرًا بين

(١) الديوان : ٢٢٣/١ .

(٢) الخاريب : جمع خرب وهو ذكر الحبارى .

(٣) صعصعتها : أي فرقتها - يريد أن هذه الصقور أفزعت الطيور فتفرق هذه الطيور وأضطررت نتيجة لهذا الخوف .

المعجم الوسيط (صعصع) .

(١) يديه :

وَرْكِ كَانَ الرَّيْحَ تَطَلُّبُ عِنْدَهُمْ
 لَهَا تِرَةٌ مِنْ جَذْبِهَا بِالْعَصَائِبِ
 سَرَوا وَسَرَثُ نَكَبَاءٍ وَهُنَّ تَلْفَهُمْ
 إِلَى شَعْبِ الْأَكْوَارِ ذَاتِ الْحَقَائِبِ
 وَقَدْ حَصِرَتْ أَيْدِيهِمْ نَارًا غَالِبِ
 إِذَا آتَوْا نَارًا يَقُولُونَ لَيْتَهُمْ

فأعرض عنه سليمان كالمحض لأنه أراد أن ينشده مدحًا فيه لكنه
 افتر بآبيه ونسى أنه بحضره الخليفة . (٢)

(١) زهر الآداب - للحصرى ١/٣٣٥ .

(٢) لم يكن الفرزدق من الشعراء الذين بادروا بتأييد دعوة الوليد
 ابن عبد الملك بخلع سليمان من ولاية العهد وجعلها لابنه .
 فاحتفظ سليمان للفرزدق بهذا الموقف المشرف معه ما كان سببا
 في توطيد العلاقة بينهما .

الفصل الثالث

(الفرضيات

لدى

جَرِيدَةٍ

" الفصل الثالث "

÷ ÷ ÷ + ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷

* * الفرضان لدى جرير *

يحسن بنا بادئ ذي بدء أن نبدأ بدراسة مدائع جرير
للولاة أولا ثم الخلفاء ثانيا .

والسبب في انتهاج هذا المنهج أن مدائع جرير في الولاة
قد اتسمت بالقوة والجزالة والعمق في التصوير أكثر من مدائحه في
الخلفاء ، وقد أشار بعض الدارسين المحدثين إلى هذه الظاهرة
وتنبه لها . (١)

ويعد الحاج بن يوسف من أوائل الولاة الذين اتصل بهم
جرير ومدحهم لأنّه أقرب إلى الشاعر موطننا من بني أمية ، شمام
جريرا قد اتخذ جانب قيس التي كانت تناصب الأمويين العداء ،
ونحن نعلم أنّ الحاج ينتمي إلى هذه القبيلة إذ كان قلبه وهواء
معها فتعصب لها تعصبا قبليا بينما كان سيفه مع بني أمية
فلا عجب إذا أن يمتدحه جرير ويقترب إليه فاختصه بخمس قصائد (٢)
تعد من حيث القوة والجزالة والتفنن في التصوير أروع من مدائحه
في كثير من الخلفاء .

(١) انظر جرير حياته وشعره للدكتور نعман طه : ٢٢٦

(٢) انظر هذه القصائد في الديوان : ١٤٦، ١٣٦ / ١ : ٢٢٧/٢-٣٩٩، ١٤٦، ٨٤٨ ، ومطالعها في الجدول رقم (٢) الملحق بهذا البحث .

وعندما نستعرض مدحه في الحجاج تترافق إلى أسماعنا تلك المعانى القوية التي تدل حقا على أنها نابعة من عاطفة جياشة وهى من العواطف الصادقة في تلك الفترة وان كانت قد خفت بعد وفاة الحجاج اذ سرعان ما قلب جرير لمدحه ظهر المجن فاستباح لنفسه أن يعرض به عند سليمان بن عبد الملك عليه يظفر بحبه وعطائه ويمحو غلطته التي ارتكبها عندما أيد دعوة الحجاج للوليد بخلع سليمان من ولاية العهد كما هو معروف . (١)

ومهما يكن فإن مدائنه لهذا الوالى كانت سجلا رائعا في تصوير هذه الشخصية القوية وما يكتنفها من حزم وصرامة كقوله : (٢)

أَمْ مَنْ يَكُونُ كَسْوَةَ الْحَجَاجِ إِذْ لَا يُثْقِنُ بِغِيرَةِ الْأَزْوَاجِ مَاضِيَ الْبَصِيرَةِ وَاضِحَ الْمِنْهَاجِ وَاللَّيلُ مُخْتَلِفُ الطَّرَائِيقِ دَاجِ وَاللَّهُنَّ نَكَلَهُ عَنِ الْإِذْلَاجِ وَدَعُوا النَّجِيَ فَلَمَّا حِينَ شَاهِ	مَنْ سَدَ مَطْلَعَ النَّفَاقِ عَلَيْكُمْ أَمْ مَنْ يَغَارُ عَلَى النِّسَاءِ حَفِيظَةً إِنَّ ابْنَ يُوسُفَ فَأَعْلَمُوا وَتَيَقَنُوا مَاضٍ عَلَى الْغَمَرَاتِ يُمْضِي هَمَّهُ مَنْعَ الرَّشَا وَأَرَاكُمْ سَلَ الْهَدَى فَاسْتَوْقَوا وَتَبَيَّنُوا سَلَ الْهَدَى
---	---

وكما نرى فهو يبدأ هذه الصور التي رسما للحجاج بدأية تقريرية من خلال صيغ الاستفهام . فيصوره حصنا منيعا وسيفا مصلتا يقطع دابر المنافقين ليوطد الأمان في ربوع الوطن . ويدرك تلك الأعمال

(١) انظر البداية والنهاية - لابن كثير : ١٦٦/٩ .

(٢) ديوان جرير : ١٣٢/١ - ١٣٨ .

العظيمة التي قام بها مستدلاً بوضوح سيرته ومنهاجه ، ويدرك
حرصه على راحة المحكومين ، وسلامتهم ، وأمنهم ، وأنه لا يقر قراره
ولا يهدأ باله حتى يطمئن على النساء وأنهن أصبن في مأمن
من الفساق . خصوصاً وأن البصرة والكوفة كانتا تعانى بالمجان
والفساق فتتبعهم زياد بن أبيه ثم جاء الحاج فاستأصلهم عن بكرة
أبيهم وأجبرهم على الطاعة ، وسير الرجال للفتح مع المهلب بن
أبي صفرة . (١)

بعضى جرير فى رسم صورة واضحة للأعمال التي قام بها
الحاج مشيراً إلى أنه منع الرشا ، وأبان سبل الهدى ، ونكلل
باللصوص المدلجين حتى استبان للجميع سبيل الهدى واستقامت
الأمور ، ويقرر هذه المعانى من خلال تصويره الحاج في صورة
المصلح الذى أخطأ أهل عصره فاتعبوا أنفسهم معه . (٢)

(١) انظر أدب السياسة في العصر الأموي د. أحمد الحوفي : ٢٨٣ - ٢٩٠ ، والمهلب بن أبي صفرة هو : ظالم بن سراق بن صبح بن كندى بن عمرو الأزدى العتکي البصري - ولد عام الفتح وتوفي غازيا بمرو الروز سنة (٤٨٢هـ) وهو قائد بطل وأمير شجاع .
أنظر سير أعلام النبلاء : ٤/٣٨٣ - ٣٨٥ .

(٢) انظر جرير ونقائضه مع شعراء عصره - د. محمد عبد العزيز الكفراوى : ١٠٩

ان جريرا في هذه الأبيات يعالج مشكلة من أهم المشكلات السياسية التي تتعلق بحياة الأمة كلها فهو يرى أن حياة الناس كافة فوق حياة الأفراد ، وأن العجاج قد وضع مصلحة الأمة فوق أي اعتبار فصورة لنا مصلحا قويأ يهتم بأمر الدولة ويقيم الأمن في ربوع الوطن مؤكدا هذا المعنى من خلال قوله مادحا : (١)

إِنَّ الْعَدُوَّ لِإِذَا رَمُوكَ رَصَيْتُمْ
 فَإِذَا رَأَيْتُ مَنَافِقَنَ تَخْيَلَ رُوا
 دَأَوْتُهُمْ وَفَيْتُهُمْ مِنْ فِتْنَةٍ
 وَلَقَدْ كَسَرْتَ سِنَانَ كُلَّ مَنَافِقٍ
 بِذِرْاعَائِيَّةِ أَوْ سِهْبِ سُواجٍ (٢)
 سُبْلَ الضَّجَاجِ أَقْسَكَلَ ضَجَاجٍ (٣)

وجريدة في هذا المدح حينما استعمل الكلمات الحسية بشتى أنواعها انما يمثل تصورا ذهنيا معينا له دلالته وقيمة الشعورية عند السامع ليقف على حقيقة ماتمثله شخصية الحاج من قوة وجبروت في وجه المنافقين واللصوص ، وما كان لهذه الشخصية من تأثير في بسط الأمن وتوفير الاستقرار لجميع الناس .

ويمضى جريراً في امتداد العجاج بالجانب البطولى من خلال معارك الدامية التى خاضها على رأس جيش الخلافة ضد الأعداء ويتسامي بهذا المدحوج الى مكانة يحسده عليهَا غيره

• ۱۲۸ / ۱ : دیوان حیریز (۱)

(٢) عمادة وسواج : جبلان بالعالية .

(٢) الضاج : الباطل .

فيقول (١) :

لَقِيْتُهُمْ وَخَيْلَهُمْ سِمَانٌ
 أَقْتَلَهُمْ بِسُكْنٍ سُوقَ مَوْتٍ
 تَرَى نَفْسَ الْمَنَافِقِ فِي حَشَاءٍ
 تَحْقِّقُهُمُ السَّيُوفُ كَمَا تَسَامَى
 بِيَوْمِهِمُ الْعَمَاسِ إِذَا رَأَوْهُ
 بِسَاهِمَةِ النَّوَاظِرِ وَالْحُدُودِ (٢)
 وَأُخْرَى يَوْمَ زَاوِيَةِ الْجَنُودِ (٣)
 تُعَارِضُ كُلَّ جَائِفَةَ عَنْ حُودِ (٤)
 حَرِيقَ النَّارِ فِي أَجَمِ الْحَصِيدِ
 عَلَى سِرَابِهِ صَدَا الْحَدِيدِ

فالشاعر هنا يصور المعركة التي خاضها الحجاج وما فعله بالأعداء كما يصور رعب المنافقين حتى أن هؤلاء الأعداء تهتز أرواحهم بين جنوبهم وتکاد تفارق أجسادهم لشدة خوفهم وهلعيهم من هذا القائد المقدام فكلائهم يموتون موتا بطريقا مشبها السيوف التي تحش الرؤوس بالمنجل الذي يحش الزرع ليصور بهذا مشهدا للمعركة وما حققه جيش الحجاج من نصر ويشير إلى ذلك الرعب الذي قذف في قلوب المنافقين وقد

(١) ديوان جرير ٢٢٧ / ٢ - ٢٢٨ .

(٢) سَاهِمَةُ النَّوَاظِرِ : أي بخيل ضامرة ، والمعنى أن خيلهم سمان

وخيله عابسة من الجد في القتال . الصحاح مادة (سهم) .

(٣) سُكْنٌ : موضع بالبصرة ويريد أنه أقام لهم في الموضع سوقاً كان نصيبهم فيه الموت والهلاك وأيضاً زاوية هي موضع كذلك بالبصرة والمعنى هو نفس المعنى .

(٤) جَائِفَةَ عَنْ حُودِ : أي أنها تصل إلى الجوف والمعنى أنها طعنة نافذة وصلت إلى الجوف - المصباح المنير (جوف) .

أبدع جرير في هذه الصورة ، وفي عرض المشهد البطولي لخيال الحجاج ما يدل على مهارة الشاعر في رسم هذه الصورة .

وقد دخل الحجاج إلى روع جرير مدخل البطل الملحمي فكانت أغلب صور المديح التي خصها بها جرير تدور حول البطولة والعزم والحزم وقد صوره تصويراً بدليعاً في الذب عن خلافة المسلمين (١) ، وأن الخليفة قد اختاره للحرب كى يلقن الأعداء دروساً شديدة ، فيقول مصرواً فعالية الحجاج : (٢)

إِذَا سَعَ الْخَلِيفَةُ نَارَ حَرْبٍ	رَأَى الْحَجَاجَ أَثْقَبَهَا شَهَابًا
تَرَى نَصْرًا إِيمَامَ عَلَيْكَ حَقَّا	إِذَا لَسِّوا بِدِينِهِمْ ارْتِيَابًا
تَشَدُّدًا فَلَا تُكَذِّبُ يَوْمَ زَحْفٍ	إِذَا الغَمَراتَ رَعَزَتِ الْعَقَابًا

وفي هذه الأبيات نجد الحجاج عند حسن ظن الخليفة دائماً فهو رجل المهام الصعبة التي يكون النصر والنجاح فيها حلifie دائماً اذ هو لايزال يقيم على محض الود والصدق للخليفة ، وهو مقدام في حومات الوفى اذا اضطربت الرaiات وتزعزع القوم من شدة القتال .

ونجد صورة تشبيهية قوية عندما يشبه الحجاج بالبازى الذى

يرقب قدم العدو لينقض عليه فيقول : (٣)

وَأَصَحَّ كَالْبَازِي يُقْلِبُ طَرْفَهُ	عَلَى مَرْبِي وَالْطَّيْرِ مِنْهُ دَوَّاخِلُ (٤)
---	--

(١) انظر شعر البصرة في العصر الأموي دراسة في السياسة والاجتماع للدكتور عوني الشريف قاسم : ١٨٣ - ١٨٤ .

(٢) ديوان جرير : ٢٤٤/١ .

(٣) ديوان جرير : ٤٠٣/١ . (٤) المرباً : المكان المرتفع .

نَزَاءُ الْقَطَا التَّفَتَ عَلَيْهِ الْحَبَاعِ (١)
 وَخَافُوكَ حَتَّى الْقَوْمُ تَنْزُو قُلُوبُهُمْ
 إِلَيْكَ الْلَّوَاتِي فِي الشَّعُوفِ الْعَاقِلِ (٢)
 وَثِنَانِ فِي الْحَجَاجِ لَا تَرُكُ ظَالِمٌ
 سَوِيًّا وَلَا عِنْدَ الْمَرَاشَةِ نَائِلٌ

فقد شبهه باليزي الذي يرقب الأعداء من مكان مرتفع وهذه المعانى
 توحى بما يتمتع به الحجاج من قوة ، وما قد نفع فى قلوب الأعداء من
 رعب وخوف ، وقد بلغ من مخافة هذا القائد أن أذعن له الوعول
 المستنutas بالجبال العالية فهو لا يمهل ظالما ولا يأخذ رشوة ،
 وكان جريرا يعرض بالولاة الذين قبله وأنهم كانوا يقبلون الرشوة ،
 ويستطرد فى رسم صورة أخرى من صور البطولة التى أضفاه على

الحجاج فيقول : (٣)

ثَعَابِينَ أَلْفًا زَايِلَهَا الْمَنَازِلُ (٤)
 تَرَى كُلَّ مِرْزَابٍ يَضْعَنُ بَهْوَهَا
 إِذَا اهْتَزَّ جَدْعٌ مِنْ سُمِّيَّةَ ذَارِلٍ (٥)
 جَفُولٌ تَرَى الْمَسْمَارَ فِيهَا كَانَهَا
 يَأْمَرُسَهَا حَتَّى شُوْبُ الْقَنَابِلِ (٦)
 إِذَا اعْتَرَكَ الْكَلَاءُ وَالْمَاءُلُمُ تُقَدَّ
 بِأَجْلَتْهَا وَالْكَيْدُ فِيهِنَّ كَامِلٌ (٧)
 تَخَالِ جِبَالُ الثَّلَجِ لَمَّا تَرَقَعَتْ

(١) تنزو قلوبهم : أى ترتفع من الخوف .

(٢) الشعوف : جمع شعف وهو رأس الجبل ، يريد أن يقول : أن الوعول
 المستنعت فى رؤوس الجبال قد أذعن له .

(٣) ديوان جرير : ٤٠٥ / ١ .

(٤) المرزاب : السفينة الضخمة ، بهوها : وسطها وسعتها ، زايلتها :
 فارقتها .

(٥) المسمار : ما يسمى به وجمعه سامير والمراد به هنا سارية السفينة .
 سميحة : بشر بالمدينة .

(٦) الكلاء : مرفأ السفن ، والقنابل : الجماعات من الناس .

(٧) أجلتها : أشرعتها .

تُشَقِّ حَبَابُ الْمَاءِ عَنْ وَسَقَاتِهِ وَتَغْرِسُ حَوْتُ الْبَحْرِ مِنْهَا الْكَلَّاكلُ^(١)

لَقَدْ جَرَدَ الْحَجَاجُ فِي الدَّيْنِ وَأَجْبَىِ جِبَا لَمْ تَفْلُهُ فِي الْعِيَاضِ الْغَوَائِلُ^(٢)

ففي هذه الأبيات يصف السفينة ويصور ضخامتها وقوتها واستعدادها للمعركة ليظهر قوة مدوّنه من خلال سفنه واستعدادها لخوض المعركة ونقل الجنود ، وقد بلغ من كبر حجم هذه السفن أنها لا تضطرّ إلا بأعوان كثيرة وأنه ليخيل إلى من يراها من بعيد أنها جبل من الثلج فهو في هذه الأبيات يصور مشهداً متحركاً في قلب البحر من خلال السفن الضخمة التي أبحرت ثم رست لتفرغ حمولتها من الجند الأقنياء ، وقد سجل جرير هذا المشهد الرائع من خلال هذه الصورة المركبة .

ومن الولاة الذين امتدحهم جرير هلال بن أحوز المازني^(٣) ،
اذ امتدحه بقصيدتين^(٤) أضفى عليه فيما صوراً كثيرة من صور
البطولة والقدام ، فصورة بطلاً يلقى الرعب في قلوب الأعداء فتكاد

(١) حباب الماء : طرائقه ، وسقاته : تتبع أمواجه واضطرادها ، والكلّاكل : الصدور .

(٢) الجبا : بكسر الجيم : ماجع من الماء في الحوض ، تفلة : تذهب
بماء ، والغوائل : الشقق في الحوض ، الجبا : بفتح الجيم : ما حول
البشر .

(٣) انظر: (١٠٥) من البحث (الحاشية) .

(٤) انظر هذه القصائد في ديوان جرير : ٤٦٨/١ - ٢٢١/٢ ، ومطالعها في الجدول الملحق رقم : (٢) .

تنخلع خوفا وهلعا قائلة : (١)

إِذَا شَرَّتْ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ شَرًا
جَلَّ كُلَّ وَجْهٍ مِنْ مَعَةٍ فَأَسْفَرَاهَا
وَأَغْضَبَ فِي شَأْنِ الْخَيَارِ فَنَكَرَاهَا
أَلَا رَبُّ سَامِي الظَّرْفِ مِنْ آلِ مَانِ
أَتَنْسِنَ شَدَّادَتِ ابْنَ أَحْوَزَ إِنْهَا
وَأَدْرَكَ ثَأْرَ الْمِسْمَعِينَ بِسَيِّدِهِ

فالشاعر هنا يشيد بمعارك المدفع التي رفعت الضيم عن العرب -
جميعا ، كما أشاد بقومه بنى مان ، وأثنى على شجاعتهم في الحرب
وان احدهم اذا مادعا داعي القتال استجاب لذلك وطرب له .

(٢) وقد امتدح جرير كذلك من الولاة خالد بن عبد الله القسري

بقصيدة واحدة يقول فيها : (٣)

فَإِنَّ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ قَدَ عُرِفَتْ لَهُ
مَوَاطِنُ لَا تُخْزِيهِ عِنْدَ الْمَشَاهِدِ
فَأَبْلَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَمَانَةً
وَأَبْلَاهُ صِدْقًا فِي الْأُمُورِ الشَّدَائِدِ
إِذَا مَا أَرَادَ النَّاسُ مِنْهُ ظُلَامَةً
أَبْيَ الصَّيْمَ فَأَسْتَعْصِي عَلَى كُلِّ قَائِدٍ
وَكَيْفَ يَرُومُ النَّاسُ شَيْئًا مَعْتَكَهُ
هُوَيَّ بَيْنَ أَنْيَابِ الْلَّبُوثِ الْحَوَارِدِ (٤)

(١) ديوان جرير : ٤٢٠ / ١ .

(٢) خالد بن عبد الله القسري : من بجيلة أمير العراقيين وأحد خطباء
العرب وأجوادهم ، ولـى مكة سنة (٩٨٩هـ) للوليد بن عبد الملك
ثم عزله سليمان بن عبد الملك سنة (٩٦٢هـ) ثم ولـاه هشام بن عبد
الملك البصرة والكوفة سنة (٩١٥هـ) ثم عزله سنة (٩١٢٠هـ) ،
وتوفي حوالي سنة (٩١٢٦هـ) مقتولا . تاريخ الطبرى : ٦ / ٤٢٢ ، ٤٤٠ ، ٤٦٤
والأعلام ٢ / ٢٥٤ ، ٢٦ / ٤٦٤ .

(٣) انظر هذه القصيدة في ديوان جرير : ٢ / ٦٠٢ .

(٤) الحوارد : الفاضبة ، والحرد الغيط والغضب .

إِذَا كَانَ أَمْنٌ كَانَ قُلُوبُكَ مُؤْمِنًا
وَمَا زَلَتْ تَسْمُو لِلْمَكَارِمِ وَالْمُعَالَةِ
إِذَا عَدَ أَيَّامُ الْمَكَارِمِ فَاقْتَحَرَ
وَإِنْ كَانَ خُوفٌ كُنْتَ أَحْكَمَ ذَائِدِ
وَشَعْرَ عِزًا مُسْتَهِرَ الْمَكَارِمِ
بِآبَائِكَ الشَّمَ الطَّوَالِ السَّوَاعِدِ

فيشيد بخالد وبما شره الكثيرة التي تزيده شرفا عند الأزمات مما جعل الخليفة يشق بصدقه في الشدائد والعلمات . وهذا القائد في نظر الشاعر لا يستسلم للضمير والظلم لكنه يزداد صلابة وقوة .

ويرسم جرير له صورة بطولية في شببه بالليث الذي وقع أعداؤه بين يديه وهو غاضب متوجب فأني لهم بعد ذلك أن ينجوا منه أو أن يغصبوه على أمره ، وهذا منتهى الشجاعة والادماد .

ثم يمتدحه بصفة انسانية أخرى تكن في أن نفسه تطمئن عندما يستتب الأمن فهو الذي عن هذا الأمان إذا قاتل الاضطرابات حتى يعيده إلى نصابه ، وهو الذي يقوم للمعالي ، ويسمى للمكارم ، ويشيد بآبائه الكرام فيقول : (١)

إِذَا عَدَ أَيَّامُ الْمَكَارِمِ فَاقْتَحَرَ
فَكُمْ لَكَ مِنْ بَانِ طَوِيلٍ بَنَاؤُهُ
بِسُرُوكَ أَيَّامَ الْمَعْصِبِ ذِكْرُهُمْ
تَمَكَّنَتِ فِي حَيَّيِّهِ مَعَدَّ مِنَ الدَّرَاءِ
بُرُوعٌ وَأَضْلَلَ مِنْ بَجِيلَةِ فِي الدَّرَاءِ
بِآبَائِكَ الشَّمَ الطَّوَالِ السَّوَاعِدِ
وَفِي آلِ صَعْبٍ مِنْ خَطِيبٍ وَوَافِدِ
وَعِنْدَ مَقَامِ الْهَدْيِ ذَاتِ الْقَلَائِيدِ
وَفِي يَمِّنِ أَعْلَى كَرِيمِ الْمَوَالِيدِ
إِلَى اِبْنِ نِزَارٍ كَانَ عَمَّا وَالِيدِ

وهناك ولادة آخرون مدحهم جرير ، كالمنهاجرين عبد الله الكلابي ، وهريم ابن طحمة المجاشعي ، ومحمد بن هبيرة الغزارى وغيرهم كما هو موضح

في الجداول الملحقة بهذا البحث .^(١)

أما إذا أردنا دراسة مدح جرير للخلفاء فلا نكاد نجد له ظهوراً في الحياة العامة واتصالاً بالخلفاء إلا في خلافة عبد الملك ابن مروان ، وإن كانت بعض الكتب تذكر أنه قد اتصل بيزيد بن معاوية أثناء خلافته فقد ورد أنه قال :

(وفدت على يزيد بن معاوية ، وأنا شاب يومئذ فاستؤذن لى عليه في جملة الشعرا ، فخرج الحاجب إلى وقال : يقول لك أمير المؤمنين أنه لا يصلينا شاعر لا نعرفه ولا نسمع بشيء من شعره وما سمعنا لك بشيء فنأذن لك على بصيرة فقلت له : تتول لأمير المؤمنين أنا القائل :

وَارِبَّيْ لَعْفَ الْفَقْرِ مُشْتَرِكَ الْغَنَىِ سَرِيعٌ إِذَا لَمْ أَرْضَدَ اِنْتَقَالِيَا

فدخل الحاجب عليه وأنشد الأبيات ثم خرج إلى وأذن لى فدخلت وأنشدتني وأخذت الجائزة مع الشعرا ، فكانت أول جائزة أخذتها من خليفة . وقال لي : لقد فارق أبي الدنيا وما يظن أبياتك التي توسلت بها إلى إلا لى^(٢) ..

وان صحت هذه الرواية فإنها تدل على أن جريراً كان حينذاك في مرحلة الشباب ولم يستول على المدح بعد بالإضافة إلى أن الأخطل في هذه الفترة كان مسيطراً على الوسط الفني عند بنى أمية أثناء

(١) تقدمت ترجم هؤلاء الولاة في هذا البحث أنظر (١٠٥) .

(٢) الأغانى : ٣٦/٨ .

خلافة يزيد بن معاوية . ومع هذا فنحن لم نجد في ديوانه
الحق أى شيء يذكر في مدح يزيد ، ويرجح أن شعراً كثيراً قيل
فيه لكنه ضاع بتأثير العوامل السياسية ، كما ضاع مدح الذي أنسده
الشعراء في أبيه معاوية . (١)

وقد بدأت صلة جرير بعد الملك بن مروان حينما أوفد الحجاج
مع ابنه محمد بن الحجاج إلى دمشق وقد تردد عبد الملك في
أول الأمر أن يسمع من جرير وأمره إلا ينشد إلا في العجاج وقال
له : إنما أنت للحجاج ، ولكنك عاد فاستمع إليه بعد الحاج من
محمد بن الحجاج وأصرار من جرير إلا يرحل عن دمشق حتى يأخذ
له عبد الملك في الانشاد فأسمعه قصيدة الحائية التي هزت الخليفة
وطرب لها حينما سمع قوله : (٢)

السُّمُّ خَيْرٌ مِّنْ رَكِبِ الْمَطَابِكَ وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بِطُعْنٍ رَّاحِ

وقد تواترت بعد ذلك وعلى طول مدة خلافة عبد الملك مدائح جرير
له فخصه بأربع قصائد (٣) تتفاوت فيما بينها من حيث القوة والجزالة
والفن التصويري والضعف وندرة المعانى المستحدثة والحاچة فى طلب
العطاء واستجداء المدح شأنه فى مدح الخلفاء جميعاً بخلاف
مدائحة فى الولاة التى غلبت عليها الجزاله والقوة ، فـأى الحاج فى

(١) دراسات في أدب ونصوص العصر الأموي د . محمد عبد القادر أحمد

• ١٠٢ •

(٢) الأغانى : ٨/٦٦ - ٦٢ .

(٣) انظر هذه القصائد في ديوانه المحقق ٢٠٢٩٣، ٩١، ٨٢/١ ٦٦٠ وطالعها في الجدول الملحق رقم (٦) .

طلب العطاء والاستجاء أكبر منه في قوله عندما مدح عبد الملك

بأول قصيدة ينشد بها بين يديه : (١)

رأيْتُ الْمُورِّدِينَ ذُوِّي لَقَاحٍ بِأَنْفَاسِ مِنَ الشَّبَمِ الْقَرَاجِ أَذَادَةُ اللَّوْمِ وَأَنْتَظَرِي اْمْتِحَاجِي وَمِنْ عَنْدِ الْخَلِيفَةِ بِالنَّجَاجِ يَسِيئُ مِنْكَ إِنْكَ ذُو اْرْتِيَاجِ زِيَارَتِي الْخَلِيفَةِ وَأَمْتَدَاجِي وَأَنْتَ الْقَوَادِمُ فِي جَنَاجِي	تُعَزِّزُ أُمُّ حَزَّةَ ثُمَّ قَالَتْ تُعلِّلُ وَهُنَّ سَاغِبَةَ بَنِيهِمَا سَاصَاحُ الْبُحُورِ فَجَنَّبَتِي شَقِّي بِاللَّهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ أَغْشَى يَافِدَاكَ أَمْسِيَ وَأَمْسِيَ فَانِيَّ قَدْ رَأَيْتُ عَلَى حَقَّهَا سَائِكُرُ إِنْ رَدَدْتَ عَلَى رِيشِي
---	---

وكما يتضح لنا من خلال هذه الأبيات اسراف الشاعر في الاستجاء وتصوير ما يعانيه من الفاقة والمسفة ، وع أن الخليفة لم يأذن — بادىء الأمر لجرير بالدخول عليه ، ولم يرض أن يسمع مدحه فيه بعد أن أذن له بالدخول فلم يسمع منه هذه المدحه الا بعد عناء شديد ، وكنا ننتظر أن تكون خالية من صيغة الطلب والاستجاء المباشر ، وأن يركز الشاعر فيها على صفات الخليفة البطولية وعراقة المعاشر ، وأن يركز الشاعر فيها على صفات الخليفة وأهليته لها لكننا وجدنا سمة طلب العطاء والحرص عليه ديدن الشاعر في أبيات القصيدة اذا ما

استثنينا قوله : (٢)

(١) ديوان جرير : ٩٠ - ٨٨/١ .

(٢) ديوان جرير : ٩٠ - ٨٨/١ .

أَسْتَمْ خَيْرٌ مِّنْ رِكَبِ الْمَطَافِيَا
 وَقَوْمٌ قَدْ سَعَوْتُ لَهُمْ فَدَانُوا
 بِدَهْمٍ فِي مَلْمَمَةٍ رَّدَاحٌ (١)
 أَعْظَمَ سَيْلٍ مُخْتَلِجَ الْبَطَاحِ (٢)
 لَكُمْ شَمَّ الْجِيَالِ مِنَ الرَّوَاسِيِّ

فإن معانى المدح فى هذه الأبيات قوية رائعة مؤثرة ، طرب لها عبد الملك طربا شديدا واهتزت مشاعره .

ومهما يكن فإن جريرا قد أجاد فى رسم صورة مؤثرة لزوجته أم حزرة وهى تسكى بناتها الجائعين وتعلّمهم بجرعات من الماء (٣) مما يذكرنا باستعطاف الحطيئة عمر بن الخطاب فى رأيته الشهيرة
 مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاجِ بَذْرِي مَرَخٍ زُغْبُ الْحَوَالِ لَا مَاءً وَلَا شَجَرٌ

(١) الدهم : الجيش الكبير ، والملمة : الكثيرة المجتمعة ، والرداح : الضخمة . دانت له : أى أطاعته .

(٢) اعتلاج الشيء : كبرته وركوب بعضه بعضا .

(٣) انظر ديوان الحطيئة - تحقيق د . نعمان طه : ٢٠٨ .
 والحظية : اسمه جرول بن أوس بن جويبة بن مخزوم بن مالك بن غالبة ، وينتهى نسبه فى قيس عيلان بن مصر بن نزار بن معد بن عدنان . وكتبه أبو مليكة ، وهو شاعر مخضرم ، ومن الهجائن هجا نفسه وأباه وأمه وزوجته وقد سجنها عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - ، واشتري منه أغراض المسلمين .
 انظر ترجمة وافية عنه فى مقدمة ديوانه - تحقيق د . نعمان طه : ٤١ - ٦٢ .

(١٩٠)

كما أجاد في تشبيه الخليفة بالبحر . وتشبيه نفسه بالطائر
الذى فقد ريشه ، وينتظر من عبد الملك أن يعيد اليه الريش ،
ولعل اعجاب عبد الملك بهذه المدحه جاء من وقع الاستفهام
التقريري المؤثر الذى يصور بنى أمية خير الناس جسعا وأكرمهم .
ولعمرى لقد وقعت هذه الأبيات من عبد الملك موقعا حسنا وأعجبته
أشد الاعجاب مما جعله يعطى الشاعر مائة من الإبل وثمانية من
الرعا . (١)

وأهم من هذا كله أنها فتحت باب الخلافة على مصraعيه لجريـر
ليشد بنى أمية بعد ذلك دون غضاضة أو حرج . ويحظى
بأعطياتهم الوفيرة .

يقول في قصيدة أخرى يدح بها عبد الملك بن مروان . (٢)

مَا قَامَ لِلنَّاسِ أَحْكَامٌ وَلَا جُمَعٌ فِيمَا وُلِيتَ وَلَا هَيَابَةٌ وَرُوعٌ فَالْعَالَمُونَ لِمَا يَقْضِي بِهِ شَبَعَ إِلَّا حَسِيْعُكُمْ فَوْقَ الَّذِي صَنَعُوا إِذَا تَفَرَّقَتِ الْأَهْوَاءُ وَالشَّيْعَ فِينَا مُطَاعٌ وَمِنْهَا قُلْتَ مُسْتَمْعٌ إِنْ سَرَّتْ سَارُوا وَإِنْ قُلْتْ أَرْجَعُوا رَغْوا	لَوْلَا الْخَلِيلَةُ وَالْقُرْآنُ نَقْوَهُ أَنْتَ الْأَكْرَمُ أَمِينُ اللَّهِ لَا سَرِيفٌ وَارِي الزَّنَادِ مِنَ الْأَعْيَا عِنْفِي مَهْلٍ مَاعِدَّ قَوْمٌ بِإِحْسَانٍ صَنَعُهُمْ أَنْتَ الْمَبَارِكُ يَهْدِي اللَّهُ شِيَعَتَهُ كُلُّ أَمْرٍ عَلَى يَقْنِ أَمْرٍ مَّا إِنَّ الْبَرِّيَّةَ تَرْضَى مَا رَضِيَتْ لَهَا
--	---

(١) الأغانى ٦٢/٨ .
(٢) ديوان جرير : ٢٩٥/١ .

وهذه القصيدة رغم تماسك عباراتها بجدها دون (الحائية) من حيث قوة الروح وانطلاق التيار ، ونلاحظ على الشاعر في هذه الأبيات ابعاده عن التصوير الموجي ، كما نلاحظ أيضاً تكرار المعانى فى بعض الأبيات . ففى قوله هنا مثلاً :

وَأَرِيَ الْزَّنَادُ مِنَ الْأَعْيَاصِ فِي مَهْلٍ
فَالْعَالَمُونَ لَمَا يَقْضِي بِهِ تَبَعُّ
فَكُلَّ أَمْرٍ عَلَىٰ يَعْنِيْ أَمْرَتْ بِهِ
فِينَا مُطَاعٌ وَمِهْنَا قُلْتَ مُشَتَّعٌ
إِنَّ الْبَرِّيَّةَ تَرْضَى مَا رَضِيَتْ لَهَا
إِنْ سِرَّتْ سَارُوا وَإِنْ قُلَّتْ أَرْبَعُوا رَبَعُوا

نجد هذه الأبيات الثلاثة متقاربة في المعنى ولكن الشاعر في حيرة من أمره في زيارة المعانى أو ضياعها فأخذ يكرر المعنى في صورة مغايرة للأخرى من حيث اللفظ فقط ، ولذلك أخذ جرير في هذه الأبيات يدور حول نفسه ، ولا نجاد له في هذه الأبيات من المعانى ذات الدلالة العميقه والتي تصور المدح تصويراً فنياً

الا قوله : (١)

تَلْقَى الرِّجَالَ إِذَا مَا خَيْفَ صَوْلَتْهُ
يَيْشُونَ هُونَا وَفِي أَعْنَاقِهِمْ خَضْعٌ
فَإِنْ عَفَوْتَ فَضَلَّتِ النَّاسُ عَافِيَةً
وَإِنْ وَقَعْتَ فَعَمَّا وَقَعَ كَمَا تَقَعُ

فقد صور الرجال مطاطي ، الرؤوس من خيبة عبد الملك يشون هونا ولكن أعناقهم قد شدت ، ثم يصور هذا المدح بأنه أفضل الناس في العفو وأشدهم وقعا بالآباء ، وقد قابل هنا بين عفوه وبطشه

وهي صورة تعبير عن بعض الملامح البطولية لشخصية عبد الملك ، وكان على جرير أن يكرر منها ولا يفرق في المعانى التقليدية المتراثة عند الجاهلية وأن لا يلح في طلب العطاء كثيرا .

أما القصيدة الثالثة التي امتدح بها جرير عبد الملك فقد جاءت دون سابقتها فلم يخصه فيها إلا باربعة أبيات مع أن عدد أبياتها بلغ سبعين بيتا ، يقول فيها : (١)

الله طوقَ الخِلَافَةَ وَالْهُدَى
وَاللهُ لَيْسَ لِمَا قَضَى تَبْرِيلٌ
إِنَّ الْخِلَافَةَ بِالذِّي أَبْلَيْتَ مَمْرُورًا
فِيمُكَمْ فَلَيْسَ لِمُلْكِهَا تَحْوِيلٌ
أَمْرٌ تُضِيقُ بِهِ الصُّدُورُ جَلِيلٌ (٢)
يَعْلُو النَّجَيِّ إِذَا النَّجَيِّ أَضَجَّكُمْ
فَالْمُلْكُ أَفْيَحُ وَالْعَطَاءُ جَزِيلٌ (٣)
وَلَيَّ الْخِلَافَةَ وَالْكَرَامَةَ أَهْلَهَا

ولا نجد في هذه الأبيات سوى تقرير المعانى البسيطة والأفكار المطرودة فالله أعطى الخليفة الخلافة وطوقه بها وهذا ، وقد ثبت الله الخلافة لهم فلا تحول عنهم ، ولا هم اياها لأنهم أهل لها فهم يعلون الناس حزما وصرامة رأى وتقاد معانى جرير في مدح الخليفة تكون واحدة ، ففي مدائحه لعبد الملك وجدهما يكرر مدحه بأن الله أعطاه الملك وضنه هذه الخلافة ، وكان المعانى ضاقت بجرير الأن يكررها دائمًا كقوله تكرارا لما سبق من حيث المعنى في مدح

(١) ديوان جرير : ٩٤/١ - ٩٥ .

(٢) النَّجَيِّ : القوم ينتجون . وأَضَجَّهُمْ : حملهم على الضجاح انظر نقائص جرير والأخطل : ١٨٣ .

(٣) أَفْيَحُ : أى واسع . ونلاحظ على هذا المدح كيف بدا جرير متأنِّا بالسياسة

عبد الملك بن مروان : (١)

فَلِمَا تَسْرِيْلَتِ الْحِلَافَةَ أَقْبَلَتِ
عَلَيْكَ بِأَبْوَابِ الْأُمُورِ الْجَوَامِعِ
تَبَحِّبَ هَذَا الْمُلْكُ فِي مُسْتَقْرَرٍ
فَلَمَّا إِلَى قَوْمٍ سَوَّاْكُمْ بِرَاجِعٍ (٢)

وليس هنا من معنى عميق يمكن أن نعثر عليه في هذه الأبيات سوى أن عبد الملك في نظر جرير حاكم إليه تنتهي الأمور كلها وأن الملك ارتاح واستلقى بعده وهو لا يتحقق ولا ينزع إلى سواء ، غير أن المعنى قد تسامى إلى حد مقبول ترتاح له النفس عندما قال : (٣)

أَتَتْكَ قُرْيَشٌ لَا جِئْنَانَ وَغَيْرُهُمْ إِلَى كُلِّ دِفْرٍ مِنْ جَنَاحِكَ وَأَرْسِعِ

فإن جمال الاستعارة في الشطر الثاني من البيت قد أكسب المعنى قوة وروعه ، وهي لفتات فنية عند جرير تكاد تفتقدها في اشعاره خاصة مدائمه في الخلفاء التي تقل فيها مثل هذه اللفتات الفنية ذات القيمة المعنوية .

ولقد توالى بعد ذلك مدائج جرير لبني أمية سواء في الخلفاء أو أبناءهم ، ولا تكاد هذه المدائج تتفاوت بعضها عن بعض من حيث المعاني والأفكار والأخيلة والصور . (٤)

واذا كان جرير يمدح الولاة مدحًا قويا بأعمالهم التي تتصل باخداد الثورات والفتن ، ونشر الأمن ، أو التي تتصل بأعمالهم

(١) الديوان : ٢/٦٦٥ . (٢) تبحب : أي توسط .

(٣) ديوان جرير : ٢/٦٦٦ .

(٤) لقد قمت باحصاء قصائد المدح التي خص بها جرير بنى أمية كما هو موضح في الجداول الطحقة رقم (٥ و ٦) .

العمرانية كحفر الأنهر ، وغير ذلك . فان مدحه للخلفاء كان دون ذلك من حيث القوة والجزالة وغاية ماعنته في مدح الخلفاء أن ينسبهم الى قريش مستطردا في وصف أصلهم وحسبيهم الرفيع (١) .

ومن أجل هذا خلت قصائده في الخلفاء من تلك المعانى القوية التي تعبير عن العاطفة المتدفعقة أصدق تعبير ، يقول في مدح الوليد ابن عبد الملك :

وأنت ابن عيسى الأبطحين وتنتمي لفرع صميم لم تثله الزعاف (٢)
تنتك إلى العليا فوارس داحس وصيده مناف المقرمات المطارف (٣)

ويقول في نفس المدح كذلك :

إن الوليد خليفة ل الخليفة رفع البناء على البناء الأعظم
فعلا بناوكم الذي شرفتم ولكم أباطح كل وادٍ معم (٤)
إن الوليد هو الإمام المصطفى بالنصر لز لواهه والمغنى (٥)

(١) جرير حياته وشعره - د . نعسان طه : ٢٣٢ .

(٢) الديوان : ٦٨٦ / ٢ .

(٣) الزعاف : هم الأتباع الضعفاء الأذلاء .

(٤) فوارس داحس : هم بنو زهير بن جذيمة العبسى .
وصيده مناف : أراد بهم أشراف مناف .

المقرم : الذى قد أفرم للفحلة ولم يمسه حيل قط ، والمراد به هنا السادة العظام . انظر المعجم الوسيط : ٢٣٠ / ٢ .

والطارف : من الظرفة ، وهو الحديث المستحسن ، وقد وردت في بعض الروايات الغطارف : وهم السادة الكرماء .

(٥) ديوان جرير : ٦٩ / ١ - ٧٠ . (٦) المعم : المعلو .

(٧) لز لواهه : أي أن هذا اللواء لزم النصر دائما ، وقد وردت في بعض الروايات : هز لواهه .

ذُو الْعَرْشِ قَدَرَ أَنْ تَكُونَ خَلِيفَةً
مُلْكَ فَاعْلَمُ عَلَى الْمَنَابِرِ وَأَشْلَمَ
وَرِثَ الْأَعْنَةَ وَالْأَسْنَةَ وَأَنْتَمَايَ
فِي بَيْتِ مَكْرُمَةِ رَفِيعِ السَّلَامِ
وَرَأَيْتُ أَبْنِيَةَ خَوْتٍ وَتَهَدَّمَتْ
وَبَنَاءَ عَرْشَكَ خَالِدٌ لَمْ يُهَدِّمْ

ولا نكاد نجد في هذه الأبيات سوى المعانى التقريرية ، فالوليد
 الخليفة ابن خليفة ، فليس في المعنى اذا جدة ولا ابتكار ، والوليد
 هو الامام ، نصره الله ، والله قدر أن يكون خليفة ملك الناس فله
 أن يعلو المنابر ، وأن تدوم سلامته . ولقد ورث ميراثا عظيما من
 الملك والخيل والرماح ، ولهذا فهو خليفة وهو قائد حرب .

ونجد جريرا يدور حول كلمة (الأعياص) (١) كثيرا ، فيقول في

نفس القصيدة :

أَعْيَاصُهُ وَلِكُلِّ خَيْرٍ يَتَّسِعُ
نَزَلَ النَّجَاهَ وَحَلَّ حَيْثُ تَضَعُتْ
مِنْ فَرَعَ عِصَمَكَ كَالْفَنِيقِ الْمُقْرَمِ (٢)
عَرَفَ الْبَرِّيَّةَ أَنَّ كُلَّ خَلِيفَةَ

ويقول في مدح سليمان بن عبد الملك : (٤)

سُلَيْمَانُ الْمُبَارَكُ قَدْ عَلِمْتُمْ
هُوَ الْمَهْدِيُّ قَدْ وَضَعَ السَّبِيلُ
أَجْرَتَ مِنَ الْمَظَالِمِ كُلَّ نَفِيسٍ
وَأَدَبَتَ الدُّرْدِيَّةَ عَهْدَ الرَّسُولِ
وَتَدَعُوكَ الْأَرَاملَ وَالْيَتَامَى
وَتَدَعُوكَ الْحَوْلَ وَالْحَوْلَ (٥)

(١) الأعياص أربعة : العاص وأبو العاص والعيس وأبو العيس أبناء أمية بن عبد شمس ، وقيل أنهم حسنة : العاص وأبو العاص والعيس وأبو العيس والعيس والأعياص في اللغة : التفاف أغصان الشجر . وقد دار حولها أيضا الفرزدق والأخطل في مدحهما لبني أمية .

(٢) النجا : العلو والارتفاع . (٣) الفنيق : الفحل ويفنق أول يكرم للضراب .

(٤) الديوان : ٢١٢-٢١٨ . (٥) الحويل : الحيلة والقوة .

وَتَشْكُوُ الْمَاشِيَاتِ إِلَيْكَ جَهَدًا
 وَأَكْثَرُ زَادَ هَنَّ وَهُنَّ سَفْرٌ
 حَطَامُ الْجِلْدِ وَالْعَصَبِ الْمَلِيلِ (١)
 وَعَانِي قَدْ أَضَرَّ بِهِ الْكُلُولُ (٢)
 وَيَدْعُوكَ الْعَكْلَفَ بَعْدَ جَهَدًا
 وَمَا زَالَتْ مُلْقَةً بِشَنْدَى (٣) بِذِي الدِّيَمَاسِ أَوْ رَجُلٌ قَتِيلٌ

وهذه الأبيات تفصح عن حقيقة هامة وهي تنكر الشاعر لسيده الحاج الذى أغدق عليه وفتح له باب الخلفاء ، وهو ان لم يصرح بذلك هنا الا أن فى اشارته لساوى العهد السابق لعهد سليمان ايماء بتذكر الشاعر للحجاج واتهامه بالشدة والظلم والتعسف ، ومع هذا فرأينا نجد فى هذه الأبيات تصويرا رائعا ، فقد رسم سليمان صورة المصلح الذى تدارك الله به المجتمع المكبل بقيود الظلـم والاستعباد فأصبح ملـذا للبياتى والمعوزين ، الذين أعيـتم العـيلة وضاقت بهـم الحال فأتـينـا اليـه النـساء الأـرامل ماـشـياتـ علىـ الأـقدـام يـطلـينـ رـفـدهـ وـعـطـاهـ ، وـقـدـ أـبـدـعـ فـىـ رـسـمـ صـورـةـ مـؤـثـرـةـ وـمـعـبرـةـ لـمـاـ يـعـانـيهـ منـ فـقـرـ وـحـاجـةـ ، فـذـكـرـ أـنـ طـعـامـهـ سـيـورـ الجـلدـ ، وـعـصـبـ الـمـيـةـ الـمـشـوـىـ . وـهـذـاـ لـعـمـرـ غـاـيـةـ الـفـقـرـ الـمـدـقـعـ . وـبـهـذـاـ صـورـ المجتمع قبل مجـىء سـليمـانـ اليـهـ وـماـحـلـ بـهـ منـ فـقـرـ وـعـزـ وـظـلـمـ ، وـتـكـلـيفـ النـاسـ مـاـ لـيـطـيقـونـ ، وـهـذـهـ الصـورـ تـغـيـرـتـ بـعـدـ أـنـ تـولـىـ

(١) السفع : السواد الى الحمرة ، ويريد أنهن يشווين القدر وعصب الميـةـ فـيـأـكـلـهـاـ منـ شـدـةـ الجـوعـ .

(٢) الكلف : الذى كلف فوق طاقته من عسف الحاج وظلمه .

(٣) أراد بالديماس : سجن الحاج .

سلیمان الخلافة :

فَرَجَتْ أَهْمَّ وَالْحَلَقَاتِ عَنْهُمْ فَأَحْيَا النَّاسُ وَالْبَلْدَ الْمُحْوَلَ (١)

فيصور هذا المجتمع وقد نما وزالت عنه تلك القيود التي كبلته سنتين طولية ، وقد نجح جرير في رسم هذه الصورة التي عبرت عن واقع مؤلم وقد نبع جمالها من الكاتبة التي شملت الدلالة المعنوية (الهم) والحسية (الحلقات) . ونجد لجرير صوراً مؤثرة في النفس كقوله

يعدح هشام بن عبد الملك : (٢)

صِغْرُ الْحَيَاضِ وَلَا غَوَائِلِ فِي الْجِبَا (٣)
 يَا أَبَنَ الْخَضَارِمَ لَا يَعِيبُ جِبَامُ
 مَنْ كَانَ يُعْرَضُ قَلْبَهُ مِنْ رِبَابَةِ
 يَا أَبَنَ الْحَمَاءِ فَمَا يَرَمُ حِمَاهُمْ
 مَا زِلْتَ مَعْتَصِمًا بِحَبْلِ مِنْكَمْ
 وَإِذَا ذَكَرْتُمْ شَدَّدْتُمْ قُوتِي
 فَلَا سَكُنَ بِلَاءَ قَوْمٍ ثَبَّتُمْ
 مَلَكُوا الْبِلَادَ فَسُحْرَتْ أَنْهَارُهَا
 أُوتِيتَ مِنْ حَدَبِ الْفَرَاتِ جَوَارِيَا
 وَالْمَجْدُ لِلزَّنْدِ الَّذِي أُورِيْتُمْ

(١) الديوان : ٢١٨/٢ .

(٢) الديوان : ٣٤٤/١ : ٣٤٥ -

(٣) الخضارم : الكرام ، والجبا : الماء المجموع ، والغوائل : شقق تكون في الحوض ، تفتال الماء أى تذهب به ، والمراد : أن عطاؤهم لا يبدو نزراً قليلاً مهما أعطاوا .

وجرير يخاطب هشاما في هذه الأبيات ويدعوه بابن الكرام الذين لا ينضب عطاهم مهما أعطوا ولا يجدون نزرا قليلا ، ويقتدحه بيته قوله إنهم يحمون من يلوذ بهم فلا ينال بأذى ومعرفتهم غزير لا يجارى يمكنى عما يناله منهم وأنه لا يزال معتصما بحبهم لأن من يحل ديارهم يصل أسبابهم ببابهم ينال كل خير وبركة .

ورغم أن جريرا يطلب العطا إلا أن المديح في هذه الصورة مقبول اذ صور بني أمية وقد أعادوا للفقراء طعم الحياة وثبتوا الأمور في نصابها مجسدا تلك الأعمال التي قام بها هشام من خلال اشارته الى النهرين اللذين حفرهما لكي يعم الخير أرض المسلمين .

ويقول في مدح يزيد بن عبد الملك : (١)

يَا أَبْنَاءِ الْأَرْوَمِ وَفِي الْأَعْيُاضِ مَنْتَهَا
لَا قَادِحٌ يَرْتَقِي فِيهَا وَلَا قَصْفٌ (٢)
إِنِّي لِزَائِرِكُمْ وَدَا وَتَكْرِمَةً
حَتَّى يُقَارِبَ مَقْدِدَ الْمَلِكِ الرَّسَفَ (٣)
أَرْجُو الْفَوَاضِلَ إِنَّ اللَّهَ فَضَلَّكُمْ
يَا قَبْلَ نَفْسِكَ لَا قَنْفُسِي التَّلْفُ
إِنِّي شَكَرْتُ وَقَدْ جَرِيتُ أَنْكَرْمَ
عَلَى رِجَالٍ وَلِنَ لَمْ يَشْكُرُوا عُطُوفُ
إِنَّ الْقَدِيرَمَ إِذَا مَاعَدَ وَالسَّلَفُ
حَرَبَ وَآلَ أَيِّ الْعَاصِي بَنَوَا لَكُمْ
يَا قَبْلَ نَفْسِكَ لَا قَنْفُسِي التَّلْفُ
أَرْجُو الْفَوَاضِلَ إِنَّ اللَّهَ فَضَلَّكُمْ
إِنِّي شَكَرْتُ وَقَدْ جَرِيتُ أَنْكَرْمَ
أَرْجُو الْفَوَاضِلَ إِنَّ اللَّهَ فَضَلَّكُمْ
إِنِّي لِزَائِرِكُمْ وَدَا وَتَكْرِمَةً
يَا أَبْنَاءِ الْأَرْوَمِ وَفِي الْأَعْيُاضِ مَنْتَهَا
لَا قَادِحٌ يَرْتَقِي فِيهَا وَلَا قَصْفٌ (٤)

وحيينا ننظر الى معانى الشاعر هنا وصورة نجد المعانى مستهلة والصور

(١) ديوان جرير : ١٢٣ / ١ - ١٢٥ .

(٢) الأرمون : الأصل ، القادح : العنف يكون في العود ، القصف : الضعف

(٣) الرسف : مشى المقيد يقال : رسف برسف رسفا ، ورسفنا ورسفانا .

(٤) مطرف : أى مستحدث .

غائبة ... فيزيد ابن الأصل العريق ، وهو من دوحة كريمة ملتفة
وهو قوى لا يضعف ولا يتداعى يقصده الشاعر طلبا لفضله وقد صور
نفسه تالفة قبل أن يفديه ويعيد إلى ذهن يزيد أنه قد نزل
برحرا به مرارا فلقي منه كل خير ونعمة ، ونجد في هذه القصيدة -
يشير إلى عطاء عبد الملك له حينما مدحه أول مرة فأرفده بمائة
من الأبل وثمانية من الرعاة . (١)

أَعْطُوهُنَيْدَةً يَعْدُوهَا ثَانِيَةً *كَافِي عَطَائِهِمْ مَنْ* **وَلَا سَرَفْ** (٢)
ويمتدحه بقومه كما نرى فيشير إلى حرب وآل أبي العاص كما يمتدحه
بأمه فيقول :

يَا أَبَنَ الْعَوَاتِكَ ^(٣) *خَيْرُ الْعَالَمِينَ أَبَا* **قَدْ كَانَ يَدْفَئُنِي** *مِنْ رِيشِكُمْ كَفَرْ*
وهو لا يزال يلح في الطلب ويعرض به في كل بيت من أبياته كما نرى
وهذه الأبيات وغيرها في مدح الخلفاء لا تكاد تجد للشاعر فيها
عاطفة صادقة ، ولذلك جاء مدحه لهم باهتا فاتر العواطف وإن صدق
هذه العاطفة بعض الصدق ، وصدق هو مع نفسه فانما نلمس هذا
الصدق الفنى في مدحه لعمر بن عبد العزيز اذ يقول : (٤)

خَلِيفَةُ اللَّهِ مُثَمَّ اللَّهُ يَحْفَظُكَ *وَاللَّهُ يَصْحِبُكَ الرَّحْمَنُ* *فِي السَّفَرِ*

(١) الديوان : ١٢٤/١ .

(٢) السرف: الخطأ والاعطا، في غير وجهه، والمراد بالهنيدة: المائة
ويحدوها: يسوقها .

(٣) أراد عاتكة بنت يزيد بن معاوية وهي أمه ، انظر الديوان : ١٢٥/١ .

(٤) ديوان جرير : ٤١٤/١ - ٤١٦ .

إِنَّا لَنَرَجُوا إِذَا مَا لَفِيتُ أَخْلَفَنَا
 يَارَبَ سَجْلِ مُغَيْثٍ قَدْ نَفَحْتَ بِهِ
 إِنَّا لَنَرَجُوا إِذَا مَا لَفِيتُ أَخْلَفَنَا
 كَلِيفَةَ اللَّهِ مَاذَا تَنْتَظِرُونَ بِنَا
 أَنْتَ الْمَبَارِكُ وَالْمَهْدِيٌّ سِرْتُهُ
 أَصْبَحْتَ لِلنَّبِيِّ الْمَعْمُورِ مَجْلِسُهُ
 كَانَ الْخِلَافَةَ إِذَا كَانَتْ لَهُ قَدْرًا

منَ الْخَلِيفَةِ مَا نَرْجُو مِنَ الْمَطَرِ
 مِنْ نَائِلٍ غَيْرَ مَنْزُوحٍ وَلَا كَادَرٌ^(١)
 لَسْنَا بِإِلَيْكُمْ وَلَا فِي دَارِ مُسْتَظْهَرٍ
 تَعْصِي الْهَوَى وَتَقْوَمُ اللَّلَيْلَ بِالسَّوْرِ
 زَيْنًا وَزَيْنًا قِبَابُ الْمَلِكِ وَالْحَجَرِ
 كَمَا أَتَى رَجَهُ مُوسَى عَلَى قَدَرٍ

ومع أن جرير مدح عمر بن عبد العزيز المعروف بحرمه على أموال المسلمين وعدم تبديلها فهو لا يبذلها إلا في وجهها الصحيح ^(٢) ، إلا أن الشاعر لم يتخلص من عقده المعرفة وهي الحامه في الطلب، وكان مرتزقة الوحيد من هذه الطريق ، ولقد امتدح عمر هنا بصفات اسلامية محضه وهي صفات تجلت في هذا الخليفة ، وقد توالست مدائع جرير بعد ذلك في بنى أمية فقد امتدح عبد العزيز بن مروان ، وعبد العزيز بن عبد الملك ، والعباس بن الوليد ، وأبيوب ابن سليمان بن عبد الملك ، ومعاوية بن هشام بن عبد الملك ، ومسلمة بن هشام بن عبد الملك . ^(٣) إلا أن هذه المدائع تكاد تكون صورة مكررة بعضها من بعض وليس فيها تلك الصور الفنية

(١) السجل : العطا ، وأصله الدلو فيها ما . ونضحت به : أى أعطيته والنائل : العطا ، والمنزوح : أصله من نزحت البئر اذا سقيت كل ما فيها - انظر الديوان : ٤١٤/١ .

(٢) ظاهرة التكسب بالشعر العربي - ٥ . دروش الجندي - ٢٢ - ٢٣ .

(٣) انظر الجدول رقم (٥) وفيه احصاء لمدائعه في بنى أمية .

الموحية حتى أننا لنقف أمام القصيدة وقوفات طويلة علينا نظر
بفكرة معيرة فلا نجد من ذلك شيئاً، بل تسد أسماعنا عبارات الطلب
والاستجاء، وكثرة الألفاظ المكررة وبعض الصور المتهافتة التي تدل
حقاً على نفسية ضعيفة تعكس لنا شخصية جرير المتهافتة في طلب
الرقد والذى يريق ما وجده بكل باب من أبواب الخلفاء.

وقد يسأل سائل فيقول : لماذا جاءت مدائح جرير في الولاة قوية وتفاوتت بالنسبة لخلفاء بنى أمية ؟ ثم لماذا كثرا الحاده في السؤال عندما يمدح الخلفاء بينما نجد له يعرض عن هذا في مدائح للحجاج وغيره من الولاة ..

وللإجابة على هذه التساؤلات نقول : أن هناك عدة افتراضات قد يكون بعضها مسؤولاً عن هذه الظاهرة وقد تكون جميعها . ولعل من أهم هذه الافتراضات ما كان يجده في رحاب الولاة من الأنس ، وما يحظى به لديهم من التقرير الشيء الذي لم يجده عند
 ())
 الخلفاء

وتشد مدائحه في الحاج أقوى من غيرها سواء مدائحه فسي
الولاة الآخرين أو الخلفاء والأمراء الأمويين، ولعل هذا مأكراً
عبد الطك يادي، الأمر فامتنع أن يسمى منه كما رأينا.

ولاشك أن حيوة الشاعر ونشاطه وطموحه كان لها أعظم الأثر في شاعريته فقد اكتسب ثقة الحاج وهو في مرحلة أكمل فيها

(١) جریر حیاته و شعره - د. نعیان طه ۲۲۷.

تضجه الفنى واشتد نشاطه الجسمانى اذ كان فوق الأربعين ودون
الستين وهى مرحلة النضج والكمال لأغلب الشعراء بالإضافة الى أنه
قد بدأ الالتحام مع الفرزدق وغيره من الشعراء فى معارك هجائية
فانصرف الى العناية بفننه والارتقاء بمدائحه فى الولاة وبخاصة الحجاج
اذ كان أقرب اليه موطننا ، وهو يطمع فى أن يرتفع صيته لأنه فى
هذه المرحلة فى حاجة الى الشهرة أكثر من المال ، ولذلك وجده
لا يلحف فى السؤال ولا يستجدى فى الطلب .

ثم أن شخصية المدوح لها أثر كبير فى المدحه ومن هذا
المنظور كان اهتمامه بالحجاج ذى الشخصية القوية المتعددة الجوانب
هذا بالنسبة لقوة مدائحه فى الولاة .

أما فيما يتعلق بضعف هذه المدائح فى الخلفاء والأمراء من
بني أمية وتفاوتها فان هذا يرجع الى شخصية المدوح سواه كان
 الخليفة أو أميرا اذ لم يكن بنو أمية يقربيون شعراء القيسية (١) فلم
يكن لجرير منزلة لديهم ولم يقربوه الا تقريبا ضعيفا لم يصل فى
يوم من الأيام لأن يكون شاعر خليفة ، فعبد الملك بن مروان يقرب
الأخطل النصراوى ، والوليد بن عبد الملك يقرب عدى بن الرقان
العاملى ، وسليمان بن عبد الملك يقرب الفرزدق ويتجاذب عن جرير
الذى رزق نفسه بينه وبين أخيه الوليد فيما يتعلق بولاية العهد .
وان بقيت لجرير علاقة حسنة مع بعض الخلفاء فهو عمر بسن

(١) انظر الأغانى : ٦٦/٨ .

عبد العزيز ، ويزيد بن عبد الملك ، وهشام بن عبد الملك ، فقد أجاد في استدحهم وبخاصة ما يتعلّق بالكرم والتزلف ، وتصوّر سوء الحال .

ولقد كان هشام في مقدمة الخلفاء الذين استدحهم جرير وعنى بهم قوله مدائح جيدة ولعل هذا راجع إلى العلاقة الحسنة التي تربط بينهما .

وخلالص القول :

إن مدائح جرير لعبد الملك بن مروان وهشام بن عبد الملك وعمر ابن عبد العزيز جاءت مبرزة فيها جودة ، وعدوة ، وتصوّر فني بينما قلل حظ بعض المدائح في غير بني أمية من الجودة لأسباب تتعلق بالشاعر نفسه أو أسباب أخرى تتعلق بالسديع ولا بد أن يخضع الشاعر لظروف بيته ، وما يحيط به من عوامل ، وقد تفاوتت مدائح جرير كما رأينا في بني أمية تبعاً لهذه الظروف والعوامل التي أثرت بالسلب والإيجاب في شخصية جرير ، فانعكس هذا التأثير على نتاجه الفني من حيث القوة والجزالة ، والضعف ، ولا شك أيضاً أن للحالة النفسية دورها في ضعف وقوّة القصيدة ، لأن هذه الحالة تحكم في الشاعر أثناء إنشاده لقصيده فاذا كان معساني في بدنـه منشرح الصدر يقبلـا على الناس محباً للمدحـوح كان شعره صدى لهذه الاشراقة النفسية ، وإن كان الأمر عكس ذلك جاء شعره باهتاً مكرـر المعانـى مضطربـ العبارـة متـفكـكـ الحديث . (١)

(١) جرير ونقاشهـ مع شـعراً عـصره - د . عبد العـزيز الكـفراوى ٩٣

أما فخر جرير فلم يقدر له أن ينطلق فيه من روافد عظيمة تتصل بآبائه وأجداده وعشيرته الأقربين ، إذ لم يكن شاعر فخر من الطراز الأول لأنه ينحدر من أسرة متواضعة لم يكن لها شأن ولكن رمى كثير منهم بالبخل والخمول ، والضعف . (١) ولم يرد لها اسم في أيام الجاهلية الآفني يوم جدود (٢) حيث أبى أن تساعدبني ربيع عندما أغارت عليهم قبائل من بكر . ولم يظهر من هذه القبيلة فوارق يستطيع جرير أن يلهم بذكرهم ليجاري خصمه الفرزدق والأخطل . (٣)

ومن هنا ابتعد هذا الشاعر عن الفخر بآبائه وأجداده وعشيرته الأقربين إذ لابد لأى شاعر يريد أن يفتخر من هذه الناحية أن يكون للأباء والأجداد والقبيلة التي يتصل بها في دائرة النسب الصغرى رضيد من الشرف والمجد القديم ، وأنى لجرير مثل هذا ؟ إلا أن دخوله في معارك هجائية مع معظم شعراء عصره عامة والفرزدق ، والأخطل على وجه الخصوص ، وكلاهما يتباهي شرف ومجد جعل جريرا يطامن من فخر هذين الشاعرين بسخريته اللاذعة ثم أنشأ

(١) انظر جرير دراسة لمحمد ابراهيم جمعة ص ٤٦ .

(٢) هذا اليوم أغارت فيه الحارث بن شريك والأجر العجل علىبني ربيع فاستصرخوا كلبي بن بريوع فلم يجيئوهم وأجا بهم بنو منقر بن عبد واستعادوا سبايا بنى ربيع . انظر النقائض بين جرير والفرزدق ٢٢ / ٢ - ٣٤ ، وجرير حياته وشعره - د . نعمان طه : ٩١ - ١٠ .

(٣) جرير حياته وشعره - د . نعمان طه ١١٤ .

فخرا يستند عليه في نقاشه معهما .
ومع هذا فقد بقى غرض الفخر عنده ضعيفاً بالنسبة لأغراض شعره
الأخرى (١) .

ولمزيد من الضوء نلقيه على فخر هذا الشاعر ندرس أولاً فخره
القبلي ومدى توفيقه في هذا الجانب وانتقاء الأشخاص والقبائل
في فخره ، ثم نأتي على الجانب الثاني من جوانب الفخر عند جرير
وهو الجانب الذاتي أو الشخصي حيث كان لشاعريته الدور الرئيسي
في هذا الجانب فقد بـّالشعراء جميعاً ولم يترك لهم مجالاً .

xxxxxxxxxxxxxx

(١) جرير حياته وشعره - د. نعman طه : ٣٥٢ .

وأما فخره القبلي فقد نسب شاعرنا عن مأثر عظيمة في قبيلته الدنيا (كلب) لينطلق منها في فخره القبلي فلم يجد واصطدم بمكانة هذه القبيلة الموضعية بين القبائل ، ولذلك ظهر شاعرنا متذبذبا في هذا الجانب كسيرا نتيجة لافتقار هذه العشيرة التي ينتمي إليها إلى المجد وعلو المنزلة ، ولهذا كان يأتي في فخره غالبا بـ (نا) الفاعلين ، وضمير المتكلم (نحن) دون أن يذكر أسماء ليبقى السامع مندهشا لا يدري إلى أين ينصرف هذا الفخر قوله : (١)

أَسْنَا نَحْنُ قَدْ عَلِمْتُ مَعَدَّ
نَمَدْ مَقَادَة الْجَبِ (٢) الْهَامِ
نَقِيمُ عَلَى ثَغُورِ بَنِي تَهِيمَ
وَنَصَدَّعْ بَيْضَة الطَّك الْهَمَامِ
وَكُنْتُمْ تَأْمُنُ إِذَا أَقْفَثَتُمْ
وَنَحْنُ الْذَّاهِدُونَ لِذَا جَبَتُمْ (٣) وَالسَّوَامِ
عَنِ السَّيِّئِ الْمُصَبِّحِ (٤) وَالسَّوَامِ

وكذلك قوله أيضا : (٤)

كَذَبَ الْفَرَزَدِيُّ إِنَّ قَوْمِي قَبْلَهُمْ
ذَادُوا الْعَدُوَّ وَعِنِ الْحِمَى فَاسْتَوْسَعُوا
لَوْلَا تَقْدُمْنَا لَضَاقَ الْمَطَافُ
مَنَعُوا التَّغُورَ بِعِارِضِ ذِي كَوْكِبِ (٥)

(١) ديوان جرير : ٢٠٢/١

(٢) الجب الهمام : الجيش العظيم ذوى الجلبة الذى يلتهم كل شيء .
ومعد : يقصد العرب عامة ، والمقادة : الأرندة .

(٣) المصبج : الذى فوجى بعبارة فى الصباح ، والسوام : العاشية والأبل الراعية

(٤) ديوان جرير : ٩١٤/٢ . (٥) استوسعوا : أى أخذ وامن الأرض السعة

(٦) شبه الجيش بالسحب لعظمته وكثرة أهلها لأن سلاحه يبرق كما يبرق الكوكب .

مِنَ الْفَوَارِسُ قَدْ عَلِمْتَ وَرَأَيْتَ تَهْدِي قَنَابِلَهُ عَقَابٌ تَلْمَعُ (١)
 هَلَا عَذَّذَتْ فَوَارِسًا كَفَوَارِسِي يَوْمَ ابْنِ كَبِيسَةٍ فِي الْحَدِيدِ مُقْنَصٌ
 خَضَبُوا أَسْنَةَ وَالْأَعْنَاءَ إِنَّهُمْ نَالُوا مَكَارِمَ لَمْ يَنْلَهَا تُبَشِّعُ

فمن يقصد جرير بهذا الفخر أيقصد "بني كلب" رهطه الأدبيين
 فليس فيهم فوارس يذكرون ، أم أنه يقصد بيربوعا وخندقا كما هو
 الغالب .

وقد يكون اصطلاح نفسه هذا الفخر ليجاري خصمه الفرزدق ،
 ويناقضه فهو في هذه القصيدة يهجو الفرزدق وجميع الشعراء . (٢)
 إن جريرا لم يقف في فخره القبلي على أرض صلبة ومن أجمل
 هذا افتخار بيربوع وباهي بشرفهم وسائلتهم ، وعلو كعبهم في الجاهلية
 والاسلام وان جاء فخره في بعض الأحيان بهذه القبيلة قاصراً لم
 يرق إلى درجة فنية عالية لافتقاره إلى المعانى القوية والصدق الفنى
 ولذلك جاء بعض فخره أشبه بوقعه الألفاظ الخالية من الدليل
 القوى قوله : (٣)

أَنَا الْذَّائِدُ الْحَامِيُ الدَّمَارِيُّا مَا تَحْمَلُتُ
 عَرَانِينَ بَرِيُوعَ وَصَالَتْ قُرُومُهَا (٤)

(١) رايس: أي رئيس ، والقنابل: الجماعات ، والعقاب: الراية .

(٢) يعني يوم ذي نجـب .

(٣) انظر ديوان جرير : ٩٠٩/٢ .

(٤) ديوان جرير : ٩٨٥/٢ .

(٥) عرانيـنـ القومـ: أشرافـهمـ ،ـوالـقـرـوـمـ:ـالـفـحـولـ .

وقوله في معرض فخره بهذه القبيلة : (١)

وَتُرْهِبُ يَرْبُوعَ وَرَائِي بِالْقَنَا
وَذَاكَ مَقَامُ لَيْسَ يُزَرُّ بِهِ فَعْلَى

ويستمر فخره بهذه القبيلة مشيدا بفوارسها فيقول : (٢)

لَمْ يُخَرَّ أَوْلَ يَرْبُوعَ فَوَارِسُهَا لَوْلَا فَوَارِسُ يَرْبُوعَ بِذِي نَجَبٍ إِنْ طَارَدُوا الْخَيْلَ لَمْ يَشُوَا فَوَارِسُهَا	وَلَا يَقَالُ لَهُمْ كَلَّا إِذَا افْتَخَرُوا ضَاقَ الطَّرِيقُ وَأَعْيَا الْوَرْدُ وَالصَّدْرُ أَوْاقَفُوا عَانِقَوْا الْأَبْطَالَ فَاهْتَصَرُوا
--	--

وفي معرض فخره بيربوع يعدد بعض فوارسهم : (٤)

لِيَرْبُوعَ فَوَارِسُ كُلِّ يَوْمٍ عُتَيْبَةُ وَالْأَحَمَرُ وَابْنُ قَيْسٍ	يُوَارِي شَمْسَهُ وَهَاجُ الْغُبَارِ وَعَثَابٌ وَفَارِسُ ذِي الْخِمَارِ
---	--

ويفتخر بأيام يربوع فيقول : (٦)

أَنَا أَئِنِ الْفَوَارِسِ يَوْمَ الْفَيْطِرٍ وَرَايَةُ مُلْكٍ كَظِيلُ الْعُقَابِ	وَمَا تَعْرِفُ الْعُوذُ (٧) أَهَارَهَا . ضَرَبَنَا عَلَى الرَّأْسِ جَبَارَهَا
---	--

(١) ديوانه : ٩٥١/٢ .

(٢) الديوان : ١٥٢/١ .

(٣) يشوا : من أشوى السهم أى أخطأ ولم يصب الغرض . وواقفو : أى وقف في الحرب كل واحد تجاه خصمه . واهتصروا : اجتذبوا .

(٤) الديوان : ٨٥٥/٢ .

(٥) هولاً فرسان لمعوا في يربوع فافتخر بهم جرير .

(٦) الديوان : ٢٦٢/١ .

(٧) العوذ : جمع عاذ وهي الحدينة النتاج من الاابل والخيل والنسم

وقد افتخاره ببربوع يفخر كذلك بخندف ، وبخصها بصفات عظيمة

مسيناً عليها فيما من نعمت الجلال والعظمة : (١)

لَنْ تَسْتَطِعَ إِذَا مَا خَنْدَفَ حَطَرَتْ ثُمَّ الْجِيَالَ وَلَجَ الْمَزِيدِ الْجَارِي
تَرْمِي خَرْبَةً مِنْ أَرْمَى وَيَغْضَبُ لِي أَبْنَاءُ مُرَبِّنَوْغَرَاءَ مِذْكَارِ (٢)

وينسب نفسه إلى هذه القبيلة فيقول مفتخرًا : (٣)

أَنَا أَبْنَ صَرِيحِي خَنْدَفَ غَيْرَ دُعَوةٍ يَكُونُ مَكَانِ الْقُلْبِ مِنْهَا مَكَانِي

على أن من أجمل معانيه وعباراته الفنية ما يكمن في هذه الأبيات التي يفخر فيها بخندف قائلاً : (٤)

بِدَعَوْيَ بَالْخَنْدَفَ أَنْ يُجَابَأ وَلَمْ يَكَ سَيْلٌ أَوْدِيَتِي شِعَابَأ شَقَاقِشَهَا وَهَافَتِ اللَّعَابَأ شَرَى فِي مَوْجِ جَرِيَتِهِ عُبَابَأ تُغَرِّقُ ثُمَّ يَرْمِ بِكَ الْجَنَابَأ تَرَى مِنْ دُونِهَا رُتْبَأْ صِعَابَأ	وَأَجَدَرَانْ شَجَاسَرْثُمْ نَادَأ لَنَا الْبَطْحَاءُ نَغَمِسُهَا السَّوَاقِي فَنَا أَنْتُمْ إِذَا عَدَلَتْ قُرُومِي كَتَنَحَ فَلَانْ بَحَرِي خَنْدَفِي يَمْوِي كَالْجِيَالِ فَلَانْ تَرْمَي عَلَوْتُ عَلَيْكَ ذِرْوَةَ خَنْدَفِي
---	--

ولقد وجد جرير في قيس عيلان حليفه موقف عظيمة وواقع خالدة
فافتخر بها وقن معها خندف في بعض الأحيان كقوله مناقضاً

(١) الديوان : ١ / ٢٣٥ .

(٢) يعدد القوم الذين يغازونه .

(٣) انظر الروائع - أهاجي ومحاخر - فؤاد افرايم البستانى : ٤٥٤ .

(٤) الديوان : ٨٢٤ . (٥) عدل : يعني مالت رؤوسها فهدرت
وهافت اللعاباً : يريد فألقت القرم لعابها أى زبد ها .

الأخطل : (١)

قَيْسٌ وَخِنْدِفٌ أَهْلُ الْمَجْدِ قَبْلَكُمْ
لَسْتُ إِلَيْهِمْ وَلَا أَنْتُ لَهُمْ خَطْرٌ
كَاعِدٌ قَوْمٌ وَإِنْ عَزَّوا وَإِنْ كَرُّمُوا
إِلَّا افْتَخَرْنَا بِحَقِّ فَوْقِ مَا افْتَخَرُوا
أَنَّ لَنْ يُفَاخِرُنَا مِنْ خَلْقِهِ شَرِءٌ
فَأَحَمَّ اللَّهُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ عَلِمُوا

ويقول كذلك : (٢)

قَيْسٌ وَخِنْدِفٌ إِنْ عَدَدَتْ فَعَالَهُمْ خَيْرٌ وَأَكْرَمٌ مِنْ أَبِيكَ فَعَالَا

وكثيراً ما يقين بين قيس وخندف فيفتخر بهما وبخاصة عند ما يناقض

الأخطل : (٣)

فَلَوْ أَصَبَّ النَّاسُ حَرَبًا عَدَا لِقَيْسٍ وَخِنْدِفٍ مَا ضَارَهَا

ويستمر في فخره بقيس التي كانت لها تلك الأيام والواقع مع تغلب

فيقول : (٤)

وَالْحَيَّ قَيْسٌ يَأْلَى الْمَجْدَ مُنْزَلَةً فَاسْتَكْرِمُوا مِنْ فُرُوعِ زَنْدَهَا وَأَرْ
قَوْمِي فَأَصْلَهُمْ أَصْلِي وَفَرْعَهُمْ فَرْعَى وَعَدَهُمْ عَدْيٌ وَامْرَارِي

وفي فخره بقيس هذه نجده يركز على تلك الحروب والواقع التي دارت بينهم وبين تغلب وهو يريد أن يذكر الأخطل بتلك الواقع

بصيغة الاستفهام التقريري قوله : (٥)

(١) الديوان : ١٥٢/١ . (٢) نقائض جرير والأخطل : ٩٢ .

(٣) الديوان : ٢٦٤/١ . (٤) الديوان : ٢٣٥/١ .

(٥) نقائض جرير والأخطل : ٨٩ . والديوان : ٥٣/١ .

كَانَتْ عَوَاقِبَهُ عَلَيْكَ وَبَالاً
شَعْنَا عَوَابِسَ تَحْمِلُ الْأَبْطَالاً
خَيْلًا تَسْدُدُ عَلَيْكُمْ وَرْجَالاً
أَنْسِيَتْ يَوْمَكَ بِالْجَزِيرَةِ بَعْدَ مَا
حَمَلْتَ عَلَيْكَ حُمَّةً قَيْسٍ خَيْلَهَا
مَا زَلْتَ تَحْسَبُ كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَهُمْ

وقد صور هزيمة تغلب على يدي قيس فوصف هذه الهزيمة وصفا
جميلا : (١)

قَنَادِيلُ فِيهِنَّ الذُّبَالَ الْمُفْتَلُ
كَرَادِيسَ يَهْدِيهِنَّ وَدَ مَحْجَلٌ (٢)
بَقِيرًا وَأَخْرَى ذَاتَ بَعْلٍ تَوْلُولٌ
وَشُعْثُ التَّوَاصِ لِجَهَنَّمْ تُصْلَلُ (٣)
سَرِّ نَحْوَكُمْ لَيْلَ كَلَّ نَجْوَمَهُ
فَمَا اشْقَعَ غَوَّ الصَّبَحَ حَتَّى تَعْرَفُوا
وَمَقْتُولَةً صَبَرًا تَرَى عِنْدَ رَجْلِهَا
عَقَابَ الْمَنَايَا تَسْدِيرُ عَلَيْهِمْ
وَمَا زَالَتِ الْقَتْلَى تَمُورُ دِمَاؤُهَا (٤)

ولقد وجد جرير في تصميم التي يجتمع مع الفرزدق في الاستساب إليها
ما شر شتي كانت مددًا له في مفاخرة ، وبخاصة عندما يนาقض الأخطل
وان لم يكتتر من الفخر بهذه القبيلة لعلمه أن الفرزدق لسانها
القوى ، وإنما فاخر الأخطل بها في قوله : (٥)

قَوْمٌ تَعِيمُ هُمُ الْقَوْمُ الَّذِينَ هُمْ
يَنْفَعُونَ تَغْلِبُهُنَّ بُحْبُوْحَةَ الدَّارِ
النَّازِلُونَ الْجَمَى لَمْ يُرِعْ قَبْلَهُمْ

(١) ديوان جرير ١٤١ / ١ - ١٤٣ .

(٢) ي يريد بالورد الصحجل : البجاف . ويهدى : يتقدم بهن .

(٣) المقصود بعقاب المانيا : الراية فقد شبهها بالعقاب .

(٤) تمور : تجرى ، والأشكال : الذي تغالطه حمرة .

(٥) الديوان : ٢٣٤ / ١ - ٢٣٥ .

ويصور عظمة هذه القبيلة مفتخرا بعلو كعبها بين الناس جميعا

(١) فيقول في معرض هجائه للراعي التسوي :

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَسِيمٍ حَسِبَتَ النَّاسَ كُلَّهُمْ غِصَابًا
أَلَسْنَا أَكْثَرُ النَّقَلَينَ رِجْلًا بِطَيْنٍ وَأَعْظَمُهُمْ قِيَابًا

ويذهب في فخره القبلي بعيدا بعض الأحيان فتجده يفتخر بقرיש

(٢) والأنصار وينسبهم إلى نفسه :

إِنَّ الَّذِينَ جَنَوا مَجْدًا وَمَكْرَمَةً تِلْكُمْ قُرْيَشٌ وَالْأَنْصَارُ أَنْصَارٍ

والحق أن فخره بقرיש والاحتکام إليها ونسبتها مع الأنصار إليه

انما يرجع ذلك الى احساسه بالأسباب الواهية والبعيدة التي يفتخر

بها (٣) فيستند على قريش مستشهدًا بها في كثير من مفاخره . (٤)

فَأَسْأَلْ جَحَاجَحَ مِنْ قُرْيَشٍ إِنَّهُمْ لَكُمْ هُدَى وَمَارًا

ويقول كذلك : (٥)

تَعَاوَلَا نُحاكمُكُمْ وَفِي الْحَقِّ مُقْنَعُ إِلَى الْغَرَرِ مِنْ آلِ الْبَطَاحِ الْأَكَارِمِ

ونتيجة لاحساسه العميق بضعفه في فخره لم يكف بأن يفاخر

بقياس وتمييز فضلا عن يربوع وخدنف حتى خرج كما رأينا الى الفخر

(١) الديوان : ٨٢٢/٢ .

(٢) الديوان : ٢٢٥/١ .

(٣) جرير حياته وشعره - د. نعمان طه : ٣٦١ .

(٤) الديوان : ٩٩٢/٢ . (٥) الديوان : ٥١٧/١ .

بقرish كلها ثم بالخلافة أيضا : (١)

إِنَّ الَّذِي أَعْطَى الْخِلَافَةَ أَهْلَهَا بِنَى لِي فِي قَيْسٍ وَخِندِفَ مَفْخَرًا

ثم يقول مشيرا الى الخليفة : (٢)

هَذَا ابْنُ عَمِّي فِي دِمْشَقَ خَلِيفَةً لَوْشَتْ سَاقْكُمْ إِلَى قَطِينَا

ويقول أيضا : (٣)

وَقَيْسُ وَالْخَلِيفَةُ مِنْ بَنِيَّهُ وَقَيْسُ وَالْخَلِيفَةُ مِنْ بَنِيَّهُ
وَصَاحِبُ عَهْدِهِ الصُّخْرَانِ مَكَانُ السَّاعِدَيْنِ مِنْ بَنِيَّهُ
وَقَيْسُ يَا فَرَزْدَقُ مِنْ تَهِيَّهُ مَكَانُ السَّاعِدَيْنِ مِنْ بَنِيَّهُ

ثم نجد في مختصر كلها فيقول : (٤)

لَا قَيْتُ مُطْلَعَ الْجِبَالِ وَعُورَا	إِنِّي إِذَا مُضَرَّ عَلَى تَحْدَبِتِ
بَحْرًا يَمْدُّ مِنَ الْبَحْرِيَّخُورَا	مَدَتْ بُحُورُهُمْ فَلَمَّا تِيقَاطَعَ
وَسَسُودُ مَنْ دَخَلَ الْقُبُورَ قُبُورَا	إِنَّا لَتَقْضَلُ فِي الْحَيَاةِ حَيَاتُنَا
لَنْ تَسْتَطِعَ لِمَا قَضَى تَغْلِيمَا	اللَّهُ فَضَلَّنَا وَأَخْرَى تَغْلِيمَا

وهذه المعانى تتماثل مع قول الفرزدق مختصر بمضر كما رأينا (٦)،
ولقد افتخر جرير كثيرا بقيس وبخاصة عندما ينافق الأخطل ، فان

(١) الديوان : ٤٢١/١ .

(٢) الديوان : ٢٨٨/١ .

(٣) الديوان : ٥٩٣/٢ .

(٤) الديوان : ٢٢٩/١ .

(٥) تحدب : أى تعطفت .

(٦) انظر ديوان الفرزدق : ٢٩٢/١ ، ٢٨٦/٢٠ .

ناقض الفرزدق أو غيره كالراغي شلا افتر بيربوع وخدف : (١)

فَلَا وَأْبِكَ مَا لَاقِيتُ حَتَّىٰ
وَمَا وَجَدَ الْمُلُوكُ أَعَزَّ مِنَّا

وان ناقض الأخطل والفرزدق معاً في قصيدة واحدة جاء فخره شاملاً
لتيم وقيس وبربوع وخندف تقوله : (٢)

أَنْذِكُهُمْ وَحَاجَتُكَ ادْكَارٌ
 أَخَاكُمْ يَا تَسْيِيمٌ وَمَنْ يُحَامِسِي
 تُخَاطِرُ مِنْ وَرَاءِ حِمَايَ قَيْسٌ
 وَيَعْلَمُ مَنْ يُحَارِبُ أَنَّ قَيْسًا
 أَنْذِكُهُمْ وَحَاجَتُكَ ادْكَارٌ
 أَخَاكُمْ يَا تَسْيِيمٌ وَمَنْ يُحَامِسِي
 تُخَاطِرُ مِنْ وَرَاءِ حِمَايَ قَيْسٌ
 وَيَعْلَمُ مَنْ يُحَارِبُ أَنَّ قَيْسًا

ولقد كان لليام والحروب نصيب من فخر جرير وإن كانت أغلب تلك الأيام جاهلية أذكت نار الفخر بها تلك العصبيات القبلية التي ظهرت جذعة في العصر الأموي (٥)

• دیوان جریر : ۸۱۵ / ۲ (۱)

• ۱۳۵/۱ : جریر دیوان (۲)

(٢) المجلبة : الهاجرة .

(٤) اللحج الفمار : أى الأمور العظيمة وفى رواية : (لهم

لحج غمار) . . .

• انظر نقائض جرير للأخطلل : ١٢٢

(٥) انظر العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي - د. احسان
النص : ٤٤٥ وما بعدها .

ومن أبرز تلك الأيام يوم " طخنة (١)" حيث افتخر به جرير

كثيراً ك قوله : (٢)

عَشِيَّةَ بِسْطَامَ جَرِينَ عَلَىَ نَحْبِ
بِطْخَنَةَ ضَارِبَنَا الْمُلُوكَ وَخَيلَنَا
فَيَارِبَتْ جَبَارَ وَطِئَنَ جَبِينَهُ
صَرِيعَ وَنَهْبَ قَدْ حَوَيْنَ إِلَىَ نَهْبِ

كما افتخر بيوم (ذى نجع (٣) فقال : (٤)

إِنَّا بِطْخَنَةَ أَوْ أَيَّامَ ذِي نَجَبٍ
بِعَمَ الْفَوَارِسَ لَمَّا التَّفَتَ الْعَذْرُ

وقد أكثر جرير من الفخر بهذه الأيام أكثر من غيرهما (٥) ومن
الأيام أيضاً التي افتخر بها جرير يوم (الوقيط (٦)) يوم تيم اللات

(١) يوم " صخفة " ويقال أيضاً يوم " خراز والرخيخ وذات كهف " وفيه
انتصر بنو يربوع على المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة وأسر قابوس
ابن المنذر ، وحسان أخو المنذر .

انظر أخبار هذا اليوم في نقائض جرير والأخطل ١١٢ ، وأيام العرب
في الجاهلية - محمد أحمد جاد المولى ورفقاء : ٩٤ .

(٢) نقائض جرير والأخطل : ١١٢ .

(٣) انظر أخبار هذا اليوم في أيام العرب في الجاهلية : ٣٦٥ .

(٤) ديوان جرير : ١٥٢/١ .

(٥) انظر جرير حياته وشعره - د. نعمان ظه : ٣٥٨ - ٣٥٩ .

وديوان جرير : ١٥٢/١ ١٩٥٠، ٣٦٣٠، ٣٦٧٠، ٣٦٣٠ .

٥٥٩/٢ .

(٦) انظر أخبار هذا اليوم في أيام العرب في الجاهلية :

فَاسْأَلْ غَمَامَةَ بِالْخَيْلِ الَّتِي شَهِدَتْ كَانُوكُمْ يَوْمَ تَسْمِ اللَّاتِ غَيَابَ (١)
وَدَعَتْ غَمَامَةَ بِالْوَقِيطِ فَنَازَعَتْ حَبْلَ الْمَذَلَّةِ عَجَلاً وَضَرَارَا

ومن هذه الأيام أيضا يوم شعب جبلة (يوم الصفا) ويوم (رحرحان) ، قوله في معرض هجائه للفرزدق : (٢)

أَنْسِيَتْ يَوْمَ أَبِيكَ أَيَّامَ الصَّفَا قُتْلَى أَصْبَتَ بِقُتْلِهِمْ وَأُسَارَى
وَالْخَيْلِ إِذْ حَمَلَتْ عَلَيْكُمْ جَعْفَراً كُنْتُ لَهُنَّ بِرَحْرَانَ دَوَارَا

ومن الأيام الإسلامية التي افتخر بها جرير يوم (سعد) أو فتنة سعد ، وقد حدث في أوائل خلافة مروان بن الحكم بعد موت معاوية سنة ٤٥ هـ فقال مفاحرا بهذا اليوم : (٤)

وَيَوْمَ عَبِيدِ اللَّهِ خُضْنَا بِرَأْيَةِ وَزَافِرَةَ تَمَتْ إِلَيْنَا تَسْمِهَا

كما افتخر كذلك بيوم «مرج راهط» : (٥)

هَلَّا سَأَلْتَ بِهِمْ مَضْرِ الَّتِي نَكَتْ أَوْ رَاهِطًا يَوْمَ يَحْمِي الرَّايةَ الْبَهْمُ

وقد وجد جرير في الجيش صورا بطولية فافتخر به وصور عظمة تلك الجيوش التي تقودها بربوع وقيس فقال : (٦)

(١) الديوان : ١٩٥/١ ٥١٨ .

(٢) انظر أخبار هذا اليوم في أيام العرب في الجاهلية : ٣٤٤ .

وجرير حياته وشعره - د . نعسان طه : ٩٢ .

(٣) الديوان : ٥٢٢/١ . (٤) الديوان : ٩٨٦/٢ .

(٥) انظر أخبار هذا اليوم في العقد الغريب : ١٣٤-١٣٦/٥ .

(٦) الديوان : ٩٦٩/٢ .

وَدْهُمْ كَجُنْحِ اللَّيلِ رَزَنا بِهِ الْعِدَا
 لَهُ عِشَرٌ مَا تُشِيرُ قَنَابِلُهُ
 حَرِيدًا وَلَمْ تَمْنَعْ حَرِيزًا مَعَاقِلُهُ (١)
 إِذَا سَوَّمُوا لَمْ تَمْنَعْ الْأَرْضَ مِنْهُمْ
 كَمَا ضَرَبَتِ فِي يَوْمٍ طَلْلَ أَجَادِلُهُ
 تَحْوِطَ الْحَمَى وَالْخَيْلَ عَادِيَةً بِنَـا

وبعد استقرارنا لفخر جرير القبلي وجدناه يرتفع في اليربوع التي عرفت بأيامها الكثيرة في الجاهلية والتي كان لها ردادة ملوك الحيرة . (٢) وقد افتخر بهذا قائلا : (٣)

رَبِيعَنَا وَأَرْدَنَا الْمُلُوكَ فَظَلَلُوا
 وِطَابَ الْأَحَالِبَ الشَّامَ الْمُنْزَعَـا
 رِدَافَ الْمُلُوكِ وَأَصْهَارَهُـا (٤)
 ، أَخَذَنَا عَلَى الْخُورِ لَوْ تَعْلَمُونَ

وقد ابتعد عن الفخر (بكليب) عشيرته الدنيا اذ لم يكن لها حظ من الأمجاد السالفة وغاية ما عرف أنها ترعى الحمير والغنم ليس إلا (٥) وقد افتخر هذا الشاعر أمام خصميه الأخطل بتعميم في أحوال قليلة بينما لم نجد له يفتخر بها أمام الفرزدق الا نادرا لما عرف من أن الفرزدق لسان تعميم والداعع عنها (٦) .

(١) الحرید: المفتحى ، ولم تمنع حريرا : يعني لم تقدر الأرض أن تحرز جمعهم فتحصنه ، اذا سوموا : يعني أعلموا الحرب ، ومعاقله: ملاجهته وحصونه .

(٢) المعارف لابن قتيبة : ٦٥١ .

(٣) الديوان : ٩٠٨ / ٢ . (٤) الديوان : ٢٦١ / ١ .

(٥) انظر من توسيع الفكر العربي جرير - دارسة محمد ابراهيم جمعة : ٢٨ - ٢٧ .

(٦) نقائض جرير والأخطل - دارسة للدكتور عبد السلام المحاسب :

ولقد افتخر بمصر وخدنف وفروعها ، واتخذ من الدين مدارا
لخخره ، فخدنف أصل مصر ، وقيس مصرية كذلك ، والنبوة والخلافة
والأمر والنهي في مصر ، والأخطل تغلبي ربى فكان جرير يستغل
هذه الناحية ويفخر بها نظرا لأن الدين الإسلامي هو الفيصل
بين القبائل .

وقد أخذ عليه النقاد من الناحية الفنية فخره على الأخطل
بالدين (١) ورميه تغلب بالنقض لأنها لا تملك ما يعده عند
ال المسلمين من شعائر دينهم فهو يفتخر بأشياء لم تكن موجودة لديهم
أصلا وهذا ليس عيبا فيهم . (٢)

هَلْ تَمْلَكُونَ مِنَ الْمَشَاعِرِ شِعْرًا أَوْ تَنْزِلُونَ مِنَ الْأَرَاكِ ظِلَالًا .

وكان الأولى به أن يفخر بما بين الناس جميعا كالآباء والأجداد
وطيب المحتد ، وما للشخص أو القبيلة من رصيد في البطولات الحربية
والكرم والشجاعة ، كما لوحظ عليه أنه في فخره بالأيام والحروب
لا يعني إلا بتغييرهم بالناحية النسائية وذكر اليوم ولا يتعرض
لتفاصيل محدث فلا يصور تلك الأحداث تصويرا دقيقا يستغرق
تفاصيل الحدث . وهو في فخره بالأيام والحروب والفرسان من يربون
وغيرها والاحتکام إلى قريش وابتعاده عن الفخر " يكلب " يريد أن
يتسامي في فخره إلى هذه المعانى الرفيعة التي تفتقر اليها

(١) جرير حياته وشعره - د. نعeman طه : ٣٦٢ .

(٢) نقائض جرير والأخطل : ٩٢ .

(٢١٩)

"كلب" فاكثر من الفخر بتلك القبائل وأيامها في الجاهلية والاسلام
وفرسانها الذين كانت لهم بطولاتهم التي غيرت مسار تاريخ
أمتهم .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

واما فخر جرير بنفسه فقد نحا فيه نحواً يتناسب وما
قد منا عن أسرته وقبيلته الدنيا " كليب " ففاخر باستقامته وشهادته
وصولة شعره وسيورته . (١) حيث يرى أنه أدرك الأوائل في
وبنـ معاصريه فلم يترك لهم مجالاً للشعر ، والى جانب هذا فهو
مقدام شجاع : (٢)

وَقَدْ وَجَدَ ابْنِي حِينَ مُدْتَحِبَالنَا أَشَدَّ مَحَامَةً وَأَبْعَدَ مَنْزَعًا
وَاتَّى أَخو الْحَرْبِ الَّتِي يُصْطَلِي بِهَا إِذَا حَمَلَتْهُ فَوْقَ حَمَالِ شَسَنَعًا
وَأَدْرَكَتْ مَنْ قَدْ كَانَ قَبْلِي وَلَمْ أَدْعَ لِعَنْ كَانَ يَعْدِي فِي الْقَصَادِ مَصْنَعًا

ولعل هذه الناحية التي أراحت جريراً كثيراً فخر بها كصفة
من صفاتـ العظيمة وهي شاعريـةـ التي حـيـاـتـ اللهـ بـهاـ فـسـلـطـهاـ عـلـىـ
أعدـاهـ كالـسـمـ القـاتـلـ ، وـاسـطـاعـ منـ خـلـالـ شـعـرهـ أـنـ يـهـزـ الشـعـراءـ
جمـيـعاـ فـقـدـ أـعـدـ لـهـ سـماـ قـاتـلاـ وـصـوـاعـقـ لـاـ تـبـقـىـ وـلـاتـذـرـ . (٣)

أَعَدَدْتَ لِلشَّعَرَاءِ سَمَا نَاقِعًا فَسَقَيْتَ آخِرَهُمْ بِكَلَّسِ الْأَوَّلِ

وقولـهـ فـيـ مـعـرـضـ هـجـائـهـ لـلـرـاعـيـ النـعـيـ وـفـخـرـهـ بـشـاعـريـهـ : (٤)
أَعَدَ اللَّهُ لِلشَّعَرَاءِ مِنْتَيْ صَوَاعِقَ يُخْضِعُونَ لَهَا الرِّقَابَـاـ .

(١) انظر " جرير دراسة " لمحمد ابراهيم جمعة ص ٤٦ .

(٢) الديوان : ٩٠٤ / ٢ .

(٣) الديوان : ٩٤٠ / ٢ .

(٤) الديوان : ٨١٩ / ٢ .

(٢٢١)

ويستمر في فخره بهذه القرحة المتقدة فيقول : (١)

أَعْدَدْتُ لِلشَّعْرَاءِ كَأساً مُرَّةً عِنْدِي مُخَالِطُهَا السَّمَامُ الْمُنْقَعُ	أَوْ أَرْبَعُونَ حَدَّ وَتَهُمْ كَا نَسْجَمُوا هَلَّا نَهَا هُمْ تِسْعَةَ قَتْلَهُمْ
--	---

وقد أضاف جرير إلى نفسه صفة الشجاعة ولا يعلم إلا الله مدى صدق هذه الصفة عليه، وهو سليل أسرة وضيعة ليس فيها من اتصف بالشجاعة يقول :

وَلَيْسَ لِسَيْفِي فِي الْعِظَامِ بَقِيَةٌ وَلِلْسَّيْفِ أَشَوَى وَقْعَةٌ مِنْ لِسَانِي

وربما كان هذا كناية عن قوة شاعريته فأراد أن يضخمها وبهولها فشبهها بالسيف مرة وبالصواعق ^{ثانية} مرة أخرى ، وقد صور نفسه في معرض فخره بشاعريته صورة عظيمة رأى أنها لا تصدق على شاعر سواه حيث يقول شبيها نفسه باليازي الذي ينقض على غيره من الطير كما شبه

الشعراء بالخرابان : (٢)

عَلَى رَغْمِ الْأَنْوَفِ الرَّاغِمَاتِ أَتَحْتُ مِنِ السَّمَاءِ لَهَا اِنْصِبَاباً	أَنَا الْبَازِي الْمُدْلَلُ عَلَى نُسَيْرٍ إِذَا عَلِقْتُ مَخَالِبِهِ بِقِرْنِ
أَصَابَ الْقَلْبَ أَوْ هَتَّكَ الْحَجَابَا جَوَانِحَ الْكَلَّاكِلِ أَنْ تَصَابَا	أَنَا الْبَازِي الْعُطِلُ عَلَى نُسَيْرٍ تَرَى الطَّيْرُ الْعِتَاقَ تَظَلُّ مِنْهُ

ويقول في معرض اجادته لغسان السليمي مفتخراً بنفسه وشعره : (٤)

(١) الديوان : ٩١١/٢ .

(٢) الديوان : ٨٠/١ .

(٣) الديوان : ٥١٧١، ٨٩١/٢ . (٤) الديوان : ٨١٩، ٨٢٢/٢ .

وَلَمَّا عَلَّاكُمْ صَكٌّ بَازِ جَنْحَتُمْ
يَأْسَتُوا خَرْبَانَ تَصَرَّفُوهَا
عَائِنَّ أَسْفَعَ مُلْحَمًا بِكَارَا

وكما نلاحظ في هذا الفخر فقد صور نفسه بازيا ، وغيره من
الشعراء والناس خربانا تظل منه وجلة خائفة .

ويستمر في فخره بشعره فيصفه وصفا رائعا مبينا شدة وقوعه
على الأنفس وينطلق في هذا الوصف من اعتزازه بنفسه واعجابه
بفنه فيقول في أبيات كثيرة منها على سبيل المثال قوله : (١)

رَفِعْتُ لَهُ مَشْبُوَةً يَهْدَى بِهَا يَكَادُ سَاهَا فِي السَّمَاءِ يَطِيرُ
وَجَهَرْتُ فِي الْآفَاقِ كُلَّ قَصِيدَةٍ شَرُودٌ وَرُودٌ كُلُّ رَكْبٍ تُنَازِعُ
يَجْئِنَ إِلَى نَجْرَانَ مَنْ كَانَ دُونَهُ وَيَظْهَرْنَ فِي نَجْدٍ وَهُنَّ صَوَادِعٌ

، وأوقدت ناري بالحديد فأصبحت لها لهب يصلى بها الله من يصلى
، أَلَمْ أَكُ نَارًا يَتَقَى النَّاسُ شَرَهَا وَسَمًا لَأَعْدَاءِ الْعَشِيرَةِ مُسْقَرا
، إِنِّي لَتُحْرِقُ مَنْ قَصَدَتْ لَشَتِيمِ نَارِي وَلَحْقَ بِالْغَوَّةِ سُعَارِي

وهو يصور الشعراء بين صعق مصاب نتيجة لاصابته ، وبين آخر
منتظر حتفه الذي لا مناص منه فيقول : (٢)

تَرَى الشَّعَرَاءِ مِنْ صَعِيقٍ مَصَابٍ بِصَكَّيهُ وَآخَرَ مُسْتَدِيمٍ (٣)

(١) الديوان : ٢/٨٢٢، ٩٢٢، ٨٧٢ / ١٠٩٥٠، ٩٢٢، ٨٤٨ / ٢٠٤٨٤ / ٨٩٦ .

(٢) ديوان جرير : ١/١١٣ .

(٣) المستديم : المنتظر لصمة أخرى . والصعق : المغشي عليه .

لَقَدْ وَجَدَ وَرَشَائِي مُسْتَمِرًا
وَدَلْوَى غَيْرَ وَاهِيَّ الْأَدِيمِ

وهذه صورة فنية عظيمة تجسد حالة الشعرا، الوجلة الخائفة وقد
صب عليهم جرير صواعقه ثم يكتى عن شاعريته ، وكيف أن هذه
الموهبة لديه مستمرة تأخذ صفة الديمومة وأن الجدة والقوة طابعها

ويُفخر بمناقبِه العظيمة ومزاياه السالفة أيام فتوته وشبابه وكيف أن أحداث الدهر قد أضنته كثيراً وهو وإن أصبح محدّد بالظهور ولديه القوة على التصبر عن بعض الرغائب وال حاجات إلا أنه لا صبر له على القعود عن النجدة فهو سريع إليها كما كانت حالته ويصور هذه الأمور في فخر شخصي مميز فيقول مباهيا بهذه الصفات: (١)

إِمَّا تَرَيْنِي وَهَذَا الدَّهْرُ ذُو غَيْرٍ
 فَقَدْ أَمْدَدْ بِجَادَ السَّيْفِ مُعْتَدِلًا
 فِي مَنْكِيَّ وَفِي الْأَصْلَابِ تَحْبِيبٌ
 مِثْل الرُّدَيْنِيَّ هَرَّتَهُ الْأَنَابِيبُ
 وَأَحْوَزَيَا إِذَا اتَّضَمَ الدَّعَالِيَّ

وهذا الشاعر قد افترخ بنفسه واصطنع لها ضربا من الشجاعة
والكرم ، كما افترخ بشاعريته وأضفى على نفسه من هذه الناحية
صورة عظيمة تدل على قوة معاناته الشعرية وتهافت الشعراء أمامه
ولكننا لم نجد له فخرا بأبيه عطية ، أما جده " الخط — في"
فقد افترخ به في بيتين اثنين فقط : (٢)

• دیوان حیر : ۳۴۸ / ۱ (۱)

٢) الديوان : ٨٩٩ / ٢ - ١٩٠٤

لَمَّا بَنَى الْخَطْفَى رَضِيَتْ بِمَا بَنَى وَأَبْوَ الفَرْزَدِقَ نَافَخُ الْأَكْيَارِ
، بَنَى الْخَطْفَى حَتَّى رَضِيَنَا بِنَاءً هُنَّهُ أَنْتَ إِنْ لَمْ يَرْضِكَ الْقَيْنُ قَاتِلُهُ

ولئن فخر جرير بنفسه فقط ، واعتمد عليها في ملاقة الأعداء وصد هم
جميعاً بشعره العظيم فان هذا الفخر لم يأت من فراغ ، فجرير
شاعر عظيم له مقوماته الفنية وشخصيته المتميزة ، والاعتماد على
النفس ليس عيباً بل أنها الشجاعة باسم معانيها ، ولقد اعتمد
شاعرنا على نفسه وشاعريته ففاق الأقران حتى أن الراعي النميري

لما سمع قول جرير : (١)

وَعَوْعَى مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ رَّمِيَتْهُ	يَقَارِعُهُ أَنْفَادُهَا تَقْطُرُ الدَّمَّا
خَرُوجٌ يَأْفُواهُ الرَّوَاهُ كَانَهَا	قَرَى هُنْدٌ وَانِي إِذَا هُزَّ صَمَمَا
فَإِنَّى لَهَا جِينِكُمْ بِكُلِّ غَرِيبَةٍ	شَرُودٌ إِذَا السَّارِي بِلَلِّ تَرَسَّمَا
غَرَائِبُ الْأَفَاءِ إِذَا حَانَ وِرَدَهَا	أَخْذَنَ طَرِيقًا لِلْقَصَادِ مُعْلَمَا

فقال الراعي : لا يلام رجل يغلبه قائل هذه الأبيات (٢) ولعمري
لقد صدق جرير في فخره بنفسه وبشعريته وسيرورتها وقوتها
وتهافت الشعراء أمامه ولم يصد له إلا الفرزدق والأخطل فترفع
معهما على قمة الشعر العربي في العصر الأموي حتى عرف هو لا
الشعراء الثلاثة - إن جاز التعبير - باسم المثلث الأموي .
ولا تنصرف هذه التسمية إلى سواهم .

(١) الديوان : ٩٨٠ / ٢ - ٩٨١ .

(٢) طبقات فحول الشعراء : ٤٣٨ / ١ .

ولاشك أن نهش الشعراء لجرير وتألهم عليهم صموده^(١)
أمامهم وانتصاره عليهم يعد فخراً مابعده فخر له كما رأينا
من البحث .

(١) تاريخ النقاوش في الشعر العربي - أحمد الشايب - مكتبة
النهاية المصرية - القاهرة ١٩٦٦ م ص ٢٢٣ .

الباب الثالث

أثر الإسلام في مدح وفخر الشعراء الثلاثة
وفيه مدخل وثلاثة فصول :

مدخل لدراسة هذا الباب ..

الحياة الإسلامية وأثرها في الشعر

الأموي .

الفصل الأول:

مدح ناثر الأخطل بالبيئة الإسلامية

الفصل الثاني:

أثر الإسلام في مدح وفخر الفرزدق

الفصل الثالث:

أثر الإسلام في مدح وفخر جرير

مدخل

" دراسة هذا الباب "

* الأمسي الشعبي في أدبها وأثرها على الحياة الإسلامية *

لم يكن العصر الاموي بعيداً عن القيم الروحية ، والأخلاق الاسلامية الفاضلة التي انعكست على أدب هذا العصر بصفة عامة والشعر منه بصفة خاصة رغم ظهور أحزاب (١) سياسية مذهبية في هذا العصر كان لها صداتها وتطبعاتها في الحياة .

ولعل قرب هذا العصر من النبع الأول للإسلام ووجود مجموعة من الصحابة الأجلاء والتابعين (٢) الذين كان لهم شرف الصحبة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصحابته الكرام قد طبعـهـ بطبع ديني لم يسمح بظهور الأدب الماجن والشعر الساقط كما حدث فيما بعد . (٣)

(١) التعبير هنا بلفظ (حزب) تعبير يعني في اللغة الجماعة من الناس وكل قوم تناكلت قلوبهم وأعمالهم فهم أحزاب وإن لم يلق بعضهم بعضاً . / انظر الصحاح ، واللسان . والمنجد في اللغة والاعلام .

ودائرة معارف القرن العشرين (حزب) .
وانظر الفرق الإسلامية في الشعر الأموي - د . النعمان القاضي

• (۴۴۲)

٢) انظر البيان والتبيين : ١٩٣/٣ .

(٣) حيث ظهر الغزل بالذكر ، والخمريات وغيرها من مظاهر الأدب
الماجيء مما لم نجده في الأدب الأموي .

غير أننا حينما نتبع ما كتب عن أدب بنى أمية شعره ونشره بل وما كتب عن بعض الخلفاء أنفسهم من قبل المستشرقين ومن رضى سبيلهم (١) نجد لهم يرون هذا الأدب بالجاهلية والعصبية والحزبية ، ليشوهوه في أذهان الدارسين ، وينفوا بالتالي أثر الإسلام في الحياة كما شوّهوا صورة الخلفاء الأمويين (٢) ، ولا ينكر أحد أن الأحزاب السياسية والدينية التي نشأت في عصر بنى أمية كانت مسرحاً لأدب متسم بالجاهلية لم تكن مسيطرة عليه ولم يكن الشعر الأموي جاهلياً كما يتصور البعض (٣) لأنه يمثل المسلمين

(١) انظر أثر الإسلام في شعر الفرزدق - د . مصطفى عبد الواحد : ١٢ :

- ١٣ -

ونضيف أن سيرة خلقاء بنى أمية لم تسلم من التشويه والتجريح انظر أياطيل يجب أن تمحى من التاريخ - د . ابراهيم شعوط : ٢٤٢٠ : وما بعدها .

(٢) انظر تاريخ الأدب العربي (بروكلمان) : ١٨٧/١ .

(٣) حيث يرى (هامتون جب) أن الشعر الأموي ظل صورة حية للشعر الجاهلي وأن شعراء هذا العصر كانوا مقلدين للجاهلين في نهج قصائهم .

. انظر دراسات في حضارة الإسلام (هامتون جب) ترجمة - د . احسان عباس ورفقاهم : ٢٩٥ .

(وهامتون جب) مستشرق إنجليزي ولد بالاسكندرية ، يعد من أعلام المستشرقين المعاصرین اشتهر بكتاباته المتعمقة عن الإسلام شغل منصب أستاذ اللغة العربية بجامعات لندن ، واكسفورد ، وهارفارد ، ومدير لمركز دراسات الشرق الأوسط .
انظر ترجمته في الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث للدكتور محمد الكتاني : ١٢٩٠ / ٢ .

في فترة من فترات حياتهم قريبة من عهد النبوة والخلفاء الراشدين . الا أننا نرى أن هذا التقليد للجاهلين أن حصل في بناء القصائد فانه ليس دليلا على جاهلية الأدب الأموي شعره ونشره اذ لا يشك عاقل أن الشعراة والأدباء يحترمون المبادئ ، والقيم الروحية السامية ، فالإسلام ما زال قويا آنذاك ومتحكنا من نفوس وعقليات الناس ، فكيف يؤخذ أدب هذا العصر بصفة عامة والشعر بصفة خاصة على أنه مرتبط بالقيم الجاهلية دونما محاولة للتحميس والتحقيق وقياسه بمقاييس الإسلام الصحيح بغض النظر عن وجود تلك الأحزاب (١) مادامت ملتزمة في أدبها بالروح الإسلامي .

ان تاريخ الأدب العربي في هذه الفترة لم يسلم من الدس والتسيء لأنه مرتبط بتاريخ بني أمية الذي لم يكتب أغلبه إلا في العصر العباسي (٢) ، ومعلوم أن الدولة الأموية أسقطها العباسيون ، بعد ثورة عارمة في المشرق قضت عليها (٣) ، فهل أنصف هؤلاء الباحثون الذين دونوا تاريخ هذه الحقبة من الزمن وكتبوا بموضوعية

(١) ونقصد بالأحزاب المعتدلة التي لم تفرط في الغلو ولم تسرف في التعصّب لذاتها كالخوارج الذين يكفرن مرتکب المعصية وبعض الشيعة الذين يجعلون عليا في مرتبة الله ويلعنون الصحابة - رضي الله عنهم - .

(٢) تاريخ الأدب العربي "بروكليمان" : ١٨٨/١ .

(٣) سقطت الدولة الأموية في المشرق سنة ١٣٢هـ بعد حكم دام تسعاً عاماً تقريباً . كان حافلاً بالفتحات الإسلامية ونشر الإسلام في أرجاء المعمورة .

وتجرد وا عن الأهواء السياسية والحزبية والنزعة العدائية ؟ أم أن هذه النزعة فرضت نوعا من المغالطات التاريخية والتشویه الأدبي لهذا العصر ؟ (١).

هذه في الواقع مسئولية الباحثين المنصفين الذين يهمهم تتبع خطوات ومراحل وبيئات الأدب الأموى وزنه بميزان الدين الإسلامي الحنيف اذ ليس من المعقول أن تحكم على عصر بنى أصمة بأنه كان عصر العصبيات القبلية ، وأن الإسلام لم يكن له أثر في الشعر النابع من البيئات المختلفة والتي كان لكل بيئة منها ظروفها وملاييساتها الخاصة .

ومن هنا فانه يتحتم على الباحث المنصف أن يتبع خطوات
الشعر الأموى من خلال تتبعه للحياة الاسلامية نفسها ليجرى مدى تأثير
هذه الحياة في الشعر حتى لا يُرمى بالجاهلية والعودة الى مانهى
عنه الدين .

وإذا كانت الدولة الأموية في بداية عهدها قد انشغلت بالحروب واطفاء نار الفتن ، وتوحيد الأمة الإسلامية فان هذه الدولة المتمثلة في الخليفة قد بلغت قوتها وأخضعت كل الطوائف والأحزاب السياسية التي وجدت نتيجة لهذه الحروب ، وانصر الجماع تحت

(١) اشتهر الأمويون بتعصيمهم ضد الموالي ، وبخاصة الفرس الذين كانوا يطلبون
ـ المعاملة الهدامة التي أطاحت بملك بني أمية وكلنوا أيضاً في أغلب
ـ المظاهر مهلاً مهلاً ، وهو تارikh الأمويين إذ كان أغلب الكتاب والعلماء
ـ والرواة والشعراء في العصر العباسي من الفرس . وقد لعبت الشعوب
ـ دوراً بازراً في التأريخ والرأي .

ظل خلافة واحدة في بوتقة الاسلام ، وان بقى لهذه الأحزاب -
شعراؤها الذين سجلوا مرئيات حزبهم للحياة ونظرتهم للخلافة
وفلسفتهم للدين كالخوارج والشيعة والزبيرين ، وهي أحزاب لها
قيمها واتجاهاتها المذهبية ، الا أن الاسلام كان متمنعاً من قلوب
الناس . فهناك الوعاظ والزهاد والنساك الذين وجدوا في
العصر الاموي رجالاً ونساء (١) في الحجاز والشام ومصر وغيرها من
الأقاليم .

وقد شأ الشعراء في عصر بنى أمية وسط هذه البيئة
المليئة بالنساك والزهاد ، وتشعبت أنفسهم بهذا التيار الاسلامي
فآمنوا بعالم آخر فوق حسهم وشعورهم مما طبع نفوسهم بطوابع
العصر التي لم تكن مألوفة في الجاهلية . (٢) اذ أن القيم الروحية
والمثالية الدينية التي شأ الشعراء في ظلالها كان لها أثر
أى أثر في نفوسهم ! فأصبح الشاعر يعيش في ظروف نفسية
جديدة لم يعد للوثنية والعادية مكان فيها .

ومن هنا كان الشعر الاموي صدى لتلك التطلعات النفسية
والدينية التي يراها الشعراء ويؤمنون بها . وعلى الرغم من أن
هؤلاء لم يكونوا من النساك ، والزهاد الا أن التيار الاسلامي كان

(١) البيان والتبيين - الحافظ : ٣٦٢ / ١ - ٣٦٦ .

(٢) التطور والتجدد في الشعر الاموي - د . شوقى ضيف :

يسرى فى عروقهم . ولنضرب مثلا بالفرزدق الذى اتهمه بعض
معاصريه وبعض المحدثين بالانسلاخ عن الدين ، فان عبارات كثيرة
تنتشر فى شعره وتشهد له باستقرار الاسلام فى أعماقه . اذ
ظهرت نفحات الدين الاسلامى فى شعره واضحة جلية ، وبدأ ضعيفا
أمام الخوف من العذاب ومن هول يوم القيمة .

حتى الأخطل النصارى قد امتدت اليه ظلال الاسلام فعاش
في كفه ينطق بمثل مادحا الوليد . (١) وإن لم يؤمن هو
بما يقول :

وَقَدْ حَلَفْتُ يَمِنًا غَيْرَ كَاذِبَةٍ
 بِاللَّهِ رَبِّ سُتُورِ الْبَيْتِ ذِي الْحِجْبِ
 مُضَرِّعٌ بِدِمَاءِ الْبَدْنِ مُخْتَضِبٌ
 وَكَانَ حِصْنًا إِلَى مَنْجَاتِهِ هَرَبِي
 وَكُلَّ مَوْفِي بِنْدِرٍ كَانَ يَحْمِلُهُ
 إِنَّ الْوَلِيدَ أَمِينَ اللَّهِ أَنْقَذَنِي

وهناك غيرهما من الشعراء شهد لهم شعرهم بأنهم كانوا أكثر
تأثراً بالاسلام وبخاصة هؤلاء الشعراء الذين عرفوا بالعفاف
والتدبر (٢). ويلاحظ على مدح الشعراء وهجائهم في هذا
العصر أنهم لا يمدحون ولا يهجون الا وضعوا الصفات الدينية
أيجاباً وسلباً في مدحهم وهجائهم فما هو كثير يمدح عرب سن

١١) شعر الأخطل : ٢٤٤/١

(٢) التطوير والتجديد - د. شوقي ضيف : ٦٣ .

(٣) ديوان كثير : ٣٣٤ - ٣٣٥ (دار الثقافة بيروت) .

أَتَيْتَ فَأَمْسَى رَاضِيًّا كُلُّ مُسْلِمٍ
وَصَدَقْتَ بِالْفَعْلِ الْمَقَالَ مَعَ الَّذِي
تَرَأَى لَكَ الدُّنْيَا بِكُفَّةٍ وَمُعَصَّمٍ
وَقَدْ لَيْسَ لِبَسَ الْهَلُوكَ شَابِهَا
وَتَوْضِعُ أَحْيَانًا بِعَيْنِ مَرِيضَةٍ
فَأَعْرَضْتَ عَنْهَا مَشْئِزًا كَانَتْ
سَقِيتَ مَدْوَفًا مِنْ سَامِ وَلَقَّمِ

وَصَدَقْتَ بِالْفَعْلِ الْمَقَالَ مَعَ الَّذِي
وَقَدْ لَيْسَ لِبَسَ الْهَلُوكَ شَابِهَا
وَتَوْضِعُ أَحْيَانًا بِعَيْنِ مَرِيضَةٍ
فَأَعْرَضْتَ عَنْهَا مَشْئِزًا كَانَتْ

وهذا ابن قيس الرقيات يمدح صعب بن الزبير بقوله : (١)

إِنَّمَا مُصَبَّبُ شَهَابٍ مِنَ اللَّهِ
يُنَجِّلُهُ عَنْ وَجْهِ الظُّلْمَاءِ
مُلْكُهُ مُلْكٌ قُوَّهُ لَيْسَ فِيهِ
يَنْتَقِيُ اللَّهُ فِي الْأَمْرِ وَقَدْ أَنْتَ

وقد أَسْتَرَ الإِسْلَامُ فِي أَغْلِبِ جُوانِبِ الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ فِي
هَذَا الْعَصْرِ فَظَاهَرَ مَاسِمٌ بِالْغَزْلِ الْعَذْرِيِّ الْعَفِيفِ (٢)، وَظَاهَرَ
فِي هَذَا الْعَصْرِ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الشِّعْرَاءِ الْعَذْرِيِّينَ الَّذِينَ جَنَّوْا مِنْ
الْحُبِّ فَكَانَ شِعْرُهُمْ تَرْجِمَةً صَادِقَةً لِمَا يَخْتَلِجُ فِي نُفُوسِهِمْ مِنْ عَاطِفَةٍ
وَاحْسَاسِ نَحْوِيِّيْنَ يَحْبُّونَ، تَأْجَجَتْ تِلْكَ الْعَوَاطِفُ فَصُورُهَا فِي شِعْرٍ
رَقِيقٍ يَنْبَيِّءُ بِالْعَصْفِ أَمَّا تِبَارِيْجُ الْهَوَى وَلَوْعَةُ الشَّوْقِ، وَجَفْوُ الْحَبِيبِ

(١) دِيَوَانُ ابْنِ قَيْسِ الرَّقِيَّاتِ (طِبِّيْرُوتْ) : ٩١ .

(٢) يَرِى بَعْضُ الدَّارِسِينَ الْمُحَدِّثِينَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَا يُسَمِّي بِالْغَزْلِ
الْعَذْرِيِّ الْعَفِيفِ . وَأَطْلَقَ عَلَى هَذَا النَّوْعِ مِنْ شِعْرِ الْغَزْلِ "غَزْلُ
الْمُحْرَمِينَ" وَقَدْ اعْتَدَ عَلَى بَعْضِ الْمَقَايِيسِ النَّفْسِيَّةِ لِدِيِّ الشَّاعِرِ .
وَهَذِهِ الرَّؤْيَا لَا تَعْتَمِدُ عَلَى دَلِيلٍ عَلَمِيٍّ وَلَمْ يَذْهَبْ إِلَى هَذَا الرَّأْيِ أَحَدٌ
مِنَ النَّقَادِ الْقَدَامِيِّ وَلَا يَمْكُنُ تَطْبِيقُ مِثْلِ هَذِهِ الْمَقَايِيسِ عَلَى أَدِبِنَا الْعَرَبِيِّ .
انْظُرْ إِلَى الْجَمْودِ وَالْتَّطَوُّرِ فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ دَ . مُحَمَّدُ الْكَفَارُوِيُّ ص ٥٥-

فأخذوا يستخدموه بعض المعانى والألفاظ الاسلامية فى شعرهم
كى يوثروا فى قلوب من يحبون ، وسواء أكان هذا الغزل العفيف
صدى للبيئة الاسلامية أم صدى للبيئة البدوية أم لكليهما فانه قد
امتلا بسمات اسلامية كثيرة . فها هو عمر بن أبي ربيعة يقول : (١)

أَلَا يَامَنْ أَحِبُّ بِكُلِّ نَفْسٍ
وَمَنْ هُوَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ حَسْبِي
وَمَنْ هُوَ لَاهِمْ بِغَفْرَانِ ذَنْبِي
وَمَنْ يَظْلِمْ فَأَغْفِرُهُ جَمِيعَهُ

وَيَقُولُ جَعْلِيلُ : (٢)
أَلَا تَتَقَبَّلَنَّ اللَّهُ فِيمَنْ قَتَلَهُ
نَأْمَسَ إِلَيْكُمْ خَاشِعًا يَتَضَرَّعُ

وَيَقُولُ مَجْنُونُ لَبْلَى : (٣)
عَنَّا اللَّهُ عَنِ لَبْلَى الْفَدَا فَإِنَّهَا
إِذَا كُلِّيْتُ حُكْمًا عَلَى تَحْمِيرِ

وقد تأثر شعر الحماسة كذلك بالحياة الاسلامية فها هو قطري بن
الفحاء يقول : (٤)

أَقُولُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شَعَاعًا
مِنَ الْأَبْطَالِ وَيَعْكِلُهُ لَنْ تُرَاعِي
عَلَى الْأَجَلِ الَّذِي لَكِ لَنْ تُطَاعِي
فَإِنَّكِ لَوْسَانِتِ بَقَاءَ يَوْمٍ

(١) ديوان عمر بن أبي ربيعة : ٤٨٥ (طبعة المدنى)

(٢) ديوان جعيل : ١١٢ .

(٣) الأغانى : ٢٥ / ٢ .

(٤) ديوان الحماسة لابى تمام : ١٦١ / ١ .

فَصَبِرَا فِي مَجَالِ الْمَوْتِ صَبِرَا
 فَمَا نَيَّلَ الْخَلُودُ بِمُسْتَطِعَةِ
 فَيَطْوِي عَنْ أَخِي الْخَنَعِ الْيَرَاعِ
 وَلَا تَوْبَ الْبَقَاءِ يَثْوِي عَرَزَ
 فَدَاعِيهِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ دَاعِيَى
 سَبِيلِ الْمَوْتِ غَايَةً كُلَّ حَسَنَى

وهكذا ظهرت ملامح الحياة الاسلامية واضحة وجلية في نتاج
 الشعراء في العصر الاموي رغم ظهور العصبيات وتعدد المذاهب
 والأحزاب الا أن الروح الاسلامية بقيت واضحة جلية . كما سنرى
 لدى الشعراء الثلاثة في الفصول التالية . (١)

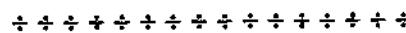
xxxxxxxxxxxxxx

(١) لم أترجم للشعراء الذين أوردت لهم نصوصا هنا لشهرتهم
 ولأنه قام بهذه الصفة باحث آخر . فيما يتعلق بهذه النصوص
 قد رأى تكتلها وأربطها

الفصل الأول

مدى تأثر الأخطل
بالمبيئة الإسلامية

" الفصل الأول "



* * مدى تأثر الأخطل بالبيئة الإسلامية *

قبل الحديث عن أثر البيئة الإسلامية في مديح وفخر الأخطل يحسن بنا أن نتتبع أصول الایمان في نفسه ، فقد انحدر من قبيلة تغلب النصرانية التي كانت على مذهب اليعقوبية (١) وظل معتقداً النصرانية حتى مات .

ونستطيع أن نستنبط من أخبار رواها بعض الرواة القدامى أنه كان متمسكاً بدینه مستجيناً لشعائره ومعتقداته . (٢)

وحيثما نرجع لديوانه نجد ملامح واضحة للإيمان بما تلقى فيه الأديان السماوية ألا وهو الإيمان بالله والاقرار له بالعبودية

(١) أحدى فرق النصارى الأربع وهم : اليعقوبية ، والنسطورية ، والغولية والملكانية ، وترى اليعقوبية أن الله لم يكن بجسم فتجسم ولم يكن في مكان فصار في مكان ، متجسدًا مثناةاً بعد أن كان غير متجسد ولا مثناه وهو المسيح ، ودنيلهم في ذلك أنهم قالوا : لما كان قادرًا على الزيادة في حدثه كان قادرًا على الزيادة في ذاته ، ولو لم يقدر على الزيادة في ذاته لكان عاجزاً وهو قادر على ما يشاء . تعالى الله عما يقولون ويرأ نبيه عيسى عليه السلام من ثرثاراتهم .

انظر الحور العين - نشوان الحميري تحقيق كمال مصطفى - مطبعة السعادة ط (١) ١٣٦٢ هـ ١٩٤٨ م ص ١٤٥ - ١٤٦ ، شعراء النصرانية ١٧٢ - ١٧١ و دائرة المعارف الإسلامية ٥١٦ ، مواسم الأدب : ٢٢٠ / ١ .

(٢) الأغانى : ١٧٤ / ٢ .

وأنه تعالى الذي يصرف الأمور ويقدر الأقدار ويعطي ماشاء لمن

يشاء ، يقول مقرأ بالعبودية لله : (١)

لَهُمْ عَلَيْنَا وَالَّذِي أَنَا عَبْدُهُ دُعَاكُمْ فِي أَوْصَاحِنَا يَا لَعَامِرٍ

ويقول في موضع آخر مقرأ بأنه لا يكون شيء إلا بذن الله
تعالى : (٢)

فَدَافَعَهَا رِبَادُنِ اللَّوْعَنَ شَابُ الصَّدِيقِ مِنَا وَالْكَهْوَلِ

ويقول في مدح بنى آمية عندما مدح بشر بن مروان مقرأ بأن
العطاء من الله وحده : (٣)

أَنْتُمْ خَيَارُ قَرْيَشٍ عِنْدَ نِسْمَتِهِمْ
وَأَهْلُ بَطْحَائِهَا الْأَثْرَقُونَ وَالْفَرَعُ (٤)
أَعْطَاكُمُ اللَّهُ مَا أَنْتُمْ أَحَقُّ بِهِ
إِذَا الْمُلُوكُ عَلَى أَمْثَالِهِ افْتَرَعُوا (٥)

ويقول في مدح بنى آمية : (٦)

قَوْمٌ إِذَا بَسَطَ الْأَلَةَ رَبَعَهُمْ جَادَتْ رَحَاهُ بِصَبَيلِ دَرَارٍ

ويرى أنهم منصورون من الله تعالى فيقول : (٧)

أَعْطَاهُمُ اللَّهُ جَدًا يُنْصَرُونَ بِهِ لَا جَدَّ إِلَّا صَغِيرٌ بَعْدَ مُخْتَرٍ

(١) شعر الأخطل : ٦٥٨/٢ .

(٢) شعر الأخطل : ٣٢٥/١ .

(٣) شعر الأخطل : ٣٦٦/١ .

(٤) الأثرون : جمع أثري وهو الكثير الثراء . والفرع : أراد الفرع وهو الشريف
العالى النسب . (٥) افترعوا : معناها هنا تضاربوا بالسيوف .

(٦) شعر الأخطل : ٤١٤/٢ . (٧) شعر الأخطل : ٢٠١/١ .

ويبدو هذا الشاعر مؤمنا بالرسل وقد يخص بعضهم بالذكر ويستعين بما سطروه من أمجاد في تاريخهم الشرق مستمدًا منه العبر ، والعظات فيقول في معرض فخره بتنقلب : (١)

نَقْدَ تَهَضُّتُ لِلتَّغْلِبِيَّتِينَ حَيَّةٌ
كَحَيَّةٍ مُوسَى يَوْمَ أُيُّدَ بِالنَّصْرِ

ويقول في مدح يزيد بن معاوية : (٢)

جَرَاكَ رَبِّكَ عَنْ مَسْتَفْرِدٍ وَحْدَهُ	نَفَاهُ عَنْ أَهْلِهِ جُرمٌ وَشَرِيدٌ
أَوْ مِثْلَمَا جُزِيَّهَا رُونَ وَدَادِهِ	جَزَاءُ يُوسُفَ إِحْسَانًا وَمَغْفِرَةٌ
إِذَا سَتَّاجَ لِنُوحٍ وَهُوَ مَنْجُودٌ	أَوْ مِثْلَمَا نَجَّ فِي سَفِينَتِهِ

والأخطل يرى أن الله قد أيد نبيه نوحًا - عليه السلام - فـى الدنيا وجزاء في الآخرة جنة خالدة فيقول : (٣)

أَعْطَاهُمْ لَذَّةِ الدُّنْيَا وَأَسْكَنَهُ فِي جَنَّةٍ بِعْمَةٍ فِيهَا وَتَخْلِيدٌ

كما أنه سبحانه وتعالي قد أعطى بنى أمية جنة وأسكنهم فيها وأسبغ عليهم من نعيمه وخيراته فيشير إلى هذا بقوله : (٤)

وَادْ وَشَى بِي أَقْوَامٌ فَأَدَرَكَى	رَهْطُ الْذِي رَفَعَ الرَّحْمَنُ فَارْتَفَعُوا
فِي جَنَّةٍ هِيَ أَرْوَاحُ الْإِلَوْفَمَا	يُفَزِّ الطَّيْرُ فِي أَغْصَانِهَا فَرَزَعُ

(١) نقائض جرير والأخطل : . ٣٣

(٢) شعر الأخطل : . ٩٨ - ٩٢/١

(٣) شعر الأخطل : . ٩٨/١

(٤) شعر الأخطل : . ٣٦٤/١ - ٣٦٥

والملاحظ أن الأخطل مع نصرياته لم يذكر شيئاً عن عيسى - عليه السلام - فيما وصل إلينا من شعره لكنه ذكر الصليب والنصرانية وبعض رهبانهم كقوله يفتخر : (١)

لَمَّا رَأَوْنَا وَالصَّلِيبَ طَالِعَـا
وَمَا رَسَرْجِيسَ وَسَمَّا نَاقِعَـا
وَأَبْصَرُوا رَأْيَاتِنَا لَوَامِعَـا
كَالْطَّيْرِ إِذْ تَسْتَوِدُ الشَّرَائِعَـا

بينما نجده قد ذكر مهدا - صلى الله عليه وسلم - وأشار إلى نبوته كقوله في مدح جرير بن عبد الله البجلي : (٢)

صَافِي الرَّسُولِ وَمِنْ قَوْمٍ هُمْ ضَمِنُوا مَالَ الْغَرِيبِ وَمِنْ ذَا يَضْمَنُ الْأَبْدَاءِ
قَوْمٌ يَظْلَمُونَ خَشْعًا فِي مَسَاجِدِهِمْ وَلَا يَدْيُسُونَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الصَّمَدِ

فيشيد بصحبة جرير لرسول الله - صلى الله عليه وسلم وبما ثر قومه في الخشوع والتوحيد .

ونجده يشير من ناحية أخرى إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم دون تصريح باسمه عندما يصنف على بنى أمية وقوفهم معهم حتى أنه هجا الأنصار الذين آتوا ونصروا الرسول والمهاجرين (٣)

بَنِي أُمَّةٍ قَدْ نَاضَلْتُ دُونَكُمْ أَبْنَاءَ قَوْمٍ هُمْ آتُوا وَهُمْ نَصَرُوا .

(١) المصدر السابق : ٢٤٤/٢ - ٢٤٥ .

(٢) المصدر السابق : ٢٢٩/٢ - ٢٣٠ .

(٣) المصدر السابق : ٢٠٢/١ .

وذكره للرسول صلى الله عليه وسلم إنما يرجع إلى شخصيات المدحدين فبني أمية خلفاء المسلمين وهم من قريش والنبي محمد صلى الله عليه وسلم قرشى فلا مناص له من ذكره - صلوات الله عليه وسلامه - هذه في الواقع ملامح الایمان التي يمكن للباحث أن يقف عليها في شعر الأخطل وهي بلا شك تبدو عامة سطحية ، وكان الأخطل موزع بين النصرانية دياته - والاسلام دين الله الخالد الذي يحيط بيئته .

والسؤال الذي يتadar إلى الذهن هو هل تأثر الأخطل فعلاً بالبيئة الإسلامية فانعكس هذا التأثير على شعره بصفة عامة ومديحه وفخره على وجه الخصوص؟ ..

ان الأخطل قد حاول أن يجمع بين ما يميله عليه تصوّره للعقيدة النصرانية والواقع الذي يعيش فيه ، ولذلك ظهرت عنده تلك الثنائية التي يبديها في سطاته الدينية فإذا بأشعاره تظهر فيها ملامح النصرانية والاسلام اذ نجده يقسم برب النصارى والمسلمين والرهبان والزهاد . (١)

إِنَّى وَرَبُّ النَّصَارَى عِنْدِهِمْ وَالْمُسْلِمِينَ إِذَا مَاضَهَا الْجُمُعُ
وَرَبُّ كُلِّ حَيٍّ فَوْقَ صَوْمَعَةٍ يُعْسِى وَلَا هُمُ الدُّنْيَا وَلَا الطَّمَعُ

وقد استغل الأخطل السمات الإسلامية التي كانت شائعة في عصره فمدح بنى أمية مضيا عليهم الكثير من النعوت الإسلامية ومزج في مدائحه بين الدين والسياسة ، ففرضت عليه هذه السياسة أن يستعمل

تعابير معينة لم تعرف الا في الاسلام (كان الامام ، وأمير المؤمنين ، وال الخليفة ، و خليفة الله ، وأمين الله ، والبيعة ، والهداية وال المسلمين ، والمسجد ، وال الجمعة ، والحج ...) كما رد ذكر أسماء الأماكن المقدسة ليربط بين بنى أمية وحمايتهم لها فذكر .. (مكة والكعبة ، والبيت الحرام ، وزمزم ، ويشرب) ، وعرض لمناسك الحج ذكر (النسك ، والتشريق ، والتحليق ، والتضحار) وغيرها وكلها تعابير مرتبطة بحياة المسلمين ك قوله في مدح يزيد بن معاوية :

فَلَوْلَا يَزِيدَ بْنَ الْإِمَامِ أَصَابَنِي قَوَاعِدُ يَجْنِيهَا عَلَىَّ لِسَانِي

وقوله يمدح عبد الملك بن مروان : (١)

إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَحْلَتَهَا
عَلَىَّ الطَّائِرِ الْمَيْمَنِ وَالْمَنْزِلِ الرَّحْبِ
إِلَىَّ مُؤْمِنٍ تَجْلُو صَفِيَّةً وَجْهِهِ
بِلَالِيْلَ تَغْشَى مِنْ هُمُومٍ وَمِنْ كَرْبِ

وقوله يمدح الوليد بن عبد الملك : (٢)

إِنَّ الْوَلِيدَ أَمِينَ اللَّهِ أَنْقَذَنِي
وَكَانَ حِصْنًا إِلَىَّ مَنْجَاتِهِ هَوَيِّ
خَلِيفَةُ اللَّهِ يُسْتَسْقَى بِسَنَتِهِ
أَفَغَيْثُ مِنْ يَنْدَرُ مَوْلَىَ الْعِلْمِ مُتَرْجِبٌ

وقوله كذلك في معرض مدحه ليزيد بن معاوية : (٣)

(١) شعر الأخطل : ٢٩٨/١ .

(٢) المصدر السابق : ٤٣/١ .

(٣) المصدر نفسه : ٢٤٤/١ - ٢٤٥ .

(٤) المصدر نفسه : ١٢١/١ - ١٢٢ .

أَضْحَى بِعَكَةَ مِنْ حُجَّبٍ وَأَسْتَارٍ
 إِنِّي حَلَقْتُ بِرَبِّ الرَّاقِصَاتِ وَمَا
 فِي يَوْمٍ نُسَكٍ وَشَرِيقٍ وَتَنَحَّارٍ
 وَمَا يَرْمَزُ مِنْ شُمُطٍ مُحَلَّةٌ
 وَمَا يَهْدِي إِذَا اهْمَرَتْهُ دِرْعَهَا
 وَمَا يَشْرِبُ مِنْ عُونٍ وَأَبْكَارٍ
 لَأَلْجَائِشِ قُرْيَشٌ خَائِفًا وَجَلًا
 وَمَوْكَشِي قُرْيَشٌ بَعْدَ إِقْتَارٍ

وقوله مدح الوليد بن عبد العنك : (١)

لَقَدْ حَلَقْتُ بِمَا أَسْرَى الْعَجِيجُ لَهُ
 وَالنَّادِرِينَ دِمَاءَ الْبَدْنِ فِي الْحَرَمِ
 حَلَقْتُ بِمَنْ سَاقُ لَهُ الْهَدَى يَا
 وَمَنْ حَلَقْتُ بِكَعْبَتِهِ النَّسْدُ وَوَ
 لَقَدْ وَلَدَتْ جَذِيْمَةَ مِنْ قُرَيْشٍ
 فَنَاهَا حِينَ تَحْزُبُهَا الْأَمْوَارُ

وقوله في مدح عبد العنك بن مروان وهجاء قيس : (٢)

فَإِنْ كُنْتُ قَبِيسٌ يَا بْنَ مَرْوَانَ بَأَيَّتُ
 فَقَدْ وَهَلَّتْ قَبِيسٌ إِلَيْكَ مِنَ الدُّعَرِ
 عَلَى غَيْرِ إِسْلَامٍ وَلَا عَنْ بَصِيرَةٍ
 وَلَكِنَّهُمْ سِيَقُوا إِلَيْكَ عَلَى صُفْرٍ
 وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْخِلَافَةَ فِيْكُمْ
 لِأَبْيَضٍ لَا عَارِيَ الْغِوانِ وَلَا جَدْبٍ

والأخطل أحياناً يعمد إلى بعض شاهد العبادات الإسلامية فيأخذ منها مايلون به معانيه وصوره ليضفي عليها صفة التأثير فهو يشبه الحرباء (٣) وقد انتصبت في شدة المهاجرة بالصلى الذي يولي

(١) شعر الأخطل : ٢٢٢/١ .

(٢) المصدر السابق : ٤٢٠، ١٨٩/١ .

(٣) الحرباء : ذكر أرم حبيبي ، وهي تستقبل الشمس وتدور معها كيما دارت وتتلون ألواناً وجمعاها (حرابي) .

انظر ديوان الأدب ١٢/٢ ، والمصباح المنير مادة (حرب) .

وجهه شطر القبلة مع أن هذا التشبيه ثقيل على النفس ولا تكاد
قبله نظرا لحقارة هذه الدويبة التي يشبهها بالصلى ك قوله في
قصيدة يمدح بها خالد بن عبد الله : (١)

أَجَزْتُ إِذَا الْحِرَبَاً أَوْفَى كَانَهُ وَ مَصْلِيٌّ يَمَانٌ أَوْ أَسِيرٌ مَكَّلٌ
وَهَذِهِ السُّورَةُ الْأَنْتَخَةُ يَنْصُقُ فِيهَا عَلَى جَهَةِ الْقَبْلَةِ لِلْمُسْلِمِينَ اذ
أَنَّ الْمُصْلِيَ الْمُسْلِمُ فِي بَلَادِ الشَّامِ وَالْعَرَاقِ تَكُونُ قَبْلَتَهُ فِي صَلَاتِهِ
نَاحِيَةُ الْيَمَنِ بِخَلْفِ النَّصَارَى الَّذِينَ تَكُونُ قَبْلَتَهُمْ دَائِمًا جَهَةُ
الْمَشْرُقِ حِينَما كَانُوا . (٢)

وقد استمد الشاعر بعض تشبيهاته من القرآن الكريم ك قوله
في مقدمة قصيدة يمدح بها يزيد بن معاوية : (٣)

كَانَهُ إِذَا أَضَاءَ الْبَرَقُ بِهِجَّتَهُ فِي أَصْفَهَانِيَّةِ أَوْ مُصْطَلِيِّ نَارِ
فَانْصَاعَ كَالْكَوْكِبِ الدَّرِّيِّ مَيَعَتَهُ غَضَبَانَ يَخْلِطُ مِنْ مَعْجِ مِإِحْضَارِ

فهذا التشبيه مأخوذ من قوله تعالى : * (٤) اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
مَثَلُ نُورِهِ كَعِشَّاكَةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةِ الزُّجَاجَةِ كَأَنَّهَا
كَوْكِبٌ دُرَّيٌّ * . ولكن ليس معنى هذا أنه قد قرأ القرآن بل
ربما زن في أذنه صدأه من البيئة الإسلامية اذ أن اتصاله

(١) شعر الأخطل : ٢٢/١ .

(٢) انظر الأخطل الكبير د. فخر الدين قباوة : ٢٤٨ .

(٣) شعر الأخطل : ١٦٤/١ - ١٦٥ .

(٤) سورة النور آية (٣٥) .

بالخلفاء كان قويا .

ونجد الأخطل يشيد بانتصار المسلمين على الروم فيقول في

مدح عبد الملك بن مروان : (١)

*وَفِي كُلِّ عَامٍ مِنْكَ لِلرَّومِ غَزَوةٌ
بَعِيدَةٌ آثارُ السَّنَابِكِ وَالسَّرْبِ*

ويقول في مدح الوليد بن عبد الملك : (٢)

*قَتَلَتِ الرَّومُ حَتَّى شَدَّ مِنْهَا
عَصَابَ مَا تُحَوِّرُهَا الْقُصُورُ*

وهذه الاشارة ليست نتيجة لتعمق الاسلام وحب المسلمين أصداء
نفسه وأغوارها ولكن الأخطل لا يستطيع أن ينسى الصراع الطائفي
الذى كان بين الامبراطورية البيزنطية ونصارى العرب . ثم انه مع
ذلك كله عربى يعتز بعروبيته ويشرف بهذا الانتقام فمدحه للمسلمين
من هذه الناحية ممثلا في الخلفاء والقادة و بأنهم انتصروا على
الروم انا هو مدح للعرب قاطبة نصارى و مسلمين . ولهذا وجده
يغفل بفارق فتح الأندلس و شمال افريقيا فلا يقتدح الوليد بهذا
الانتصار العظيم . وقد تناصه كذلك كل من الفرزدق و جرير
كما سرى فيما بعد - ان شاء الله - .

ولقد اتخذ هذا الشاعر من البيئة الاسلامية التي عاش فيها
مادة خصبة استمد منها الكثير من المعانى والصور دمجها في مدائنه

(١) شعر الأخطل : ٤٥/١ .

(٢) شعر الأخطل : ٢٧١/١ .

التي خص بها بنى أمية وعاليهم وقد ظهرت تلك المعانى واضحة في مدحه بينما تضاءلت هذه الملامح الاسلامية في فخره فلا يكاد نعثر على أي أثر اسلامي في الفخر اذا ما استثنينا بعض الأبيات التي ذكرناها هنا ، وعندئذ لا نجد فخره الا معنا في الجاهلية^(١)

ومن هذا المنطلق يمكننا القول بأن تأثر الأخطل بالاسلام ليس عن رضى فقد رفض عندما عرض عليه الخليفة عبد الملك أن يسلم^(٢) ولكنه وجد نفسه مضطراً لهذا التأثر حينما يمدح من أحاطوه بنعمتهم وأفسحوا له في مجالسهم .

وأغلب الظن أن الاسلام قد حدّ من نزوات الأخطل وصار سياجاً له يمنعه من أن يقول ما يشاء مما يخالف الدين ، ولو ترك له العنوان لأنفع عن أشياء كثيرة تدور في نفسه ضد الاسلام وال المسلمين ولاستخف بكثير من القيم الاسلامية فها هو يعبر عن دوافعه نفسه المبغضة للإسلام وأهله والمتمسكة بالنصرانية ساخراً ومستخفياً بالعبادات الاسلامية وال المسلمين : (٣)

وَلَسْتُ بِصَائِمٍ رَّمَضَانَ طَوْعًا
وَلَسْتُ بِأَكِيلٍ لَّهُمَّ أَضَاجِي
إِلَى بَطْحَاءِ مَكَّةَ لِلنَّجَاحِ
وَلَسْتُ بِقَائِمٍ كَالْعَيْرِ يَدْعُونِ
لَدَى الْأَصْبَاحِ حَتَّى عَلَى الْفَلَاحِ

(١) الهجاء والهجاؤون في العصر الاسلامي - د . محمد محمد حسين

• ١٠٩ •

(٢) الأغانى : ٢٩٠ / ٨ .

(٣) شعر الأخطل : ٢٥٥ / ٢ - ٢٥٦ .

وَلَكِنِي سَأَشْرِبُهَا شَمُّولًا وَأَسْجُدُ عَنْدَ مُنْبَلِجِ الصَّبَاحِ

وختلقة القول :

أنه لا تكاد تخلو مدحه من مدائح الأخطل من التأثر بالربح
الإسلامى الذى يعيش فيه . وليس هذا بطبيعة الحال عن طيب
خاطر منه ولكنه منزح هذه المدائح بالواقع فكان لزاما عليه كشاعر
بلاط أن يمزح أيضا الدين بالسياسة ، وقد فعل .
والحقيقة أن الدين الإسلامى قد ظامن من شخصية الأخطل
وحىٰ من نزواته ولم يبق له سوى الخمر التى يستطيع أن يمسح
بها دون رادع فأجاد من خلال مقدماته فى وصفها والتغنى
بمقاتتها ، فإذا مخرج عن طوره الحقيقى وحجمه المعروف أصطدم
فورا بشخصيات الخلفاء القيمة كما حدث له مع عبد الملك بن مروان
عندما أنسده قوله : (١)

فَإِلَّا تُفَيِّرُهَا قُرَيْشٌ بِمُلْكِهَا يَكُنْ عَنْ قُرَيْشٍ مُسْتَمَازٌ وَمُزْحَلٌ

فقال له عبد الملك (الى أين يا ابن اللختاء ؟) فقال الأخطل
متداركا موقف (الى النار يا أمير المؤمنين) فقال عبد الملك :
(لو قلت غيرها لضربت عنقك) .

ومن هنا وقف هذا الشاعر من الإسلام موقفا ليس نابعا عن
ايحان راسخ وإنما هو استسلام المنافق العاجز الذى تملأ

(١) طبقات حول الشعراء لابن سلام : ٤٨٠ / ١ .

الخوف والذلة نفسه فعرف حجمه الحقيقى فى مجتمع
اسلامى كبير يعطى هو وقبيلاته فيه الجزية عن يد
وهم صاغرون .



الفصل الثاني

أثر الإسلام
في
مَدِيج وَفَخْرِ الْفَرَزَادِقُ

"الفصل الثاني"

Digitized by srujanika@gmail.com

* * أثر الاسلام في مدح وفخر الفرزدق *

لقد كان للمعارك الهجائية التي نشببت بين الفرزدق وجريس
أثراً واضحاً في نهج كثير من الرواة فسردوا أخباراً⁽¹⁾ عن هذا
الشاعر وتناقلوها دون تحيص وتحقيق، ومفاد هذه الأخبار أنه كان
مقدعاً في هجائه لا يتردد في التصريح بالأمور المستهجنة غير مكترث
بوصف المعاصي التي تتنافى مع أبسط قواعد الدين الإسلامي، ولم
تسلم هذه الأخبار التي طبعت في أذهان كثير من الدارسين عدم
تأثيره بالاسلام من المبالغة وتضخيم الأمور كما خضعت لكثير من
التحريف والتحوير نتيجة لنقلها بالشافية .

غير أن المتأمل في شعر الفرزدق يجد نفسه أمام شخصية
غليظة وراءها أخرى تواقة إلى الطاعة ومستشرفة إلى رحمة الله
وتوبته . . (٢)

(١) ورد كثير من الأخبار عن هذا الشاعر في طبقات فحول الشعراء
لابن سلام (٣٠٦ / ١ - ٣٧٤) ، كما أورد حاصل الأغاني
الكثير من أخبار ابن سلام وزاد عليها أخباراً فيها اجحاف
بالفرزدق واسأة من الناحية الدينية .

^{٣٦١} انظر الأغانى : (٢١٢ / ٢١) - (٣٦١) .

(٢) ديوان الفرزدق : ٢١٢ / ٢

أَلَمْ تَرَنِي عَاهَدْتُ رَبِّي وَإِنَّنِي
 عَلَىٰ حَلْفَةٍ لَا أَشْهُدُ الدَّهَرَ مُسْلِمًا
 أَلَمْ تَرَنِي وَالشَّعْرُ أَصْبَحَ بَيْنَنَا
 بِهِنَّ شَفَقَ الرَّحْمَنُ صَدِّرِي وَقَدْ جَلَّا
 فَأَصْبَحْتُ أَسْعَىٰ فِي فَكَاكِ قِلَادَةٍ
 أَحَادِرُ أَنَّ أَدْعَىٰ وَحْوْضِي مُحَلِّقٌ
 وَلَمْ أَنْتَ هَنَىٰ أَحَاطْتُ خَطِيئَتِي
 بِتَوْبَةٍ عَبْدٍ قَدْ أَنَابَ فُؤَادُهُ

لِلَّذِينَ دَرَّاجُ قَائِمَ وَمَقَامَ
 وَلَا خَارِجًا مِنْ فِي سُوءِ كَلَامِ
 دُرُوهُ مِنَ الْأَسْلَامِ ذَاتُ حَوَامِ
 عَشَا بَصَرِي مِسْهَنَ ضَوْءُ ظَلَامِ
 رَهِينَةً أَوْزَارِ عَلَىٰ عَظَامِ
 إِذَا كَانَ يَوْمُ الْوِزْدِ يَوْمُ خَصَامِ
 وَرَائِي وَدَقَّتْ لِلَّهِ هُورِ عِظَامِي
 وَمَا كَانَ يُعْطِي النَّاسَ غَيْرَ ظَلَامِ

فحينما نقرأ هذه الأبيات نجد تصويراً وافياً لشاعر الخوف من الله
 التي تنتابه من جراء انسياقه في ظلم الناس وهجائهم فقد ندم
 بما فعل وأقلع عن ذلك الخطأ الجسيم الذي تمادي فيه ورسف
 في محاذيره . وقد بلغ خوفه من عذاب الآخرة مداه اذ أنه لم
 ينته حتى أحاطت به خطيبته وهو الآن بين يدي الرحمن الرحيم
 نادماً بما فعل ومليناً عن الخطيبة وقد تضاءلت تلك النفس
 الغليظة أمام الله والتي طالما وقفت في وجه الخلفاء والولاة، وأصبحت
 صغيرة تعاهد ربها لا تجهر ولا تسر بسوء من القول ، كما حاصره
 الندم الشديد على مافرط في جنب الله ، وجراه ندمه هذا إلى
 هباءً أليس قائلًا : (١)

أَطْعَتُكَ بِالْبَلِيسِ سَبْعِينَ حِجَّةً
 فَلَمَّا انْتَهَىٰ شَيْبِي وَتَمَّ تَسَامِي

فَرَوْتُ إِلَى رَبِّي وَأَيْقَنْتُ أَنَّنِي
مُلَاقٍ لِأَيَّامِ الْمَنْوِنِ حِمَامِي
وَكُنْتُ أَرَى فِيهَا لِقاءَ لِرَأْمِي
وَلَطَّا دَنَا رَأْسُ التِّي كُنْتُ خَائِفًا
حَلَفْتُ عَلَى نَفْسِي لِأَجْتَهِدَ نَهَا
عَلَى حَالِهَا مِنْ صِحَّةٍ وَسَقَامٍ

إلى آخر هذه القصيدة التي تصور فرار الفرزدق إلى ربه وعزم
على أن يجتهد في الطاعة متذكرا أيامه الخواли التي قاده فيها
الشيطان إلى الهاوية . (١)

أَلَا طَالَ مَا قَدْ بِتُّ يَوْمَنِي
أَبُو الْجَنَّ إِبْلِيسِ بَغْيَرِ خِطَامٍ
يَظْلِمُ يُمْسِيَنِي عَلَى الرَّحْلِ أَرِكًا
يُبَشِّرُنِي أَنَّ لَنَّ أَمُوتَ وَأَنَّهُ
سَيُخْلِدُنِي فِي جَنَّةٍ وَسَلَامٍ

ولكها أيام الشباب التي فيها ما فيها من النتق والطيش ومظاهر
الصبوة وقد ثاب الشاعر إلى رشه وأطلع فها هو كما رأينا يصوّر
موقعه مع ابليس في قصص شعرى رصين ويبين كيف أن الشيطان
يزين لاتباعه طرق الضلال وقد تأثر هنا بقول الله عز وجل : * وَقَالَ
الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَعَدْتُكُمْ
فَأَخْلَفْتُكُمْ * (٢)

وبحث الجانب الإسلامي في شخصية الفرزدق سواء من خلال
شعره كله أم من خلال مدحه وفخره فقط يتطلب تأملًا عميقًا
ودراسة متأنية كي يعطى هذا الشاعر حقه من الانصاف في هذه

(١) ديوان الفرزدق : ٢١٣/٢ .

(٢) سورة إبراهيم الآية (٢٢) .

واتجاهه السياسي ، وهذا أقوى دليل على دحض آراء "بروكمان" وغيره من الحاقدين وضيقى الأفق والتى تقطع زوراً بعدم تأثير شعراً العصر الاموى بالاسلام وبقاء شعرهم على النهج الجاهلى .
واذا كان الانسان بطبعه خطاء فان الفرزدق رغم هذا كان متأثراً في شعره بالمعانى الاسلامية ي مدح بها ويغتظر وقد استمد من القرآن الكريم كثيراً من معاناته التي عبر بها في اشعاره وقد

(١) انظر تاريخ الأدب العربي (بروكسلان) ١٨٧١/١١١، وانظر أثر الإسلام في شعر الفرزدق - د. مصطفى عبد الواحد.

ظهرت صور الایمان واضحة جلية في مدحه وفخره فضلا عن غيرهما من الأغراض ، فحينما نتأمل نتاجه الفنى نجد أنه يخلو من كل الشوائب التي تتنافى مع العقيدة الاسلامية وليس فيه ما ينافي عناصر الایمان (١) التي آمن بها وتحدث عنها كثيرا في أشعاره . فها هو أثر العقيدة واضحا جليا في قوله يمتدح الحجاج : (٢)

إِذَا المَرْعُوبُ لِلْغَمَرَاتِ هَابًا وَجِيبُ الْقَلْبِ يَتَرَزَّعُ الْحِجَابًا لِنَفْسِكَ عِنْدَ خَالِقِهَا ثَوابًا سِوَى اللَّهِ الَّذِي رَفَعَ السَّحَابًا إِذَا نَادَاهُ مُخْتَشِعٌ لِجَابًا	رَأَيْتُكَ حِينَ تَعْتَرِكُ الْمَنَابَا وَأَذْلَقَهُ التَّفَاقُ وَكَادَ مِنْهُ تَهُونُ عَلَيْكَ نَفْسُكَ وَهُوَ أَدَنَى فَمَنْ يُمْتَنَ عَلَيْكَ النَّصْرُ يُكْذِبُ تَفَرَّدَ بِالْبَلَاءِ عَلَيْكَ رَبُّ
---	---

ويبدو هذا الشاعر صحيح العقيدة صافى الوجدان فى وقت تعددت فيه المذاهب وكثير أعوان الشيطان فيقول مفتخرا . (٣)

لَنَا مَسْجِدٌ أَلَّا حَرَمَانٌ وَالْمَهْدَى لَهُ الْأَمْرُ الْأَوَّلِيٌّ يَقُومُ نُشُورُهَا	وَأَصْبَحَتِ الْأَسْمَاءُ مِنَ كَبِيرِهَا سِوَى اللَّهِ رَبِّنَا اللَّهُ لَا شَيْءَ مِثْلُهُ
---	---

فأخذ معناه هذا من قول الله تبارك وتعالى : * لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ * وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ * (٤)

(١) انظر أثر الاسلام في شعر الفرزدق د . مصطفى عبد الواحد : ٣٣

(٢) ديوان الفرزدق : ٨٣/١

(٣) ديوان الفرزدق : ٣٦٨/١

(٤) سورة الشورى آية (١١) .

أَمَا إِيمَانَهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ إِلَّا اللَّهُ فِيهِذِهِ حَقِيقَةٌ
وَاضْحَى اعْتِدَهَا الْفَرَزْدَقُ وَآمَنَ بِهَا وَقَدْ ظَهَرَ هَذَا وَاضْحَى فِي
مَدِيْحَةِ لَهْشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ : (١)

كَانَتْ خِلَافَتُهَا لِلَّآلِ مُحَمَّدٌ
لِأَبِي الْوَلِيدِ تُرَاثَهَا وَهِشَامٍ
أَخْلِصُ دُعَاءَكَ تَنْجُ مَا تَتَقَرَّبُ
لِلَّهِ يَوْمَ لِقَائِهِ بَسَّلَامٌ
وَهُوَ الَّذِي أَبْتَدَعَ السَّمَاءَ وَأَرْضَهَا
وَرَسُولُهُ وَخَلِيفَةُ الْأَنَامِ
مَلِكٌ بِهِ قُصْمَ الْمُلُوكُ وَعِزَّةٌ كُلَّ حِمَامٍ

وواضح أن الشاعر مؤمن بالبعث ولقاء الله لا محالة ونلمس في هذه الأبيات تأثره بالقرآن الكريم أياً تأثر .

ولئن بالغ الفرزدق في معاركه الهجائية وأفحش وبالغ أيضاً في التعبير بالمثال والصاق المعايب بالناس وبالغ كذلك الرواية في نقل هذه الأخبار فإن الفرزدق قد حاول جاهداً الدفاع عن نفسه وتبرير موقفه من هذه المعارك والانزلاقات : (٢)

فَإِنِّي لَوْلَا بَغَيْتُكُمْ وَذُو الْلَّبْثِ مَحْقُوقٌ بَأْنَ يَتَعَذَّرُ

وقد أشار إلى هذا عندما مدح سعيد بن العاص وقرن بين آيات الله في الكون وتلك النعم التي أنعمها على عباده المسلمين
فيقول : (٣)

(١) ديوان الفرزدق : ٢٨٤ / ٢ .

(٢) ديوان الفرزدق : ٢٠٦ / ١ .

(٣) الصدر السابق : ٢٠٠ / ٢ .

وَمِنْ سَمَكَ السَّمَاءِ لَهُ فَقَامَتْ
وَسَخَرَ لَابْنِ دَاوُدَ الشَّمَاءَ
وَأَرْسَى فِي مَوَاضِعِهَا الْجِبَالَ
وَمِنْ نَجْعَلَ مِنَ الْفَمَرَاتِ نُوحًا

ثم يقول :

وَلِكِنَّ هَجَوْتُ وَقَدْ هَجَنْتُ
مَعَاشِرُ قَدْ رَضَحْتُ لَهُمْ سِجَالَا
فَقَدْ قَلَّا لِشَاعِرِهِمْ وَقَلَّا
فَإِنْ يَكُنَ الْبِهَاجَاءُ أَحَلَّ قَتْلِي

ويبدو تأثره بالقرآن الكريم في هذه الأبيات من قوله تعالى :
 * أَلَّا تَرَى أَنَّهُ خَلَقَ أَمَّ السَّمَاءَ بِنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَاهَا * (١)
 * فَسَخَرْنَا لَهُ الرَّيْحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ * (٢) * وَالْجِبَالَ
 أَرْسَاهَا * (٢)

وكتيرا ما يذكر أسماء الرسل عليهم السلام فيقول في مدح أيوب

ابن سليمان بن عبد الملك : (٤)

فَأَصْبَحْتُمَا فِينَا كَدَّا وَوَدَّا وَابْنِهِ عَلَى سُنَّةِ يُهَدَّى بِهَا مَنْ يَسِيرُهَا

وقد يذكر الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه أبا بكر

وعمر وعثمان - رضي الله عنهم - ويفتخر بأنه يلتقي في النسب

معه - صلى الله عليه وسلم - : (٥)

(١) سورة النازعات من آية (٢٧ - ٢٨)

(٢) سورة ص الآية (٣٦)

(٣) سورة النازعات الآية (٣٢)

(٤) ديوان الفرزدق : ١/٤٢٤ .

(٥) ديوان الفرزدق : ١/١٥٩، ٣٢٢/١ ، ٢٠/٢٨ .

وَمَنِّا رَسُولُ اللَّهِ أَرْسَلَ بِالْهُدَىٰ وَبِالْحَقِّ جَاءَتْ بِالْيَقِينِ نَوَادِرُهُ
 وَمَنِّا نَبِيُّ اللَّهِ يَتَلَوُ وَكِتَابَهُ يَهُ دُوَّختُ أَوْثَانُهَا وَيَهُودُهَا
 أَبِي مُضْرِئِهِ الرَّسُولُ الْذِي هَدَى يَهُ اللَّهُ مَنْ صَلَى بِغَربٍ وَشَرِقٍ

ورغم أن الفرزدق يناصر الأخطل النصراوي ضد جرير إلا أنه لا يتزدد في أن يشيد بموافق الخلفاء ضد النصاري ليفصح بذلك عن تعصبه للإسلام فيقول في مدح الوليد بن عبد الملك : (١)

فَرَقْتَ بَيْنَ النَّصَارَىٰ فِي كَائِسِهِمْ وَالْعَادِيْنَ مَعَ الْأَسْحَارِ وَالْعَشَّرِ
 وَهُمْ مَعًا فِي مَصَلَّاهُمْ وَأَوْجُهُهُمْ شَتَّى إِذَا سَجَدُوا لِلَّهِ وَالصَّنَمِ
 وَكَيْفَ يَجْتَمِعُ النَّاقُوسُ يَضْرِبُ أَهْلُ الصَّلِيبِ مَعَ الْقُرَاءِ لَمْ تَنَمِ

وبتراءى لنا الفرزدق زاهدا في هذه الدنيا وعرضها الزائل بسئل قوله :

لَا يُعِجِّبُنَّكَ دُنْيَا أَنْتَ تَارِكُهَا كَمْ نَالَهَا مِنْ أَنَاسٍ ثُمَّ قَدْ ذَهَبُوا (٢)

ويشير إلى أن الكمال في هذه الحياة مفقود وأن منفعتها كثيرة فهى لا تصلح لأحد :

أَمَا تُصلِحُ الدُّنْيَا لَنَا بَعْضَ لَيْلَةٍ مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا عَادَ شَيْءٌ فَأَفْسَدَ (٣)

ومن هنا ييد واعظا مؤثرا ملما بتقلبات الحياة وما يفسدها .

(١) ديوان الفرزدق : ٢١٠ / ٢ .

(٢) انظر أثر الاسلام في شعر الفرزدق د . مصطفى عبد الواحد ٤٢ :

(٣) ديوان الفرزدق : ١٣١ / ١ .

ان أثر الاسلام في شاعرية الفرزدق بين واضح لا يحتاج الا الى استقراء تام لديوانه الضخم الذي وصل اليانا مطبوعا فضلا عن مخطوطاته المنتشرة في كثير من أرجاء العالم ليتبين لنا مدى تأثير هذا الشاعر الكبير بالقيم الاسلامية الصافية ، وليس لقائل أن يقول : أن الفرزدق لم يتأثر بالاسلام ولم يظهر هذا على اشعاره فان هذا التأثر يبدو واضحا في الفاظه ومعانيه وصوره ، واذا كان قد ظهر تأثره بالقرآن فلا يستغرب عليه هذا فقد قيد نفسه وجد في حفظه ، سواء حفظه كاملا أم لا فهو على الأقل قد ثقف نفسه ثقافة قرآنية وكان يجلس في حلقة الحسن البصري يستمع اليه ويتأثر بما يقول (١) ، ويجلس في شدة البرد القارس في مسجد البصرة يبكي ويطلب الله الرحمة والغفران حتى يطلع الفجر ، وليس لأى باحث منصف أن يسقط هذا الأثر من شعر الفرزدق وأن يتهمه بعدم دخول الاسلام وتغلغله في قلبه نتيجة لغلبة الهجاء عليه وانفعاله (٢)

(١) انظر العقد الفريد : ١٩٢/٦ .

(٢) من المؤسف أن يصدر مثل هذا الاتهام من باحثين سلميين كان من الواجب عليهم الانصاف في هذه المسألة ليكون حكمهم منصفا على شاعر مسلم ظهر تأثره بالقرآن والسنة النبوية واضحًا جليًا وأن لا ينساقوا وراء تلك الآراء المغرضة التي حيكت حول الفرزدق وغيره من شعراء المسلمين انظر مثلا : *الهجاء والهجاؤون* - د . محمد محمد حسين : ٢٠٥ ، ودراسات في أدب ونصوص العصر الأموي د . محمد عبد القادر أحمد : ٣٢٢ .

وقد آثرت الاختصار في هذا الفصل بالذات لأن هناك استاذان
فاضلاً قام بدراسة شاملة لأثر الاسلام في شعر الفرزدق ، وهو
الدكتور " مصطفى عبد الواحد " فكان من المفروض علىّ الا اتعرض
لهذه الناحية لأنها درست دراسة وافية ولو لا أن الخطة التي
فرضت علىّ تلزمني بمثل هذه الدراسة لنجحت هذا الفصل جائباً
ولكنني أكفي هنا بما ذكرت ولمن أراد المزيد فليرجع الى دراسة
الدكتور مصطفى عبد الواحد ليجد طلبيه هناك ، فقد وفى الموضوع
حقه واستقصى كل جزئياته ، فجزاه الله عنا خير الجزاء .



الفَصْلُ الثَّالِثُ

أثرُ الْإِسْلَامِ
فِي
مَدِيجٍ وَفَخْرٍ جَدِيدٍ

الفصل الثالث

$$\frac{1}{2}, \frac{1}{3}, \frac{1}{4}, \frac{1}{5}, \frac{1}{6}, \frac{1}{7}, \frac{1}{8}, \frac{1}{9}, \frac{1}{10}, \frac{1}{11}, \frac{1}{12}, \frac{1}{13}, \frac{1}{14}, \frac{1}{15}, \frac{1}{16}, \frac{1}{17}, \frac{1}{18}, \frac{1}{19}, \frac{1}{20}$$

* أثر الاسلام في مدح وفخر جرير *

لقد تعرض جرير كغيره من شعراء المسلمين للطعن والتجريح فقد اتهم بالبعد عن القيم الدينية والأخلاق الإسلامية السامية.

وليس من عجب أن يصدر هذا الاتهام من باحثين غير مسلمين درجوا على الطعن في شخصيات إسلامية كان لها صداها الواسع في المحيط الفكري لهذه الأمة . وجدير واحد من الذين تعرضوا لمثل هذه التهم كذباً وافتراء .

فقد وصفه بعضهم بقوله : (فان جريحا كان من الشعراء الملعونين أو الرجعيين وفقا للتعبير الغربي ، وكانت المئات والمقابح والعاهاط والعورات تضيء في ذهنه وتتونسه وتحلله من عقده المشبوبة في وجده العميق) (١).

ولا شك أن في هذا الحكم تعسفا وجورا فان نشأ جريئ
تخالف مذهب اليه هذا الباحث النصراني ، فقد نشأ هذا الشاعر
في البادية يكتبه رقم العيش فشب عفيفا مبتعدا عن الخمر

(١) انظر مقدمة ايليا الحاوی فى شرحه لـ دیوان جریر طبعة
دار الكتاب اللبناني : ١٢ .

معرضًا عن كل ما يقرره من المجنون يؤدى شعائر دينه في صفاء وخشوع (١) فتأثير بالاسلام وبه صفت نفسه ورق طبعه وسهل أسلوبه وعذب غزله وتغوفت مراقبته .

ويع هذا فنحن لا ننكر أن تدينه لم يحل بينه وبين نهشه أعراض الناس بهجائه المقدع وذكره لبعض العورات ، الا أن هذا لا يخرجه من دائرة الاسلام (٢) ولا يخول لباحث مهما كان علمه أن يحكم عليه باللعنة كما رأينا ، وانما جرّ هذا الشاعر الى الهجاء ماوقع له من الشعراء الذين كانوا ينهشونه من كل جانب (٣) لذا وجد نفسه مضطرا للدخول في هذه المعارك الهجائية دفاعا عن نفسه وعشيرته . وقد أتبه الحاج لشتمه الناس فرد عليه قائلا : (جعلنى الله فداء الأمير والله ما أظلمهم ولكنهم يظلموننى فأنتصر) (٤) كما سئل عن قذفه المحسنات فقال : (انهم يبدؤننى ثم لا أغفو) (٥) ومع هذا فنحن نقول :

ان تعرض الشاعر له وعدم تجاوزه عنهم لا يجوز له أن يتعدى حدود الشرع ويطعن في أعراض الناس الا أن هذا أيضًا لا يخرجه

(١) دراسات في أدب ونصوص العصر الاموي د . محمد عبد القادر احمد :

٣٢٩ - ٣٣٠ .

(٢) رسائل الجاحظ - للجاحظ : ٩٢/٢ وباعدها .

(٣) الأغانى : ٨/٨ ، والمعصر الاسلامي د . شوقي ضيف : ٢٢٨ .

(٤) الأغانى : ١٥/٨ .

(٥) المصدر السابق : ٤/٤ ، والشعر والشعراء : ٤٦٦/١ .

من دائرة الاسلام ، ولا يخول لأحد مهما كان أن يدعو عليه باللعنـة
وقد عرف عنه أنه اذا انقطع للعبادة نسى نفسه الجانحة ومن حوله
وأصبح متفرغاً ناسكاً همه طلب الرحمة والمغفرة من الله جلت قدرته
وقد ورد أن الفرزدق بصر به محراً فأراد أن يفسد عليه حجـة

فقال له :

فَخَارًا فَخَبِرْنِي بِمَنْ أَنْتَ فَاخْرُوْكَ لَاقِ بِالشَّاعِرِ مِنْ مَنْ

فلم يجده جريرا لا بقوله : لبيك اللهم لبيك . (١)

ولقد استعن في شعره بالقرآن الكريم والحديث الشريف
مستمدًا من ذلك عناصر دينية راسخة وظهر أثر ذلك في الفاظه
و معانيه فذكر النبوة ، والملائكة ، والخلافة ، والصلة ، والصوم ، والحج
والأبرار ، وكثيراً من الفاظ المعجم الإسلامي الذي انصهر جريراً في

ويكفى أن هذا الشاعر من حين شب حتى مات وهو في وسط
الإسلامى كبير يقوم أفراد مجتمعه بقراءة القرآن وتجويده وتفسيره وتقسيم
الأمة حياتها على منهاجه القويم . وإن لم نجد فيما وصللينا
من أخبار جرير مايدلنا على أنه قد حفظ القرآن ~~أبو صالح~~
إلا أنه كان عفيا متدينا (٢) وحافظا على التعاليم الدينية

١) البيان والتبيين للجاحظ : ١٨١ / ٢

(٢) الأغاني ٨ / ٥

وليس كما وصفه بعض الباحثين الصدّقين أيضاً من أنه كان يتظاهر بالعفة والتدين ليس إلا . (١)

ويمكّنا ردّ هذا الكلام من خلال شعره الذي وصل إلينا والذي يدل دلالة قاطعة على ثقافة اسلامية ومعرفة بالقرآن الكريم وأحكامه وقد ظهرت ملامح هذه الثقافة في تعبيره وتضمينه ، فقد يحمد أحياناً إلى استغراق معنى آية أو أكثر من كتاب الله ليضمنها بيتاً واحداً . وقد ترأت لنا حينما تتبعنا قصائد جرير بعامة ، ومديحه وفخره بخاصة سمات اسلامية تدل على نفس اسلامية متشبعة بالدين فكراً وسلوكاً . (٢)

وقد تأثر جرير بالقرآن الكريم تأثراً واضحاً إذ نجد في عبده يعتمد أحياناً إلى أن يأتي بمعنى آية أو أكثر في بيت واحد ويصوغ ذلك في قالب فني كقوله مدح أيوب بن سليمان بن عبد الملك : (٣)

كُونُوا كَيُوسِفَ لَمَاءَ جَاءَ اخْوَتُهُ وَاسْتَغْرَفُوا قَالَ مَا فِي الْيَوْمِ تَشْرِيبٌ
وهذا البيت واضح تأثر الشاعر فيه بقول الله تعالى : * قَالُوا إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَقَرَّبُ وَيَصْبِرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُفْسِدُ وَجْرَ الْمُحْسِنِينَ قَالَ لَا تَشْرِيبٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * (٤)

(١) مجلة كلية الآداب جامعة بغداد العدد الخامس ١٩٦٢ م ص ١٩١ - ٢٠٤

(٢) اقتصرت هنا على مدح جرير وفخره في تتبع أثر الاسلام عنده وليس معنى هذا أن بقية أغراضه تخلو من هذه الملامح الاسلامية بل ان الباحث يجد أثر الاسلام في شعر جرير كافه وكذلك الغزدق .

(٣) ديوان جرير : ١ / ٣٤٩ . (٤) سورة يوسف الآيات (٨٩ - ٩٢)

وقوله يغتخر بحسن العمل : (١)

تَغْشَى الْمَلَائِكَةُ الْكَرَامُ وَفَاتَنَا
وَالْتَّغْلِيَّ جَنَازَةُ الشَّيْطَانِ
يُعْطَى كِتَابَ حِسَابِهِ بِشَمَالِهِ
وَكِتَابَنَا بِأَنْهَانَا الْأَيْمَانِ

فقد تأثر في هذا بقول الله تبارك وتعالي : * فَمَا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ
بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يَحْسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ، وَيُقْلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ، وَمَا
مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهِيرَهِ فَسَوْفَ يَدْعُو شُبُورًا * (٢)

ويكثر اقتباسه من القرآن الكريم ك قوله من قصيدة يمدح فيها

معاوية بن هشام بن عبد الملك : (٣)

مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ يَهْتَدُ لَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ أَضَلَّ فَمَا يَهْدِيهِ مِنْ هَادِ
فهذا اقتباس لمعنى الآية : * مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ أَعْمَلُهُ وَمَنْ يُضْلِلْ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * (٤)

وقوله يمدح أحد الخلفاء : (٥)

يُجْزِيَكَ رَبُّكَ حُسْنَ قَرْضِكَ إِنَّهُ حَسَنُ الْمَعْوَنَةِ وَاسْعُ الْمُتَقْرِضِ

وقوله يمدح هشام بن عبد الملك : (٦)

أَتَمَ اللَّهُ بِنِعْمَتِهِ عَلَيْكُمْ وَزَادَ اللَّهُ مُلْكَكُمْ تَمَامًا .

(١) ديوان جرير : ٢/١٥٠ .

(٢) سورة الانشقاق - الآيات (٦ : ١١) .

(٣) ديوان جرير : ٢/٧٤٣ .

(٤) سورة الأعراف - آية (١٢٨) .

(٥) ديوان جرير : ٢/٦٢٠ . (٦) ديوان جرير : ١/٢٤٤، ٢٤٤ .

هُنَّ مَنْ كَانَ يَرْغُبُ قُلُوبُهُ مِنْ رِبَّةٍ
خَافُوا عِقَابَكَ وَأَنْتَ هَيْ أَهْلُ النَّّهَى

وقوله يفتخر باسلامه المتأصل في قوله : (١)

قَوْمٌ لَهُمْ خَصَّ إِبْرَاهِيمَ دُعْوَتِهِ
إِذْ يَرْفَعُ الْبَيْتَ سُورًا فَوْقَ تَأْسِيسِ

فَكَمَا نَرَى تَأْثِيرَهُ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَاقْتِبَاسِهِ الْكَثِيرِ مِنْ مَعَانِيهِ فَفِي هَذِهِ
الْأَبْيَاتِ عَلَى التَّوَالِي نَجَدُهُ مَتَأْثِرًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى :

* إِنْ تُعْرِضُوا اللَّهَ قَرْعَةً حَسَنًا يُضَاعِفُهُ لَكُمْ * (٢) * الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ
دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي * (٣) * ... وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَغَّ * (٤)
* وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمَ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ... * (٥)

هَذَا بِالنَّسَبَةِ لِتَضْمِينِهِ مَعْنَى آيَةٍ أَوْ أَكْثَرَ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ مِنْ
أَبْيَاتِ الشِّعْرِيَّةِ . وَقَدْ يَعْدِمُ إِلَى لَوْنٍ آخَرَ فِي اقتِبَاسِهِ عَنِ الْقُرْآنِ
الْكَرِيمِ حِيثُ يَعْدِمُ إِلَى آيَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ تَتَضَمَّنُ بَعْضَ الْأَفْكَارِ الَّتِي يَرْبِطُهَا
مَعْنَى وَاحِدٍ فَيَصُوْفُهَا فِي مَجْمُوعَةِ أَبْيَاتٍ ، كَوْلَهُ فِي مَدْحُ هَشَامَ بْنِ

(١) دِيْوَانُ جَرِيرٍ : ١٢٩ / ١ .

(٢) سُورَةُ التَّغَابِنَ - الْآيَةُ (١٢) .

(٣) سُورَةُ الْمَائِدَةِ - الْآيَةُ (٣) .

(٤) سُورَةُ الْأَنْفَالِ - الْآيَةُ (٤٩) .

(٥) سُورَةُ الْبَقَرَةِ - الْآيَةُ (١٢٢) .

عبد الملك عندما أمر بشق نهر الفرات : (١)

جَوَارِيَ قَدْ بَلَغَنَ كَمَا تُرِيدُ يَقْطَعُ فِي مَنَاكِبِهَا الْحَوْيَدُ هَنَاكَ وَسْهَلَ الْجَبَلِ الْمَلُودُ عَنْ أَقِيدِ الْكُرُومِ فَهِنَ سُودُ فَقَالَ الْحَاسِدُونَ هِيَ الْخَلُودُ بَسَاتِينًا يُؤَاذِنُهَا الْحَصِيرُ يَكُونُ لِحَمْلِهِ طَلْعُ نَضِيرٍ	شَقَقَتَ مِنَ الْفَرَاتِ مُبَارَكَاتٍ وَسُخْرَتِ الْجِبَالُ وَكُنَّ خَرْسًا ^(٢) بَلَعَتَ مِنَ الْهَنَىءِ فَقُلْتَ شُكْرًا بِهَا الْزَيْتُونَ فِي غَلَلٍ وَمَالَتْ فَتَمَتْ فِي الْهَنَىءِ جِنَانُ دُنْيَا يَعْصُمُنَ الْأَنَاءِلَ أَنْ رَأَوْهَا وَمِنْ أَزْوَاجِ فَاكِهَةِ وَنَخْلٍ
--	---

وفي هذا المديح الذي يذكر فيه بعض اصلاحات الخليفة العماراني
 نجد جريرا قد تأثر بالآيات التالية على اختلاف مواقعها في كتاب
 الله الكريم : * أَنَا صَبَّنَ الْمَاءَ صَبًّا . . . وَفَاكِهَةُ وَبَأْ * (٤) * فِيهِمَا
 مِنْ كُلِّ فَاكِهَةِ زَوْجَانِ . . . فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَاخْتَانِ . . . فِيهِمَا فَاكِهَةُ
 وَنَخْلُ وَرْمَانُ * (٥) ومثل هذا كثير في ديوانه . (٦)

(١) ديوان جرير : ٢٩١/١ .

(٢) الخرس : الخرساء من الصخور الصماء ، يريد أنها جبال صم
 لا طرق فيها ولا مسالك .

(٣) الهنىء : نهر لهشام .

(٤) سورة عبس الآيات (٣٠ - ٢٤) .

(٥) سورة الرحمن الآيات : (٦٧، ٦٥، ٥١) .

(٦) انظر ديوان جرير ٧٤٣/٢ مثلاً .

والذى نلاحظه على جرير أنه إنما يكتُب اقتباسه من القرآن الكريم في شعر المدح وبخاصة عندما يمدح الخلفاء . والحقيقة أن هذا راجع إلى شخصيات المعدودين فهم خلفاء المسلمين ولهم صفة دينية إذ هم قوامون على تطبيق أحكام القرآن الكريم بغض النظر عن الكيفية التي وصلوا من خلالها إلى تولى أمر المسلمين . ولكن ينبغي أن لا يغيب عن الباحث أن جريراً يعد من الشعراء المتكتبين ، وقد وجد بغيته عند الخلفاء فلابد أن يستعين بالقرآن الكريم للرد على حجج أعداء بنى أمية بالأدلة القاطعة ، ومهما يكن من أمر هذا الشاعر فإنه قد تأثر بالقرآن كما رأينا في الكثير من معانيه وصوره . ولذلك انحرى يدافع عن بنى أمية ويقرر أن توليهم الخلافة كان بأمر من الله سبحانه .

يقول في مدح عبد الملك بن مروان : (١)

اللهُ طَوَّقَ الْخِلَافَةَ وَالْهُدَى
وَاللهُ لَيْسَ لِنَا قَضَى تَبْدِيلٌ

ويقول في مدح عمر بن عبد العزيز : (٢)

إِنَّ الَّذِي بَعَثَ النَّبِيَّ مُحَمَّداً
جَعَلَ الْخِلَافَةَ فِي الْإِمَامِ الْعَادِلِ
ولقد وجدنا جريراً عندما ينافق الأخطل بعيده بالكفر ويتخذ من نصرانيته مفهواً ولاشك أنه يقابل هذا اعتزار الشاعر بدينه الإسلام

(١) ديوان جرير : ٩٤/١ .

(٢) ديوان جرير : ٢٣٢/٢ .

ويفتخر بأنه من قوم لهم شاعر ومقدسات اسلامية تعد رمزاً لوحدة المسلمين في مشارق الأرض ومحاذيبها، وأنى للنصارى مثلها.

فيقول : (١)

هَلْ تَمْلِكُونَ مِنَ الْمَشَايِرِ مَشْعَرًا
أَوْ تَنْزِلُونَ مِنَ الْأَرَاكِ^(٢) ظِلَالًا .

فهو ينكر عليهم أن يكون لهم مثل هذه الأماكن المقدسة وبينفسي ذلك عنهم ويختبر كذلك بأن قومه فرضوا الجزية على النصارى.

فيقول : (٣)

الظَّاهِرِيُونَ عَلَى النَّصَارَى حِزْبَةُ
وَهُدَى لِمَنْ تَبَعَ الْكِتَابَ وَنُورًا .

ويقوده هذا إلى أن يفتخر بأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من قومه فيقول : (٤)

وَمِنَ رَسُولِ اللَّهِ حَقًا وَلَمْ يَزَلْ^٥ لَنَا بَطْنُ بَطْحَاوَى مَشَى وَقِبَابُهَا

ولاشك أن الناحية الدينية تظهر ظهوراً بينما في مدح جرير أكثر منها في أي غرض من أغراضه الأخرى التي لم تعد كذلك من هذه السمات الدينية إلا أن ظهورها في المدح كان أكثر وهذا

(١) نقائض جرير والأخطل : ٩٢ .

(٢) ويقصد أراك عرقه أي أن تغلب لا تحج ولا تحل بأراك عرقه لأنهم نصارى .

(٣) نقائض جرير والأخطل : ١٢٤ .

(٤) ديوان جرير : ٢/٦٧٦ .

يجارى طبيعة جرير المتدينة . (١)

ولقد وجدناه يستمد أكثر صوره وتعابيره من القرآن الكريم ولذلك وجدناه فى مدحه للحجاج يشبه المارقين بقوم هود ونوح ، بينما يشبه دعوة الأنبياء فيقول مادحا الحجاج : (٢)

دُعا أَهْلُ الْعِرَاقِ دُعا هُودٌ
وَقَدْ ضَلُّوا ضَلَالَةً قَوْمٍ هُودٌ
، دُعا الْحَجَاجُ مُثْلُ دُعا نُوحٍ
فَأَسْمَعَ ذَا الْمَعَارِجَ فَأَسْتَجَابَ

وكثيرا ما يرد في مدائحه بأن المدحون ثبت بنصر الله وأنه يستظل بكتاب الله فيسير على هداه متمسكا بحبل الله الذي لا ينفصل وأن هذا الصدح أو ذاك مؤيد بخلافة من عند الرحمن (٣) .

قوله يمدح :

وَلَوْلَمْ يَرِضْ رَبِّكَ لَمْ يَنْزَلْ
مَعَ النَّصْرِ الْمَلَائِكَةُ الْغَيْضَابَا

وقوله يمدح معاوية بن هشام بن عبد الملك : (٤)

سِوَى التَّوْكِيلِ وَالتَّسْبِيحِ مِنْ زَادِ	فِيهِمْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَنِ مَا لَهُمْ
أَمْدَادُ رَبِّكَ كَانُوا خَيْرٌ أَمْدَادِ	أَنْصَارًا حَقِيقَةً عَلَى بُلْقِي مُسَوَّمَةٍ
أَخْلَفُتُكُمْ عِنْدَ أَمْرِ اللَّهِ مِنْعَادِي	لَمَّا أَضْلَلَهُمُ الشَّيْطَانُ قَالَ لَهُمْ

(١) جرير حياته وشعره د. نعسان طه ٢٣٩ .

(٢) المرجع السابق : ٢٣٩ .

(٣) المرجع السابق : ٢٣٩ .

(٤) ديوان جرير : ٢٤٣ / ٢ .

و واضح أن جريرا قد استمد صوره وتعابيره في هذا من قوله تعالى : * فَانْزَلَ اللَّهُ سَكِينَةً عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا * (١) * اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ جَمُودٌ فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِحْبَانِيَّا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا * (٢)

ويقول في امتداح العباس بن الوليد بن عبد الملك : (٣)

أَللّٰهُ أَعْطَاكَ تَوْفِيقاً وَعَاقِبَةً
فَزَادَ ذُو الْعَرْشِ فِي سُلْطَانِكُمْ مَدَداً
فِي طَاعَةِ اللّٰهِ تَلَقَّى أَمْرُهُ رَشَداً
مُشَتَّتٌ بِكَابِ اللّٰهِ مُجْتَهِداً

وقوله في مدح هشام بن عبد الملك : (٤)

وَحِلَّ اللَّهُ بِعِصْمَكُمْ قُواهُ
فَلَا تَخْشَى لِعَرْوَتِهِ أَنْفَاصًا

فقد نظر في هذا المعنى الى قوله تعالى : * وَاعْتَصِمُوا بِحَيْلِ اللَّهِ
جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا * (٥)

وقد وجدت عنده ألفاظا لم تعرف الا في الاسلام كال الخليفة ، القرآن
ذو العرش ، أمير المؤمنين ، الامام ، ولی العهد ، الخلافة ، السلطان
البيعة ، ناکث البيعة ، الصافق ، المبتدع في الدين ، البدع
أهل الضلاله ، المرحف ، الأمة ، الرعية ، المؤمنون ، المنبر ، جنود

١) سورة التوبة الآية (٤٠)

٢) سورة الأحزاب الآية (٩)

(٣) ديوان جرير : ١ / ٣٩٥ ، وفي رواية أخرى : (. . . . وعافية) .

• ۲۲۵ / ۱۰ : جریر دیوان (۴)

(٥) سورة آل عمران : آية (١٠٣)

الله ، الشهيد ، ثغور المسلمين ، اقامة الحد ، اتباع الكتاب ، المساجد
وغيرها من الفاظ المعجم الاسلامي .

وقوله يمدح هشام بن عبد الملك : (١)

أَسِرُّ الْمُؤْمِنِينَ جَمِيعَتِ دِينَنَا وَحْلَمْ فَاضِلًا لِذِي الْحَلْمِ

وقوله يمدح الخليفة عبد الملك : (٢)

مَاقَمَ لِلنَّاسِ أَحْكَامُ وَلَا جَمَعْ لَوْلَا الْخَلِيفَةُ وَالْقُرْآنُ نَقَرَوْهُ
فِيمَا وَلِيْتَ وَلَا هَيَّاتَةً فَوْرَ أَنْتَ الْأَكْبَرُ أَمِينُ اللَّهِ لَا سِرْفٌ

وقوله يمدح الوليد بن عبد الملك : (٣)

مُلْكُتَ فَاعِلٌ عَلَى الْمَنَابِرِ وَأَسْلِمٍ ذُو الْعَرْشِ قَدْرَ أَنْ تَكُونَ خَلِيفَةً

وقوله يمدح الحجاج : (٤)

إِذَا لَبَسُوا بِدِينِهِمْ أَرْتِيَابَا تَرَى نَصْرَ الْأَمَمِ عَلَيْكَ حَقَّا

وقوله يمدح أيبوب بن سليمان بن عبد الملك : (٥)

إِنَّ الْأَمَامَ الَّذِي تَرَجَى نَوَافِلُهُ بَعْدَ الْأَمَامَ وَلِيَ الْعَهْدُ أَيُوبُ

وقوله يمدح العجاج كذلك : (٦)

مَنْعَ الرَّشَا وَأَرَاكُمْ سُبُّ الْهُدَى وَاللَّهُنَّ نَكْلَهُ عَنِ الْأَذْلَاجِ

(١) ديوان جرير : ٢١٢ / ١ . (٢) ديوان جرير : ٢٠ / ١ :

(٣) ديوان جرير : ٢٩٥ / ١ . (٤) ديوان جرير : ٢٤٤ / ١ :

(٥) ديوان جرير : ١٤٨ / ١ :

(٦) ديوان جرير : ١٣٨ / ١ : ٢٢٢ / ٢٠ - ٢٢٨ .

يَارَبَّ نَاكِتَ بَيْعَتِينَ تَرَكَهُ
 وَخَضَابَ لِحَيَّتِهِ دُمُّ الْأَوْدَاجِ
 كَلَانَ الْمُرْجِفِينَ وَهُمْ نَشَاوِي
 تَرَى نَفْسَ الصَّنَافِقِ فِي حَشَادِ

وقوله في مدح المهاجر بن عبد الله : (١)

وَلَقَدْ حَكَمْتَ فَلَانَ حُكْمُكَ مُقْنَعًا
 وَخَلِقْتَ زَيْنَ سَابِرَ وَمَسَاجِدِ

وقوله يمدح هشام بن عبد الملك : (٢)

يَعْمَلُ الْبَرِّيَّةَ مِنْكَ فَضْلٌ
 وَتُطْرِقُ مِنْ مَحَافَتَكَ الْأَسْوَدُ
 وَإِنَّ أَهْلَ الضَّلَالَةِ خَالِفُوكَمْ
 أَصَابَهُمْ كَمَا لَقِيتُ ثَمَودَ

ويقول في مدح بنى مروان من قصيدة يمدح فيها معاوية بن هشام ابن عبد الملك : (٣)

إِنَّا حَمَدْنَا الَّذِي يَشْفِي خَلِيفَتَهُ
 مِنْ كُلِّ مُبْتَدِعٍ فِي الدِّينِ صَدَادَ

وقوله يمدح خالد بن عبد الله القسري : (٤)

حَمَيْتَ شُفُورَ الْمُسْلِمِينَ فَلَمْ تَضَعْ
 وَمَا زِلتَ رَأْسًا قَائِدًا وَائِنَّ قَائِدِ

ونجده في فخره يذكر أسماء بعض الأنبياء كما يذكر القبلة
 فيقول : (٥)

(١) ديوان جرير : ٢/٦٣٨ .

(٢) ديوان جرير : ١/٢٩٠ .

(٣) ديوان جرير : ٢/٧٤٤ .

(٤) ديوان جرير : ٢/٦٠٦ .

(٥) ديوان جرير : ١/٤٧٣ - ٤٧٤ .

أَبَّ كَانَ مَهْدِيًّا نَبِيًّا مُطَهَّرًا
فَأَعْطَيْنَا بُشْرَى وَمُلْكًا مُسَخَّرًا
فَأَتَيْنَا زَرْعًا دَمْعَ عَيْنِيهِ أَخْضَرًا
وَكَانَ ابْنَ يَعْقُوبَ أُمِّنَا مُصَوَّرًا
أَبَّ لَا نُبَالِي بَعْدَهُ مَنْ تَعَذَّرَ
رَضِينَا بِمَا أَعْطَى اللَّهُ وَقَدَّرَ
فَأَوْرَثْنَا عِزًّا وَمُلْكًا مُعَمَّرًا
أَبُونَا أَبُو إِسْحَاقَ يَجْمَعُ بَيْنَنَا
وَمَنِاسِلِيَّانَ النَّبِيِّ الَّذِي دَعَا
وَمُوسَى وَعِنْسَى الَّذِي خَرَّ سَاجِدًا
وَيَعْقُوبَ مَنَازِدَهُ اللَّهُ رَفَعَهُ
فَيَجْمَعُنَا وَالْفُرَّأَوْلَادَ سَارَةَ
أَبُونَا خَلِيلُ اللَّهِ وَاللَّهُ رَبُّنَا
بَنَى قِبْلَةَ اللَّهِ الَّتِي نَهَتْوَى بِهَا

ونلاحظ أن هذه الألفاظ التي وردت في الأبيات السابقة تتصل اتصالاً وثيقاً بالدولة والسياسة ، وهذا ما يؤكد انتماً جريراً السياسي إلى بنى أمية بعد أن استطاع اللو거 إلى أبوابهم ، وبخاصة في مدح الخلفاء ، أما المفردات والعبارات التي تتصل بالحياة الدينية الصرفة فانها أكثر من أن نأتى عليها هنا ولكننا سنذكر على سبيل الاجمال بعض هذه المفردات التي وردت على لسان جرير كثيراً والتي تؤكد بدون شك تأثيره بالإسلام .

ومن هذه المفردات :

(الله ، ذو العرش ، الرحمن ، القهار ، الغفار ، النبوة ، النبي ، رسول الله ، القرآن ، الكتاب المنزل ، المفصل ، السور ، دين المسلمين ، الإسلام ، دين الهدى ، دين الحق ، سبل الهدى مسجد الله الحرام ، البيت العتيق ، قبلة الله ، الأذان ، صلاة الوتر ، خَرَّ ساجداً ، التسبيح ، التوكل ، التقى ، الهدى ، الحلال الحرام ، حدود الله ، الفرائض ، الجهاد ، الشهداء ، الأبرار

الملائكة ، الحواريين ، أتباع ابليس ، الصراط ، جنة الفردوس ،
 الى آخر هذه الألفاظ المستمدة من الحياة الاسلامية والتى وجدت
 فى شعره كله ليس فى الصريح والغير وحدهما ، فلقد أحدث القرآن
 هزة فى الفكر والأدب فكان صدى هذا واضحًا فى أساليب الشعراء
 والأدباء ، وكان جرير يعيش منذ طفولته وسط هذا الجمجم الكبير من
 المسلمين فتأثر بالاسلام تأثرا عميقا لا يدع مجالا للتهم والدس
 وان جنح فى شعره أحيانا الى اعطاء بني أمية أكبر من حقهم
 وصب عليهم النعوت الاسلامية التى قد لا تصدق على بعضهم فانما
 كان ذلك نتيجة متوقعة منه لأن عواصف السياسة قد مالت بهذا
 الشاعر الى الارتعاء فى أحضان الأمويين ، ولهذا جاءت ألفاظه
 متناسبة مع الاتجاه الذى سلكه الأخطل والفرزدق من قبل . على
 أن جريرا كان يحسن به ~~لا يُعْدِمُ الْفَاظُ الْمُقْوَى~~ ^{نَعْدِمُ الْفَاظُ الْمُقْوَى} كل خليفة ~~وَكُلُّ~~ مدوح ~~بِالْمُكْبَرِينَ~~
 ليكون صادقا في قوله ، بل كان يجب عليه أن يتلزم الصدق مع
 نفسه ومع مدحه من هذه الناحية لأن الدين ليس سلوكا اختياريا
 للمسلم بل هو التزام وعقيدة فلا بد للطادح أن يصف المتدين بالدين
 حقا ، وأن يضرب المثل بالمتدينين لمن لم يكونوا ملتزمين في دينهم
 وسلوكهم ، وهذا ما فعله الفرزدق حينما مدح بني أمية وهي بادرة
 تسجل للفرزدق اذ ذكر الشيطان في مواضع عدة من شعره للموعظة
 والتنبيه . (١)

(١) انظر جرير حياته وشعره د. نعسان طه : ٢٤١ .

ومهما يكن فان جريرا قد عاش حياته فى صراع مستمر مع نفسه وطموحاته ثم اصطدم بالشعراء الذين نهشوه من كل جانب واشتباك مع خصمين عنيدين الأخطل والفرزدق زها، نصف قرن من الزمن فى مهاجاة حامية خلفت للأدب تراثا ضخما يتمثل فى شعر النقائض ، ومع هذا كله فان هذه المعارك لم تشغل الشعراء عن الجانب الروحى ، فقد تأثر الفرزدق وجriger بالاسلام تأثرا كبيرا ظهر أثر ذلك في الكثير من نتاجهما الفنى (١) ، كما رأينا مدى تأصل هذه العقيدة في وجدان كل منهما فنلمح صورا كثيرة لم تعرف الا في الاسلام تأتى في قول كل منهما .

وما أحسب جريرا بعد هذا الاستعراض البسيط لأثر الاسلام في مدحه وفخره فقط الا شاعرا اسلاميا تعمق الاسلام نفسه وتشبع به وجدانه . فظهر أثر هذا واضحًا في قوله ، وزاد من رقته ، فأصبح يتكلم بلسان المسلم الذي لم يرض بغير الاسلام دينا . يعتقد بهذا الانتفاء ويشيد به في شعره أني وجد لذلك مناسبة .

(١) انظر الاسلام والجاهلية في شعر بنى أمية د. شوقي عبد الحليم حمادة : ١٤٩، ١٣٨ - ١٤١ - ١٥١ .

الباب الرابع

دراسة فنية للفرضين عند الشعراء الثلاثة
وفيهم ثلاثة فصول :
الفصل الأول :

دراسة الفن التعبيري عند الأخطل
الفصل الثاني :

دراسة الفن التعبيري عند الفرزدق
الفصل الثالث :

دراسة الفن التعبيري عند جرير

الفصل الأول

دراسة الفن التعبيري
عند
الأخطل

" الفصل الأول "

+ + + + + + + + + + + + +

* * دراسة الفن التعبيري عند الأخطل *

اتخذ الأخطل نهجاً من الفن والبيان عرف في الشعر الجاهلي وبخاصة عند عبد الشعر وأصحاب الحوليات، وقد أصبح تأثيره بهذا النهج الجاهلي سمة مميزة لأسلوبه ما حدا بأبي عمرو بن العلاء إلى هذه المقوله الشهورة : (لو أدرك الأخطل يوماً واحداً من أيام الجاهلية ماقدمت عليه أحداً . (١))

وكان من أهم هذه السمات المميزة لفنه اطالته المفرطة في مقدمات قصائده عامة ومدائحه خاصة . فقد نجد أن المقدمة الطللية وحدها تستفرق أحياناً أكثر من نصف القصيدة وربما تلتها وهذه السمة وان وجدت عند صاحبها الا أن حظهما دونه من حيث الاطالة عموماً ، والتغنى في وصف الصباء التي أكثر من ذكرها والتغنى بها . فمثلاً بلغت نونيته (٢)

أَلَا يَا اشْلَامًا عَلَى التَّقَادِ مِوَالِيٍّ بِدُوْمَةٍ خَيْرٌ أَيْهَا الطَّلَلَانِ

أربعين بيتاً خص منها المقدمة الغنية بستة وعشرين بيتاً ، وдалياً
بَائِثٌ سَعَادٌ رِفْقِي العَيْنَيْنِ تَسْهِيدٌ وَاسْتَحْقَبَتْ لَبَّهُ فَالْقَلْبُ مَعْمُودٌ (٢)

(١) الأغانى : ٢٨٥/٨ .

(٢) شعر الأخطل : ٢٩٢/١ .

(٣) شعر الأخطل : ٩٣/١ .

بلغت خمسين بيتا منها ثلاثة وأربعون بيتا للمقدمة الطللية ، أما

رأيته :

تَغْيِير الرَّسْمِ مِنْ سَلْمَى بِأَحْفَارٍ وَاقْفَرْتُ مِنْ سُلَيْمَى دِهْنَة الدَّار (١)

فقد بلغت تسعه وأربعين بيتا ظفرت المقدمة منها بواحد وثلاثين

بيتا ، وقافية :

يَامِيَ هَلَّا يُجَازِي بَعْضُ وَدْكُمْ أَمْ لَا يُفَادِي أَسِيرُ عِنْدَ كُمْ غَلِيقُ (٢)

بلغت واحد وأربعين بيتا منها خمسة وثلاثون بيتا للمقدمة ، وعينيته

قَدْ كَشَفَ الْحِلْمُ عَنِ الْجَهْلِ فَانْقَشَعَتْ

عَنِّي الصَّبَابَةُ لَا نَكْسٌ وَلَا وَرَعٌ (٣)

بلغت أبياتها تسعه وثلاثين واستغرقت مقدمتها أربعة وعشرين بيتا

بينما بلغت لاميته :

عَفَا وَاسِطُ مِنْ آلِ رَضْوَى فَنَبَتَلُ فَمَجْمَعُ الْحُرَيْنِ فَالصَّبَرُ أَجْمَلُ (٤)

ثمانية وستين بيتا ظفرت المقدمة منها بخمسين بيتا ، أما بايיתה

أَلْمَ تُعْرِضُ فَتَسَأَلُ آلَ لَهْوٍ وَأَرْوَى وَالْمُدْلَةُ وَالرَّبَابَا (٥)

فقد بلغت سبعة وثلاثين بيتا خص المقدمة منها بثلاثين ، بينما

(١) شعر الأخطل : ١٦١/١ . (٢) شعر الأخطل : ٦٠٢/٢

(٣) غلق : من قولهم : غلق الرهن اذا تم استحقاقه ولم يستطع صاحبه تخلصه من يد المرتهن في الموعد الشرط . ويقصد الشاعر سائلة محبوبته عما اذا كانت ستثبيه بما يكتبه لها من مودة فلاتدعه أسيرا في حبها فكانه صار رهنا بين يديها . المعجم الوسيط مادة (غلق) .

(٤) شعر الأخطل : ٣٥٦/١ . (٥) المصدر السابق : ١٤/١ .

(٦) المصدر السابق : ٣٢٥/١ .

بلغت بائيته :

عَفَا وَاسْطَعْ مِنْ أَهْلِهِ فَمَذَانِيَةُ
فِرَوْضُ الْقَطَا صَحْرَاؤُهُ وَنَصَائِيهُ (١)

ثلاثة وثلاثين بيتا استغرقت المقدمة منها تسعة عشر بيتا ، وبائيته
كَيِ الْمَنَازِلَ بَيْنَ السَّفْحِ وَالرَّحْبِ لَمْ يَبْقَ غَيْرُ وَشُومٍ (٣) النَّارُ وَالْحَطَبِ

بلغت واحدا وخمسين بيتا تضمنت المقدمة منها ستة وثلاثين بيتا
وبائيته (٤) :

خَلِيلِيَ قَوْمًا لِلرَّحِيلِ فَإِنَّنِي وَجَدْتُ بَنِي الصَّمَعَاءَ غَيْرَ قَرِيبٍ (٥)

تقع في ستة وعشرين بيتا استغرقت المقدمة نصفها .

وعلى الرغم من أنه قد يضطر في بعض الأحيان الى اطالة
المديح مجازة لما يقتضيه المقام ، وما يقتضى هذه الاطالة من جهد
فإن هذا لم يكن ليحول بينه وبين العناية بهذه المقدمات والابداع
فيها ، ففي ادلتيه :

حَلَّتْ صَبَرَةً أَمْوَاهُ الْعَدَادِ وَقَدْ كَانَتْ تَحْلُّ وَأَدَنَى دَارِهَا تَكَدُ (٦)

يقدم لها بعشرين بيتا بينما يقدم باثنى عشر بيتا لدعاليته .

(١) شعر الأخطل : ٢٨٤/١ . (٢) شعر الأخطل : ٢٣٩/١ .

(٣) وشوم : الوشم : نقش بالابرة كانت نساء الجاهلية يستعملنه للزينة حيث
يخشى بنوع من الكحل أو ما إليه فيترك أثرا ، والمراد هنا أنه لم يبق من
هذا الطلل إلا آثر النار والحطب . من فحم ورماد . المعجم الوسيط (وشم)

(٤) شعر الأخطل : ٢٦٠/١ . (٥) وهم جماعة عمير بن الحباب .

(٦) شعر الأخطل : ٤٣٣/٢ .

صَحَا الْقَلْبُ إِلَّا مِنْ ظَعَاءِنَ فَاتَّنِي بِهِنَّ أَمِيرٌ مُسْتَبْدٌ فَأَصْعَدَا (١)

أما رائته :

صَدَعُ الْخَلِيلُ فَشَاقَنِي أَجْوَارِي وَنَأْكَ بَعْدَ تَقَارُبٍ وَمَسَازَارَ (٢)

فيفرد للمقدمة فيها أحد عشر بيتا بينما يخص المقدمة أيضا في رأيته الأخرى؛

عَفَا مِنْ عَهْدٍ بِهِ حَفِيرٌ فَاجْبَلُ السَّيَالَ فَالْعَوِيرُ (٣)

پیشگوئیں بیتا

أما ، ائته الثالثة :

أَلَا يَا اسْلَمِي يَا أَمَّ يُشَرِّ عَلَى الْهَجَرِ
وَعَنْ عَهْدِكَ الْمَاضِي لَهُ قَدْمُ الدَّهْرِ^(٤)

فيفقد لها بثلاثة وعشرين بيتاً .

وهكذا بقية قصائد لاثكاد تجد شيئا منها دون احتفال
بإطالة هذه المقدمات الطللية .

١ / ٣٠٢ - (١) شعر الأخطل

٢) شعر الأخطل : ٤١٠ / ٢

٢٦٢ / ١ : شعر الأخطل (٣)

٤) شعر الأخطل : ٤٤٩/٢

بالاضافة الى تعلق الشاعر بنهاج الجاهليين نجد أن سلطان
الخمر سيطر على مزاجه اذ صارت معشوقته له ، تشكل عنده موضوع
الهوى والغزل فيجيد في وصفها ، ويتفنن في عرض محاسنها لديه
وقد جعلته ديانته النصرانية في حل من أمره يتحدث عن الخمر
ويتفنل فيها كما يشاء وامتد به حبه لها الى أن ينكر على الناس
شرب الماء واللبن والعسل ، وأن يمتنع عن الاسلام عند ما عرضه
عليه عبد الملك بن مروان الا أن يبيح له الافطار في رمضان وشرب
الخمر . (١)

فلا غرابة اذا في أن يطيل مقدماته الغزلية وأن يختص ابنته
الحان بنصيب كبير منها .

ولقد ظهر تأثير الأخطل بالجاهليين في أساليبهم واضحا
وبخاصة من عرف منهم بالمديح وهم النابغة ، والأعشى ، وزهير .
وبعض الشعراء الفحول كامرئ القيس ، وحسان بن ثابت ، وعدى بن
زيد ، وكعب بن زهير وغيرهم . (٢)

وقد أدرك النقاد القدامي حقيقة هذا التأثير ، وعليه فقد
يكون الأخطل في أحيان كثيرة من الشعراء غير المطبوعين (٣)

(١) انظر الاغانى : ٨ / ٢٩٠ ، ومقدمة القصيدة العربية في العصر
الأموي د . حسين عطوان (طبعة دار المعارف) : ٢٨ - ٢٣٠ .

(٢) انظر الشعر والشعراء : ٤٨٣ / ١ ، والأخطل شاعر بنى أمينة
د . سيد غازى : ٢٢٠ - ٢٣٠ .

(٣) دائرة المعارف الاسلامية : ٥١٧ .

الذين يكثرون في نظم أشعارهم . بل كان حوليا يستفرق منه النظم وقتا طويلا يعود عليه بالتهذيب والتنقية . وقد اعترف هو بهذه الظاهرة عندما قال لعبد الملك :

(يا أمير المؤمنين زعم ابن المراجة أنه يبلغ مدحتك في ثلاثة أيام ، وقد أقمت في مدحتك " خف القطين " سنة فما بلغت ما أردت . (١) .)

وقال أبو عبيدة :

(الأخطل أشبه بالجاهلية ، وأشد هم أسر شعر وأقلهم سقطا (٢))
وقد روى الأصمى أن الأخطل يقول تسعين بيتا ثم يختار منها ثلاثين بيتا فيطيرها بين الناس . (٣)

ولقد استفاد الأخطل من روائع الشعر الجاهلي في أشعاره وتأثر بها في أسلوبه وموضوعاته . (٤) ففي قصيدة الرائية :

تغير الرسم من سلمي بأحجار وأقرفت من سليمي دمنة الدار
التي يمتدح بها يزيد بن معاوية نجده متاثرا بالنابغة في قصيدة
الرائية التي يقول فيها : (٥)
عوجوا فحيوا لنعمي دمنة الدار ماذا تحبون من نوى وأحجار

(١) الأغانى : ٢٨٢/٨ - ٢٨٨ ، والموشح : ٢٢٥ - ٢٢٦ .

(٢) الأغانى : ٢٨/٨ . (٣) الأغانى : ٢٨٤/٨ .

(٤) الأخطل شاعر بنى أمية د . سيد غازى : ٢١٢ .

(٥) ديوان النابغة (المكتبة الثقافية بيروت) : ٤٨ .

ولو تبعنا القصيدين لوجدنا تشابهاً عجيباً في الصور الفنية وبخاصة في المقدمة حينما يذكر النابغة ما يتعلّق بمشهد حيوانات الفيلة وما كان من الثور والكلاب وقد احتط الأخطل نفس النهج (١) .

وقد تأثر الأخطل كذلك بالأشعى واستمد من شعره لفتات فنية وحور في بعض صوره فزاد فيها وأجاد .

واذا كان النابغة في بعض مدائحه يذكر فضائل الممدوح وما يحدث بعد موته من بلاء على الناس ، فإن الأخطل قد ترسّم هذا الأسلوب (٢) .

كما أفاد من أمرى القيس وحسان بن ثابت ، وعدى بن زيد فيما يتعلّق بوصف الخمر والوقوف على الأطلال والتشبيب بالنساء ، ووصف الظعن وارتحال الركب ، ووصف السحاب ، والمطر ، والبرق ، والناقة والاستطراد منها إلى وصف الحمار أو الثور كما تأثر بهم في بناء القصيدة ، واصطناع الحركة في تصويره . (٣) بيد أن الأخطل قد تأثر بأسلوب زهير أكثر من غيره ، ولا شك أن زهيرا سليل مدرسة متصلة الجذور بثلاثة من شعراً الجاهليين المعروفين (٤) ، وقد

(١) ديوان النابغة : ٥٤-٥٢ ، وشعر الأخطل : ١٦٣/١ : ١٦٢ - ١٦٣ .

(٢) انظر الأخطل شاعر بنى أمية - للدكتور سيد غازى : ٢١٢ - ٢٢٥ .

(٣) انظر الأخطل شاعر بنى أمية د . سيد غازى : ٢٢٦ - ٢٣١ .

(٤) انظر في قضايا الأدب واللغة د . عبد بدوى - (الكويت ، مؤسسة الصباح ط (١) ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م) : ٣٨٢ .

ظهر هذا التأثر واضحًا في قول الأخطل : (١)
 صَحَا الْقَلْبُ عَنِ أَرْوَى وَأَقْصَرَ بَاطِلَهُ يَعَادُ لَهُ مِنْ حُبِّ أَرْوَى أَخَابِلَهُ

فقد أخذه من قول زهير : (٢)
 صَحَا الْقَلْبُ عَنِ سَلْمَى وَأَقْصَرَ بَاطِلَهُ وَعَوَى أَفْرَاسَ الصَّبَا وَدَوَاهِلَهُ

وقد امتدت هذه المحاكاة لزهير إلى ابنه كعب، فالأخطل في
 قصيدة اللامية : (٣)

بَانَتْ سَعَادٌ فِي الْعَيْنَيْنِ مَلْمُولٌ
 مِنْ حُبِّهَا وَصَحِيحُ الْجَسْمِ مَخْبُولٌ

إنما يحاكي فيها كعبا في لامية المشهورة : (٤)
 بَانَتْ سَعَادٌ فَقَلَّبِي الْيَوْمَ مَتَبْلُولٌ مُتَيَّمِ إِثْرَهَا لَمْ يُغَدِّ مَكْتُولٌ

وتقليد الأخطل للجاهليين وبعض المسلمين كما نرى لم يقف عند وزن القصيدة فحسب بل تجاوز ذلك إلى المعاني والألفاظ كما رأينا هنا، وقد يورد بعض الصور الفنية التي وردت من قبل وطرقها الشعراء فها هو يتأثر النابغة في صورة من صوره عندما قال في مدح النعمان بن المنذر الغساني . (٥)

(١) شعر الأخطل : ٣٣٨/١ :

(٢) شعر زهير بن أبي سلمى - بتحقيق فخر الدين قباوة (بيروت - دار الآفاق الجديدة ط(٣) ١٩٨٠) : ٤٥ .

(٣) شعر الأخطل : ٥٤/١ .

(٤) انظر شرح قصيدة كعب بن زهير - لابن هشام الأنباري (تحقيق د. محمود أبو ناجي - طبع الوكالة العامة للتوزيع - دمشق) : ٢٣ .

(٥) ديوان النابغة : ٣٦ .

ترمى أواذية العبرين بالزبد
فيه ركام من البيوت والخضر
بالخير أنفَّ بعْدَ الائِنِ والنجدِ
ولَا يَحُولُ عَطاءَ الْيَوْمِ دُونَ غَدِ
فَما الفرات إذا هبَ الرياحَ له
يَمْدُه كُلَّ وَادٍ مُتَرَّجِّلَجِي
يَظْلِمُ من خوفِ الملاحةِ مُغْتَصِّماً
يَوْمًا يَأْجُودَ مِنْهُ سَيِّبَ نَافِلَةً

ولقد ذهب الأخطل غير مرة الى هذا المعنى فقال في ذاته
(فأصلدها) والتي يمتدح فيها يزيد بن معاوية :

يُشْقِي إِلَيْهَا خَيْرَانَا وَغَرَقَدَا
كَسَّوْرَهَا الْأَعْلَى غَنَاءً مُنْضَدَا
جِذَارُوْنَ كَانَ الْمُشِيحَ الْمُعُودَا
زَفَّى إِلَى الْقَرَاقِيرِ النَّعَامَ الْمُطَرَّدَا
أَبَارِيقُ أَهْدَتَهَا دِيَافُ لِصَرَخَدَا
يَهُ بَخْسَهُ يَحْمِلُنَ مُلْكًا وَسُؤْدَدَا
وَمَا يَرِيدُ يَعْلُو جَزَاعِرَ حَامِسِرِ
تَحْرَزُ مِنْهُ أَهْلُ عَانَةَ بَعْدَ مَا
يُقْصَى بِالْمَلاَحِ حَتَّى يَشْفَهُ الْهِ
بِمُطَرِّدِ الْأَذِيَّ جَوْنِ لَانَّهَا
كَانَ بَنَاتِ الْمَاءِ فِي حَجَرَاتِهِ
يَأْجُودَ سَيِّبَا مِنْ يَزِيدَ إِذَا غَدَتْ

وقد تكررت هذه الصورة عند الأخطل أكثر من مرة فهو يقول في
رأيه الشهورة " خف القطين " عندما مدح عبد الملك :

فِي حَافَتِيْهِ وَفِي أَوْسَاطِهِ الْعَشَرُ
فَوْقَ الْجَاهِيَّةِ مِنْ آذِيَّهِ غُدَرُ
وَمَا الفرات إذا جاشَتْ حَوَالِيْهِ
وَذَعَدَعَتْهُ رِيَاحُ الصَّيفِ وَاضْطَرَبَتْ

(١) شعر الأخطل : ١/٣١١ - ٣٠٢
(٢) شعر الأخطل : ١/١٩٨ - ١٩٢

مَسْحَنْفِرًا مِنْ جَبَالِ الرُّومِ يَسْتُرُهُ
مِنْهَا أَكَافِيفُ فِيهَا دُونُهُ زَوْرٌ
يَوْمًا بِأَجْوَدِ مِنْهُ حِينَ تَسْأَلُهُ
وَلَا يَأْجُرَ مِنْهُ حِينَ يُجْتَهُ

وهذا الأسلوب جاء عند الأخطل كثيرا فقد جاءنى دالىته (١) التي مدح بها عبد الله ويزيد ابني معاوية ، كما جاء فى رأيته (قدم الدهر (٢)) التي يمدح فيها عكرمة الفياض (٣) وغير ذلك من القصائد التى لم تذكرها هنا . ولكن هذا لايعنى أن يعد الأخطل مقلدا فى كل نتاجه فهو واحد من الشعراء العرب الذين تأثروا بمن قبلهم فى فنهم ، وأساليبهم ، وليس التقليد للآخرين واردا عند الأخطل فحسب فقد قلد الحطيئة زهيرا (٤) قبل الأخطل .
ولاشك أن الحياة الاسلامية التى عاش فيها رغم نصراناته تفرض عليه نوعا من الابداع الفنى حتى يتتحقق على غيره من الشعراء فعبد الملك الخليفة غير النعمان بن المنذر ، وأين يقع ملك الفاسنة والمناذرة من الخلافة الاسلامية (٥) كل هذه الأمور لابد من أخذها بعين الاعتبار فى شاعرية الأخطل ، وان كان التقليد قد ملك عليه نفسه فى بعض الأحيان وظهر أكثر وضوها فى أيام

(١) المسحنفر: الشديد . انظر الطرائف الأدبية / عبد القاهر الجرجاني تصحيح وتحريج الأستاذ / عبد العزيز الميموني : ١٠٤ .

(٢) شعر الأخطل : ٤٤٩، ٤٣٣/٢ .

(٣) عكرمة الفياض بن ربيعى بن عمير بن صبيح ابن لای بن موالة بن عامر بن مالك بن تيم الله بن شعبة بن عكلة . من ربعة / المحبير : ١٥٤ .

(٤) انظر ديوان الحطيئة : ٦٠-٥٨ .

(٥) من تاريخ الأدب العربى د . طه حسين : ٦١٧/١ - ٦١٨ .

شبابه الا أنه ما ان تقدمت به السن حتى أصبح شاعرا مميزا
الشخصية الفنية .

وقد غدا اهتمامه بشعره وتنقيحه وتهذيبه وتجويده من أهم
صفاته الأسلوبية ، فهو يعني أشد العناية بالفاظه وينقصها وقد
ظهرت عند الأخطل أساليب من الفن والبيان كالاستطراد في معرض
التشبيه فانه حينما يعرض له معنى من المعانى أو صورة من الصور
يستطرد في التشبيه بين أطرافها مغلافي ذلك حتى يستوفى ما يريد
من المعنى ففي داليته (شك (١)) التي يمدح بها عبد الله بن
معاوية وأخاه يزيد أراد أن يصور كرم عبد الله فشبهه بالنهر جودا
وسخاء :

كَانَهُ مَزِيدٌ رِيَانٌ مُنْتَجِعٌ
يَعْلُو الْجَزَائِرَ فِي حَافَاتِهِ الرِّبَدُ
حَتَّى تَرَى كُلَّ مُزْوِجٍ أَضْرَبَهُ
كَانَمَا الشَّجَرُ الْبَالِيُّ يَهْبِطُ
تَكُلُّ فِيهِ بَنَاتُ الْمَاءِ أَنْجِيَةً
وَفِي جَوَانِبِهِ الْيَنْبُوتُ وَالْحَصَدُ (٢)
سَهْلٌ الشَّرَاعِيُّ تَرَوَى الْحَائِعَاتُ بِهِ
إِذَا العَطَاشُ رَأَوا أَوْصَاحَهُ وَدَرَوا

وقد هيأ له هذا التشبيه صورا فابداع فيها وأطال ، ورسم لها أبعادا
مختلفة فصور النهر ريان مزيدا تضرب أواذبه الشيطان كما صوره هائجا
مائجا يقتلخ الأشجار ، صوره قوبا عارما تظل فيه أنجية بنات الماء
ومع ذلك كله فقد صوره بشير خير وبركة يحسى العوات وبروى العطاش

(١) شعر الأخطل : ٤٤٣/٢ - ٤٤٤ .

(٢) الأنجية : الجماعة . والحد : نوع من الشجر المعروف .

وبهذا الاستطراد الغنى الجميل يجسم كرم المدح ، وقد وردت مثل هذه الصورة صور أخرى كثيرة عند الأخطل : (١)

ونجد من الأساليب الفنية التي اتخذها الأخطل في تنمية مدحه وتجويده (الاستدارة) (٢) .

وتاتي الاستدارة في معرض المفاضلة كما تاتي في معرض التوكيد^(٣) وقد اعتمد الأخطل في تعبيره الناخيتين معاً فمثال الاستدارة في معرض المفاضلة قوله في مدح عبد الله : (٤)

وَمَا الْفَرَاتُ إِذَا جَاءَتْ حَوَالِيْهِ
فِي حَافَّتِيهِ وَفِي أَوْسَاطِهِ الْعَشَرِ
وَذَعَذَعَتْهُ رِيَاحُ الصَّيفِ وَاضْطَرَبَتْ
عُوْقَ الْجَارِيَّةِ مِنْ آذِنِيْهِ غُدُرِ
مُسْخَنِفِرَاً مِنْ جِبَالِ الرَّوْمِ تَسْتَرَهُ
مِنْهَا أَكَافِفُ فِيْهَا دُونَهُ زَوْرِ
وَلَا يَأْجُهُرَ مِنْهُ حِينَ تَسْأَلُهُ
يَوْمًا يَأْجُودَ مِنْهُ حِينَ يُجْتَهُرُ

(١) انظر شعر الأخطل : ٢٩/١ . ٣٠، ٣١ .

(٢) وهي جملة متوسطة الطول تشتمل على فاتحة وخاتمة وتتألف من فواصل ترتبط باحكام ، وتحمل كل فاصلة من فواصل الخاتمة جزءاً من المعنى بحيث لا يتم الا ذكر الجملة الأخيرة وهي الخاتمة . انظر دفاع عن البلاغة / محمد حسن الزيارات (عالم الكتب الطبعة الثانية) : ١٢٦ - ١٢٧ .

(٣) الاستدارة في معرض المفاضلة هي أن يرى الشاعر وجه شبه بين صورتين مختلفتين فتقابل بينهما ويفضل أحدهما على الأخرى مبتدئاً بالمفضول منفياً لينتهي بالفضول شيئاً . أما الاستدارة في معرض التوكيد فمفادها أن يحس الشاعر الحاجة إلى تحرير معنى من المعانى أو موقف من المواقف فيليجاً إلى القسم مقرراً به ما يريد في مجموعة من الأبيات متلازمة الأجزاء ببدأ بالقسم مقرراً به ما يريد لينتهي بجوابه الذي يقرر من خلاله المعنى أو الموقف . (٤) شعر الأخطل : ١٩٧/١ . ١٩٨ .

فقد استعان بالاستدارة هنا في تنمية موضوعه كما اتخذ من فيضان النهر مادة غنية بالصور ينتقى منها ما يليق بفرضه ويوافق مراده اذ صور الشيطان وقد غمرها الماء ، والأمواج وقد اكتسحت في طريقها الأشجار ، وصور السفن مضطربة أشد الاضطراب والملاحين فوقها . وقد تملّكم الخوف الى آخر هذه الصورة الفنية وغرضه المفاضلة بين هذه الصور المحسوسة وبين كرم المدحون . ومثل هذا الكثير عند الأخطل . (١)

ومثال الاستدارة في معرض التوكيد :

ك قوله في مدح يزيد بن معاوية : (٢)

إِنِّي حَلَقْتُ بِرَبِّ الرَّاقِصَاتِ وَمَا
وَبِالْهَدْرِيِّ إِذَا احْمَرَتْ مَذَارِعَهَا
وَمَا يَرْزُمُ مِنْ شُمُطٍ مُحَلَّقَةً
أَلْجَائِنِي قُرِيشٌ خَائِفًا وَجِلًا

أَضْحَى بِمَكَّةَ مِنْ حَجَبٍ وَأَسْتَارِ
فِي يَوْمٍ نُسْكٍ وَتَشْرِيقٍ وَتَنْحَارٍ
وَمَا يَشْرِبُ مِنْ عُونٍ وَأَنْكَارٍ
وَمَوْلَتِنِي قُرِيشٌ بَعْدَ إِقْتَارٍ

فقد استعان الأخطل بهذا الاسلوب ، واتخذ من الحلف وسيلة يؤكد بها للمدح اخلاصه وولاه أو شكره وثناءه ، وقد وردت مثل هذه الصور عند الأخطل كثيرا ، كما وردت من قبل عند النابغة ! (٣)

وقد اعتمد الأخطل كذلك في بعض مدائحه وبخاصة التي خص بها بنى أية على الوصف القصصي لتكون تلك القصائد لوحات فنية

(١) شعر الأخطل : ٣١٠ / ١ ٣١١ ،

(٢) شعر الأخطل : ١٧١ / ٠ ١٧٢ ،

(٣) انظر شعر الأخطل : ٢٢٢ / ١ ، ٢٤٤ ، ٢٦٠ وديوان النابغة : ١٠ .

قريبة الى النفس ، فاستعان به كثيرا في المقدمات الطللية عندما يستطرد في الوصف ، كما استعان به في الفخر كقوله مخاطبا عبد الملك بن مروان :

لَمَّا أَتَاكَ بِبَطْنِ الْغَوْطَةِ الْحَجَرُ
أَضَحَى وَلِسَيْفِ فِي خَيْشُومِ أَشَرُ
وَلَيْسَ يَنْطِقُ حَتَّى يَنْطِقُ الْحَجَرُ
وَرَأْسُ دَوْنَهُ الْيَحْمُومُ وَالصَّوْرُ
وَالْحَزْنُ كَيْفَ قَرَأَ الْغَلْمَةَ الْجَسْرُ

وَقَدْ تُصِرَتْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَنْسَا
يُعْرَفُونَكَ رَأْسَ ابْنِ الْحَبَابِ (١) وَقَدْ
لَا يَسْمَعُ الصَّوْتُ مُسْتَكَأً مَسَاعِيْهِ
أَمَسَتْ إِلَى جَابِ الْحَشَاكِ حِيفَتُهُ
يَسْأَلُهُ الْصَّبَرُ مِنْ نَحْسَانَ إِذْ حَضَرُوا

فهو لا يكفي بالبيت الواحد أو البيتين عندما يصور موقفا من المواقف لكنه يصطعن الا طالة في تصويره معتمدا على الوصف القصصي الذي يجيد من خلاله التجسيم والدقة في التشبيه .

وقد اعتمد الأخطل هذا الاسلوب في أغلب أغراض شعره فلم يقتصر فيه على غرض معين . (٤)

(١) شعر الأخطل : ٢٠٣/١ . ٢٠٤ .

(٢) عمير بن الحباب قتله بنو تغلب ، وكان الحباب أبوه من أغبرة العرب ..

أنظر نقائض جرير والأخطل : ١٦١ .

(٣) الغلمة : أدنى عدد الغلام . والجسر : الذين جسروا بأموالهم غابوا بها في الرعي فلم يرجعوا إلى مازلهم ليلا ولا نهارا ، انظر نقائض جرير والأخطل : ١٦٢ .

(٤) انظر الأخطل شاعر بنى أمية د . سيد غازي : ١٦٣ .

والأخطل في أسلوبه كثيراً ما يعتمد على التصوير الحركي فـ
مقاطعه الفنية فيجعل منها صوراً متابعة في حركة مستمرة تعلقها
هذه الأفعال المتواالية التي ينتقل بها من صورة إلى أخرى .

فعندما يشيد بمدحه مثلاً لا يقتصر على تعداد مافيه من
خصال بل يتبع ما يدور في مخيلته من معانٍ . فيصف المحبوبة
مرتلة والناقة متقلة والثور مقاتلًا ، والحمار جاريا ، والصهباء
متداولة والمدوح محاربا ، والخيول متدافعة ، والنهر فائضاً والسماء
متحليا ، والعدو هاربا . (١)

ولذلك جاءت مقاطعه دائمة تنبع بالحركة والحياة وهذه الحركة
التي اصطنعها الأخطل في تصويره والتي يتميز بها في أسلوبه تتجلّى
في قصائده فتضفي عليها طابعاً فنياً مميزاً . ففي رائيته (غير)
مثلاً نرى الفرات الذي يفوقه المدوح جوداً ، وقد " جاشت " حوالبه
" وذعذعته " رياح الصيف " واضطربت " من آذيه غدر " سحنفرا " من
جبال الروم " بستره " منها أكافيف فيها دونه زور . . .

بينما نرى لامته (أجمل) السحاب الذي يدعوه لمدحه
أن يسقى أرضه قد بانت عزاليه " تسحل " واذا " طعتن " في
فروجه " تحلب " واذا " زعزعته " " جر " ذيوله لأنها عوذ شقال .
" تطفل " فلما " انتهى " نحو اليمامة قاصداً " دعته " الجنوب ،
" فانشنى " و " سقى " لعلها والقرنطين فلم يك " يتحمل " ثم " غادر "

الأكم " تطفو " و " حل " بالمعسانيات و " أرزمت " منه مطافيش
حفل . (١)

وهناك نماذج كثيرة من شعر الأخطل تميز بهذا الأسلوب (٢)
ونتيجة لهذا التصوير الحركي جاءت مقاطعة دائمًا نابضة بالحركة
والحياة .

ولقد كانت للأخطل صور جزئية تمثل في البيت الواحد أو
البيتين وتكثر هذه الصور الجزئية في مدائنه فتكتسبها قوة وجمالاً
يتجلّى هذا في قوله مدح بنى أمية : (٣)

| | |
|--|--|
| دَارَتْ رَحَاهُ بِمُسْبِلٍ كَدَارِ
مُطَرَّتْ صَوَاعِقُهُمْ عَلَيْهِ بِنَارِ | قَوْمٌ إِذَا بَسَطَ الْأَلَّهَ رَبِيعُهُمْ
وَإِذَا أَرِيدَ بِهِمْ عُقُوبَةً فَاجْرِ |
| وقوله في مدح معاوية : (٤) | |

| | |
|---|---------------------------------------|
| مُعْطَى الْمَهَابَةِ نَافِعٌ ضَرَارٌ
سِيمَا الْحَلِيمِ وَهَبَيْهُ الْجَبَارُ | شَمَوْالْعَيْنِ إِلَى إِمَامِ عَادِلٍ |
|---|---------------------------------------|

ومن سمات أسلوبه اعتماده على التشبيه في توضيح صوره مما يشد
القارئ إليه وقد اعتمد على التشبيهات الحسية في أغلب الأحيان
ما يؤكد انتقامه لمدرسة الصنعة التي يتخذ شعراؤها من التشبيه

(١) انظر الأخطل شاعر بنى أمية د . سيد غازى : ١٦٣ - ١٦٦ .

(٢) انظر شعر الأخطل : ١٩٢/١ ، ١٩٨ ، ١٩٢/٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٠ ، ١٩٩ .

(٣) شعر الأخطل : ٤٤/٢ .

(٤) العقد الفريد : ٣٨/١ .

الحسى وسيلة لعرض صورهم (١) ففي لامته (أجمل) التي يمتدح فيها "خالد بن عبد الله بن أسد" . يشبه البرق في نواحي السحاب الدائم المطر (الذى شبه به المدوح) بمصابيح كما يشبه حركة هذا البرق بحركة خواصر الخيل البلق وهي مجفلة ، وهذه الصورة الحسية ممثلة في التشبيه الحسى الحركى عندما يقول : (٢)

مُلْحٌ كَانَ الْبَرْقَ فِي حَجَرَاتِهِ كَاسِبٌ أَوْ أَقْرَابٌ بُلْقٌ تُجَفِّلُ (٣)

كما يشبه هيئة خروج قومه "تغلب" على أعدائهم بسباع تسخير خيبا وهى تقصد الماء فى الجبل فيقول مفتخرا (٤) :

يَخْرُجُنَّ مِنْ ثَغْرِ الْكَلَابِ إِلَيْكُمْ خَبَبُ الشَّبَاعِ تَبَادِرُ الْأَوْشَالَا (٥)

ثم يقول مستطردا فى فخره ومشبها جريرا وقد استجمع عليه الوادى بفرعى وائل قوم الشاعر بالقذى الذى يقذف به السيل العظيم فيتحرك مضطربا فى غير اتجاه معين . فيقول (٦) :

وَإِذَا سَعَا لِلْمَجْدِ فَرَعَا وَأَئِلِّ وَاسْتَجْمَعَ الْوَادِي عَلَيْكَ فَسَالَا كُنْتَ الْقَذَى فِي لُجَّ أَكْدَرَ مُزِيدٍ

(١) انظر نقائض جرير والأخطل دراسة للدكتور عبد المجيد المحاسب : ٤٣٢ .

(٢) نقائض جرير والأخطل لأبى تمام : ٦٠ .

(٣) حجراته : نواحيه . والأقرب : جمع قرب وهو جانب السرة . وتجلل : أى تسرع . (٤) المصدر السابق : ٢٥ .

(٥) ثغر الكلاب : اسم موضع . والثغر مطلع فى الجبل مثل الشنية ومنه اشتق قولهم للف ثغر ، والأوشال : جمع وشل وهو الماء القليل يكون فى الجبل ينحدر انحدارا . (٦) نقائض جرير والأخطل : ٨٢ وما بعدها .

وفي معرض فخره يعتمد التشبيه وسيلة للنيل من خصمه جرير فيشبه
نساء يربوع وقد سبقت يوم الكلاب الأول بالابل المجلوبة الى المصر
لبيعها فيقول : (١)

يَوْمَ الْكَلَابِ وَقَدْ سَيَقْتُ نِسَاءُكُمْ سُوقَ الْجَلَابِرِ مِنْ عُونٍ وَأَبَارِ

وليس التشبيه وحده من سمات فن الأخطل التعبيري فالى جانبه توجد
الاستعارة التي اتخذها لثبت صوره وعرضها عرضًا شيقاً دقيقاً فقد
اعتمد الاستعارة المكنية في قوله مدح عبد الملك بن مروان : (٢)
فَلَمْ تَرَعْنِي مَثْلَ مُلْكٍ رَأَيْتُهُ أَتَاكَ بِلَا طَعْنٍ الرَّمَاحُ وَلَا ضَرَبٌ .

فقوله "أتاك الملك" فيه استعارة مكنية . ويقول في معرض
فخره : (٣)

أَذَاقُونَا أَسْنَتَهُمْ وَذَاقُوا فَكَيْفَ رَأَيْتَنَا هَرَبْنَا وَصَارُوا

كما اتخذ من الكناية سبيلاً لتحقيق ما يرمز اليه في صوره من معنى
فنى فيقول مادحا خالد بن عبد الله : (٤)

أَخَالِدُ مَا وَأَكُمْ لِمَنْ حَلَّ وَاسِعٌ وَكَنَاكَ غَيْثٌ لِلصَّاعِلِيكَ مُرْسَلٌ

ففي الشطر الأول كناية عن الجود والكرم والعطاء، الوفير يؤكد له التشبيه

(١) نقائض جرير والأخطل : ١٣٦ .

(٢) شعر الأخطل : ٥٠ / ١ .

(٣) نقائض جرير والأخطل : ١٢٨ .

(٤) المصدر السابق : ٥٢ .

في الشطر الثاني ، قوله في نفس المدح : (١)

هُوَ الْقَادِيُّ الْمَيْمُونُ وَالْمُبْتَغَى بِهِ ثَيَّاتُ رَحَى كَانَتْ قَدِيمًا تَرْلَزُ

فهنا كنایة عن ثبات قواعد الملك والحكم الذى كان مضطربا قبل مجیئه . قوله في نفس المدح كذلك : (٢)

أُولَئِكَ عَيْنُ الْمَاءِ فِيهِمْ وَعِنْدَهُمْ مِنَ الْخِيفَةِ الْمُتَجَاهِ وَالْمُتَحَوَّلِ

كنایة عن النفع ، قوله في معرض الفخر بقومه : (٣)

خُزُرُ الْعَيْنِ إِلَى رِيَاحٍ بَعْدَمَا جَعَلْتُ لِضَيْبَةَ بِالسُّيُوفِ غِلَالًا

كنایة عن العداوة الشديدة لهؤلاء القوم .

ويقول مفتخرا كذلك : (٤)

فَضَلَّنَا النَّاسُ أَنَّ الْجَارِ فِينَا مُجِيرًا وَأَنَّ جَارِ يُسْتَجَارُ

ففي ما فيه من الکنایة عن القوة والشدة والعزّة ، وتوجد عند الأخطل لفات نفسيّة في مقاطعه الفنية تضفي على تصويره صدقًا وحيوية حيث يعني باختيار الألفاظ المعبرة التي يصور بها الموقف تصویراً ينبع بالايحا ، والدلالة .

فعندما يمدح يزيد فإنه يصور ضعف نفسيته ازاء الموقف الحرج

الذى وقع فيه من جراء هجاء الانصار فيقول : (٥)

(١) المصدر السابق : ٥٨ .

(٢) المصدر السابق : ٥٩ .

(٣) المصدر السابق : ٧٧ .

(٤) المصدر السابق : ١٢٨ .

(٥) شعر الأخطل : ٣٠٦/١ .

وَيَاتَ نَجِيَانِي دِرْمَشَ لِحَيَّةٍ
إِذَا عَقَ لَمْ يَنِمُ السَّلِيمُ وَأَقْدَمَ
يَخْفَتُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا إِذَا رَأَى
مِنَ الْوَجْهِ إِقْبَالًا أَلَّهُ وَاجْهَدَهُ

فقوله " ويات بجيما " يوحى بخطورة الموقف ثم ان ذكره هذه " الحية التي تعس " يوحى بشدة الفتك والبطش الى آخر هذه الصور التي تنطق بخلجات نفسية الأختطل الضعيفة أمام هول الموقف وشدة المصيبة لولا تدارك يزيد له .

والأختطل من الشعراء العرب الذين عاشوا في الصحراء وعشقوها فألدوا ما فيها من مظاهر وكانت مددا لهم في أشعارهم يستمدون منها كثيرا من الصور الفنية التي يستعينون بها في مدائحهم بل وفي فخرهم كذلك . وقد استمد الأختطل من البيئة البدوية كثيرا من الصور ، فوصف الصحراء المقفرة وما يلاقيه فيها المسافر من أحوال ومتاعب وأبدع في وصف الأطلال وأجاد في تصوير ما خلفه المرتحلون فيها من آثار تتمثل في الأثاني ، والرماد ، والأوتاد وما فعلته الريح بها من نسف وطمس . ووصف حيوان الغلة بجميع أشكالها وأجناسها كما وصف النهر العظيم في فيضانه بما فيه من سفن تقاصم الرياح ، والأمواج . وقد تأثر في تصويره بذوق البدادية وطبائع أهلها فجاءت ألفاظه فخمة جافية تماماً الآذان والفم ، ولذلك جاءت صورة وتشبيهاته مشتقة في أغلبها من البدادية فاتسحت مدائحه بذوق البدوي وطبائع الصحراء ، وجاء فخره تقليداً للفخر الجاهلي منطلاقاً من نفسية لم ربانية الصورة التي تعتقر بها تتشبع بالاسلام ولم تتخذه دينا لأن نصراناته كانت تعضم منه بذلك . وقد اعتمد في مدائحه وفخره على الأسلوب الجاهلي في تنسيتها

وتجويدها وقد أفاد كما رأينا من أساليب الجاهليين ، وتأثر بهم وبخاصة الفحول الذين لهم طابعهم في الشعر الجاهلي وبعث في شعراء الاسلام . وقد نهج الأخطل أسلوبهم وترسم خطاطهم ، وعارض أشعارهم . ولذلك غدت مدائحه ومفاخره مميزة أشد التميز بالطابع الجاهلي في صورها وأخيلتها ، ومعانيها وألفاظها .



أما الموسيقى الخارجية والداخلية عند الأخطل فقد تبيّن من استقرارنا لبحور الشعر التي نظم عليها أن الطويل في مقدّتها وقد أتى بعده البسيط فالوافر ثم الكامل . (١)

ولم يستخدمها الأخطل إلا تامة شأنه في ذلك شأن غيره من شعراً الجاهلية الكبار وشعراً طبقته كالفرزدق وجربه . ولا يكاد يوجد له نظم على غير هذه الأوزان ، وهي في الحقيقة الأكثر استخداماً في الشعر العربي خاصة عند الشعراً الفحول من الجاهليين والمحضرمين ، ومن نهج نهجهم في العصور التالية .

والأخطل حينما اتّخذ هذه الأوزان ونظم عليها أو حينما قادته ملكة الشعرية إلى النظم في أيها فانه لم يكن بدعاً في هذا لأنّه كما رأينا من قبل يعد من الشعراء المحافظين على تقاليد الجاهليين فقد حاكاهم في كثير من صورهم الفنية ، وهو لا يتّخذ الوزن المعين فينظم عليه وإنما يترك ذلك لسلبيته وبدبيته الشعرية فيقول البيت مفتوحاً به القصيدة ثم يتمّها على نهجه ولا يكاد يفضل بحراً منها

(١) البحر الطويل أحد البحور الشعرية الثمانية التفاعيل (فعلن - مفاعلين) مكررة مرتين في كل شطر ، وله عروض واحدة مقوضة وثلاثة أضرب صحيح ومقووض ومحدّوف .
أما البحر البسيط فهو من البحور الثمانية أيضاً ويتألف من (ستفعلن - فاعلن . . .) مكررة مرتين في كل شطر وله أربع أعراض وسبعة أضرب (يرجع لها في مظانها) .
انظر العروض تهدّييه واعادة تدوينه - جلال الحنفي : ١٦١ .

على غيره لأن العهم هو أن يستوفى غرضه الذي يريد فيتحرك مع
أفاعيل نفسه واضعا نصب عينيه نتاج سابقيه من الشعرا، فيقلل منه
وربما سطا على بعضه ، وقد اعترف بسرقات الشعرا، فقال :

(نحن معاشر الشعرا، أسرق من الصاغة) (١)
ولعل هذا يكون تفسيرا واضحا للتأثير الوااعي الذي نلمسه
لدى الشعرا، والذي قد يسمى سرقة شعرية متى كان نتاج هذا
مطابقا لذاك لفظا ومعنى أو مايسمي محاكاة وتقليدا حينما يتلقان
في الصور الفنية ، والوزن والقافية .

ومن المسلم به أن القصائد ذات الوزن الواحد لها طابع
مشترك يتثلل في الوزن الموحد في صورته المجردة ولكن هذه القصائد
تختلف في النغمات كما وكيفا (٢) ، وليس اتفاق الشعرا في السفن
الواحد سرقة ولا تقليدا فقد ينظم شاعر قصيدة في الفخر والحماسة
على الطويل وباتى آخر بقصيدة في المدح أو الرثاء على نفس
الوزن .

ويحور الأخطل التي نظم عليها تصلح لكل موضوعات الشعر وقد
طرقها الأخطل ولكنه كان مكررا في أغلب الأحيان من الوصف أشياء
مقدمة الفنية والتي كان لها نصيب كبير من كل قصيدة . ويستفرق
في هذه الناحية عندما يستطرد في وصف الخمر التي ملكت عليه نفسه .

(١) المoshح : ٤٢٥ ، والأخطل الكبير - فخر الدين قباوة : ٣٣٦ .

(٢) انظر التفسير النفسي للأدب د. عز الدين اسماعيل و بيروت
- دار العودة) : ٥٩ .

وأوزانه تعبر تعبيراً صادقاً عن عاطفته المؤفلة في التقليد والمتسلكة بنهج الجاهليين الذين ظهرت آثار نتاجهم لديه كثيراً وكذلك كان تأثيره بين عاصره من الشعراء المبدعين، وقد أضاف هو إلى هذه القصائد من تجاربه وابداعه الفني، وصاغ ذلك في قالب ذاتي يمثل شخصيته الفنية أصدق تمثيل.

أما حروف القافية التي اتخذها الأخطل رؤياً ونظم عليها فترتيبها حسب درجة التواتر عنده كما يلى :

(الراء - اللام - الميم - الباء - الدال - العين - النون
الكاف - الحاء - والسين - (١)) .

وبقية الحروف لم يتجاوز مانظمها على كل حرف منها الثلاث ما بين تصيدة وقطيعة وربما لم يبلغ ذلك إلا بيتاً واحداً أو أبياتاً معدودة، وهذه الحروف هي (التاء - الثاء - والصاد - والصاد
الكاف - والباء -) وبعضاً لم ينظم عليه شيئاً أبداً، وقد أهمله أو ربما أنه كانت له قصائد على هذه الحروف لكنها لم تصل إليها فيما وصل من شعر الأخطل. وهذه الحروف هي :

(الألف - الجيم - الحاء - الذال - الشين - الطاء - الظاء
الغين - الفاء - الباء - الواو) .

(١) اعتمدت في هذا الاحصاء على ما ورد في ديوان الأخطل الذي حققه د. فخر الدين قباوة حيث تتبع كل قصائده الموجودة في هذا الديوان وخرجت بهذه النتيجة .

انظر فهرس شعر الأخطل المحقق : ٧٨٩/٢ - ٧٩٤ .

وقد ظهر من البحث أن الأخطل ميال في قوافيه إلى الكسر
إذ نجده يستخدم القافية المكسورة في أغلب الأحيان على ذلك الضم
فالفتح . وقوافي الأخطل غالبا جملة الجرس لذىدة النغم سهلة
المتناول لأنها اعتمد فيها على الاطلاق فجاءت في أغلب حالاتها
من القافية المطلقة . وقد كثر نظمه على قافية (الراء - واللام
واليم - والباء - والدال - والعين - والنون - والقاف - والهمزة)
وهذه الحروف ذات رنة في الأذن وصدى في النفس متى كانت
روياً ينتهي إلى كل واحد منها آخر مقطع في أبيات القصيدة .

وفيما يتعلق بالموسيقى الداخلية، وهي التي تتجاوز الشكل العام
إلى الأسلوب^(١) فقد كان لعبدية الأخطل الشعرية أثر في رزانة شعره وجزالتنه
ونتيجة لهذا جف منه بعض ماه الطلاوة ، وبهاء الرونق ، ولم تكن
في ألفاظه تلك الومضات البراقة التي تؤثر في النفوس بجمالها الفني .
ومن أجل هذا كان هناك فارق فني بينه وبين خصمه جرير إذ لم
يقدر لشعره مثال له شعر جرير من السيرورة والشهرة والشعبية تلك
التي نفذ بها إلى نفوس الأدباء والشعراء وال العامة . ومن أجل
هذا كثيراً ما امتنع الأخطل قائلاً لفرزدق :
(والله انك واياي لا شعر منه) يعني جرير " ولكنه أوثى من سير
الشعر مالم نؤته)^(٢)

ومع ذلك فإنه لا يمكن ادراج شعر الأخطل كله تحت هذا الحكم

(١) رحلة مع النقد الأدبي / للدكتور فخرى الخضراوى : ٠١٧٠

(٢) المثلثي: ٣٦٨/٨

اذ من الاجحاف أن نسمه جلة بالجفاف والخلو من التمكّن في النفس البشرية لأن الباحث يجد فيه كثيراً من النغمات الموسيقية التي تطرب لها النفس وتهز الوجدان وقد استجاد النقاد من قبل بعض روائعه وأشادوا بها وأشاروا إليها لما تتمتع به من قوة في المعنى وجرس في النغم المقلّاح . فقد أعجب الخليفة عبد الملك عندما سمع قصيدة (خف القطين) واهتزت لها نفسيته وطرب وما زال يتطاول لها حتى قال : (١)

(هذه المزمرة والله لو وضعت على زير الحديد لأذابتها ، ويحك يا أخطل أتريد أن أكب إلى الآفاق أنك أشعر العرب) وكلنا نعرف ذوق عبد الملك واحساسه المرهف .

وقد تمثلت عناية الأخطل باختيار ألفاظه في نوع من الموسيقى الداخلية في اللفظ الذي يصطنه في بعض الأبيات فيضفي على مقاطعه جمالاً فنياً تستريح له النفس وتتمتع بجمال جرسه وحسن ايقاعه ، وقد يظهر هذا التوافق الایقاعي في غزل أبي مالك ووصفه كثيراً مثلاً يعني هنا (٢) على أن الباحث لا يعدم هذه الموسيقى اللفظية في مدحه وفخره فنجد أنه مدح بنى أمية بأبيات شير الوجدان ويطرب لها القلب : (٣)

(١) الأغانى : ٢٨٨/٨ . ٣٠٢ .

(٢) لأن غاية هذا البحث تتبع هذه الموسيقى في مدحه وفخره فقط

(٣) شعر الأخطل : ٢٥٢/١ .

يُكْلَّ مَعْظِمَةً مِنْ سَادَةِ الْعَرَبِ
وَالْأَخْمَدِينَ قِرَرَ فِي شِدَّةِ الْلَّزَبِ
بِيَضِّ مَصَالِيْتَ لَمْ يُعْدَلْ بِهِمْ أَحَدٌ
الْأَكْثَرِينَ حَصَّى وَالْأَطْبَيْنَ ثَرَى

فإن المقاطع الصوتية في هذه الأبيات تناسب مع بعضها في مسافات متقاربة ترتاح لها النفس عند الانشاد وتتناغم مع الأذن في جرس مسيقى متميز ومثله قوله كذلك في مدح بنى أمية : (١)

| | |
|---|--|
| إِذَا أَلَّتْ بِهِمْ مَكْرُوهَةٌ صَبَرُوا
وَأَعْظَمَ النَّاسُ أَخْلَامًا إِذَا قَدَرُوا
أَبْنَاءَ قَوْمٍ هُمْ آوَّلًا وَهُمْ نَصَرُوا | حَشَدٌ عَلَى الْحَقِّ عَيَّافُو الْخَنَا أُنْفٌ
شَمْسُ الْعَدَا وَرَحْنَى يَسْتَقَادُ لَهُمْ
بَنْيُ أُمَّةٍ قَدْ نَاضَلَتْ دُونَكَمْ |
|---|--|

وتبين هذه الموسيقى من استحداثه اسم الفاعل الجمعي في بداية كل سطر من كل بيت قوله في مدح بنى أمية كذلك : (٢)

| | |
|--|--|
| وَالظَّارِبُونَ غَدَاءَ الْعَارِضِ الشَّيْرِ
وَالْمُقْدِمُونَ عَلَى الْفَارَاتِ بِالْجَدْمِ | الْبَاسِطُونَ بِدُنْيَا هُمْ أَكْفَمُ
وَالْمُطْعِمُونَ لِإِذَا مَا أَزْمَدَتْ |
|--|--|

والواقع عند الأخطل يتولد من صياغة العبارة نفسها في قوله

بعدح (٣) عبد العلا :

| | |
|--|---|
| أَظْفَرَهُ اللَّهُ فَلَيْهِنِي اللَّهُ الظَّفَرُ
خَلِيفَةُ اللَّهِ يُسْتَسْقَى بِهِ الْمَطَرُ
فِي حَافَّتِمْ وَفِي أَوْسَاطِهِ الْعَشَرُ | إِلَى اِمْرَىءٍ لَا تُعَرِّيَنَا تَوَافِلُهُ
الْخَائِصُ الْقَمَرُ وَالْمَيْمُونُ طَائِرُهُ
وَمَا الْفَرَاتُ إِذَا جَاءَتْ حَوَالِبِهِ |
|--|---|

(١) شعر الأخطل : ١/١ - ٢٠٢ - ٢٠١ (٢) شعر الأخطل : ١/١ - ٢٢٤

(٣) شعر الأخطل : ١/١ - ١٩٦ - ١٩٧ . ٢٢٥

نجد هذا الایقاع متولدا من الهاء المضمومة في نهاية الأسطر الثلاثة الأولى ، وقد يتولد هذا الایقاع أحيانا من الهاء المفتوحة في نهاية الأسطر الأولى قوله : (١)

فِي نَبْعَةٍ مِنْ قُرْيَشٍ يَعْصِبُونَ بِهَا
تَغْلُو الْبَهَابَ وَحَلَوْا فِي أَرْوَاهِمَّا

مَا إِنْ يُوازِي يَأْعُلَى نَبْتَهَا الشَّجَرُ
أَهْلُ الرَّبَاءِ وَأَهْلُ الْفَخْرِ لَمْ فَخَرُوا

وقد يتولد هذا الایقاع أيضا من حرف غير الهاء ينتهي عنده
السطر الأول من كل بيت كقوله يمدح سلم بن زياد . (٢)

إِلَى امْرِيٍّ لَا تَخْطَأُ الرَّفَاقَ وَلَا
صَلْبَ الْحَيَازِمَ لَا هَذِهِ الْكَلَامُ إِذَا
جَدِبَ الْخُوَانُ إِذَا مَا سَبَطَى الْمَرْقُ
هَزَ القَنَاةَ وَلَا سَتَعْجِلُ رَهْبَقَ

وَكَوْلَهُ يَفْتَخِرُ أَيْضًا : (٢)

إِنَّا لِنَقْتَادَ الْجِيَادَ عَلَى الْوَجَىٰ
 نَقْتَادُ كُلَّ طِمْرَةٍ رَأْدَ الضَّحَىٰ
 فَتُرْكِنَ قَدْ قَضَيْنَا مِنْ حَمْسَ الْوَغَىٰ

وقد لاحظنا أن هذا النغم الموسيقى قد يتولد من تكرار حرف بعينه وينفس الحركة في آخر الشطر الأول من كل بيت . غير أننا كذلك نجد أن هذا الاتيقاع قد يتولد أيضاً من تقطيع الجملة في

١) شعر الأخطل : ٢٠٠ / ١

(٢) شعر الأخطل : ٦١٠ / ٢

٢٩٤ / ٢ : شعر الأخطل (٣)

الأسطر أو الأبيات عند الأخطل قوله يمدح عبد الملك : (١)

فِي حَافْتِيهِ وَفِي أُوسَاطِهِ
وَمَالْفَرَاتِ إِذَا جَاءَتْ حَوَالِبِهِ
فَوْقَ الْجَاجِيِّ مِنْ آذِيَوْغُدُّو
وَذَعْدَعَتِهِ رِيَاحُ الصَّيفِ وَأَصْطَرَبَتْ
وَلَا يَأْجُهُ مِنْهُ حِينَ يَجْتَهُ
مُسَوْمٌ فَوْقَ الرَّأْيَاتِ وَالْقَاتِرِ
يَغْشَى الْقَنَاطِرَ بَيْنَهَا وَيَهْدِهَا

ففي قوله : (في حافتيه وفي أوساطه - بينها ويهدها) وغيرها من الجمل الموجودة أيقاع موسيقى متولد من تقطيع هذه الجمل في مسافات وأزمنة متساوية .

ومثل هذا قوله : (فرعها وأصولها - أمجادها وحفلها) عندما

مَدْحُ هَمَامَ بْنَ مَطْرَفَ التَّفْلِيِّ بِقَوْلِهِ : (٢)

عَلَيْهِ الرَّوَابِيِّ فَرِعُهَا وَأَصْوُلُهَا .
نَمَّهُ الْذَرَى مِنْ مَالِكٍ وَتَعَطَّفَتْ
لِأَخْلَاقِهِ أَمْجَادُهَا وَحَفَلُهَا .
أَجَادَتْ بِهِ سَادَاتُهَا فَتَرَغَّبَتْ

ومن مظاهر هذه الموسيقى الداخلية كثرة الحروف المضدة وتكرر

الحرف الواحد في البيت قوله يفتخر : (٣)

إِذَا نَزَّلَ الْأَضِيَافُ أَنَّ أَجْتَهَمَا
وَلِنَّ لَحَلَالٌ بِيَ الْحَقِّ أَتَقِىٰ
إِذَا لَمْ تَنْذَدَ الْبَانِيَا عَنْ لَحُومِهَا
حَلَبَنَا لَهُ مِنْهَا يَأْشِيَافِنَا دَمَانَا

(١) شعر الأخطل : ١٩٢/١ - ١٩٨/١ .

(٢) همام بن مطراف بن عبد شمس بن عمرو بن عامر بن مالك بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب - انظر شعر الأخطل

(٣) شعر الأخطل : ٦٠٠/٢ - ٦١٦/٢ .

ففي البيت الأول شدد : اللام - والقاف - والتاء ، والهاء (حلال - الحق - أتفى - اتجهم) .

فضحشت المعنى في نفس السامع وقرعت الأذن بموسيقاها الصاخبة بينما كرر حرف الهاء أربع مرات في البيت الثاني (ألبانها - لحومها له - منها) وقد يتكرر حرفان في جملتين متقاربتين في البيت الواحد كقوله يفتخر : (١)

إِذَا أَصْدَدَ الْجَبَارُ صَعَرَ حَدَّهُ
أَقْنَأَ لَهُ مِنْ خَدِّهِ الصُّصَاعِيرِ
إِذَا نَشَجَتْ مَجَّدَهُ مَاءُ الْأَبَاهِيرِ
بِضَرَبَةِ سَيْفٍ أَوْ بِنَجْلَاءِ ثَرَّةٍ

فانتاب نلاحظ تكرار " الجيم والتاء " في جملتين متقاربتين (نشجت مجت) .

ومن مظاهر الموسيقى الداخلية عند الأخطل تكرار جملة فعلية مختلفة من حيث الزمن في بيت واحد كقوله يفتخر على قيس : (٢)

وَنَحْنُ مَنْعَنَا مَاءِ دِجلَةِ مِنْكُمْ وَنَمْنَعُ مَا بَيْنَ الْعِرَاقِ إِلَى الْبَشَرِ

فعـ أن الفعل من بـابـ الـثـلـاثـيـ (منع) الـأـنـهـ جـاءـ فـيـ الشـطـرـ الـأـولـ
ماـضـيـاـ (منـعـناـ) ، وـفـيـ الشـطـرـ الثـالـثـيـ مـضـارـعاـ (نـمـنـعـ) .
وـالـأـخـطـلـ فـيـ صـورـهـ الـفـنـيـ يـعـبـرـ بـالـفـاظـ تـكـسـبـ الـمعـنـىـ حـرـكـةـ فـتـحـمـرـكـ
لـهـ نـفـسـيـ السـامـعـ كـمـاـ مـرـ عـنـاـ فـيـ مـدـيـحـهـ لـعـبـدـ الـمـلـكـ وـتـشـبـيـهـ آيـاهـ

(١) شـعـرـ الـأـخـطـلـ : ٦٥٨/٢ .

(٢) شـعـرـ الـأـخـطـلـ : ٦٦٩/٢ .

بالفرات وقوله يمدح خالد بن أسد : (١)

| | |
|--|---|
| يُمْسِتَرْغِي بَاتَ عَزَالِيُّو تَسْحَلُ
تَخَلَّبَ رِيَانُ الْأَسَافِلِ أَنْجَلُ
كَمَا زَحَفَتْ عُودٌ ثِقَالٌ نُطَفَّلُ
ثَبَاتُ رَحَى كَانَتْ قَدِيمًا تَرَلْزُلُ | سَقَى اللَّهُ أَرْضًا خَالِدًا خَيْرًا أَهْلَهَا
إِذَا طَعَنَتْ رِيحُ الصَّبَارِ فِي فُروْجِهِ
إِذَا زَعَزَعَتْ الرِّيحُ جَرَّ ذِيولَهُ
هُوَ الْقَائِدُ الْمَيْمُونُ وَالْمُبَتَغَى بِهِ |
|--|---|

وكلوه يمدح سلم بن زياد : (٢)

| |
|---|
| إِذَا تَرَعَّزَ فَوْقَ الْفَيْلِقِ الْخِرَقُ
وَأَنْتَ خَيْرُ ابْنِ أُخْتٍ يُسْتَطَافُ بِهِ |
|---|

وقلته في مقدمة قصيده التي يمدح بها همام بن مطرف التفلبي (٣)

| |
|--|
| تَسَلَّلَ فِيهَا جَذْلٌ مِنْ مُحَلَّمٍ
إِذَا زَعَزَعَتْهَا الرِّيحُ كَادَتْ تُهْلِهَا |
|--|

فإن هذه الألفاظ (جاشت - ذعدته - اضطربت - ززعنته - جر

ذ يوله - ثبات رحى - كانت قد بما تزلزل - تسلسل - ززعتها الريح)

وغيرها توحى بايقاع موسيقى حركي يضفي على صور الشاعر الفنية لونا من الحركة والاضطراب . فترامى إلى الأذن بجرسها الموسيقى المتحرك .

ولاشك أن هذه الثنائية في الألفاظ توحى بلغة شعرية تبعث الاحساس بالحركة فتفاعل معها نفس السامع فكان الصورة التي عبر

(١) شعر الأخطل : ٢٢/١ - ٣٠ .

(٢) شعر الأخطل : ٦١٠/٢ .

(٣) شعر الأخطل : ٦١٥/٢ .

عنها ورسمها للفرات والسحاب ، والجيش ، والنخل ، والرحي ماثلة
أمامنا بكل أبعادها لأنها مثلت يموسيقاها الداخلية في خلجاننا
واستوتها أسماعنا .

وإذا كانت الموسيقى الداخلية عند الأخطل تتميز بصرامة وحدة
وصخب ورتابة فإنه قد اعتمد في شعره كله وفي مدحه وفخره
على الصبغ الانشائية فاستخدمها كأدلة للتعبير عنها تخرج العبارة
من سياق الرتابة المتكررة وتثبت فيها روح الحركة والحياة على الرغم
من أنه لم ينصرف إلى هذه التعبيرات الانشائية إلا في مقاطع قليلة
بالنسبة إلى نتاجه كله ولذلك اعتمد في بعض مدائحه على
الاستفهام والنداء ، فالاستفهام يأتي غالباً في مطالع القصائد
كقوله : (١)

أَلَا يَاسْلِمِيْ يَا هَنْدُ هِنْدَ بَنِي بَدْرٍ وَإِنْ كَانَ حَيَّا نَا عِدَّى آخِرَ الدَّهْرِ

أما النداء فيأتي في المدح المباشر وغيره كقوله في مدح يزيد بن
معاوية : (٢)

(١) شعر الأخطل : ١٢٩/١ .

(٢) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية ، الخليفة ، أبو خالد القرشي الأموي الدمشقي ، أرسله أبوه لغزو القسطنطينية وقد
له بولية العهد من بعده فتولى الخلافة عقب موته أبيه سنة
(٦٠هـ) ، وله ثلات وثلاثون سنة وكانت خلافته أقل من أربع
سنوات وكان شاعراً متذوقاً للأدب . انظر سير أعلام النبلاء :
٤٠ - ٣٥/٤ ، وشعر الأخطل : ٣٠٦/١ .

أَبَا حَالِدٍ دَافَعْتُ عَنِي عَظِيمَةً
وَأَدْرَكْتُ لَحْمِي قَبْلَ أَنْ يَتَبَدَّدَا

وقوله في مدح عبد الله بن معاوية : (١)

يَا أَبَنَ الْقَرِيعَيْنِ لَوْلَا أَنَّ سَيِّكُمْ
قَدْ عَشَى لَمْ يُجِنْ دَاعِيَا أَحَدَ

وقوله في مدح خالد بن يزيد : (٢)

| | |
|---|--|
| وَلَا كُلُّكُمْ لِلْمُعْتَفِي بِعَقُودِ | أَخَالِدُ مَابَوَابَكُمْ بِمَلَعَّتِي |
| إِذَا هَرَّتِ الضَّيَافَانُ كُلُّ ضَجُورِ | أَخَالِدُ إِيَّاكُمْ يَرَى الضَّيْفُ أَهَادَهُ |
| أَغْثَنَا بِسَيِّبٍ مِنْ نَدَاكَ غَزِيرِ | أَخَالِدُ أَعْلَى النَّاسِ بَيْتًا وَمَوْضِعًا |

وقد وقع الأخطل هنا النداء في نوع من الإيقاع الذي يضفي لونا
نفسياً معيناً في تناغم صوتي يدل على أنه نحو فيه منحى الحديث
والنداء المباشرين تارة واللحاف والرجا تارة أخرى، وفي النداء ملحوظ
فنى رائع اذ يوحى بالتقارب بين الشاعر ومن يناديه .

ومن التعبير الانشائية التي اعتمدتها الأخطل في تدبيج مدائحه

(١) عبد الله بن معاوية بن أبي سفيان كان يلقب بالمبقت أى الأحق
ولم يكن له دراية بالحكم والسياسة كما لم يكن من المتذوقين
للشعر . / انظر شعر الأخطل : ٤٤٠ ، ٤١٠ / ٢ .

القريع : السيد الرئيس وأراد القريعين : معاوية وأبا سفيان .

(٢) خالد بن يزيد بن معاوية . . . كان موصوفاً بالعلم وقول الشعر
وقيل انه كان يعرف الكيمياء وصنف فيها ثلاثة رسائل وكان يجيئ
الشعراء وهو من صالحى الأمة . توفي سنة (٥٨٥هـ) .
انظر سير أعلام النبلاء : ٤/٣٨٢ - ٣٨٣ وشعر الأخطل : ١/٦٤٦ - ٦٥٠ .

وقد أضفت على تلك المدائح لونا من الموسيقى الداخلية المؤثرة ، الأمر والتحضير فعندما يمدح الخليفة عبد الملك بن مروان ويستجديه العطا ، يقول : (١)

أَعْنَى أَمْرُ الْمُؤْمِنِينَ بِنَائِسِلٍ
إِلَى امْرِيٍّ لَا تَعْرِيْنَا تَوَافِلَهُ
وَحْسِنْ عَطَاءٌ لَيْسَ بِالرَّيْثِ التَّنْزِ
أَظْفَرَهُ اللَّهُ فَلِيَهُنَّ لَهُ الظَّفَرُ

ويقول في مدح بشرين مروان : (٢)

فَلَا تَجْعَلْنِي يَا ابْنَ مَرْوَانَ كَامِرَئِهِ
غَلَّتْ فِي هَوَى آلِ الزَّبِيرِ مَرَاجِلُهُ
سَرِيعٌ إِلَيْكُمْ مَكْرُهًا وَنَمِيمٌ
فَلَا تُطْعِنْ لَحْمِي الْأَعَادِيِّ إِنَّهُ

(۲) : وقوله

فَسَأَلَ بْنِي مَرْوَانَ مَا يَالَ ذَمَّةٍ وَحَبَلٌ ضَعِيفٌ لَا يَرَالُ يُوصَلُ

ونلاحظ أن الشاعر قد نزع في هذه الأبيات نزعة ابداعية اذ بث فيها من انفعاله الشعري فلم تجر على وثيره واحدة بل كانت تعتمد على نوع من الحركة الضمنية .

ويعتمد الأخطل على التضعيف والتوكيد في بعض أبياته لترعرع
بحرسها المؤثر أذن السامع فيقول في مدح عبد الله بن
معايمية :

١٨٩/١ : شعر الأخطل - ١٩٦٠

٢) شعر الأخطل : ٣١٩، ٢٥٠/١

٢٢/١ : الأخطل شعر .

٤) شعر الأخطل : ٤٢/٢

لَا حَيْرَنَ لِإِثْنَيْنِ الْخَلِيفَةِ مِدْحَةً
وَلَا قُدْرَنَ بِهَا إِلَى الْأَمْصَارِ

ويقول في مدح عكرمة : (١)

لَا غَلْغَلَنَ إِلَى كَرِيمِ مِدْحَةٍ
وَلَا ثَنَيَنَ بِنَائِلٍ وَفَعَالٍ

ويقول : (٢)

فَلَا تُخْلِفَنَ الطَّنَ إِنَكَ وَالنَّدَى
خَلِيفًا صَفَاءٍ فِي مَهْلَقِيَامِ

(١) شعر الأخطل : ١٤٠ / ١ .

(٢) شعر الأخطل : ٤٩٢ / ٢ .

الفصل الثاني

دراسة الفن التعبيري
عند
الفرازدق

" الفصل الثاني "

+ + + + + + + + +

* * دراسة الفن التعبيري عند الفرزدق *

تعنى بالفن التعبيرى الأسلوب الذى يتميز به المتن ، ويرى
أغلب النقاد أن الأسلوب هو الشخصية ، ويؤكد صدق هذه النظرة
شعر الفرزدق الذى يعد صورة حية لشخصيته . (١)

فحيثما ندرس فن هذا الشاعر أو أسلوبه فاننا لانعدو الحقيقة
اذا قلنا : ان مدح الفرزدق وفخره فضلا عن شعره كله زاخراً
بالمعاني والصور والألفاظ التى تشكل أسلوباً جيلاً قوياً شديداً
التلام و الارتباط بشخصية الشاعر .

واذا كان الاسلوب يهبط أحياناً ويشتد أخرى تبعاً لاختلاف
النص وملابسات الحال فان أسلوب الفرزدق ظل شديداً قوياً
لم يعتره ضعف ولم ينتبه غموض إلا في طوره الأخير عندما سرت في
جسمه الشيخوخة فأضعف قريحته ، وتراجعت شاعريته بعض التراجع
لارتباطها بقواه العقلية والسمعية والبصرية .

ولقد درج الباحثون والنقاد على أن اسلوب الفرزدق يتميز
بالتعقيد والغرابة ، ومخالفة القياس النحوى . وهذه قضية لم تحظ

(١) انظر الفرزدق - للدكتور شاكر الفحام :

ومقدمة في النقد الأدبي د. محمد حسن عبد الله : ٢٣١

بالتدقيق والتحقيق لمعرفة مدى صدقها على نتاج شاعر كبير شر الألفاظ غزير المعانى متنوع الصور ، ولم يحاول أحد من قبل تحديد الأسباب الكامنة وراء هذا التعقيد ، وهذا الفموض . وإنما اكتفى الباحثون بأن جعلوا ذلك ناتجاً من كثرة التقاديم والتأخير النذى اشتهر به ، وإن كان بعض الباحثين المحدثين يعزّو هذه الظاهرة إلى أسباب نفسية واجتماعية تتعلق بحياة الفرزدق .^(١)

والحقيقة التي يجب أن تقال إن جملة من تقديميه وتأخيره لا يشكلان تعقيداً ولا غموضاً بل قد تكسب التعبير قوة . وأن مخالفته القياس النحوى ليس عيباً بل ربما اقتضته لغة الشاعر ، وتطابق معنى .

ولكى يكون حكمنا مبنياً على أساس علمية ودراسة متأنية فإنه لابد من دراسة هذه الظاهرة الأسلوبية طالما نحن بصدد دراسة فن الشاعر ، وهذا لا يعني أن تتبع هذه القضية فى شعره كله لأن موضوع البحث ينحصر فى غرضي المديح والفخر ^{ولعل} ~~وكله~~ باحثا آخر أن يتتبع هذه الظاهرة فيما بقى من أغراض .

والواقع أنه من خلال تتبعى لهذا وجدت أن مداخلة الكلام ومغايرة النسق المألوف يتفاوت من ناحية المعنى قوة وضعفاً ، وليس من الانصاف أن ينعت النقاد كلما فيه تقاديم وتأخير بالتعقيد

(١) انظر الفرزدق - للدكتور شاكر الفحام : ٤٤٥ - ٤٤٦ .

وماتنطوى عليه هذه اللفظة من معنى .

انى لا أجد سيرا لمن يضم كل تقديم الفرزدق وتأخيره بالتعقيد والغموض لأن الدراسة المتأنية تدفعنا الى القول : بأن (١) هذا التعقيد وتدخل الكلام لا يتسم به الا القلة القليلة من نتاجه بينما الكثرة تبرأ من هذا الحكم ولقد جاءت صوره غاية في الدقة واستغراق الحديث الشعري في أسلوب واضح يتسم بالرصانة والإبداع ولقد نجد أن هذا التقديم والتأخير الذي لا يلتزم بقواعد النحاة أحيانا يمسد ميزة للفرزدق ترقى به إلى أعلى درجات الجودة لأنها سمة لا يقوى عليها إلا الشعراء المتمكنون من اللغة والمحبطون بأسرارها ، فأى غموض وعدم وضوح في قوله مدح الوليد بن عبد الملك : (٢)

حَلَفْتُ بِأَيْدِي الْبُدْنِ تَدْمَى نُحْرِزُهَا
نَهَارًا وَمَائِمَ الصَّفَاحِ وَكَكَبُ
لَامَّا تَتَنَّا بِالْوَلَيدِ خَلِيفَةً
مِنَ الشَّمْسِ لَوْكَانَ ابْنُهَا الْبَدْرُ أَنْجَبَ

ان هذا التقديم والتأخير فيه من المعنى الجمالي ما يقربه إلى نفس السامع والذي ما كان ليتم لو أن الألفاظ بنيت على غير هذا النسق .

(١) وليس هذا مما يحط من قيمة الفرزدق الفنية لأن هذه القلة لا تشكل إلا نسبة بسيرة من شعره القوي العمتاز ، وما كان هذا القليل النذر ليطفى على ماحمله الفرزدق من فحولة وابداع .

(٢) ديوان الفرزدق : ٢٩/١ - ٨٠

ومثله قوله في مدح سليمان بن عبد العطا : (١)

فَحُبِكَ أَغْشَانِي بِلَادًا بَغْيَضَةً
إِلَى وَرْوَسًا بِعَمَانَ أَغْشَانِي
فَلَوْكُثُتْ ذَا نَفْسَيْنِ إِنْ حَلَّ مُقْبِلاً
بِأَخْدَاهُمَا مِنْ دُونِكَ الْمَوْتُ أَخْمَرَ
حَيْثُ يَا خَرَى بَعْدَهَا لِذَهْجَرَتْ
مَدَاهَا عَسَتْ نَفْسِي بِهَا أَنْ تُعْمَرَ

ففي هذا التركيب اللغطي المتألف منه هذا البناء الشعري من الأسرار الجمالية التي تضفي على أسلوب الفرزدق قوة وجزالة مالا يتم بغيره مما تعددت الألفاظ وتنوعت التراكيب .

والفرزدق في أسلوبه يعني باللمسات الجمالية الكامنة وراء التقديم والتأخير فيدل بذلك على معانٍ ثانية وراء المعنى العام قوله في مدح الوليد : (٢)

رَأَوْنِي فَنَادَ وَنِي أَسْوَقُ مَطِيتِي
بِأَصْوَاتِ هَلَّاكِ سِعَابُ حَرَائِسُهُ
فَقَالُوا : أَغْشَنَا إِنْ بَلَغْتَ بِدَعْوَةِ
لَنَا عِنْدَ حَيْرِ النَّاسِ إِنَّكَ زَائِرُهُ

فمع أن في هذا الكلام تقديماً وتأخيراً لكنه مقبول اذ أن تقديمه الفعل (نادوا) بدلاً من وضعه بعد جملة (أسوق مطйти) يدل هذا التركيب على ما آلت إليه حالهم من ضنك ، وقدرة الشاعر كذلك على رسم صورة واضحة عن هذه الحالة^(٣) ثم زاد الصورة توضيحاً عندما أردف بصيغة الصالفة (هلاك) بعد (الصوت) ليبين أنه

(١) المصدر السابق : ١٩٧/١ .

(٢) المصدر السابق : ٢٤٨/١ .

(٣) وقد يكونون رأوه فنادوه بسوق مطيته وبذلك ينتفي التقديم والتأخير هنا .

صادر من هلكى سفاب فأكى المعنى بهذه العالفة .
وبهذا الترتيب للألفاظ كان المعنى قوياً واضحاً لا غموض فيه ولا تعقيد .

ونلاحظ أن هذا التقديم والتأخير قد يأتي في بيت واحد بحيث يتقدم بعض الألفاظ على بعض في نفس البيت ، وأحياناً تتسع الفكرة في نفسه وتتزاحم المعانى لديه فلا يستطيع استيفاؤه معناه في البيت الواحد فيعمد إلى تأخير بعض الألفاظ التي لا يتم معناها في البيت الأول بدونها إلى أول البيت الثاني وهى ظاهرة تکاد تكون شائعة عنده من مثل قوله في مدح عبد الله بن عبد الأعلى الشيباني :

لَقَدْ زَادَنِي وَدًا لِبَكْرِيْ بْنِ وَائِلٍ
إِلَى وَدَهَا الْعَاضِيْ وَحْسِنِ شَنَائِهَا
بَلَاءً أَخْيَهُمْ إِذْ أَنْيَخْتَ مَطِيقِيْ
إِلَى قُبَّةِ أَضِيافِهِ بِفَنَائِهَا

فقد أخر الفاعل (باء) إلى بداية البيت الثاني ولم يزد المعنى إلا سهولة ووضوها ، كما نجده أيضاً قد أخر الجار والمجرور إلى بداية البيت الثاني عندما قال في نفس المدح أيضاً :

جَزَى اللَّهُ عَبْدَ اللَّهِ لَمَا تَلَبَّسَتْ
أُمُورِي وَجَاهَتْ أَنْفُسُ مِنْ ثَوَائِهَا
إِلَيْنَا فَبَاتَ لَاتَّنَامَ كَانَهَا
أُسَارَى حَدِيدٍ أُغْلِقَتْ بِدِمَائِهَا

(١) عبد الله بن عبد الأعلى بن أبي عمارة (الشاعر) الشيباني وجده من سبايا عين التمر وهو مولى لشرجبيل بن حسنة . توفي حوالي سنة ٤١٥هـ) وهو من الصدحين . انظر الطبرى : ٣٧٧ / ٣ - ٢٠٩ / ٢ .

(٢) ديوان الفرزدق : ١٠ / ١ .

ومع هذا فاننا لا ننكر أن تمرد الفرزدق وعنفه قد جعلاه يجتاز
إلى هذه الظاهرة دون أن يستطيع منها فكاكاً وهذا هو الذي
وسم أسلوبه في بعض الأحيان بالتعقيد والغموض ، وهو ما أخذته
عليه النقاد واللغويون ، فأطلقوا حكمهم بصفة العموم ، ولعل السبب
في كثرة تصيد اللغويين لما وقع فيه الفرزدق من مخالفة لقياس
النحو يعود إلى اعجابهم به . (١) ولذلك فان أبياته التي تدرج
تحت حكم التعقيد وعدم الوضوح - نتيجة لما اعتراها من تقديس
وتأخير - تكاد تكون معدودة أشار إليها من اهتموا بالاستشهاد
من أشعار العرب وهم أصحاب اللغة . (٢)

ومن هذه الأبيات قوله في مدح أبوبن سليمان بن عبد

الملك : (٣)

| | |
|--|--|
| وَقَوْمٌ أَحَاطَتْ لَهُ تُرِيدُ دِمَاءَهُمْ
يَأْغُلُّونَ أَعْمَالَهُمْ لَوْتُشِيرُهَا | غَلَّتْ قِدْرُهُمْ إِذْ ذَابَ عَنْهَا صُبُورُهَا
عَلَيْهِمْ رَأَوا مَا يَتَّقُونَ مِنَ الْجَذِيرِ |
|--|--|

وقوله في مدح بنى مروان (٤)

| |
|---|
| وَكُمْ مِنْ يَدِ عِنْدِي لَكُمْ كَانَ فَضْلُهَا
عَلَيَّ لَكُمْ يَا آلَ مَرْوَانَ ضَاعِفٌ |
|---|

(١) ذكر ابن سلام أنه كان يدخل الكلام وكان ذلك يعجب أصحاب النحو.
انظر طبقات نحو الشعراء : ٣٦٤ / ١ - ٣٦٨ - والعقد الفريد : ١٨٢ / ٢ -

- ٥٣ / ٣ -

(٢) صبغات نحو الشعراء : ٣٦٤ / ١ - ٣٦٨

(٣) ديوان الفرزدق : ٢٤٢ / ١

(٤) المصدر السابق : ١٨ / ٢

وقوله في مدح أبان بن الوليد البجلي : (١)

رَسُولُ هُدَى الْآيَاتِ ذَكَرَهُمْ
وَكُنْتُمْ لِهَذَا النَّاسِ حِينَ أَتَاهُمْ
لَكُمْ مِنْ ذُرَارَهَا كُلَّ قَرْمٍ صِعَابَهَا
لَكُمْ إِنَّهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَحَتَّى

وقوله يمدح ابراهيم بن هشام المخزومي : (٢)

أَبُو أُمَّةٍ حَتَّى أَبُوهُ يُقَارِبُهُ
وَمَالِهُ فِي النَّاسِ إِلَامُكَانٌ

وقوله يفتخر : (٣)

فَنَلَ مُثْلَهَا مِنْ مُثْلِهِمْ ثُمَّ لَمَّا هُمْ
عَلَى دَارِمٍ بَيْنَ لَيْلَى وَغَالِبٍ

وقوله في مدح بلال بن أبي برد : (٤)

إِلَيْكَ وَلَمْ تَعْلَمْ قَلْوَصِي بِصَاحِبِ
وَقَدْ خَبَطْتُ رَحْلِي عَلَيْهَا مَطِيتِي
إِلَيْهِ اشْتَهَى فَأَشْتَهِي بِكُلِّ رَاغِبٍ
فَقُلْتُ لَهَا زُورِي بِلَالًا فَلَانَّكَ

(١) ديوان الفرزدق : ١/٨٠ ، وأبان بن الوليد البجلي من بنى يزيد ابن الفوت كان من أشراف بجية في العراق وهو من الولاة المدحين مدحه الفرزدق وغيره من شعراء عصره توفي حوالي سنة (١٢٥هـ) . انظر الأعلام : ١/٢٢ .

(٢) طبقات فحول الشعراء : ١/٤٦٣ - ٤٦٥ . والمدح هو : ابراهيم بن هشام بن اسماعيل المخزومي القرشي : أمير المدينة المنورة وخال هشام ابن عبد الملك وقد ولى المدينة ومكة والطائف عزله هشام سنة (١١٥هـ) ولعله مات في هذه السنة . / الأعلام : ١/٢٨ .

(٣) طبقات فحول الشعراء : ١/٤٦٦ .

(٤) ديوان الفرزدق : ١/٦٥ . والمدح هو : بلال بن أبي برد عامر بن أبي موسى الأشعري أمير البصرة وقاضيها كان راوية فصيحاً أديباً توفى نحو سنة (١٢٦هـ) . / الأعلام : ٢/٢ .

فإن هذا التقديم في هذين البيتين قد أخل بالمعنى حيث قدّم في الأول الجملة الحالية (رحلى عليها) بينما آخر الفاعل والمضاف إليه في البيت الثاني (كل راغب) فأشار بذلك اضطرابا في المعنى وهذا كان تقادمه وتأخيره فيما مرّ معنا من أبيات والتي أشار إليها العلماء من قبل . . . ومع هذا فاننا لو قسنا الأبيات التي فيها غموض وعدم وضوح ومخالفة للقياس النحوي بحقيقة شعره الذي تلوح عليه سمة التقديم والتأخير فانها لا تشكل الأنسنة ضئيلة جدا لاتشكل عيبا في أسلوب الفرزدق . ومن الطبيعي جدا حينما يتغير نظم الكلام عن وجهه أن يبدو غامضا يشبه الألفاظ على تفاوت في الاغراق من حيث التعقيد الذي لم تظهر بوادره واضحة الآفى أشعاره الأخيرة بعد أن تقدمت به السن فغمضت معانيه وتعقد أسلوبه ، واضطربت تعبيره .

ولو قدر لهذا الشاعر أن يتجانس عن همة العالية وتنحصر عنه نفسيته القوية لربما استطاع أن ينظم في غير عصر ، ولكن نفسيته الشامخة دائما هي التي كانت تحول بينه وبين النظم المعن الميسر ، فانتطبع في أذهان الدارسين الذين لم يفحصوا عن شعره كله ولم يستقرؤوه أنه يتسم بالغموض والتعقيد ، وبالتالي ابتعدوا عن دراسته وتحقيقه ولم يحظ ديوانه بالتحقيق إلى الآن . ولعل هذه الظاهرة من الأسباب التي حالت بينهم وبين العناية بتحقيق شعره .

وقد يعثر الدارس لشعر الفرزدق على أبيات فيها أقواء من

مثل قوله : (١)

إِذَا دُعِيَتْ عَيْنَاءُ أَيْقَنَتْ أَنَّتِي
بِشَرَبَةِ رِيحٍ لَا مَحَالَةَ شَارِبٌ
وَمَاذَاكَ مِنْ عَيْنَاءَ سَرُورٍ عَلِمْتُهُ
وَلَكِنَّ مُولَاهَا كَرِيمُ الْفَرَّاعِبِ

وليس الاقواء مما وقع فيه الفرزدق وحده بل وقع فيه بعض من الشعراء
الفحول وغير الفحول كالنايفة وغيره . (٢)

ولقد اتبهر اللغويون والنحاة ، وأصحاب المعانى وعلماء البلاغة
بطريقة الفرزدق فى نظم الكلام وتأليفه . وحظى شعره بالاهتمام
والتحميس بسبب هذه الظاهرة . ولذلك فلا يستغرب أن يخرج
لنا النحاة وأصحاب اللغة أبياتا فيها تعقيد وغموض ومخالفة للقياس
النحوى (٢) ، فلربما كانت فى شعر سواه أكثر لكنهم لم يهتموا
بهم كاهتمامهم بشعر الفرزدق وقد أكثر هذا الشاعر من التقديم
والتأخير ، والفصل بين أجزاء الكلام حتى غدا ذلك صفة مميزة
له .

وبذلك لفت الأنظار إليه غير أن هذا التقديم والتأخير
وما يترتب على ذلك من معنى واضح أو غامض سهل أو معقد نابع
فى رأينا من اقتدار الفرزدق على الشعر واعتداده بنفسه ولربما

(١) ديوان الفرزدق : ٣٥/١

(٢) انظر الشعر والشعراء : ٩٥/١ والموشح للمرزبانى : ٢١٠

(٣) أكثر النحاة من الاستشهاد بأشعاره وكانت لهم عليه مأخذ عديدة
ولكتها قليلة بالنسبة لغزاره نتاجه وقد أورد المرزبانى كثيرا من
هذه المأخذ . انظر الموسح : ١٥٦-١٨٦

كان يرى أنه أكبر من أن يعود لقوله فيرتقب الفاظه ويقرب بعيده
ما جعله يتمرد على نظم الجملة فيعكس بالتالي صدى تمرد نفسه
وزهوه وغطرسته من خالها .

ولعل احساسه أنه ورثت الجاهلية في فضائلها وخلقها العربي
الأصيل وبيانها جعله يأبى أن يعود لما يقول فيهذهه وينحوه
وعليه فإنه يمكننا القول :

ان التعقيد في شعر الفرزدق يعد صدى لتلك النفس المتعالية
المتمردة بل المتجرفة التي باتت تحس الغربة في مجتمعها ، وليس
عملاً أو تصنعاً منه بل ان التقديم والتأخير من الأساليب التي
تعد سمة من سمات اللغة الأدبية عند الشاعر ، وقد مثل هذا
أصدق تمثيل فكان أسلوبه متيناً من هذه الناحية حتى غداً تعبيره
الشعري ذا خصائص فنية توضح للدارس المتعمق مذهب الفرزدق ،
وطريقته في الأداء فهو ينطلق في مدحه وفخره من معانٍ كثيرة تخطر
بياله ، وتتنوع عندما يقول فتتزاحم الفاظها في فكره وبالتالي يفسح
لخياله أن يختار اللقط المناسب له . والذى يتتشى مع ذوقه
وطبعه ليضعه في الموضع الذي يراه ولا يلقى بالاً إلى ما يقوله
النقاد والنحاة طالما أنه مقتنع بالفكرة وذهنه مستوعب للمعنى .

والمتأمل لأسلوب الفرزدق يجد أن الشاعر يعتنى بالصور فهو
من الشعراء المصورين الذين تحتل الصورة عندهم مكاناً رحباً لتصبح
هذه الصورة وسيلة لنقل المادة وتوصيلها إلى الأذهان . وبذلك
فإن الصلة وثيقة جداً عنده بين المادة والمصورة . وقد يعبر عنها

باللفظ والمعنى أو الصورة والمضمون . (١) يوضح هذا قوله في

مدح الحكم بن أيوب : (٢)

كَادَ الْفُؤَادُ تَطِيرُ الطَّائِرَاتُ بِهِ
 فِي الدَّارِ إِنَّكَ إِنْ تُحْدِثُ فَقْدَ وَجَبَتْ
 فِي مَحْبِسٍ يَتَرَدَّى فِيهِ ذُورِيَّ
 قُلْتُ هَلْ يَنْفَعُنِي إِنْ حَضَرْتُكُمْ
 مَا تَنْهَى عَنِّي فَلِيَتِ لَسْتَ قَارِبَةً
 وَمَا يَقُولُكَ شَيْءٌ أَنْتَ طَالِبَةً

منَ الْمَخَافَةِ إِذْ قَالَ ابْنُ أَيُوبِ
 فِيكَ الْعُقُوبَةُ مِنْ قَطْعٍ وَتَعْذِيبٍ
 يُخْشَى عَلَى شَدِيدِ الْهَوْلِ مَرْهُوبٍ
 بِطَاعَةٍ وَفَوَادِي مِنْكَ مَوْعِدُوبٍ
 وَمَا نَهَى مِنْ حَلِيمٍ مِثْلَ تَجْرِيبٍ
 وَمَا نَعْتَ فَشَيْئٌ غَيْرُ مَقْرُوبٍ

فهو لا يمدحه مداحا مباشرا ولكنه يصور عظمته في أسلوب قصوى يوضح فيه حالته الخائفة الوجلة بعد أن توعده ابن أيوب بالعقوبة ان استمر في هجاء الناس ويصور معدومه في غاية القوة والعظمة وأنه لا يفوته شيء يطلب ولا يستطيع أحد أن يقترب من حماه . وهذا الطبع المصور عند الشاعر قد أعاده على أن يأتي بتشبيهاته حية موحية تبين كيف أن الشاعر يحسن انتزاع هذه التشبيهات .

يقول في مدح الوليد بن عبد الملك : (٣)

(١) أصول النقد الأدبي - أحمد الشايب : ٢٤٦ .

(٢) ديوان الفرزدق : ٢٦/١ .

(٣) ديوان الفرزدق : ٢٥١/١ .

وَإِنْ لَوْرِكِتُ الرِّيحَ ثُمَّ طَلَبْتُنِي
لَكُنْتُ كَسِيرٌ أَدْرَكْتُهُ مَقَادِرُهُ

فأى أسلوب أقوى من هذا الأسلوب ، وأى تصوير أبلغ من هذا التصوير ، جعل المدح مهيمنا على المجتمع لا يفوته صفيحة ولا كبيرة وليس المعنى بعيدا عن قول النابفة الذبياني في مدح "النعمان ابن المنذر الفسّانى" .

فِإِنَّكَ كَالَّلَيلَ الَّذِي هُوَ مُدِرِّكٍ
وَإِنْ خَلَتْ أَنَّ الْمُسْتَأْعِنَكَ وَاسِعٌ
والفرزدق ابن الباذية المرتبط بها المتطلع الى حياتها أبدا لا يتتردد في أن يستمد الكثير من صوره وأساليبه من تلك الحياة البدوية فأصبح شعره مرتبطة بحياة الناس ومتزجها بثقافاتهم وقد أضافت هذه الصلة الوثيقة بين الشاعر والبادية على نتاجه سمة الجمال والتأثير والاغراق في البدوة بعض الأحيان فاستمد من العibel والدللو صورة الكرم والأمان ، ومن الشجرة وشموخها صورة المجد والشرف ومن الغيث النازل على الأرض فيحييها صورة الكرم والفضل ، ومن الخيل مشدودة صورة الشجاعة والقوة الى غير ذلك من مظاهر البادية في شعره فهو يقول في مدح بلال بن أبي بردة^(٢)

(١) النعمان بن المنذر بن امرئ القيس اللخمي أبو قابوس من أشهر ملوك الحيرة في الجاهلية كان داهية مقداماً مدحه النابفة الذبياني وحسان ابن ثابت الأنباري وحاتم الطائي ملك الحيرة سنة (٥٩٦م) وكانت تابعة للغرس فأقره عليها "كسرى" توفى نحو سنة (١٥ ق هـ) .

انظر الأعلام : ٤٣/٨ ، وديوان النابفة : ٨١ .

(٢) ديوان الفرزدق : ٦٩/١ .

سَرِيعٌ إِلَى كَفَيْ بِلَالٍ إِذَا دَعَا
وَمَادِعَةً تَدْعُو بِلَالاً إِلَى الْقِرَى
وَجَدَنَا لَكُمْ دَلْوَا شَدِيداً أَرْشَادُهُمَا
مِنَ الْيَمِنِ الشَّبَانُ مِنْهَا وَشَيْهُمَا
وَلَا الطَّعْنِ يَوْمَ الرُّوعِ إِلَّا يُحِبِّهَا
تَضِيمُ دَلَاءَ الْمُسْتَقِينَ دَنُونُهُمَا

ويقول في مدح عبد الله الشيباني : (١)

وَأَنْتَ أَمْرُؤٌ مِّنْ آلِ شَيْبَانَ تَسْتَقِي
لَكُمْ أَثْلَةٌ مِّنْهَا خَرْجَتُمْ وَظَلَّهَا
إِلَى دَلْوِكَ الْكُبْرَى عَظِيمٌ دِلَائِهَا
عَلَيْكُمْ وَفِيمْ كُمْ تَبْتَهَا فِي شَرَائِهَا

وقوله في مدح بنى أمينة :

فَقَالَ لِي الَّذِي يَعْنِيهِ شَائِنِي
عَلَيْكَ بَنِي أُمَّةٍ فَاسْتَجِرْهُمْ

وقوله في مدح الجراح بن عبد الله : (٢)

وَمِنْ تَعْقُدَ لَهُ بِيَدِكَ حَبْلًا فَقَدْ أَخْذَتِ يَدَهُ لَهُ الْخِيَارَا

وقوله في مدح أسد بن عبد الله القسري : (٤)

(١) المصدر السابق : ١١/١ .

٢) المصدر السابق : ٦٩/٢ - ٢٠

(٢) الجراح بن عبد الله الحكمي أبو عقبة أمير خراسان وأحد الأشراف -
الشجاعان ولـي البصرة للحجاج ثم خراسان وسجستان لـعمر بن عبد
العزيز . وقد استشهد غازيا سنة (١١١هـ) بـعرج أردبيل فـى
خلافة هشام بن عبد الملك .

• انظر الأعلام : ١١٥ / ٢ ، وديوان الفرزدق : ١٩٣ / ١ .

(٤) أسد بن عبد الله القسرى البجلى أمير من الأجواد الشجعان تولى خراسان سنة (٤١٨هـ) كانت له وقائع مع الترك انتهت به زيفتهم =

يُقُودُ أَبُو الْأَشْبَالِ رَيْعَانَ حَيْلَيْهِ
عَلَى كُلِّ مِذْعَانِ السَّرَّ غَيْرِ مُجْمِرٍ

بِدَارِ الْمَنَائِيَا بَادِيَاتٍ وَعَسْوَدَا
تُفَادُ إِلَى الْأَعْدَاءِ مَثْنَى وَمَوْهَدَا

وقوله في مدح العباس بن الوليد بن عبد الملك : (١)

حَتَّى تَنَاهَى إِلَى جَزْلٍ مَوَاهِبِهِ
حَتَّى تَقْطَعَ أَنفَاسًا وَمَا فَتَرَاهَا
وَمَا يَجِدُ أَبَا الْأَشْبَالِ مِنْ شَبَهٍ
كَرْكَلَةً يَدِيهِ يَعِينُ غَيْرَ مُخْلِفَةً

مَازَالَ مِنْ رَاحِتَهِ الْخَيْرُ يُبَدِّدُ رَا
قَرْمُ بَيَارَى شَمَاطِيطُ الرِّيَاحِ يَهِ
إِلَّا السَّحَابُ وَإِلَّا الْبَحْرُ لِذَرَخَا
تَزَجَّى الْمَنَائِيَا وَتَسْقِي الْمُجَدِّبُ الْمَطَرَا

وهكذا فإن شعر الفرزدق على الألفاظ المأخوذة من الباادية يضعها في أماديمه وفخره . وظل أمينا على مظاهر الباادية في أسلوب جزل متلامح تجلت فيه مقدراته على الإيجاز وتضمين المعنى الكثير في اللفظ القليل المعبر ، وقد أصبح بذلك من أكثر الشعراء بيتا مقلدا . وقد برع الفرزدق في اختيار الألفاظ بحيث جاءت ألفاظه محكمة قوية تدل على المعنى الذي يريد ولا يتعدد في اختيار اللفظ الذي يكون له جلجلة وصدى لدى السامع ويعتمد أحيانا كثيرة على السالفه والتهويل فيفضلي بذلك على المعنى تفخيما وقوه . فماذا ما اختلفت الصورة الفنية مع التهويل والتقرير كانت المعانى مهيضة مرسومة تؤكد العبرية الشاعرية لديه في أسلوب قوى غنى بالصور

(=) وتوفي سنة (٤١٠هـ) . الأعلام : ٢٩٨ / ١ ، وديوان الفرزدق :

١٤٥ / ١

(١) ديوان الفرزدق : ٢٢١ / ١ .

(٢) البيت المقلد هو المستغنى بنفسه المشهور الذي يضرب به المثل : انظر طبقات فحول الشاعراء لابن سلام : ٣٦١ / ١ .

والإحياء . فأى صورة أبلغ من قوله فى الحجاج : (١)

وَقَدْ خِفْتُ حَتَّى لَوْأَرَى الْمَوْتُ مُقْبِلاً
لِيَأْخُذَنِي وَالْمَوْتُ يُكَهُ زَائِرَةً
لَكَانَ مِنَ الْحَجَاجِ أَهْوَنَ رَوْعَةً
إِذَا هُوَ أَغْضَى وَهُوَ سَامٌ نَوَاطِرَةً

وهي صورة تعلّاً النفس رعباً من هذا الرجل . وقد حدث ذلك بالفعل للفرزدق فهو يرى أن الموت أهون من الحجاج فدقق في اختيار الألفاظ ليتم الصفة ويكمّل الصورة لثلاث يومهم اذا أخل بشيء منها فأغرق في المعنى اغراقاً باهتاً اذا ليس هناك مبالغة في الوصف أكثر من هذا حيث وصفه عند اغضائه بالموت فكيف به ناظراً متأملاً يقطا شم نزهه عن الاغضاء فقال (.. وهو سام نواطره) (٢) ، فأى توفيق في تحديد جوانب المعنى أكبر من هذا وأى أسلوب أقوى من هذا الأسلوب . ونتيجة لهذا التدقيق عند الشاعر في المعاني واستيفائه لها أصبحت أبياته مرتبطة ببعضها لا يتم المعنى إن فصل بعضها عن بعض في مثل قوله يتصدح بشر بن مروان : (٣)

فَقُلْتُ لِلنَّفِسِ هَذِي مُتْهِي حَدَّقْتُ
وَقَدْ يُوَافِقُ بَعْضُ الْمُنْيَةِ الْقَدَرَا
كُمَا أَنَّاسًا سِنَا الْلَّاؤَاءُ فَانْفَرَجَتْ
عَنْ مِثْلِ مَرْوَانَ بِالْمَصْرِينِ أَوْ عُمَرَا
مُشَمِّرٌ يَسْتَضِيءُ الْمُظْلِمُونَ بِرِيمَه
يُنْكِي الْعَدُوَّ وَتَسْتَقِي بِهِ الْمَطَرَا
وَلَا الْفَرَاتُ إِذَا آذِيَهُ زَخَّارَا

(١) ديوان الفرزدق : ٢٥١/١

(٢) الفرزدق - شاكر الفحام : ٤٦٨

(٣) ديوان الفرزدق : ٢٣٢/١

يَعْلُو أَعْلَى عَانَاتٍ بِمُلْتَطِّبِمْ
 تَرَى الصَّارَى وَالْأَمْوَاجُ تَلْطِيمْ
 إِذَا عَلَتْ ظِلَالُ الْمَوْجُ وَاعْتَرَكْتَ
 بِمُسْتَطِيعِنَدَى يُشَرِّعَابَهُمْ سَا

يُلْقِى عَلَى سُورِهَا الزَّيْتُونَ وَالْعُثْرَا
 لَوْيَسْتَطِيعُ إِلَى بَرَّيَةِ عَبَّارَا (١)
 بِوَاسِقَاتِتْ تَرَى فِي مَائِهَا كَدَرَا
 وَلَوْأَعَانَهُمَا الزَّابُ إِذَا اتَّحَدَرَا

فإن هذه الأبيات جميعها تشكل صورة فنية بحيث لو حذف أحدها لم يتم المعنى لأنها متراقبة ومترادفة في اللفظ والمعنى في صورة مركبة بدعة، وردت من قبل عند غيره من الشعراء كالأعشى والنابغة (٢)، وقد أشاد النقاد وعلماً البلاغة بوهبة الفرزدق وما يتحلى به احساسه وقدرته على انتقاء اللفظ المصور. (٣) ما كان له الأثر في صقل موهبته الشعرية واعطائه القدرة على الإيحاء والتعبير عن المعانى بأوجز الكلام.

ولقد كان للمحسنات البدعية أثر واضح في شعر الفرزدق بصفة عامة و مدحه وفخره بصفة خاصة مما يدل على مهارته وحسن اصطناعه هذه الألوان التي تضفي على شعره رواه بهجة وتساعده على الإيحاء بالصورة التي يريد أن يشيرها في خيال قارئه، وهي سمة من سماته التعبيرية تسعفه في ايجاد تلاؤم تعبيري يبعث في النفس تطلعها إلى المزيد من نتاجه. وهذه المرئيات البدعية التي يطالعنا بها الشاعر لا يعتمد إليها عدا وانما تأتي لديه عرضًا - وإن كان يتبع نفسه في انتقاء ألفاظه - وقد مكتبه لغته

(١) الصارى: جمحصار وهو الملاح ومعنى الشاعر أن هؤلاء الملحين ليسوا قادرين على استطاعتهم العبور خارج النهر لفعلوا من شدة ما تفعل لهم الأمواج المتلاطمة.

(٢) انظر ديوان الأعشى: (بتتحقق الدكورة محمد محمد حسين) : ٣٨٩ .
 وديوان النابغة: ٣٦ . (٣) انظر نقد الشعر: ٤٨ .

الشعرية وتمكنه من فنه أن يركب القافية الصعبة وينظم عليها معايدل على تمكنه وقدرته .

ونجد في شعر المديح والفخر لديه بعض التكرار وهو تكرار محمود خصوصا في أول الأمر ولم يتطرق إليه ذم إلا في أيامه الأخيرة - كما أسلفنا - وعلى هذا الأساس فإن أسلوب الفرزدق صدئ لشخصيته العنيفة المتمردة ، فهو صلب خشن للألفاظ غليظ المعانى في أغلب الأحيان ثقيل في الآذان ، وصوته بدوية جافية . (١)

ولعل احساسه المضنى بأنه لم يبلغ في قبيلته مبلغ آياته ولم يتح له أن يفعل فعالهم نتيجة لاصطياغ الأمور بقواعد الاسلام الصافية التي تضع الحدود وتقنن القوانين لحياة الإنسان اذ لم يعد في الاسلام شبيه له في الجاهلية ، كل هذا زاد من غربة الفرزدق واحساسه العميق بأنه لابد وأن يتثبت بمحبه التليد في شعره وأن يطوعه ليكون مرآة لتلك الحياة .

وما من شك أنه قد تأثر في أسلوبه بالمعانى الاسلامية المستمدة من القرآن الكريم . ولقد أعجب النقاد القدامى بهذا الشاعر المجيد صاحب الروائع العظيمة صورا وأسلوباً وعاطفة وابداعا فنيا متقداً وخالياً متوضعاً . لكن عجائبهم كان أكبر أن يصدر منه مثل هذا السقط من القول المتمثل في بعض التعقيد والغموض (٢)

(١) انظر أدب العرب - مارون عبود (بيروت دار الثقافة - ١٩٦٠م) :

١٣٨
(٢) انظر الفرزدق : د . شاكر الفحام : ٤٤٦

ولكهم لو دققاً لوجدوا أن هذا ليس غريباً عليه لأنه نابع من نفسية متمردة متغطرسة ترى أن أصحابها سليل مجد تليد وشرف عريق نما به إلى أشرف بيت في مجاشع، ولهذا كان أسلوبه في بعض الأحيان متوجهاً معقداً يصور أغوار تلك النفس الجامحة المتباهية المتطلعة إلى مجدها السالف والتي لم تصل إليه وهي سلالة له وكأني به يجب من يأخذ عليه المأخذ اجابة أبي تمام المشهورة : (ولماذا لا تفهمون ما يقال ؟) (١) دون أن ينزل هو إلى مدارك الناس، وما أله من نظم . أو كما قال عندما سأله بعض أهل الأدب عما يريد في شعره من غموض : (على أن أقول عليك أن تحتجوا .) (٢)

إننا حينما نتبع مظاهر الفن التعبيري عند الفرزدق نجد أنفسنا أمام مشاعر خاصة وصور عظيمة وأساليب قوية في نسق معين من الكلام لا يمكن ترويضه وكان الشاعر صانع يحكم الصنعة أو بـان يجيد رسم الأحجار ، فأى تغيير في ذلك يفقد هذه الصنعة وهذا البناء ما أراده من جمال . (٣)

ولقد كان اللفظ عند الفرزدق مرتبطة أشد الارتباط بالمعنى فأصبح معناه صدى لتلك الألفاظ القوية الصلدة في نسق تعبيري مؤلف من كلمات وتركيب وفقر وعبارات حقيقة ومجازية ، كما كان

(١) الموضع للمرزاكي : ٤٩٩ .

(٢) الشعر والشعراء : ٨٩/١ .

(٣) انظر أصول النقد الأدبي - أحمد الشايب : ٢٤٧ .

(٣٢٦)

لاتساع معرفته وعلمه وحفظه مالم يحفظ غيره ، وفهمه لأسرار العربية
والثراء اللفظى لديه أن مكنته ذلك من التفنن والمقدرة على فنون
التعبير .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

أما الموسيقى الخارجية عند الفرزدق فقد نظم كثيراً من الطويل ، والكامل (١) ، والوافر (٢) ، والبسيط ، ويحظى الطويل بأكبر نسبة .. اذ نظم عليه في مدحه وفخره مائة وثمانين وخمسين ماءين قصيدة ومقطوعة بلغت أبياتها ألفين وسبعمائة وأثنين وتسعين .
وilye مرتبة الكامل ونظم عليه احدى وعشرين قصيدة ومقطوعة بلغت جملة الأبيات فيها خمسمائة وستة وستين .

أما الوافر ف يأتي في المرتبة الثالثة وقد نظم عليه ستة وعشرين قصيدة ومقطوعة بلغ عدد أبياتها أربعمائة وثلاثة وأربعين ، وilye البسيط اذ بلغت جملة الأبيات التي نظمها على هذا الوزن أربعمائة وأثنين وثلاثين .

وهذه الأوزان لم يستخدمها الفرزدق الا تامة ليكون بذلك صورة حية لشعراء الجاهلية الذين لا تكاد أشعارهم تتعداها الا في القليل النادر كما أشار إلى هذا بعض النقاد القدامى والمحدثين .
الذين يرون أن جمهور أشعار الجاهلية أنت من أوزان الطويل والكامل والوافر والبسيط ، وأرجعوا الأوزان القصار إلى العصر الإسلامي (٣) . ولئن صحت هذه الرؤية فانها شاهدة بأمانة الفرزدق

(١) البحر الكامل من الأبحر السداسية ويكون من (متافعلن) ست مرات ولها ثلاثة أعاريف وتسعة أضرب وهو من أكثر الأبحر أضربا .

(٢) أما الوافر فهو من الأبحر السداسية أيضاً ويكون من (مفاعلتن - مفاعلتن فعالون) في كل شطر ولها عروضان وثلاثة أضرب الأولى تامة مقطوفة وضربها مثلها والثانية مجزوءة صحيحة ولها ضربان . صحيح ومعصوب .

(٣) انظر الفصول والغايات - لأبي العلاء المعرى : ١٢٥ =

على تقاليد الجاهليين الشعرية بالنسبة للأوزان ، وفي نظرى أنها كذلك فان الجاهليين نظموا كثيرا على هذه الأوزان ولا يكاد يذكر لهم نظم على سواها الا في القليل النادر كاستخدامهم وزن الرجز في الحداء ومنازلة الأقران وقد جعلوه وزنا شعبيا عاما لاتصاله بالحركة والعمل ، ولم يستخدمه الفرزدق الا في بيتين اثنين فقط في المديح دون الفخر . (١)

ولم يكن الفرزدق يتخير الوزن المعين فينظم عليه لأن القصيدة تظل تجربة وفكرة متخرمة في ذهنه لتخرج إلى النور كاملة بوزنها وقافيةتها وكل أركانها بعد أن يكتمل نموها ويتم نضجها . ومن المعروف أن الشاعر حينما يريد أن يقول شعرا لا يحدد وزنا معينا وإنما يتحرك مع خلجان نفسه ، وبالتالي يخرج نتاجه بالوزن الذي يتراهى له حسب ذوقه ومقدراته الفنية .

ومن هنا فان الفرزدق يسير بفطرته العربية في ركاب الجاهليين في ألفاظه نتيجة لنفسيته المتعالية وارتباطه بحياة البدائية كما رأينا من قبل عندئذ قادته ملكه القوية وتجربته الناضجة إلى النظم على هذه الأوزان التي ارتبطت بعاطفته ونفسيته الضاربة في الأصالة العربية ، ولذلك كانت العلاقة قوية بين موسيقى الأوزان عند الفرزدق وبين عاطفته المتاجحة العميقه الجذور في الشعر ومن هنا

(=) وأصول النقد الأدبي - أحمد الشايب: ٣٢٢ .

(١) ديوان الفرزدق : ٢٢/١ .

وانظر النقد الأدبي الحديث - محمد غنيمي هلال : ٤٦٩ .

كان من المستحيل فصل ايقاع الوزن عند الفرزدق عن التأثيرات - العاطفية لديه ، ومن هنا أيضاً كثرة نظمه على البحر الطويل الذي جاء يتلاءم مع الموضوعات الحماسية الجادة كالغخر والدجع ، ثم الكامل الذي يصلح لأكثر الموضوعات ، فالوافر ثم البسيط في الدرجة الرابعة عند الفرزدق .

ونستطيع القول : أن لكل عاطفة أو معنى نغمة خاصة في الموسيقى والغناء وهي أليق وأقدر على التعبير عن صاحبها لأنها صوته الطبيعي وصورته الحسية الدقيقة . (١) وقد عبرت الأوزان التي استخدمها الفرزدق في مدحه وفخره عن عاطفته أصدق تعبير .

أما قوافي هذا الشاعر فمن خلال استقراءنا لشعره الذي وصل إلى أيدينا حتى الآن تبين أن أكثر الحروف التي اتخذها روماً مرتبة حسب درجة التواتر عنده هي : (ر ، م ، ل ، ب ، د ، ع ، ن ، ق ، ف) أما بقية الحروف فلم يتجاوز مانظمها على كل واحد منها خمساً مابين قصيدة ومقطوعة ، وببعضها لم ينظم عليه البة ، أو ربما نظم شيئاً وضاع فلم يصل اليانا أو لعله ضمن أحدى المخطوطات التي لم تطبع حتى الآن ، وهذه الأحرف هي : (ث ، خ ، ذ ، غ ، ط ، ظ) . ونجد قوافي هذا الشاعر في أغلب حالاتها من القوافي المطلقة ، ولذلك كان شعره أوضح في السمع

(١) أصول النقد الأدبي - أحمد الشايب : ٣٢٢ ومفهوم الشعر دراسة في التراث النكدي / للدكتور جابر أحمد عصفور ٣٦٢ وما بعدها .

وأشد أسرًا للأذن لأن الروى عنده في أغلب الأحيان يعتمد على حركة بعده قد تستطيل في الانشاد فتشبه حرف المد ، ومن المعلوم أن حروف المد أوضح في السمع أكثر من غيرها . (١)

ويعد الروى من أدق مقاييس الشعر وقد اهتم الفرزدق إلى اختيار الروى المناسب لقصائده ولم يكن ليعجز عن النظم على أي قافية شاء فقد نظم ملحنته الشهيرة والتي مطلعها :

عَزَّتِي أَعْشَاشِي وَمَا كُنْتَ تَعْرِفُ
وَأَنْكَرْتِي مِنْ حَدَّرَاهُ مَا كُنْتَ تَعْرِفُ

على "الفاء" مع أنه من حروف الروى الصعبة العسيرة النظم لكنه بلغ بها الذروة وأبدع في ذلك فبلغت هذه الملحة مائة وثلاثة عشر بيتاً مابين مقدمة وهجاء وفخر و مدح ، وقد تجلى فيها طول نفس الشاعر فلم تعجزه القافية ، ووفق في اختيار الألفاظ الدالة على المعاني في جرس موسيقى مؤشر . ولاشك أن المسار الشعري لديه يحدد له طريق المعنى فتسهل له اللغة وتناسب كلماتها في معان عصيقة وألفاظ قوية مقبولة ومحببة للنفس ، فعند ما يقول مفتخرًا :

وَإِنِّي لَمَنْ قَوْمٍ بِهِمْ تَنْقَى الْعِدَى
وَرَأْبُ الثَّالِي وَالْجَانِبُ الْمُتَخَوِّفُ
غَوايمَ مِنْ أَعْدَاءِنَا وَهُنْ رَحَافُ
وَلَا نَسْتَحِمُ الْخَيْلَ حَتَّى نُعِيدَهَا

(١) موسيقى الشعر - ابراهيم أنيس : ٢٤٦ .

والنقد الأدبي الحديث - محمد غنيمي هلال : ٤٢٠ .

(٢) ديوان الفرزدق : ٢٣/٢ . (٣) المصدر السابق : ٢٩/٢ .

نجد أن المعنى الذي يريد الشاعر يقتضي هذه القافية فهي مجلوبة من أجل المعنى وليس العكس ، فالفرزدق من قوم حظهم في هذه الحياة صد الأعداء وكفالة الناس شرهم ، فهم سد حصين يمنع دخول الأعداء من أي جانب ولذلك فان لفظة " المتخوف " جاءت في مكانها تماما ولا يمكن أن تغير لفظة أخرى عن المعنى المقصود هنا .

أما قافية البيت الثاني فقد جاءت مطابقة للمعنى تمام المطابقة فان الخيل حينما يتعبها الكروافر تحتاج الى الراحة ولكن خيل الفرزدق وقومه لا تعرف للراحة سبيلا ، لأنها دائمة في حركة مستمرة تخوض المعارك فتغنم وتتظر ولا تنتهي من معركة حتى يعيدوها للأخرى فتعود وهي متعبة فجأة بلفظ " زحف " ليعبر عن هذا التعب وهذا الاعباء أصدق تعبير .

ويعنى هذا أن الفرزدق يأ Shi بالقافية لخدم المعنى فجأة شعره قويًا ومعانيه عميقة ، ولقد بلغ من انسجام النظم عنده وترتبط أجزاء الكلام أثنا حينما نقرأ الشطر الأول من البيت تتراكم إلى أسماعنا القافية قبل أن نصل إليها ، وهذا لا يتواء الا شاعر حباه الله قدرة عظيمة على الاختنان في التعبير وحسن اصطناع الكلام -

كتوله : (١)

| | |
|---|--|
| أَمْ تَرَنِي عَاهَدْتُ رَبِّي وَإِنِّي
لَبِينَ رِثَاجَ قَائِمٍ وَمَقَامٍ
وَلَا خَارِجاً مِنْ فِي زُورُكَلَامٍ | أَمْ تَرَنِي عَاهَدْتُ رَبِّي وَإِنِّي
عَلَى حَلْفَةٍ لِأَشْتَمُ الدُّهُورَ مُسْلِمًا |
|---|--|

ولقد عبرت قوافي الفرزدق عن معانٍ أبلغ تعبير ك قوله يفتخر :

وَجَدْنَا أَعْزَّ النَّاسِ أَكْثَرَهُمْ حَصَى
وَأَكْرَمَهُمْ مَنْ بِالْمَكَارِمِ يُعْرَفُ

وَكُلِّتَاهُمَا فِينَا إِلَى حَيْثُ تُلْتَقَى
عَصَائِبُ لَاقَى بَيْنَهُمُ الْمُعَرَّفُ

إِذَا مَادَعَا فِي الصَّجْلِسِ الْمُتَرَدِّفِ (١)
مَنَازِيلُ عَنْ ظَهَرِ الْقَلِيلِ كَثِيرَنَا

قَلْفَنَا الْحَصَى عَنْهُ الْذِي فَوَقَ ظَهَرِهِ (٤)
بِأَحْلَامِ جُهَابِلٍ إِذَا مَا تَفَضَّلُوا (٤)

وقد لحظ بعض الدارسين أن الفرزدق ميال في قوافيه إلى الضم

وعلل ذلك أن النسمة حرفة تشعر بالأبهة والفاخمة ، وأن شعراء

الفاخمة يميلون إليها فهي تدل على التمكّن والاقتدار لأنها

أساس وداعمة في بناء الجملة .

والفرزدق من شعراء الفخامة لا شك في هذا ، ولكن من

استقرارنا لشعره كلّه وجدناه يميل في قوافيـه إلى الكسر (٥)

(١) المصدر السابق : ٣٠ / ٢ - ٣١ .

(٢) العصائب : من اعتصوب القوم أي اجتمعوا وصاروا عصائب
الصالح (مادة عصب) .

(٣) المتردف : الذي يردفه من الشر شيءٌ بعد شيءٍ .

(٤) قلفنا : من قولهم قلف الشجرة اذا ألقى عنها لحاءها
ومراد الشاعر : أي ألقينا . الصالح : (قلف) .
تفضوا : أي تعطفوا .

الصالح (مادة قلف ، عطف) .

(٥) يؤيد ما ذهبنا اليه بعد الاستقراء أن الفرزدق تصميم وتميـم
تميل في لغتها إلى الكسر كثيراً .

وليس الضر ، فقد بلغت قصائده ذات القافية المكسورة مائتين وتسعاً وثمانين ما بين قصيدة ومقطوعة ، أما تلك التي قافيةها مضمومة فقد بلغت مائتين وعشراً ما بين قصيدة ومقطوعة يلى هذا القافية المفتوحة حيث بلغ نظمه عليها اثننتين وسبعين ما بين قصيدة ومقطوعة ، ولا أدرى كيف أصدر هذا الدارس حكمه دون استقراء لنتائج الشاعر كله . (١) .

ونخلص من هذا إلى :

أن الحروف التي اتخذها الفرزدق في أشعاره روتا ونظم عليها كثيراً هي : (ر ، م ، ل ، ب ، د) ، وقد حظيت هذه الحروف بأكبر نسبة من أشعاره ، ولعل استخدام بعض شعراء العربية منهم الفرزدق لهذه الحروف روتا يمكن في كثرة الألفاظ على كل حرف منها وغزارة المعانى ، فيجد الشاعر فيها مبتغاه ، وتتنوع معه تلك الألفاظ باتساع المعانى .

وتنلى هذه المجموعة كثرة عند الفرزدق : (ع ، ق ، ف) ئ وهي أقل نصيباً من سابقتها ، تليها بنسبة أقل حروف (الهمزة ، الألف ، التاء ، الجيم ، الزاء ، السين ، الشين ، والصاد ، والضاد ، والكاف ، والهاء) .

ثم تلك الحروف التي لم نجدها روتا عند الفرزدق وهي (ث ، ذ ، غ ، ط ، ظ) فلم نعثر له في ديوانه المطبوع على شيء

(١) انظر - الفرزدق - دراسة الدكتور شاكر الفحام : ٥٠٤ .

يذكر على هذه الحروف (١) .

وأما موسيقاه الداخلية فقد ارتبطت بعاطفته الصدمة التي تتبع من نفسه القوية ، هذه العاطفة التي تشبه البحر المتلاطم الأمواج .. ومن هنا جاء شعره صدى لتلك النفسية القوية . وقد وجد أصحاب اللغة في نتاج الفرزدق مادة غزيرة لهم فأكثروا من الاستشهاد به بخلاف علماء البلاغة وخاصة علم البديع الذي يشكل جزءاً هاماً من الموسيقى الداخلية في الشعر لم يكن له من الشواهد في شعر الفرزدق تلك الكثرة التي تطغى على نتاجه كله ، ولكن ليس معنى هذا أن تنفي عن الشاعر وجود ألوان من المحسنات ، البديعية - فقد تناشرت في شعره وبخاصة مدحه وفخره سمات بديعية تدل على مهارته وحسن اختياره لهذه الألوان التي ساعدت على إيحاء الصور المعبر عنها . ولقد كان للطبقاق نصيب كبير في المدح والفخر كقوله في مدح سليمان بن عبد الملك مقابلاً بين عدله وظلم الحجاج : (٢)

| | |
|--|--|
| أَرْوَى الْمِضَابَ بِهِ مِنَ الدُّعْرِ
بِكَ بَعْدَ مَا نَأَبَى عَنِ الْقَسْرِ
وَجَبَرَتِ مِنَا وَاهِيَ الْكَسْرِ
وَالْيَسْرُ يَفْرُجُ لَزِيَّةَ الْعُسْرِ | وَلَوْلَى سُلَيْمَانَ الَّذِي سَكَنَ
فَلَقِدْ عَزَّزَنَا بَعْدَ ذِلْتِنَا
أَحَبَبْتَ أَنفُسَنَا وَقَدْ هَلَكَتْ
فَلَئِنْ نَعْشَثْمَ لَقَدْ هَلَكُوا |
|--|--|

(١) اعتمدت في هذا الإحصاء على حصر شامل للقصائد والمقطوعات الموجودة في ديوانه المطبوع .

(٢) ديوان الفرزدق : ٢٦٢/١ - ٢٦٢ .

وقوله يفتخر كذلك : (١)

لَنَادُونَ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ عَلَيْهِمْ
مِنِ النَّاسِ طُرَا شَمْسُهَا وَدُرْهَا
أَخْدَنَا بِآفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْهِمْ
لَنَا بُرْهَا مِنْ دُونِهِمْ وَبُورْهَا
لَنَا الْجِنُّ قَدْ دَانَتْ وَكُلُّ قَبْيلَةٍ
يَدِينُ مُصْلُوحاً لَنَا وَكُفُورْهَا

وقوله في معرض فخره بالكرم كذلك : (٢)

وَقِدْرَفْتَنَا غَلَيْهَا بَعْدَ مَاغَلَتْ
وَأُخْرَى حَشَشَنَا بِالْعَوَالِي تُؤْشِفُ
وَجَهَلٌ بِحَلْمٍ قَدْ دَفَعَنَا جُنُونَهُ
وَمَا كَانَ لَوْلَا حِلْمُنَا يَتَزَحَّلُفُ

ومن أجمل مقاله مفتخرًا :

وَلِنَّى سَفِيهِ النَّارِ لِلْمُبْتَغِي التَّرَى

فقد أعجب الجاحظ بهذا البيت واستحسنه (٣) وغير هذا من
ألوان الطلاق . (٤)

وقد اصطنع الفرزدق الجناس وسار وراء أسهله وأقله كلفة ، وقد
أكثر منه وكأنه معجب بهذا التلاقي الصوتي بين الاسم ومشتقه

(١) ديوان الفرزدق : ٢٢٣/١ .

(٢) المصدر السابق : ٣١ - ٣٠/٢ .

(٣) انظر سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون (تحقيق أبو الفضل
ابراهيم - القاهرة - مطبعة المدى - ١٣٨٣ هـ) : ٣٩٤ .

(٤) للمزيد من الأمثلة يرجع لديوانه مثلاً : ٢٢٩/١ ، ٢٠٠ ، ٨٣ ،
وغيرها من صفحات ديوانه الضخم .

قوله يمدح كثير بن سيار التميمي : (١)

إِنَّ كَثِيرًا كَثِيرًا فَضَلَّ نَائِلَهِ مُرْتَفِعٌ فِي تَعْيِمٍ مُوْقَدٌ النَّارِ (٢)

وقوله يفتخر بقومه : (٣)

| | |
|----------------------------------|---|
| أطار جناة الحرب يوماً مطيرها | وَنَعْرُفُ حَقَّ الْعَشْرَفَيْكَةِ كُلَّمَا |
| روافد مَعْرُوفٍ غَيْرِ غَيْرِهَا | وَفِي أَسْدٍ عَادِيَّ عَزَّ وَفَيْهُمْ |

وقوله يمدح العباس بن المؤيد بن عبد الملك : (٤)

تَرَاهُمْ إِذَا لَا قَاهُمْ يَوْمَ شَهَدُوا يَغْضَبُونَ أَطْرَافَ الْعَيْنِ الطَّوَافِ

وقوله يمدح عبد الملك بن مروان : (٥)

قَوْمٌ أَبُوهُمْ أَبُو الْعَاصِي أَجَادَهُمْ قَرْمَنْجَبْ لِحَرَابٍ مَنَاجِبٍ

وقوله يمدح مالك بن المنذر بن الجارود : (٦)

وَمَنْ يَلْكُ جَارٌ ابْنُ الْمَعْلَى فَقَدْ عَلِدَ عَلَى النَّاسِ لَا يَخْشَى وَلَا يَتَهَضَّمُ

(١) كثير بن سيار التميمي مولىبني سعد وأصلهم من بلاد فارس ، ثم نزلو تشرفاً دعتهم بنو سعد فأبوا .

(٢) ديوان الفرزدق : ٢٢٥/١ .

(٣) ديوان الفرزدق : ٢٢٣/١ .

(٤) ديوان الفرزدق : ١٤/٢ .

(٥) ديوان الفرزدق : ٢٦/١ .

(٦) مالك بن المنذر بن الجارود العبدى من بنى عبد القيس ، أمره خالد ابن عبد الله القسرى على شرطة البصرة ، وولاه مصعب بن الزبير على بنى عبد القيس ، سجنه هشام بن عبد الملك وتوفي سنة (١١٠هـ) انظر الكامل لابن الأثير : ١٠٤/٤ . وديوان الفرزدق : ٢٤٩/٢ .

وطالعنا كتب البلاغة بطائفة من أشعاره استشهد بها العلامة على بعض ألوان البديع ، وبعد الطلاق والجنس من أكثرها . (١) وقدر مانجد هذه الموسيقى الداخلية في المحسنات البدعية والتي لم تكن من الكثرة بحيث تطفى على شعره كل نجدها كذلك نابعة من الكلمات ذاتها كتكراره بعض الألفاظ بنفسها لتأكيد المعنى فتبعد في النفس تشوقاً وتطلعًا إلى ما وراء هذه الألفاظ من معانٍ موحية قوله يفتخر : (٢)

| | |
|---|--|
| فَلِنْ نَحْنُ أَمَانًا إِلَى النَّاسِ وَقُفُوا
وَخَيْلٌ كَرِيعَانِ الْجَرَادِ وَحَرَشَفُ | تَرَى النَّاسَ مَا سِرَّنَا يَسِيرُونَ خَلْفَنَا
أُولُو الْوَقِيفِ مِنْ دُرُوعٍ وَمِنْ قَنَّا
وَبَيْنَانِ بَيْتِ اللَّهِ تَحْنُنْ لَوَاتُّهُ مُشَرَّفُ |
|---|--|

وقوله يمدح عمر بن عبد العزيز : (٥)

| |
|--|
| إِلَيْكَ ائِنْ لَيْلَى يَا ائِنْ لَيْلَى تَجَوَّزَ
فَلَاقَ وَدَ اوْتَادَ فَانَا مَنَاهِلُهُ |
|--|

وقوله كذلك يمدح عبد الله بن أبي بكرة : (٦)

| | |
|--|---|
| أَبَا حَاتِمٍ مَا حَاتِمٍ فِي زَانِي
عَلَّا بِغُثَاءِ سُورَ عَانَةَ غَارِبُهُ | وَلَا التَّلِيلُ تُرمِي بِالسَّفَينِ غَوَارِبُهُ
يَأْجُودَ عِنْدَ الْجُودِ مِنْكَ وَلَا الْذِي |
|--|---|

(١) انظر الصناعتين : ٣١٤ - ٣١٣ . والعمدة : ٩٩/١ .

(٢) ديوان الفرزدق : ٣٢/٢ .

(٣) يرى بعض النقاد القدامي أن هذا البيت من شعر جليل بن معمر العذري الشاعر والشاعر : ٤٤٣/١ .

(٤) الحرشف : جماعة الجراد . (٦) المصدر السابق : ٥٤/١ .

(٥) ديوان الفرزدق : ٨١/٢ .

وقوله يمدح الوليد بن يزيد بن عبد الملك : (١)

بِحَقِّ وَلِيٍّ بَيْنَ يُوسُفَ عِصْمَةَ وَبَيْنَ أَبِي الْعَاصِي

فقد كرر ظرف الزمان ثلاث مرات في مقاطع صوتية متوازية .

وقد يقدر ما يكرر اللفظ بعينه يكرر الحرف الواحد كذلك اما في كلمة

واحدة .. كقوله يمدح الورد الجنفي : (٢)

وَلَمَّا رَأَوَا بِالْأَبْرَقِينَ كَتِبَةَ مُلْمَلَمَةً تَحْمِي الدَّمَارَ وَتَغْضِبُ .

أو يكرره وحده منفردا في البيت الواحد .. كقوله يمدح سليمان بن

عبد الملك : (٣)

جَلَوْعَنْ عَيْنٍ قَدْ كَرِينَ كَلَا وَلَا مَعَ الصَّبَعِ إِذْ نَادَى أَذَانُ الْمُثُوبِ

وقد يأتي تكرار الحرف الواحد في عدة مقاطع صوتية كقوله يمدح -

الوليد بن يزيد بن عبد الملك : (٤)

هُوَ الْمُضْطَفَى بَعْدَ الصَّفَيْنَ لِلْهَدَى وَفِي الْعَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْخِلَافَةِ وَالْقُرْبِ أَبَا اشْتَارَ عُوَاءُ وَعَوَاءُ وَعَوَاءُ حَتَّى اشْتَارَ عُوَاءُ وَعَوَاءُ

فقد كرر حرف " الصاد " في البيت الأول ثلاث مرات بينما كرر حرف

" العين " في البيت الثاني أربع مرات ، وكثاره كذلك حرف " الجيم "

(١) المصدر السابق : ٢٨/١

(٢) الورد بن عبد الله بن حبيب السعدى من تميم وهو من الرجال المحدثين لم أقف على تاريخ وفاته / انظر الطبرى : ٦٠١/٦ ، وديوان

الفرزدق : ٧٣/١

(٣) ديوان الفرزدق : ٢٠/١ (٤) المصدر السابق : ٢٩/١

(١) خمس مرات وكذلك حرف "الباء" في قوله يمدح ابن هبيرة :

أَغْرَى مِنَ الْحُوَالِجِيَادِ إِذَا جَرَى
جَرَى جَرَى عُرْيَانِ الْقَرَا غَيْرَ أَفْجَحَاهَا
وَمَا احْتَالَ مُهْتَالٌ كَعِيلَتِهِ التِّرِي
بِهَا نَفْسُهُ تَحْتَ الضَّرِيْحَةِ أَوْلَجَاهَا

وقوله يفتخر كذلك :

وَكُنْتُ إِذَا عَادَيْتُ قَوْمًا حَطَّلُتُهُمْ
عَلَى الْجَمَرِ حَتَّى يَخْسِمَ الدَّاءُ حَاسِمَهُ
وَجَيَشَ رَبَعَنَاهُ كَانَ زَهَاءَهُ
شَماَرِيخُ طَوْدٍ شَمَخَرٌ مَخَارِمُهُ
كَثِيرٌ الْحَصَى جَمَّ الْوَغَى بَالْعِالِيدَى
يُصْمِمُ السَّمَعَ رَزْهُ وَهَمَاهِمُهُ

"فالباء" تكررت ثلاث مرات في الشطر الثاني من البيت الأول ، بينما تكررت الشين ثلاث مرات في البيت الثاني ، أما المقطع الأول من البيت الثالث فقد تكرر فيه حرف المد "الألف" ثلاث مرات في تناسب صوتي منتظم . ونلحظ في هذه الأبيات وغيرها من شعر الفرزدق - ناحية هامة لها دور بارز في موسيقى الفرزدق الداخلية وهي أن الشاعر كثيراً ما تراه يتبع بعض قوافيه " بالباء " الساكنة ، كما هو الحال في الأبيات السابقة وهذه الباء تساعد على انشاد الشعر والتطاول فيه ، وهي ظاهرة تطالعنا كثيراً في شعر الفرزدق .

ونراه يعبر بصيغ المبالغة كثيراً ، واسم الفاعل الجمعي ليصب المعنى في أذن السامع صبا في جوس موسيقى مؤثر ومحبر عن مقصداته أصدق تعبير .. قوله يفتخر بأبيه

(١) ديوان الفرزدق : ١١٢/١ ١١٨-

(٢) ديوان الفرزدق : ٢٠٨/٢

(٣) المصدر السابق : ٢٩/١

وَقَدْ أَخْصِرْتُ أَيْدِيهِمْ نَارُ غَالِبٍ
إِذَا مَأَرَأُوا نَارًا يَقُولُونَ لِيَتَهَا
لَهُ مِنْ ذَنَابِيْهِ سُفِيفٌ خَيْرٌ حَالِبٍ
إِلَى نَارِ ضَرَابِ الْعَرَاقِيبِ لَمْ يَزَلَّ

وَقُولُهُ مُفْتَحِراً بِتَسْمِ وَانْسَابِهِ إِلَيْهَا : (١)

أَنَا ابْنُ تَسِيمٍ وَالذِي لِي عِزَّهَا
عَلَى النَّاسِ بَذَانُّ مِنَ الْعِزَّةِ مُذْسَرٌ
إِذَا لَمْ يَكُنْ غَيْرَ الْأَسْنَةِ مَفْخَرٌ
وَإِنَّا لِضَرَابِنَ لِلْهَامِ فِي الْوَغَى

وَقُولُهُ يَدْحُجْ زَيْدُ بْنُ الرَّبِيعَ : (٢)

فَتَنِي غَيْرُ مُفْرَاحٍ بِدُنْيَا يُصْرِيبُهَا
وَمِنْ نَكَاتِ الدَّهْرِ غَيْرُ جَزُوعٍ

وَقُولُهُ يَفْتَحُ بِتَسْمِ كَذَلِكَ : (٣)

الظَّارِبُونَ إِذَا الْكَتْبَيْةُ أَحْجَمَتْ
وَالنَّازِلُونَ غَدَاءَ كُلَّ نِرَالٍ
وَالْمُطْعِمُونَ غَدَاءَ كُلَّ شَمَالٍ
وَالضَّامِنُونَ عَلَى الْمُنْيَةِ جَارَهُمْ

وَقُولُهُ يَمْدُحُ يَزِيدَ بْنَ الْمَهْلَبَ : (٤)

فَوَارِسُ ضَرَابِنَ وَالْغَيْشُلُ يَلْتَقِي
عَلَيْهَا عَبِيْطُ الثَّائِرِ الْمَلَهِبِ

(١) المُصْدَرُ السَّابِقُ : ٣٠٢/١ .

(٢) زَيْدُ بْنُ الرَّبِيعِ بْنِ زَيْدٍ بْنِ كَعْبٍ كَانَ وَالْيَا عَلَى هَجْرٍ . دِيْوَانُ الْفَرِزْدَقِ

٣٩٥/١ :

(٣) دِيْوَانُ الْفَرِزْدَقِ : ١٦١/٢ .

(٤) يَزِيدُ بْنُ الْمَهْلَبِ بْنُ أَبِي صَفْرَةَ ، وَلِيَ الْمَشْرِقَ بَعْدَ أَبِيهِ ثَمَّ وَلِيَ الْمَبْرَةَ
لِسَلِيمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلَكِ ثُمَّ عَزَلَهُ عَمْرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَيَشْتَهِرُ بِالسَّخَاءِ
وَالشَّجَاعَةِ تَوْفَى قَتِيلًا سَنَةَ (١٠٢ هـ) . اَنْظُرْ سِيرَ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ : ٤ /
٥٠٣ - ٥٠٦ ، وَالْأَعْلَامُ : ١٨٩/٨ ، وَدِيْوَانُ الْفَرِزْدَقِ : ٤٣/١ .

وهذه الأساليب من صيغ المبالغة واسم الفاعل الجمعي كما نلاحظ في هذه الأبيات كثيرا عند الفرزدق ، وكأنه يريد أن يؤكد معناه ويجهل ما يريد ، وأحيانا تتبع الموسيقى الداخلية عند هذا الشاعر من استعماله لفظا بعينه فيوحي ذلك اللفظ بالمعنى المقصود

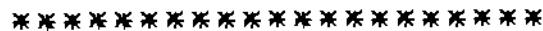
قوله مدح الحاج : (١)

لَقَدْ ضَرَبَ الْحَجَاجُ غَرَبَةَ حَارِمٍ كَمَا جَنَدُ إِبْلِيسَ لَهَا وَتَضَعَّضُوا
فإن التعبير بجملة " تضاعضا " يوحى بالمعنى الذي يريد وهو الفرق الشديد من قبل المنافقين الذين كانوا في العراق والذين وصفهم الشاعر " بجند ابليس " لما ضرب الحاج ضربته تفرقوا شيئا وأحزابا خوفا منه ، فاللفظ في ذاته يوحى بهذا المعنى ولا يمكن أن يعبر عنه غيره بهذا الوضوح والدقة ، فإنه بموسيقاه الصادقة دل على هيبة الحاج وضعف أعدائه أمام جبروته .

ولاشك أن الإيقاع الموسيقى فيما تقدم من نصوص ناتج عن المطابقة الموحية والجنس السهل ، والتكرار المحمود ، وصيغ المبالغة التي جاءت بكراة وفي بعض التقديم والتأخير ومطابقة اللفظ لمقتضى وغير هذا من مظاهر الأسلوب قد تعمقت أصواته ذلك أنفسنا لأنه يبنيء عن عاطفة متداخنة بالمعنى تدل دلالته قاطعة على امتلاء نفس الشاعر بالفكرة وتشبعه بالمعنى مما يثير الخيال ويضفي على شعره قوة وجذالة وبخاصة أن هذا التلاقي الصوتي بين

الألفاظ يؤكد انسجام اللفظ والمعنى ويعطي لشعر الفرزدق رقة
موسيقية غير تلك التي تكمن في الأوزان والقوافي .

وهذه الموسيقى الداخلية التي كان حظ الفرزدق منها عظيما
فيما رأينا من ألوان البداع واصطناعه طرائق جميلة في التعبير
وفي العلاقة بين الدال والمدلول قد أضفت على ألفاظه قوّة
وجمالاً وعلى معانيه عذوبة وعمقاً .



الفصل الثالث

دراسة الفن التعبيري
عند
جكير

" الفصل الثالث "

÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷

* * دراسة الفن التعبيري عند جرير *

لقد اعتمد جرير في مدحه وفخره على أساليب من الفن والبيان (١) لا يصح صوره وعرضها عرضا شيئاً ، وكان يصل إلى الطبع وعدم التكلف كما عرف عنه سرعة البداهة ، والرقابة والحلابة والسهولة في أشعاره كلها ، سواء نقاشه مع الأخطل والفرزدق أو في أشعاره الأخرى التي انتالت منه في أسلوب ميسور واضح المعانى متذفق الصور كالنهر السلس الرقراق ، ولا يعنينا هنا من هذا الشاعر الغزير إلا ما نحن بصدده دراسته ، وهو غرضاً المديح والفاخر وما فيهما من سمات فنية تدل حقاً على شاعرية قوية تنبع من نفسية ليست بالصلدة ولا بالمفرقة في متأهات الغرابة المتمردة على بعض قواعد اللغة العربية . فلقد ابتعد جرير في مدحه وفخره عن الألفاظ الحوشية ، والمعانى المعقدة والعبارات المتعاظلة . ومن هنا

(١) لم أتعرض في دراسة عن جرير التعبيري لمقدماته لأن تلك المقدمات لم تكن هي التي تميز أسلوب جرير ، ولأن الحديث سيأتي عنها في موضع آخر من هذا البحث بخلاف الأخطل فقد كانت مقدماته من أهم الأمور المميزة لفن التعبيري ولذلك تحدث عنها . أما الفرزدق فلم تكن مقدماته تستحق الوقوف عنها فكثيراً ما هجم على غرضه دون مقدمة .

كان اعجاب أهل الباذة والشعراء بشعره (١) ، لأنّه يخلو من التكلّف سهل المعانى والأفكار فهو شاعر الطبع . ومن هنا قالوا : إن جريرا يغرف من بحر (٢) .

ولقد عاش حياة الدعة ، وألفت نفسه حب الباذة وبساطتها فصيغت هذه النفس ببساطة أهلها وصنعت على عينها . أما ما يلفها من حسب هين فكان يتوارى خلف تلك الثقة التي التحمست مع شاعريته فزادت صفاءً وبعداً عن كل ماحوشى سواءً من حيث اللفظ أو الخلق أو الأسلوب .

ولعلنا لا نغالى اذا زعمنا أنه كان يرتفع أحيانا الى مستوى خصمه في المديح والفاخر (٣) من حيث المعانى والأفكار ، أما التعبير عنهمما فيقتضى جزالة لم تسن الا للفرزدق والأخطل اذ كانت تسرى في طبعهما وتتدفق فيه وهذا ما جعلهما يسموان عنه في التعبير عن هذين الفرضين في كثير من الأحيان .

ولقد نجد جريرا في مدائحه ومفاخره ينحو نحو البساطة ويتصيد الألفاظ السهلة فلا يعتمد أسلوبه في هذه المدائح والمفاخر على جملة الألفاظ وقوتها ولا يمعن في المبالغات التي تعدد روح الشعر . (٤)

(١) انظر طبقات فحول الشعراً : ٣٧٥/١ .

(٢) طبقات فحول الشعراً : ٤٥١/١ .

(٣) المصدر السابق : ٣٧٩/١ .

(٤) انظر جرير حياته وشعره د . نعمان طه : ٣٨٠ .

ونهاية ماهنالك أنتا نجده يعتمد أساليب من البيان لا يباح صوره وعرضها وإن لم يقصد إلى هذه الأساليب قصداً فقد استمد من البيئة عناصر تشبيهاته ولم يخرج في هذه التشبيهات عن تقليد الشعراء الأقدمين، فمن هذه التشبيهات مثلاً قوله في مدح عمر ابن عبد العزيز - رضي الله عنه - مصوراً له حال البايسين من النساء والرجال :

كِمْ بِالمواسِمِ مِنْ شَعْنَاءَ أَرْمَلَةَ
وَمَنْ يَتَمِّمُ ضَعِيفَ الصَّوتِ وَالنَّظَرِ
يَدْعُوكَ دُعْوَةَ مُلْهُوفٍ كَأَنَّ بَرِّهِ
خَبَلًا مِنَ الْجَنِّ أَوْ خَبَلًا مِنَ النَّشَرِ
مِنْ يَعْدُكَ تَكَفِي فَقْدَ وَالدَّهِ
كَالْفَرَغِ فِي الْعُشِّ لَمْ يَدْرُجْ وَلَمْ يُطْرِ

وبهذا الأسلوب أثر جرير في نفس عمر بن عبد العزيز لأنَّه رسم له صورة واضحة للضعفاء والمساكين من النساء والرجال والأطفال ولعل سماحة لجرير بالدخول عليه ومنعه جميع الشعراء ^(٢) كان نتيجة لصدق عواطف هذا الشاعر وبخاصة عندما يصور حال البايسين من الناس لأنَّه هو ذاته واحد منهم فهو يعاني نفس المعاناة التي يحسها القراء والمعوزون في المجتمع . ومن هنا كان تأثير عمر -

(١) ديوان جرير : ٤١٥ / ١ .

(٢) النشر : الكلأ اليابس اذا أصابه مطر ينشر أى يحيى فيخرج منه شيء كهيئة الحلمة وذلك داء للغنم . وقال الجوهرى : النشر الكلأ اذا يبس ثم أصابه مطر فى دبر الصيف فاخضر وهو ردئ للراعية يهرب منه الناس بأموالهم / الصحاح (نشر) .

(٣) انظر البداية والنهاية : ٢٦٣ / ٩ .

رضي الله عنه - بهذا الأسلوب بالإضافة إلى الأساليب الأخرى . (١)

وقد أكثر جرير من هذه التشبيهات فقد شبه الخليفة هشام ابن عبد الملك بالبدر بينما شبه من سواه بسائر الكواكب الأخرى فقال في مدحه له (٢) :

إِلَى الْمَهْدِيِّ نَفْزَعُ إِنْ فَزِعْنَا
وَنَسْتَقِي بِغُرْتِهِ الْفَمَامَا
كُضُورُ الْبَدْرِ يَجْتَابُ الظَّلَامَا
وَمَا جَعَلَ الْكَوَافِكَ أَوْ سَهَيْلَاً

وقد شبه خيل قيس بهيئة الطير التي تبادر مسرعة إلى أوكارها فيقول في معرض فخره على الأخطل : (٣)

وَإِذَا الدُّعَاءُ عَلَّا بِقِيسِ الْجَمَّـوا
شُعْثَا عَوَابِسَ كَالْقُنْيَـ ذَكَـرَوا
عَـايَـنَتْ مـشـعـلـةـ الرـعـيـلـ كـانـهـاـ
طـيـرـ تـبـادـرـ فـيـ شـمـامـ وـكـرـواـ

كما يشبه بنى رفاعة بالصقور فيقول مادحا لهم (٤) :

فَلِئِنْ بَنِي رَفَاعَةَ مِنْ تَمِيمٍ
هُمُ الْجَـأـ الْمُؤْمَـلـ وَالنَّصِـيرـ
وَفِي الْهَـيـجـاـ كـانـهـمـ الصـقـورـ
هـمـ الـأـخـيـارـ مـنـكـةـ وـهـدـيـاـ

ويختبر بقومه فيشبههم بالليوث قائلاً (٥) :

(١) المصدر السابق : ٢٦٢/٩ .

(٢) ديوان جرير : ٢٢٥/١ .

(٣) نقائض جرير والأخطل : ١٢٤ .

(٤) مشعة الرعيل : أي الخيل المفترقات .

(٥) ديوان جرير : ٤٦٢/١ . (٦) ديوان جرير : ٢٥٦/٢ .

عمر كهول وشان بهاليل
والغُرَّ من سلفي سعد ولإخوته
مثل الليوث جلاً عن غلبيها الغيظيل
اذا دعا الصارخ الملهوف هجت به

ويقول في مدح الوليد (١) :

وينو الوليد من الوليد ينزل
كالبدر حف بواضحت الأنجُم

فقد شبه كما نرى الوليد بالبدر وأبناءه بالنجوم وهكذا يكتسر
التشبيه المستمد عناصره من البيئة في شعر جرير ، ولكن هذه
التشبيهات تتفاوت فيما بينها من حيث القوة والضعف تبعاً للمدح و
فت شبكات جرير في مدح الولاية أقوى منها في مدح الخلفاء اذ أنها
لانجد لصور شبكاته في مدح الحاج وغيره من الولاية ما يماثلها
في مدح الخلفاء . فain قوة التشبيه حينما يقول في مدح عبد

الملك : (٢)

أنت الأمين الأمين اللهم لا سرف
فيما وليت ولا هيبة ورع
لم يغش غربيه تقليل ولا طبع
يشل المهند لم تبهر ضربته

منها حينما يقول في مدح المهاجرين عبد الله الكلابي : (٣)

ويقصّر دون باعك كل باء
وندعوا أن تصاحب كل مجر
غواريبه والصفحات شبيب
كان البدر تحمله المهاجري

(١) ديوان جرير : ٢١/١

(٢) ديوان جرير : ٢٩٥/١ ، والسرف : المخطى ، والهيبة : الجبان

(٣) ديوان جرير : ٤١١/١

(٤) في بعض الروايات : " كل مجر " وال مجر المراد به الجيش .

فبعد الملك أمن الله مثل السيف الذى تصيب ضرباته ولا تنبو
ولكن المهاجر بن عبد الله فى نظر جرير أكرم الناس وأفضلهم فهو
لابعاً وهو صاحب للجيش فى كل معاركه يتوسب بالنصر دائماً وهو
كاليدر حسناً وبهاءً .

ونلاحظ على جرير أنه يعتمد إلى أسلوب التفضيل كثيراً فیاتى
صيغ سهلة ميسورة يستطيع كل انسان أن يأتي بها فضلاً عن

الشعراء وذلك كاستعماله اسم التفضيل كثيراً كقوله يفتخر : (١)
 أَسْنَا نَحْنُ قَدْ عِلْمَتْ مَعَدْ غَدَةَ الرَّوْعِ أَجَدْ رَأْنَ نَفَارَا
 هَوَادِي الْخَيْلِ صَادِيَةَ حَرَارَا
 بَمَأْرُولِي إِذَا مَالَنَقْعُ شَارَا
 وَأَمْنَعْ جَانِبَاً وَأَمْزَجَ جَارَا
 وأَضْرَبَ بِالسَّيْفِ إِذَا تَلَاقَتْ
 وَأَطْعَنَ حِينَ تَخْتَلِفُ الْعَوَالِي
 وَأَحْمَدَ فِي الْقَرَى وَأَعْزَزَ نَصَارَا

وك قوله يفتخر : (٢)
 فَلَنَحْنُ أَكْرَمُ فِي الْمَنَازِلِ مَنْزِلًا
 مِنْكُمْ وَأَطْلُو فِي السَّمَاءِ جِبَالًا

ونلاحظ على جرير أنه يستخدم صيغ التفضيل في معرض فخره غالباً
كما رأينا في الأبيات السابقة وك قوله أيضاً يفتخر : (٣)

وَمَا وَجَدَ الْمُلُوكُ أَعْزَزَ مِنَّا وَأَسْرَعَ مِنْ فَوَارِسَنَا اسْتِلَابَا

والواقع أن هذا الفخر يخلو أحياناً من القيمة الفنية لأن المفاضلة
بالعمل وبغض الفعال وليس بالكلام المصطنع فسهل على أي انسان

(١) ديوان جرير : ٢/٨٨٨ .

(٢) ديوان جرير : ١/٦٢ . (٣) ديوان جرير : ٢/٨١٥ .

أن يقول : أنا أكرم الناس وأعزهم ولكه من الصعب عليه أن يخترع لنفسه أفعالاً وبطولات لم تكن من سجاياه ولا من سجايا قبيلته وهذا في حقيقة الأمر مايفتقده جرير وعشيرته ، فليجأ كما نرى إلى المبالغات والماضلة التي لايسندها دليل من واقع الشاعر . ومن هنا جاء فخره باهتا يعتمد على قعقة الألفاظ أكثر مما يعتمد على المضمون التاريخي الحقيقى . ولذلك فلا يستغرب عليه أن يأتي بكثير من المؤكّدات في مدحه وفخره كقوله يفتخر : (١)

مَصَالِيْتُ يَوْمَ الرُّوعِ تَلْقَى عِصِيَّنَا سَاقًا وَمَعْصِمًا (٢)
وَإِنَّا لَقَوْلُونَ لِلْخَيْلِ أَقْدَمِي اذا لم يَجِدْ وَغْلُ الْفَوَارِسُ مُقْدَمًا (٣)

فقد أكد هذا الفخر باسمية الجملة وصيغة المبالغة (قوالون) وإذا مادح خليفة فإنه في ضياع العاطفة الصادقة يعمد أحياناً إلى المفعول المطلق فيؤكّد به مدحه كقوله يمدح الوليد بن عبد

الملك : (٤)

وَلَقَدْ سَمَوْتُ إِلَى التَّصَارِي سَمَوَةً رَجَفَتْ لِرَوْقَعَتْهَا جَبَالُ الدَّيْلِمِ

وإذا كان المجاز كما يقول الجاحظ^(٥) منخر العرب في لفتهم وبـ

(١) ديوان جرير : ٩٨٢/٢ :

(٢) مصالٍت : أي ماضون . والريجية : نسبة إلى بني سريح، وكانوا يقيّدون ويخلّين : يقطعن .

(٣) الوغل : الضعيف . (٤) ديوان جرير : ٧١/١ .

(٥) انظر الحيوان - للجاحظ : ٥/٤٢٦-٤٢٥ (مطبعة الحلبي - الطبعة الثانية) .

وبأساليبه اتسعت ، فان جريرا قد اعتمد في مدحه وفخره وان لم يكن مكثرا من هذا الفن ولعل منه قوله في معرض حديثه عن نفسه : (١)

وَلَقَدْ عَجِبْتُ الدِّيَارِ وَأَهْلِهَا
وَالدَّهْرِ كَيْفَ يُبَدِّلُ الْأَبْدَالَ
وَرَأَيْتُ رَاحِلَةَ الصَّبَا قَدْ أَفَرَثَ
بَعْدَ الْوَجِيفِ وَمَلَّ التَّرْحَالَ

ويقول في معرض فخره على الأخطبل : (٢)
 نَحْنُ اجْتَبَيْنَا حِيَاضَ الْمَجْدِ مُتَرْعَةً مِنْ حَوْمَةٍ لَمْ يُخَالِطْ صَفَوْهَا كَدْرَ
 وَحِيَاضَ (٣) الْمَجْدِ هنا انما يريد بها الأفعال والمواطن التي
 يبني بها المجد وكأن جريرا قد جرد الأخطبل وقومه من هذه الصفات
 وقد أتى على الاستعارات ولكنه لم يفرق فيها فجاءت قرينة
 حسنة لا يتعب القاريء في اجرائها وقد ساعدته هذه الاستعارات في
 تحديد ملامحه الأسلوبية وقيمة التعبيرية التي ميزته عن غيره كما
 كانت عونا له في توضيح صوره وخارجها في أسلوب سهل مقبول مع
 أنه لم يعتمد الاكتار منها ومن هذه الاستعارات قوله في مدح
 الخليفة عبد الملك بن مروان : (٤)

(١) ديوان جرير : ٤٨/١ . (٢) ديوان جرير : ١٥٣/١ .

(٣) وفي نقائض جرير والأخطبل : ١٦٩ ورد البيت بالرواية التالية :
 نحن احتضرنا حياض المجد قبلكم والمجد دون لثام الناس محضر

(٤) ديوان جرير : ٩٤/١ ، ونقائض جرير والأخطبل : ١٨٣ .

(٥) ديوان جرير : ٢٥/٢ ، ونقائض جرير والأخطبل : ١٩٤ .

اللَّهُ طَوْكَ الْخِلَافَةَ وَالْهُدَىٰ وَاللَّهُ لَيْسَ لِمَا قَضَىٰ تَنْدِيرًا

وقوله في معرض فخره بنفسه وانتسابه إلى خندف : (١)

تَوَاضَعَتِ الْقَرُومُ^(٢) لِخِنْدِفِيَّٰ إِذَا شِئْنَا تَحْمَطَ ثُمَّ صَالَ

وكل قوله في مدح الخليفة يزيد بن عبد الملك : (٣)

بَدْرٌ عَلَّا فَأَنَارَ لَيْسَ بِأَفْرِيلٍ نُورُ الْبَرِيشَةِ مَالَهُ اسْتِسْرَارٌ

وكل قوله أيضا في نفس المدح : (٤)

كَمْ مِنْ عَدُوٍّ قَجَدَ اللَّهُ دَاهِرُهُمْ كَادُوا بِمَكْرِهِمْ فَارْتَدَ فِي بُورٍ^(٥)

وفي هذا البيت استعارة في قوله "جد" كما أن في الشطر الثاني
كنية عن فشلهم أي فشل أعداء يزيد وذلك في قوله : (فارتد
في بور) وتعد الاستعارة والتشبيه من أكثر الكيفيات الفنية
استعمالا عند جرير ومن هذه الاستعارات أيضا قوله في مدح

يزيد : (٦)

وَعُرُوقٌ نَبْعَتُكُمْ^(٧) لَهَا طِيبُ الشَّرَىٰ وَالفرْعُ لَاجَعْدَ لَوْلَا خَـ سَوار^(٨)

(١) ديوان جرير : ٢/٥٠ ، نقائض جرير والأخطل : ١٩٤ .

(٢) القروم : جمع قرم وهو الفحل من الأبل الذي لم يمسه حبل ولا حمل عليه .

(٣) ديوان جرير : ٢/٦٤٦ .

(٤) ديوان جرير : ١/١٤٩ .

(٥) دايرهم : أي أفناهم عن آخرهم . وجذ : أي قطع أي أنهم تآمروا على الخليفة فباءت مؤامتهم بالفشل .

(٦) ديوان جرير : ٢/١٤٦ . (٧) النبع : المراد بها هنا الأصل والجعد : القصير . (٨) الخوار : الضعيف .

ومن الفنون البلاغية التي اعتمد لها جرير في مدحه وفخره

الكتابة كقوله في مدح آل منظور : (١)

إِنَّ النَّدَى فِي بَنِي ذُبَيْانَ قَدْ عَلِمُوا
وَالْمَحْدُ فِي آلِ مَنْظُورِ بْنِ سَيَارٍ
بِكُلِّ غَيْثٍ مِّنَ الْوَسِيْمِ مِنْ كَارِ
الْمَاطِرِينَ بِأَيْدِيهِمْ نَدَى دِيمَانَا

وك قوله يفتخر أيضاً بعرضيته : (٢)

إِنِّي أَمْرُؤٌ مَصْرِيٌّ فِي أَرْوَمَتِهَا
مَشْهُورٌ عُرْتَى فِيهِمْ وَتَحْجِيلِي
وَالْأَرْزَنُونَ إِذَا خَفَّ الْمَجَاهِيلُ
اَلْأَثْقَلُونَ حَصَّاءً فِي نَدِيْرِهِمْ

ففي البيت الأول استعارة في قوله (أرمتها) وأما الكتابة فهي
في البيت الثاني كتابة عن علامات العجed الفارقة وكثرة عددهم ورجاحة
عقولهم ورذانتها ، ومن هذه الكتابات قوله يمدح المهاجر بن عبد
الله الكلابي : (٣)

إِنَّ الْمَهَاجِرَ حِينَ يَبْسُطُ كَفَهُ
سَبْطُ الْبَنَاتِ طَوِيلٌ عَظِيمٌ السَّاعِدِ .

كتابة عن الكرم وقد كان للطبق دور في مدح جرير وفخره ، ومن
هذا الجنس البلاغي قوله يمدح عمر بن عبد العزيز : (٤)

لِتَعْشَ الْيَوْمَ رِيشِيْ مِمَّ تَشَهِّضُنِيْ
وَتَنْزَلُ الْيُسْرَ مِنْ مَوْضِعِ الْعُسْرِ

(١) ديوان جرير : ٢١٥/٢

(٢) ديوان جرير : ٢٥٢/٢

(٣) ديوان جرير : ٦٣٢/٢

(٤) ديوان جرير : ٤١٢/١

ولا أريد أن أتابع كل ما ورد في مدح جرير وفخره من هذه الفنون البلاغية سواء منها التشبيه والاستعارة أو الكناية والمجاز والطبق أو غيرهذا مما لم نأت عليه هنا ، وإنما قصدت التمثيل ليس إلا . ولقد جاءت هذه الأدوات التعبيرية سهلة واضحة ميسورة ، فلم يكن يتکلفها ، وإنما تأتي عنده بين آونة وأخرى دون أن يقصد هما قصدا فجاءت عذبة رقيقة أضفت على شعره حلاوة وعذوبة ولم يخرج عن مظاهر البيئة العربية ، فاستمد منها صوره وعناصر تشبيهاته ومعانيه كلها مما اتصل به من مظاهر بيئته فسرت أشعاره في نفوس الناس سريان الماء في الأحياء ، بلين قصر مدحه وفخره عن أغراضه الأخرى فان هذين الغرضين لم يعدما الكبير من مظاهر الفنون التعبيري عنده ، فلم يبعد بخياله بعيدا ، بل سبح في رحاب الكون الرب قدم هذه السمات الفنية بأسهل ما يمكن من معنى وبأرق ما تجيشه من مشاعر ، وليس غرضنا في دراسة فن جرير التعبيري تصيد هذه الألوان البدوية والبيانية وما تضمنه فنه مما احتواه علم المعانى بقدر ما نبحث عن الملامح التي ترقى بشعر هذا الشاعر الى درجة الفحولة والقوة مع احتفاظه بطبع السهولة واللين والرقابة والعذوبة فلقد كان جرير سريع الوصول الى المعانى ، يريدها فتسرع اليه فلم تمر عليه لحظة تعثرت فيها المعانى واستعانت عليه ، ولم يكن خلع ضرس عنده أهون عليه من قول بيت شعر كما هو الحال بالنسبة للفرزدق . لأن جريرا يجد المعانى سهلة منقادة اليه ، ولأنه ابتعد عما تعسر أو تقرر من الألفاظ (١)

(١) انظر رحلة الشعراء . مصطفى الشكعة : ٤٢-٤٨ (عالم الكتب بيروت)

ومن هنا سهل على الناس حفظ أشعاره وروايته لأنه كان لسان المجتمع الناطق الذي يعبر عن السواد الأعظم من جمهورهم فينزل بأسلوبه إليهم مراعياً افهامهم وقدراتهم ، ولا يعنينا هنا من نتاجه إلا المديح والفاخر ، فقد كان لهما نصيب واخر من السهولة والوضوح والقوة والضعف حسب ما يتضمن الحال من الشاعر ، وقد انعكست عاطفة جرير على مدحه وفخره فكانت صورة لخيالاً نفسه تجاه من يمدح وتجاه من يفتخر بهم حتى ولو كان الذي يفخر به نفسه وشاعريته .

واذ قد عرفنا هذا فلا غرابة في تميز أسلوب جرير بالسهولة والرقى وحلوه الشعر وسيرورته حتى غداً هذا من أبرز سمات فنه التعبيري . ولقد كانت صوره الفنية بسيطة فلم يعتمد في مقاطعه الفنية على التصوير الحركي كما فعل الأخطل ، وإنما كان يقتصر على الصور البسيطة التي يعطي من خلالها للمسموع وجهاً شرقاً لقضية من القضايا الاجتماعية . تصويره نساء مجتمعه وضعفائهم لعمر بن عبد العزيز أو تصوير نفسه لل الخليفة عبد الملك بن مروان حيث بدا في صورة متناهية من الضعف والاستكانة :

سَأَشْكُرُ إِنْ رَدَدْتَ إِلَيَّ رِيشَى وَأَبْنَىَ الْقَوَادِمَ فِي جَنَاحِى
ولم يقان مدوحة بالفرات أو النيل ، وإنما اكتفى بتشبيهه بالبحر في بيت واحد :

سَامِنَجُ الْبُخَرَ فِي جَنَبِى أَذَاءَ اللَّوْمِ وَانتَظَرِي امْتِيَاجِى
ولعل ما ثبت عنه من أنه كان يقصر المديح فلا يطيله قد حد من

(٣٥٥)

اغراقه في كثير من الصور الفنية التي تعطى للمعنى قوة وجلا ،
ومن هنا قصر حقا عن الفرزدق والأخطل من هذه الناحية ، وغاية
ما يمكننا قوله عن فن جرير التعبيري : أنه سهل المأوى غير معنون
في اصطياد الشوارد وما يترتب عليه من مظاهر الجمال الفني في
المضمون ، ومن هنا كانت التقدمة لصاحبيه في هذين الغرضين .

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

أما فيما يتعلق بالموسيقى الخارجية والداخلية عند جرير فقد وجدت أثناه تتبعى لأوزانه أنه قد ولع بالطويل والواфер ، والكامل والبسيط ، يلى هذه الأوزان الرجز والمقارب . (١) وإن لم ينظم على هذين الوزنين الآخرين إلا ثمانى مقطوعات قصار ، أما بقية الأوزان المتعارف عليها في الشعر العربى المتمثلة في بحور الخليل فلم تجد فى ديوانه المحقق أى أثر يذكر في النظم عليها . ولقد أشار بعض الباحثين المحدثين (٢) إلى أن جريرا كان أكثر ولوعا في نظميه على الواфер .

والواقع أنه قد نجح في النظم على هذا الوزن نجاحا بهراً النقاد اذ جاءت قصائده التي قالها على هذا البحر قوية مؤثرة . إلا أنه من خلال استقراء قصائده وجدت أنه نظم على الطويل كثيرا وهو مما يلى الواфер كثرة ثم يعقبه الكامل والبسيط . وقد استوفى جرير غرضه الذى يريد سوءاً أكان مدحياً أم فخرأ على أى وزن شاء من هذه الأوزان التي لم يخرج في أشعاره كلها عنها ، ولقد تناغمت أوزانه مع عاطفته الصادقة فجاء شعره صورة حية لنفسه وما يختل فيها من عواطف وأحاسيس حتى غدا الشعر بالنسبة له كالسيل الجارف الذى لا يقف في طريقه عائق اذ قد بلغ هذا الفن في عصر جرير قمة

(١) الرجز ويتألف من تكرار (ست فعلن) ست مرات . وأما المقارب : فهو أحد البحور الثانية التفاعيل . وتفاعلاته من نوع واحد (فعولن) .

(٢) انظر جرير حياته وشعره د . نعمان طه : ٣٨٦ .

النضج بعد أن التهبت العصبية القبلية ، واتخذت النقائض أسلوباً متميزاً في الشعر ، فكان جرير واحداً من نرسان هذه النقائض التي اقتضت منه أن ينظم شعره على هذه الأوزان القوية كما فعل الفرزدق والأخطل ليتسنى له نقض أشعارهما . هذا ما يختص بالوزن عند جرير .

أما القافية التي ولع بها : فهي قافية (الراء ، الميم ، اللام ، الدال ، الباء) ولعل الراء كانت أكثر القوافي استعمالاً لحاسته الفنية فكانت الأكثر استعمالاً تليها الحروف الأخرى وكانت أكثر الحروف روايا عند جرير يليها المجموعة الثانية وهي : (النون ، العين ، القاف ، الحاء) ثم تعقبها مجموعةثالثة قل نظمه عليها وهي : (البهزة ، الكاف ، الجيم ، الضاد ، التاء ، الخاء ، الألف اللينة ، الصاد ، الطاء ، الباء ، الفاء ، السين ، الثاء) ولم يزد نظم جرير فيها على ست مقطوعات ، ثم هناك حروف لم ترد روايا من خلال استقرائنا لديوانه المحقق وهذه المجموعة هي (الذال ، الزاي ، الشين ، الظاء ، الغين) (١) .

وجرير في قوافييه يميل إلى حركة الكسر كثيراً إلى ذلك الضم فالفتح ، ثم السكون نادراً . هذا من ناحية الوزن والقافية ، وهذا ما يعرف بالموسيقى الخارجية .

أما موسيقى جرير الداخلية فقد كثرت في شعره غير مستثنين مدحه وفخره ، إذ تميزاً بموسيقية الألفاظ المتباوقة مع بعضها والتي يحسها القارئ وهي ترن في أذنيه بجرسها الأخاذ وقد أعجب

(١) اعتمدت في هذا الإحصاء على فهرس القصائد المرتبة وفق روايتها في فهرس القوافي في ديوانه المحقق : ١١١ / ٢ - ١٣٤ .

عبد الملك بن مروان بمحنته الحائمة (بطون راح) عندما طرق
أذنه مافيها من موسيقى رائعة حتى اذا ماوصل الى ذلك الاستفهام
التقريري الذي هز وجدان عبد الملك :

الْسُّمُّ خَيْرٌ مِّنْ رَكِبِ الْمَطَابِيَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُطْسُونَ رَاحِ

زالت موجده وانحسر غضبه وبدأ يهش له .

وما من شك في أن الاستفهام من أقوى الأساليب في اللغة العربية ، وبخاصة عندما يخرج عن معناه إلى معانٍ بلاغية ثانوية كما هو الحال في هذا البيت . ولقد كانت موهبة جرير الشعرية خير هاد له في اختيار الألفاظ المناسبة وحسن تنسيقها ووضعها بازاء معانيها مما أتاح له فرصة التأثير في نفوس سامعيه .

وكما نلاحظ في البيت السابق فإن الاستفهام التقريري قد زاد من حلاوة اللفظ وقوته تأثيره وتمكنه بمعناه في الذهن فكان لهذا الأسلوب تأثير عظيم في نفس المدح وقد يقف الإنسان متأملاً متعجبًا لحلاوة ألفاظ جرير وجمال جرسها وعمق معانيها في مثل قوله

يفتخـر : (١)

إِمَّا تَرَيْنِي وَهَذَا الدَّهْرُ ذُغْفِرَ فِي مُنْكَبِي وَفِي الْأَصْلَابِ تَحْتِيْبُ
فَقَدْ أَمْدَدَ نِجَادَ السَّيْفِ مُغْتَدِلًا مُثْلَ الرَّدَيْنِيِّ هَذِهِ الْأَنَابِيْبُ
وَقَدْ أَكْفَنَ عَلَى الْحَاجَاتِ دَالِبِ وَأَحْوَذِيَا إِذَا اتَّضَمَ الْذَّعَالِيْبُ
فَهُوَ يَصُورُ حَالَهُ بَعْدَ أَنْ أَصَابَهُ أَحْدَاثُ الدَّهْرِ بِوِيلَاتِهَا فَأَصْبَحَ

محمد ودب الظهر الا أنه يفتخر بأنه والحالة هذه كان يشهر سيفه
معتدل القامة كالرمح اذا اهتز . وهو وان كان يقوى على التصبر
عندما تتغدر عليه بعض الرغائب وال حاجات الا أنه لا صبر له على
التخلی عن النجدة فهو يسرع فيها ويشمر لها وسواء صدق هذه
المعانی على جرير أم لم تصدق فانها حقاً تتميز بصدق العاطفة
وجمال النغم ما أضفی على هذا الفخر جرساً موسيقياً عذباً أسمى
في ايجاد تناغم صوتي مؤثر يتهدى المعنى بين ألفاظه فيطرب
النفس وتريح الوجدان ، وكان جريراً رسام موسيقى معاً يجيد رسم
الصورة البسيطة المعبرة التي لا تكلف فيها وقد سرت فيها موسيقاه
التي تتعش بنغماتها الآذان بل الأبدان ، فهو يكيف تعابيره حسب
ذوقه الخاص واحساسه المرهف .

وحيثما نتتبع مظاهر هذه الموسيقى في مدحه وفخره نجدها تتبع
من أشياء عدة في تركيبة الجملة ، وأول مانلاحظ موسيقية الألفاظ بوجه
عام فهذه الموسيقى لا تظهر في حرف بعيته من أول وهلة بقدر
ظهورها في الألفاظ بعامة وتجاوب تلك الألفاظ مع بعضها فتحدث
انسجاماً صوتياً مؤثراً نشتم فيه عذوبة المعنى ودقته بعيداً عن
التكلف والتعقيد ، وتتجلى هذه الرشاقة في اللفظ والمعنى واضحة
في مثل قوله يمتديح الخليفة هشام بن عبد الملك ، ويستردده مبيناً
أنه قد أنقذه وزوجته وأبنائه من بيلات الجوع والاملاق : (١)

أَبْكَى بَنَىٰ وَأَمْهَمْ طُولُ الطَّوَى
جَمِيع الْمَكَارِمِ وَالْعَزَائِمِ وَالْتَّقَىٰ
إِلَّا رَفَعْتَ بِهَا مَنَارًا لِلْهُدَىٰ
آمِينٌ ثُمَّ وَقَيْتَ أَسْبَابَ الْرَّدَىٰ
حُسْنَ الصَّنَاعَةِ وَالدَّسَائِعِ وَالْعَلَىٰ

لَوْلَا ابْنُ عَاشَةَ الْمَبَارَكَ سَيِّدَهُ
إِنَّ الرُّصَافَةَ مَنْزِلٌ لِلْخَلِيفَةِ
مَا إِنْ تَرَكْتَ مِنَ الْبَلَادِ مَضِيلٌ
أَعْطَيْتَ عَافِيَةً وَنَصْرًا عَاجِلًاٰ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْطَاكَ

نفي هذه الأبيات ألفاظ سهلة أجاد الشاعر بناءها بعضها مع بعض في جمل غاية في السهولة فغدت متجاوحة بعضها مع بعض أبلغ تجاوب وأصبح لها من الواقع الصوتي والتأثير المعنوي مالا ينكره ذوق . وان كانت كلها ألفاظا سهلة ليس فيها تقرر ولا تعقيد ولا غموض ، وليس غريبة أو حوشية ، ولكن عذوبتها تكن في قوة جرسها وحالاته وانسيابها دونها تعب أو كبير تأمل ولا شك في أن هذا شأن شعراء الطبع (١) الذين ينأون بشعرهم عن التكلف والاغراق في الصنعة اللفظية التي قد تذهب بجمال المعنى وتفقده الكثير من الجرس الموسيقي ومثل هذه المعاني والألفاظ في السهولة والرقابة والجمال الموسيقي قوله كذلك يمتدح الخليفة عبد الملك بن مروان (٢)

وَاللَّهُ لَيْسَ لِيَا قَضَىٰ تَبْرِيلٌ
أَمْرٌ تُضْيقُ بِهِ الصَّدْرُ جَلِيلٌ
تَفْلُو الرِّجَالُ إِذَا النَّجَىٰ ضَجَّهُمْ
وَلَىٰ الْمَكَارِمِ وَالْخِلَافَةِ أَهْلَهَا

(١) الدسائع : أى المكارم . (٢) انظر الأغانى : ٣٩٤/٢١ .

(٣) ديوان جرير : ٩٤/١ .

(٤) الأفبح : مفرد فبح وهو الواسع ، انظر المعجم الوسيط مادة (فاح) .

فانظر هنا الى وقع لفظة (طوتك) التي تروع السامع أو القارئ بما تحويه من صورة رائعة استمدت روعتها من ذى الجلالة والاكرام - سبحانه وتعالى - ومن جمال جرس اللفظة ومن احاطتها أى الخلافة بعنقه فلعل هذه الصورة أقوى ماتوضع فيه الخلافة منسوبة الى بشر يحمل أثقالها والى الخالق العظيم يحمل البشر مسؤوليتهم .

وانظر الى حلاوة لفظ (أنيح) الذى يستمد حلاوته من اجتماع الفاء والباء فى هذه الفظة ، والى مجئها على صيغة " أفعل " التى هي من صيغ التهobil والتعظيم ، وأخيراً جمال الصورة التى تكمن فى جملة (الملك أنيح) ومثل هذا قوله كذلك فى معرض فخره : (١)

مَاعَنْ نَابِيَ قَوْمًا أَوْ أَقُولُ لَهُمْ
إِيَّاكُمْ ثُمَّ إِيَّاكُمْ فَإِيَّانَا
لِلنَّاسِ ظُلْمًا وَلَا لِلْحَرْبِ إِذْ هَاجَنَا
أَخْمَى حِمَاءَ بِأَعْلَى الْمَجْدِ مَنْزِلَتِي
مِنْ خَنْدِفِ الْذَّرَامِ قَيْسِ عَيْلَانَا

ولا ينزع أحد فى سهولة هذه الألفاظ حلاوة نغمها الموسيقى الناتج من جمال المعنى وبعض التكرار وتنسيق الألفاظ مما أتساح جمال رنين لدى السامع ، وان أردت مزيد تفصيل فاقرأ الشطر الثاني من البيت الأول وتأمله طويلاً .

هذه هي الألفاظ مجتمعة وما تكونه من موسيقى داخلية عذبة

وهو الجانب الأكثر وضواحا في موسيقى جرير .

وقد نجد لهذه الموسيقى مظاهر أخرى غير اجتماع الألفاظ وذلك في التكرار^(١) الذي يكسب المعنى قوة وجعلا . وهذا التكرار أما لحرف بعينه أو لفظ بعينه أو جملة تامة فتكرار الحرف الواحد قد يأتي في عدة أبيات متتابعة كقوله مدح أبوبن سليمان بن عبد الملك^(٢)

إِنَّ الْإِمَامَ الَّذِي تُرْجِي تَوَافِلَهُ
أَهْلَ الزَّبُورِ وَفِي التَّوْرَاةِ مَكْتُوبٌ
وَاسْتَعْرَفُوا قَالَ مَا فِي الْيَوْمِ شَرِيفٌ
تَوْفِيقٌ يُوسِفٌ إِذْ وَصَاهُ يَعْتُسُوبٌ
اللَّهُ فَضَلَّهُ وَاللَّهُ وَفَقَ

فقد كرر (الهاء) المضمومة في عروض كل بيت من هذه الأبيات ليعطي بذلك صوتاً متميزاً مع أن تكرار الحرف الواحد بعينه قد يأتي في البيت الواحد عدة مرات ك قوله يفاخر بشاعريته :

وَسَيِّرْنَا قَوَافِيَ آبِدَاتٍ
غَلَبَنَ مَهْلِهَلًا وَأَبَا دُوَادٍ
سِرَاعَ السَّيِّرِنَازِحةَ الْمَعَادِ
وَجِنَّ الْخَافِقِينَ يَسْنُنَ فِيمِ

فقد كرر حرف (السين) في البيت الثاني ثلاثة مرات وهذا .

ويقدر ما يكرر الحرف الواحد فقد يكرر كذلك اللفظ الواحد وما عهدنا (١) والتكرار قد يكون محضاً، وقد يكون لتنمية النغم، وقد يأتي لتنمية المعانى الصورية . أنظر : المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها / عبد الله

الطهان^(٢) : ٤٩٥/٢ - ٣٤٨/١ : ٥٢٠ - ٣٤٩ .

(٢) المصدر السابق : ٦٩٢/٢ .

بما أشرنا إليه من تكرار في قوله : (.... اياكم ثم اياكم وايانا)

بعيد ، وكذلك قوله يمدح عمر بن عبد العزيز : (١)

تَرَوْدُ مِثْلَ زَادَ أَبِيكَ فِينَا فَنِعْمَ الزَّادُ زَادُ أَبِيكَ زَادَا

فجاء في أول البيت بالفعل " ترود " ثم كرر لفظ " الزاد "

أربع مرات كما نرى ، وكان هذه المادة تدور حول معنى الترود بالخير

والعدل ، وقد أعطى هذا التكرار في البيت صفة صوتية متزامنة مع

مقاطع الكلمات فزاد المعنى قوة وبيانا ، ومثل هذا قوله كذلك يفتخر

بقبمه الشجعان الذين دافعوا العدى وأئهم شعرت الشعر : (٢)

مَنْعَنَاكُمْ حَتَّى أَبْتَنَيْتُمْ بِرِبِوتَكُمْ وَأَصْدَرَ رَاعِيْكُمْ بِلْجٍ وَأَوْرَدَا
بِشَعْرٍ عَلَى شَعْرٍ مَغَا وَبِرَالضَّحَى إِذَا ثَوَّبَ الدَّاعِي لِرَوْعٍ وَنَسَدَا

فقد كرر الصفة (شعر) مرتين في شطر واحد لتكثيف المعنى

وزيادة تمكينه في النفس ، ولقد نجد جريرا يكرر الجملة الفعلية

بعينها ك قوله يمدح هلال بن أحوز المازني : (٢)

أَلَا رَبَّ سَارِي الْطَرْفَ مِنْ آلِ مَازِنِ إِذَا شَمَرَتْ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ شَمَرَا

فقد كرر الفعل الماضي (شمر) مرتين وكان لهذا التكرار

أثر في توكيد المعنى ووصف مدهونه بالشجاعة المتناهية .

(١) ديوان جريرا : ١١٨/١ .

(٢) المصدر السابق : ٨٥٢/٢ .

(٣) المصدر السابق : ٤٧٠/١ .

(٣٦٤)

وقد نحس هذه الموسيقى من التكرار بالتشديد لبعض الحروف
في البيت الواحد قوله يفتخر : (١)

أَنَا ابْنُ التَّرَى أَذْعُو قَضَاعَةَ نَاصِريٍّ كَالَّتِي زَارَ مَا أَعْدَ وَأَخْرَى
عَزِيدًا مَعَدِيًّا لَهُ ثَرَوَةُ الْحَصَى عَزِيزًا قَضَاعِيًّا وَعِزًا تَنَزَّرَا

فقد كثرت الحروف المشدة في هذا البيت كما نرى حتى بلغت
حركات التشديد ست حركات (معديا ، عزا ، قضاعيا ، عزا ، تنزرا)

وقد يكرر الاسم الواحد في بيتين قوله يفتخر بقيس : (٢)

وَقَيْسُ هُمُ الْكَهْفُ الَّذِي نَسْتَعْدِهُ لِدُفْعِ الْأَعْادِيِّ أَوْ لِحَمْلِ الْعَظَامِ
بَنُو الْمَجْدِ قَيْسُ وَالْعَوَاتِكِ مِنْهُمْ وَلَدُنَّ بُحُورًا لِلْبَحُورِ الْخَضَارِمِ

ان هذا التكرار سواء أكان للحروف بعضها أو للأسماء
والأفعال أو غير هذا مما ورد في مدح وجبريل يوضح نتاجه
بنغمات موسيقية متفاوتة من حيث الانفعال النفسي ، ويتفاوت هذا
الانفعال تبعا لتفاوت هذه الموسيقى الداخلية ومدى ارتباطها
بالغرض الشعري ، فتارة تأتي هذه الموسيقى عذبة تسري في النفس
كما في بعض مدائحه وفخره ، وبخاصة في مدح الولادة وفخره
 بشاعريته وأحيانا تأتي خافتة لا تأثير فيها ولا جدة . وليس شمة
شك في أن موسيقى جبريل الداخلية جاءت صورة معبرة عن نفسه وطبياعه
 وقد أشار إلى هذا الدكتور " نعمان طه " (٢) حيث يرى أن هذه

(١) ديوان جبريل : ٤٢١/١ - ٤٢٢ (٢) المصدر السابق : ١٠٣/٢

- ١٠٤ - (٢) جبريل حياته وشعره . د . نعمان طه : ٣٨٦

(٣٦٥)

الموسيقى الداخلية الهادئة والألفاظ الرقيقة السهلة قد ناسبت
نفسه الهادئة اللينة ، وكذلك خياله الذي يرسم الصورة في ألوان
غير صارخة وكذلك شكل القصيدة الذي يتربّك من الوزن الخارجي
والقافيـة .

الباب الخامس

النقد حول الشعراء الثلاثة

وفييه ثلاثة فصول:
الفصل الأول:

آراء النقاد القدامى في الشعراء الثلاثة
ومناقشتها.

الفصل الثاني:

دراسة المحدثين حول الشعراء الثلاثة
الفصل الثالث:

موازنة بين الشعراء الثلاثة في ضوء
النقد الحديث.

"الباب الخامس"

÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷

* * النقد حول الشعراء الثلاثة *

تربع الأخطل والفرزدق وجرير على قمة الشعر العربي في العصر الاموي ونشبت بينهم معارك هجائية كان فيها الأخطل والفرزدق خصمين لجرير، واستمرت هذه الخصومة زهاء نصف قرن من الزمن .^(١)

لقد ملأ هؤلاء الشعراء الثلاثة الدنيا وشغلوا الناس ، فكان من الطبيعي أن تكثر حولهم الآراء النقدية قدیماً ، وأن تتعدد الدراسات الأدبية حديثاً ، وسنحاول عند تناولنا لهذا الباب أن نستعرض بقدر الامكان أهم هذه الآراء التي دارت حولهم قدیماً ثم تناقشها ، وبعد هذا نردف باستعراض لدراسات المحدثين^(٢) ثم نوافن بين الشعراء الثلاثة في ضوء النقد الحديث .

(١) لج الهجاء بين جرير والفرزدق ، فطلب بشر بن مروان من الأخطل و كانوا جميعاً في مجلسه أن يحكم بينهما فقال الأخطل : الفرزدق ينحدر من صخر و جرير يعرف من بحر ، فلم يرض جرير بهذا الحكم فكان هذا سبب الهجاء بينهما بالإضافة إلى الأسباب الأخرى . انظر : طبقات فحول الشعراء : ٤٢٤، ٤٢٥ / ١ .

(٢) أطلقت عليهم دارسين ولم أقل نقاداً لأنهم في الواقع قاموا بالنقاش والدراسة فكانت هذه الصفة أشمل من كلمة "نقاد" .

الفصل الأول

آراء النقاد القدامى في الشعراء
الثلاثة و مناقشتها

* * الفصل الأول *

آراء النقاد فالقدامي في الشعراء الثلاثة ومناقشتها

* آراء النقاد القدامي في الأخطل *

اختلف النقاد القدامي في هذا الشاعر مابين مت指控 له وعليه ، وتعددت الآراء حوله فوصل بعضها الى حد الغلو اذ جعلته أشعر شعراً العرب قاطبة (١) ، وكان بعض هذه الآراء أقرب الى الاعتدال ، وأبعد عن التطرف والغلو ، بينما وجدنا آراء أخرى للمتقدمين تجعله دون صاحبيه ، وأقل منها شاعرية .

وسترى في هذا الفصل ما كان من هذه الآراء مفرطاً في غلوائه وما كان منصافاً معتدلاً ثم تلك التي كانت على الأخطل لا له .

محاولين في هذا الاستقصاء قدر الامكان .

قال يونس بن حبيب المتوفى سنة ١٨٢هـ (٢) : الأخطل أشعر الثلاثة ، وقد روى هذا عن عيسى بن عمر (ت: ١٩٤هـ) ، وأبى اسحاق الحضرمي (ت: ١١٧هـ) ، وأبى عمرو بن العلاء (ت: ١٥٤هـ) وعنترة الفيل (ت: ١١٧هـ) ، ويعمون الأقرن (٣) .

(١) انظر الأخطل الكبير د. فخر الدين قباوة : ٢٧٢-٢٧١ .

(٢) أمالى اليزيدى : ٨٠ ، والأغانى : ٢٨٣/٨ .

(٣) انظر ترجم هؤلاء الرواة في كتاب نشأة النحو وتأريخ أشهر النحاة للشيخ محمد الطنطاوى : ٦٣ - ٥٧ .

(٤) لم أعثر على تاريخ وفاته ، وانظر ترجمته في أنباء الرواة على أنباء النحاة - للفطسي : ٣٣٢/٣ .

وسائل حماد الرواية (ت: ١٥٥هـ) عن الأخطل فأجاب :

ما سألوني عن رجل قد حبب شعره إلى النصرانية . (١)

وورد عن يونس قوله : أجمعوا العلماء على الأخطل وفضلوه
بأنه كان أكثرهم عدد قصائد طوال جياد ليس فيها فحش ولا سقط . (٢)

وقال عيسى بن عمر في مجلس تذاكره فيه الشعر والشعراء

وأيهم أفضل ؟ أشعر الناس الأخطل حيث يقول :

ونجي ابن بدر ركضه من رماحنا ولينة الأعطاف ملهمة الخضر . (٣)

ثم قال : لله دره كيف يتخلل شعره . (٤)

ولكننا نلحظ أن هذا الحكم الجزئي ليس دليلاً على تفوق
الأخطل تفوقاً كلياً في جميع ما قاله من شعر .

وكان أبو عمرو بن العلاء معجبًا بشعر الأخطل ولا يرى له
مشيلاً في الجودة والغحولة إلا أن تأخره حال دون تفضيله على
الشعراء القدماء ولهذا قال : (٥)

“ لو أدرك الأخطل يوماً واحداً من الجاهلية ما فضلت عليه ”

أحداً . (٦)

(١) الأغانى : ٢٨٥/٨ ، ٢٨٢ ، ٢٨٥/٨ .

(٢) هذا الرأى مردود لأنى استقرأت شعر الفرزدق فوجدت له قصائد
كثيرة طوال جياد قد لا يجاريها أحد .

(٣) لينة الأعطاف : أى الفرس .

(٤) جمهرة أشعار العرب : ١٠٢ - ١٠٣ ، ومعنى يتخلل شعره : أى
يختار كلماته اختيار . (٥) الأغانى : ٢٨٥/٨ .

(٦) ولاشك أن في هذا تعصباً أعمى لهذا الشاعر .

وقد شبّهوه من شعراً الجاهلية بالنابفة لصحة شعره . (١)

كما ورد عن أبي عبيدة (ت : ٢٠٢ هـ) قوله :

" شعراً الاسلام : الأخطل ثم جرير ثم الفرزدق " (٢) .

وقد بلغ من اعتداد الأخطل بنفسه أنه اذا سُئل عن أشعر الناس أجاب : " أنا " . وسئل فيم فضل الشعراً ؟ فقال : في المديح والهجاء والنسيب بما لا يلحق بي فيه . (٣)

وفضله بعض النقاد بأنه كان أشدّهم تهذيباً للشعر (٤) ، كما تعصّب بعض العلماء له فقد موه على صاحبيه .

قال الصولى : " وقدم الأخطل عليهم خلق من العلماء " (٥)
وهذا القول كما نرى غير محدد ولكن بعض الروايات ذكرت أسماءً من فضلا الأخطل ، ومنهم حماد بن الزبرقان الذي قال : (٦)
" أشعر العرب شيخاً وائل الأعشى في الجاهلية ، والأخطل في الاسلام " .

(١) الشعر والشعراء : ٢٨٣/١ .

(٢) الأغانى : ٢٨٦/٨ .

(٣) الشعر والشعراء : ٤٦٢/١ ، ولاشك أن في هذه الإجابة كثيراً من التجاوز إذ أن جريراً فاقه دون شك في النسيب كما نعلم .

(٤) الأغانى : ٢٨٣/٨ .

(٥) أخبار أبي تمام : ١٢٤ .

(٦) شعر الأخطل - صنعة السكري : ١٣/١ .

وقال ابن سلام : سمعت سلمة بن عياش يقول : (١)
” تذاكرنا جريرا والفرزدق والأخطل فقال قائل : من مثل
الأخطل ان في كل بيت له بيتين ” .

وقد كان جرير الشاعر يقول : لقد أنت عليه بکفر وکبر سن
ومرأيته الا خشيت أن يبتلعنى ، وقال : ان الأخطل يجيد نعت
الملوك ويصيّب صفة الخمر ، ثم قال أيضا : الأخطل أشدنا اجتراء
وأرمانا للفرائص . (٢)

وحينما سئل ابن سلام عن بيته جرير والأخطل :
 أَسْتَمْ خَيْرَ مَنْ رَكَبَ الْمَطَايَا
 وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُطْنَ رَاحِ
 ، شَمْسُ الْعَدَا وَهَتَّى مَسْتَقَادَ لَهُمْ
 وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا
 أجاب : بيت جرير أحلى وأسيير ، وبيت الأخطل أجزل وأون
 وهكذا كانا في نفسيهما عند الخاصة والعامة . (٣)

وسئل جرير عنه مرة أخرى فقال : (قاتل الله نصراني بنى
 تغلب فما أنقى شعره وأبين فضله) .
 وقيل لأبي العباس أمير المؤمنين : (أن رجلاً شاعراً قد
 مدحك فتسمع منه ؟) قال : (وماذا عساه أن يقول فيّ بعد قوله

(١) طبقات فحول الشعراء : ٤٨٨/١ .

(٢) طبقات فحول الشعراء : ٤٨٨، ٤٨٢/١ ، والأغانى : ٢٨٤/٨
 ومعنى أرمانا للفرائص : أى للهدف فيصيّب المقتل .

(٣) طبقات فحول الشعراء : ٤٩٤/١ - ٤٩٥ .

ابن النصرانية في بنى أمية) . (١)

شمس العداوة حتى يستقاد لهم وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا

ولعل اعجاب أبي العباس يرجع إلى ما في بيت الأخطل من
تعبير عن السيطرة فهو يريد شاعر يعبر عن سيطرة الحاكم كما عبر
الأخطل في هذا البيت عن سيطرة بنى أمية . (٢)

وحيينما سُئل عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - عَنِ
الأخطل وحرير قال (٣) : إن الأخطل ضيق عليه كفره القول ، وأن
حريراً أوسع عليه إسلامه قوله وقد بلغ منه الأخطل حيث رأيت فضل
الأخطل . وهذا يعيد قول حرير بأنه أعين عليه بكفره وكثير سنه .

وقد سأله عبد الملك بن مروان الفرزدق عن أشعر الناس في
الإسلام فأجابه (٤) : كفاك بابن النصرانية إذا مدح ، وقال الفرزدق
أيضاً : الأخطل أمدح العرب .

وفضله إسحاق بن موار الشيباني قائلًا : (٥) الأخطل أشعر
الثلاثة .

وجاء في كتاب الأغانى قول أبي الفرج : (و محله في الشعر
أكبر من ^{أن} يحتاج إلى وصف) (٦) .

(١) الموضع : ٢٠٧ .

(٢) الأغانى : ٣٠١/٨ .

(٣) الأغانى : ٣٠٦/٨ .

(٤) الأغانى : ٣٠٦/٨ .

(٥) المصدر السابق : ٢٨٢/٨ .

هذه في الواقع أهم الآراء النقدية التي دارت حول الأخطل قدديماً والتي كانت كما رأيناً أباً مفرطة في تفضيله مطلقاً، وأما مفضلة له في بعض شعره كال مدح والوصف والتسبيب . إلا أن هناك آراء نوردها كانت مخالفة لما مضى حيث جعلته دون صاحبيه بما لا يلهمها أبداً .

قال ابن سلام (١) : سألت بشاراً العقيلي الأعمى ، فقلت : يا أبا معاذ أي الثالثة أشعر جرير أو الفرزدق أو الأخطل ؟ ، وكان بشار عالماً بصيراً فقال : لم يكن الأخطل مثلهما ، ولكن ربعة تعصبت له ، وأفروطت فيه .

وروى المرزباني (٢) عن الأصمي قوله : سألت بشار بن برد العقيلي .. أي الشعراً أشعر في الإسلام ؟ قال : جرير والفرزدق قلت : فما بالهم جعلوا الأخطل ثالثاً ؟ قال : تعصبت له ربعة فقلت لمضر : الحقوا لنا شاعراً فألحقوه وليس هناك .

وقال أبو الفرج الأصفهاني (٣) : فاما قدماء أهل العلم والرواة فلم يسروا بينهما وبين الأخطل ، لأنه لم يلحق شأوهما في الشعر ولا له مثل مالهما من فنونه ، ولا تصرف كتصرفهما في سائره . و زعموا أن ربعة أفرطت فيه حتى أحقته بهما .

(١) طبقات نحول الشعراء : ٤٥٦/١ .

(٢) الموسوعة للمرزباني : ٢٢٠ - ٢٢١ .

(٣) الأغاني : ٣٩٤/٢١ ، معجم الأدباء : ٣٠٠/١٩ .

وقال الأصفهانى كذلك (١) : وهو وان كان له فضله وتقديره
 فليس نجره من نجار هذين فى شيء (٢).
 على أن هناك آراء متفرقة فى مصادر الأدب القديمة تشمل
 الشعراء الثلاثة معاً سأعرض لها فى حينها - إن شاء الله - لأن
 تلك الآراء لا تفرق بين الشعراء الثلاثة من حيث أيةهم أفضل من
 صاحبه مطلقاً ، بل كانت تبين مواطن المفاصلة بين بينهم فى بعض
 الأغراض إلا أنها أيضاً كانت أحکاماً جزئية كما سنرى .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

(١) الأغانى : ٤/٨ .

(٢) والنجر : الأصل والحسب يريد أنه ليس من معدنهم .

* * آراء النقاد القدامى فى الفرزدق *

الفرزدق شاعر فحل لولا شعره لضاع ثلث اللغة كما يقول : (١)
 يونس ابن حبيب ويكتفى قول الجاحظ : (وان أحببت أن تروى من
 قصار القصائد شعرا لم يسمع بمثله فالتمس ذلك في قصار قصائد
 الفرزدق فانك لم تر شاعرا قط يجمع التجويد في القصار والطوال
 غيره) (٢) .

وقال خصم جرير الشاعر (٣) : (نبعة الشعر الفرزدق) (٤)
 وفضله على نفسه والأخطل ، وكان يonus يقدم الفرزدق بغير افراط
 وكان المفضل (ت : ١٦٨ هـ) يقدمه تقدمة شديدة .

روى ابن سلام أن الحطيئة الشاعر فضل الفرزدق على نفسه
 وغيرها من الشعراء عندما سمعه ينشد مدحته في سعيد بن العاص

(١) الأغانى : ٣٩٥/٢١ ، البيان والتبيين : ٣٢١/١ .

(٢) الحيوان - للجاحظ : ٩٨/٣ .

(٣) طبقات حول الشعراء : ٢٩٩، ٦٥/١ .

(٤) النبعة : وجمعها النبع : شجر ينبت في قمة الجبل تتخذ من
 أغواذه القسى ، وعودها أصفر رزين ثقيل في اليد ، واذا تقادم -
 احمر . وكل القسى اذا ضمت الى قوس النبع كرمتها قوس النبع
 وفضلتها لأنها أجمع القسى في الشدة .

وجرير يعني : أن فضل شعر الفرزدق على الشعر كقوس النبع
 في فضلها على سائر القسى .

أنظر اللسان (نبع) وطبقات حول الشعراء ٦٥/١ الحاشية .

فقال الحطيبة : (هذا والله هو الشعر لا ماتعمل به منذ اليوم
أيها الأمير) (١) . ف قال له كعب بن جعيل وكان حاضرا : (فضله
على نفسك ولا تفضله على غيرك) ، فقال الحطيبة : (بل والله
أفضله على نفسي وعلى غيري) (٢) .

وقيل للمفضل الضبي : الفرزدق أشعر أم جرير ؟ ..
قال (٣) : الفرزدق لأنه قال بيتا هجا فيه قبيلتين ومدح قبيلتين
وأحسن في ذلك وهو قوله :

عَجِبْتُ لِعِجْلٍ إِذْ تَهَا جِيَ عَبِيدَهَا كَمَا آلَ يَرِبُوعٌ هَجَوا آلَ دَارِمٍ

وفضله سليمان بن عبد الملك على جرير ، وعدى بن الرقاع
العاملي بأبياته التي يفتخر بها والتي منها قوله :

وَلَوْ رَفَعَ السَّحَابَ إِلَيْهِ قَوْمًا عَلَوْنَا فِي السَّطَاءِ إِلَى السَّحَابِ

فقال سليمان : لا تنطقوا فوالله ما ترك لكم مقلا (٤) .

(١) طبقات فحول الشعراء : ٣٢١/١ - ٣٢٢ ، الأغاني : ٢٢١ - ٣٢٣ .

(٢) جاء تفضيل الحطيبة للفرزدق بعد أن سمع القصيدة التي يقول فيها :
شَرِيَ الْفُرَّاجَاجِحَ منْ قَرِيبِي
إِذَا مَا أَمْرَرْتِي الْحَدَّةَ كَانَ عَلَى
بَنِي عَمِ الرَّسُولِ وَرَهْطُ عَمْرُو
وَعُثْمَانَ الْأَلَى غَلَبُوا فَعَلَى
كَانُهُمْ يَرْقَنْ بِهِ هِلَالًا
قِبَامًا يَنْظُرُونَ إِلَى سَعِيدٍ

الأغاني : ٢٨٤/٢١ .

(٤) المصدر السابق : ٣٢٢/٢١ .

(٣٢٦)

وقد امتعض جرير من صمود الفرزدق له وعبر عن هذا الامتعاض بقوله (١) : مادهانى الا أنسى هاجيت كذا وكذا شاعرا وأنه تفرد لى وحده .

وكان الصبرد (ت : ٢٨٥ هـ) يفضله على جرير ، ويقول : (٢)
الفرزدق يأتي بالبيت وأخيه وجرير يأتي بالبيت وابن عمه (٣)
وذكر ابن سلام أن الفرزدق كان أكثرهم بيته مقلدا وأنه كان
يداخل الكلام (٤) وكان ذلك يعجب أصحاب التحو .
وقال أبو الفرج : (٥)

() والفرزدق مقدم على الشعراء الاسلاميين هو وجرير والأخطل
ومحله في الشعر أكبر من أن ينبه عليه بقول أو يدل على مكانه
بوصف ، لأن الخاص والعام يعرفاته بالاسم ، ويعلمان تقدمه بالخير
الشائع علما يستغنى به عن الاطالة في الوصف ، وقد تكلم الناس
في هذا قديما وحديثا وتعصبا واحتجوا بما لا مزيد فيه .

(١) الأغانى : ٢٨٦/٢١ .

(٢) الموشح : ١٩٢ .

(٣) أى أن شعر الفرزدق متساوي القيمة والصيغة الفنية أما أبيات
جرير فتنتفى عنها هذه الناحية .

(٤) يقصد بالمدخلة هنا ماورد في شعر الفرزدق من التقديم
والتأخير .

(٥) الأغانى : ٣٩٣/٢١ - ٣٩٤ .

قال ابن قتيبة^(١) : (وكان الفرزدق معنا مفنا^(٢) يقول في كل شيء وسريع الجواب) .

يقول المرزباني عن البحترى^(٣) : (لا أرى أن أكلم من يفضل جريرا على الفرزدق ولا أعده من العلماء بالشعر) فقيل له : (وكيف وكلامك أشد اتسابا لجرير منه الى الفرزدق ؟) قال : (كذا يقول من لا يعرف الشعر . لعمري أن طبعي بطبيع جرير أشبه ولكن من أين لجرير معانى الفرزدق ، وحسن اختراعه ؟ ، جرير يجيد النسيب ولا يتتجاوز هجاء الفرزدق بأربعة أشياء : القين وقتل الزبير وجعشن والنوار ، والفرزدق يهجوه بأنواع هجاء يخترعها ويدع فيها)^(٤) .

وقال أحمد بن عبيد الله بن عمار^(٥) : كان الفرزدق وهو فحل شعراً الاسلام يأتي بالاحالة وينظم في شعره أمهجن كلام فمن ذلك قوله لابراهيم بن هشام بن اسماعيل المخزومي ، خال هشام ابن عبد الملك :

(١) انظر الشعر والشعراء : ٤٧٣/١ - ٤٧٤ .

(٢) معن : ذوعن واعتراض ، أي أنه فصيح يدخله في كل شيء .
مفن : يفتئن في الكلام أي يشقق في فن بعد فن يأتي بالأفانيين ، وكلها بكسر أوله وفتح ثانيةما وتشديد النون .

(٣) الموسح : ١٩٧ .

(٤) ولكن هذا الرأي في نظرنا غير دقيق لأن البحترى لم يستطع أن يصل إلى رقة جرير .

(٥) الموسح : ١٦٤ - ١٦٥ .

وَمَا مِثْلَهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُلَكًا أَبُو أَمْهَدْ حَسَنْ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ

فأتعجب أهل اللغة والنحو بشرحه .

وكان أبو عمرو بن العلاء يشبه الفرزدق من شعراء الجاهلية

بزهير (١) .

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

(١) انظر الشعر والشعراء : ٤٢٦ / ١

* آراء النقاد القدامي في جرير^(١) *

قال ابن سلام : وسألت الأسيدي - أخا بنى سلامة (٢) - عنهم
فقال : بيوت الشعر أربعة فخر ، ومدح ، ونسب ، وهجاء . وفي
كلها غلب جرير .

وقد فضل بعض النقاد جرييرا على الفرزدق وقال (٣) : كانت
الجريير ضرورة من الشعر لا يحسنها الفرزدق . ولما سمع الفرزدق

قول جویر :

لَئِنْ عَمِّتْ تِيمٌ زَمَانًا بِغَرَّةٍ
لَقَدْ حُدِيَتْ تِيمٌ حُدَاءٌ عَصِيَّبًا (٤)
فَلَا يُضْفَعُ اللَّيْلُ عَكْلًا بِغَرَّةٍ
وَعَكْلٌ يَسْمُونَ الْفَرِيسَ الْمُنْبَسِبًا

الْمَوْلَى : أَخْذَهُ لَا يَأْتِي مَلَكُ الْمَوْتَى .^(٥)

(١) يرى بعض المؤرخين القادمي أن جريرا أشعر من الفرزدق والأخطل وأنه كان خيراً منها . البداية والنهاية (٢٦٠:٩) .

(٢) وهو من بنى سلامة بن غوي بن جودة بن أسيد بن عمرو بن تميم .
انظر جمهرة الأنساب : ٢١٠ .

(٢) طبقات فحول الشعراء : ١ / ٣٢٨ - ٣٢٩ .

(٤) الحداء : زجر الابل من خلفها وسوقها والفناء لها لحثها على السير ، والعصيصب : الشديد . يريد جرير هنا : أنهم سيقوا سوقا شديداً وعنت بهم .

(٥) طبقات حول الشعراء : ١ / ٣٧٦ - ٣٧٧ .

وقد استجاد الجاحظ في بيانه هذه الأبيات وقال : إنها من

جيد شعر جرير^(١) .

وقال ابن قتيبة : كان جرير من فحول شعراء الإسلام ، وبشبه

من شعراء الجاهلية بالأعشى^(٢) .

وقال ابن سلام : وأهل البادية والشراة بشعر جرير أعزب^(٣) .

وروى محمد بن زياد قال^(٤) : كنت أختلف بينهما يومئذ فكان

جرير كان يومئذ أظفرهما .

وسائل أبو محجن من أشعر العرب فقال^(٥) : أخو بنى تميم

يعنى جريرا .

وقد سئل عبيدة بن هلال البشكري عن جرير والفرزدق أيهما

أشعر ؟ قال^(٦) : من يقول :

وَطَوَى الْقِيَادُ مَعَ الطَّرَادِ بُطُونَهَا طَيَّ التَّجَارِ بِحَضْرَمَوَتَ بُرُودًا

قالوا : جرير قال : هو أشعرهما . وقال الأخطل عندما سئل

عن جرير^(٧) : دعوا جريرا أخزاء الله فإنه كان بلا على من صب

عليه ، ثم ذكر قوله يفتخر بشاعريته^(٨) :

مَا قَاتَمَنْ عَوَبٌ إِلَى جَوَادِهِمْ إِلَّا تَرَكَتْ جَوَادَهُمْ مَحْسُورًا

أَبْقَتْ مَرَاكِضَتِي الرَّهَانَ مُجْرِبًا عِنْدَ الْمَوَاطِنِ يَرْزَقُ التَّيْسِيرًا

(١) البيان والتبيين : ٢٢٣-٢٢٢ / ٣ . (٢) الشعر والشعراء : ٤٦٥ / ١ .

(٣) طبقات فحول الشعراء : ١ / ١ - ٣٢٥ . (٤) المصدر السابق : ٤٠٧ / ١ .

(٥) المصدر السابق : ٤٠٨ / ١ . (٦) المصدر السابق : ١ / ١ - ٣٨٢ .

الأغاني : ٤٣ / ٨ . (٧) المصدر السابق : ١ / ١ - ٣٢٦ .

(٨) ديوان جرير : ٢٢٨ / ١ .

(٢٨١)

ولما سمع عبد الملك بن مروان مدحه جرير الحائية (بطن راح) استجادها وطرب لها وأجازه عليها مائة من الأبل وثانية من الرعاء (١) .

وقال الرايع النميري (٢) لما سمع قول جرير :

وَعَا وَمَوِيْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ رَمِيْتُهُ بِقَافِيْهِ أَسْبَابُهُ تَقْطُرُ الدَّمًا
خَرُوجٌ بِأَفْوَاءِ الرَّوَاهِ كَأَنَّهُمْ قَرَاهِنْدُوا نَسِيْيٌ إِذَا هَزَّ صَمَمًا

: ويحكم الا م أن يغلبني مثل هذا ؟ .

وقال أبو عبيدة (٣) : ويحتاج من يقدم جريرا بأنه كان أكثرهم فنون شعر وأسهلهم ألفاظا وأقلهم تكلفا وأرقهم نسيا .

ويروى حماد الرواية عن بعض الرواة قوله (٤) : كان جرير ميدان الشعر ، ومن لم يجر فيه لم يرو شيئا . وكان من هاجسي جريرا فغليبه جرير أرجح عندهم من هاجي شاعرا غير جرير فغلب .
وقيل لبعض الشعراء من أشعر الناس ؟ قال (٥) : النابغة اذا رهب وزهير اذا رغب وجرير اذا غضب . وفي رواية أخرى وجرير اذا رغب .

(١) طبقات فحول الشعراء : ٤١٨ - ٤٢٠ ، الشعر والشعراء : ٤٦٨ / ١

العقد الفريد : ٢٢٨ / ١ .

(٢) طبقات فحول الشعراء : ٤٣٨ / ١ .

(٣) انظر الأغانى : ٥ / ٨ .

(٤) المصدر السابق : ٩ / ٨ .

(٥) انظر العقد الفريد : ١٠٥ - ١٥٢ .

وكان جرير يقول (١) : أنا مدينة الشعر والفرزدق نيعته .

وروى أن عبد الملك فضل جريراً عندما اجتمع الثلاثة في مجلسه وكان بين يديه كيس فيه خمسين دينار فقال لهم (٢) ليقل كل واحد منكم بيته في مدح نفسه ، فأيكم غالب فله الكيس ، فبدر الغرزدق قائلاً :

أَنَا الْقَطْرَانُ وَالشَّعْرَاءُ جَرَبَىٰ وَفِي الْقَطْرَانِ لِلْجَرَبِيِّ شَفَاءُ

قال الأخطل :

فَإِنْ تَكُونَ رِقَّ زَامِلَةٍ فَإِنَّىٰ أَنَا الطَّاعُونُ لَيْسَ لَهُ دُواهُ .

قال جرير :

أَنَا الْمَوْتُ الَّذِي آتَى عَلَيْكُمْ فَلَيْسَ لِهِ أَرْبَبٌ مِنِّي نَجَاءُ .

قال عبد الملك : خذ الكيس فلعمري أن الموت يأتي على كل شيء .

وقيل أن رجلاً سأله جريراً : من أشعر الناس ؟ ، فأخذته بيده وجاء به إلى أبيه عطية ، وكان دميا رث الهيئة بخيلاً ثم قال للسائل أتعرف هذا ؟ إنه أبي . ثم قال : أشعر الناس من فاخر بعشل هذا ثمانين شاعراً وقارعهم به فغلبهم جميعاً (٣) .

(١) المصدر السابق : ٦/٦ .

(٢) انظر ذيل ديوان جرير المحقق : ٢/٢٠ . ومجاني الأدب - ليس شيخو : ٣/٦٢ ، (مطبعة الآباء اليسوعيين - بيروت

١٩٣٦ م) .

(٣) الأغانى : ٨/٤٩ .

هذه الآراء النقدية المتقدمة التي عرضنا لها غنى كل شاعر من الشعراء الثلاثة ليست كل ما قبل عنهم فهناك آراء أخرى تشتملهم جميعاً أو تختص بجرير والفرزدق . وقد أوردوا النقاد على شكل موازنة ، ولعلها أقرب إلى الاعتدال والدقة . اذ أنها لا تطليق الأحكام عامة ، وإنما تحصرها في فنون شعرية أو مقطوعات وقصائد تفاضل فيها بين الشعراء الثلاثة وسنعرض لهذه الآراء هنا تتمة لهذا البحث .

لقد جعلهم ابن سلام مع الراعي التميمي أول طبقات المسلمين

وقال : (١)

فاختلاف الناس فيهم أشد الاختلاف ، وأكثره عامة الاختلاف أو كله في الثلاثة ومن خالف في الراعي قليل كأنه آخرهم عند العامة .
ثم قال : سمعت يونس بن حبيب يقول (٢) : ما شهدت مشهداً
قط ذكر فيه جرير والفرزدق فاجتمع أهل ذلك المجلس على أحد هما .
وقال بعض الرواة عن الثلاثة (٣) : هم عندى كأفراس ثلاثة
أرسلتهم في رهان ، فأحد هما سابق الدهر كله ، وأحد هما مصل
وأحد هما يجيء أحياناً سابق الريح وأحياناً سكتاً (٤) وأحياناً متخلفاً
فأما السابق في كل حالاته فالأخطل ، وأما المصل (٥) في كل حالاته

(١) طبقات فحول الشعراء : ٢٩٩/١ .

(٢) المصدر السابق : ٢٩٩/١ .

(٣) المصدر السابق : ٣٢٤/١ - ٣٢٥ ، الشعر والشعراء : ٤٨٣/١ .

(٤) السكت : آخر الخيل في الرهان .

(٥) والمصل : الذي يجيء بعد السابق وقبل السكت .

فالفرزدق ، وأما الذى يسبق الريح أحياناً ويختلف أحياناً فجريـر .

وكان أبو عمرو بن العلاء يقول^(١) عن جرير والفرزدق : هما
يأذيان يصيادان مابين العتدليب إلى الكركى .

وقال ابن سلام عنهم أيضاً (٢) : ولج الهجاء نحو من أربعين سنة لم يغلب أحد منهم على صاحبه .

وقال أبو عمرو بن العلاء: سئل الأخطل أيمك أشعر ؟ قال (٢) : أنا أمدحهم للملوك وأنعتهم للخمر والحر - يعني النساء وأماجرير فأنسينا وأشبها ، وأما الفرزدق فأفخرنا .

وقال أبو عبيدة (٤) : كان الشعراء في الجاهلية من قيس وليس في الاسلام مثل حظ تميم في الشعر ، وأشار تميم جرير والفردق ، ومن بنى تغلب الأخطل .

وقال ابن سلام : وسئل ابن دأب عنهما فقال (٥) : الفرزدق
أشعر عامة وجريج أشعر خاصة .

وقال حماد الراوية^(٦) : أنشدني الفرزدق يوماً شعراً له ثم

⁽¹⁾ الشعر والشعراء : ٤٦٥ / ١

(٢) طبقات فحول الشعراء : ٣٨٩ / ١

٤٦٢ / ١ : الشعر والشعراء (٣)

الاغاني : ٢١ / ٢٨٤

(٥) صبغات فحول الشعراء : ٢٩٩/١ - ٣٠٠

(٦) الأغاني : ٢٨٥ / ٢١ - ٢٨٦ .

قال : أتيت الكلب ؟ يعني جريرا ، قلت : نعم . قال : فأنا أشعر أم هو ؟ قلت : أنت في بعض وهو في بعض . قال : لم تناصحني . قال : قلت هو أشعر منك اذا أرخي خنقه ، وأنت أشعر منه اذا خفت او رجوت . قال : قضيت لي والله عليه وهل الشعر الا في الخير والشر ؟ .

قال أبو الفرج (١) : واختلفوا بعد اجتماعهم على تقديم هذه الطبقة في أيهم أحق بالتقدم على سائرها . . . أما من كان يصل إلى جزالة الشعر وفخامته وشدة أسره فيقدم الفرزدق ، وأما من كان يميل إلى أشعار المطبعين وإلى الكلام السمع السهل الفزل فيقدم جريرا .

وروى أبو عبيدة ومحمد بن سلام ، والأصمعي قول أحمد بن عبد العزيز عن عبد الرحمن بن شيبة قال (٢) : اتفقت العرب على أن أشعر أهل الإسلام ثلاثة جرير والفرزدق والأخطل . واختلفوا في تقديم بعضهم على بعض .

وقال أبو عبيدة (٣) : كان أبو عمرو يشبه جريرا بالأعشى والفرزدق بزهير والأخطل بالنابغة .

وقال ابن خلكان (٤) : أجمعوا على أنه ليس في شعراء الإسلام

(١) انظر الأغانى : ٣٩٣/٢١ - ٣٩٤ .

(٢) المصدر السابق : ٤/٨ - ٥ .

(٣) المصدر السابق : ٥/٨ .

(٤) شذرات الذهب في أخبار من ذهب - لابن العماد الحنبلي : ١٤/١ .

مثلهما والأخطل ، وفضل جرير بيته الأربعة الفخر والمديح والهجاء والتشبيب .

وروى الجاحظ عن أبي عبيدة^(١) : أن الشعراء المسلمين الذين هجوا فوضعوا من قدر من هجوه ، ومدحوا فرفعوا من قدر من مدحوا ، وهجاهم قوم فروا عليهم فأفحموهم ، وسكت عنهم بعض من هجوه مخافة التعرض لهم ، وسكتوا عن بعض من هجاهم رغبة بأنفسهم عن الرد . هم جرير والفرزدق والأخطل .

وقال أبو عبيدة أيضاً^(٢) : أجمع الناس على أن أشعر الناس في الإسلام ثلاثة وهم : الفرزدق وجرير والأخطل وذلك أنهم أعطوا حظاً في الشعر لم يعطه أحد في الإسلام .

وفضلهم ابن الأثير على شعراء العرب أولاً وآخراً فقال^(٣) : (والذهب عندى في تفضيل الشعراء أن الفرزدق وجريرا والأخطل أشعر العرب أولاً وآخراً ، ومن وقف على الأشعار ووقف على دواوين هؤلاء الثلاثة ، علم ما أشرت إليه) ولعل خير ما نهى به هذه الآراء قول خالد بن صفوان عندما

(١) البيان والتبيين : ٤/٨٣ .

(٢) جمهرة أشعار العرب : ٩٩ .

(٣) المثل المسائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير ٣٢٤/٢ : (مكتبة نهضة مصر - الطبعة الأولى - ٥١٣٧٩) .

طلب منه هشام بن عبد الملك أن يصف له جريرا والفرزدق والأخطل
فقال (١) :

" يا أمير المؤمنين أما أعظمهم فخرا وأبعدهم ذكرا وأحسنهم
عذرا وأسirهم مثلا وأقلهم غزا وأحلامهم علا ، البحر الطامى اذا
زخر والحاوى اذا ذعر والسامى اذا خطر ، الذى اذا هدر جال
واذا خطر صالح ، الفصيح اللسان الطويل العنان ... فالفرزدق .
واما احسنهم نعتا وأمدحهم بيتا وأقلهم فوتا الذى ان هجا
وضع ، وان مدح رفع .. فالأخطل .

واما أغزيرهم بحرا وأرقهم شعرا وأكثرهم ذكرا ، الأغر الأبلق
الذى ان طلب لم يسبق وان طلب لم يلحق .. فجرير .
وكبئم ذكى الغواد رفيع العماد وارى الزناد .. .

وقد استجاد سلمة بن عبد الملك هذه الموازنة اللطيفة
التي تنم عن معرفة بأحوال الشعراء الثلاثة فأصدر هذا الناقد
حكمه بحيث استطاع أن يبين في شيء يسير من التفصيل بعض المزايا
الفنية لكل شاعر .

xxxxxxxxxxxxxx

(١) انظر زهر الآداب : ٦٣٤/٢ .

* * مناقشة آراء النقاد القدامى فى الشعراء الثلاثة *

لقد كانت آراء النقاد القدامى كما رأينا فى الشعراء الثلاثة متباعدة ، فمثلاً نجدها فى الأخطل : اما مفضلة له عن سواه من شعراء العرب قاطبة تفضيلاً مطلقاً ، أو فى بعض الأغراض ، أو تجعله أشعر طبقة أو مساواها لصاحبيه ، وتأتى أخبار أخرى تنقض السابقة فتجعله دون جرير والفرزدق (١) . وتضطرب هذه الأخبار أيضاً بالنسبة للفرزدق وجرير فلا تجمع على أيهما أفضل أو دون صاحبيه ، أو يجعلهم مع الأخطل فى درجة واحدة .

وهذه الآراء التى أوردناها ليست كل ما قبل عن جرير والفرزدق والأخطل ، فهناك آراء مبثوثة فى كتب الأدب يلغى من الكثرة بحيث لا نستطيع أن نأتى عليها هنا ، وقد تجاوزنا ذكرها لأنها لا تخرج فى مضمونها عما ذكرنا باختلاف فى الرواية أحياناً من حيث اللفظ ، ولذلك آثرت ايراد أهم الآراء التى دارات قدیماً حولهم لاشك أن تقويم الشعراء والمفاضلة بينهم كل هذا يحتاج إلى دراسة مستفيضة تشمل كل ما قالوه من شعر فى أغراض المختلفة ، فلقد اختلف المتقدمون وتبينوا فى مسألة التقويم وجاءت فى هذا الموضوع

(١) انظر مثلاً : جمهرة أشعار العرب: ١٠٢/١ - ١٠٣ ، والأغانى : ٢٩١/٨ ، والشعر والشعراء : ٢٨٣/١ ، طبقات فحول الشعراء : ٤٥٦،٤٨٨ ، الموسوعة : ٢٠٢ ، معجم الأدباء

أحكام مختلفة متناقضة تجعل هذا الشاعر أو ذاك من الثلاثة
أشعر العرب لايديانيه أحد من الشعراء ولا يجاريه ، وحينما آخر
تجعله دون الفحول من أقرانه ، وحينما تضعه في الطبقة الأولى
من شعراء عصره ، وهذا التضارب العجيب في هذه الآراء يبين لنا
حقيقة المسار النطوي للماح آنذاك . وربما أن نقل هذه الأخبار
بالشفافية قبل تدوينها في الكتب قد خضع في الفهم والأداء للأهواء
فنالها شيء من التحوير والتبدل (١) . وقد حس النقاد بهذا فرفض
بعضهم أن يوانن بين الثلاثة بالنشر وانما ضمن موازنته في أبيات من
الشعر لئلا تتعرض للتحوير والتصحيف فقال عندما طلب منه الحكم
على الشعراء الثلاثة (٢) :

| | |
|--|--|
| حُلُو الْكَلَامِ وَمَرَّةً لِجَرِيرٍ
وَحَوْيَ اللَّهِ بِعِدِيْحُوا الْمَشْهُورِ
وَهِجَاوَهُ قَدْ سَارَ كُلَّ مَسِيرٍ | ذَهَبَ الغَرَبَادُ بِالْفَخَارِ وَلِنَمَا
وَلَقَدْ هَجَأَ نَامِضَ أَخْطَلَ تَغْلِبِ
كُلُّ الْثَّلَاثَةِ قَدْ أَجَادَ فَدَحَّةَ |
|--|--|

وليس شمة من شك في أن هذا التضارب والتبابن في الآراء
النطوية القديمة يجعل الباحث المنصف يقف وقفة متأنية كي يدرس هذه
الآراء في محاولة لمناقشتها . لأن نقادنا القدامي تركوا لنا ارشا
نطويًا زاخرا بالأحكام المتباعدة والمتناقضه (٣) والتي يصعب معها

(١) انظر الأخطل الكبير للدكتور فخر الدين قباوة : ٢٩١ .

(٢) طبقات فحول الشعراء : ٣٢٨/١ ، وصاحب هذه الموازنة هو: مروان بن أبي حنيفة .

(٣) لقد بلغ من تناقض هذه الآراء أننا نجد حمادا الراوية معجبًا بالأخطل

ومقدما له على صاحبيه في موضع ثم نجد رواية أخرى فيها حماد الراوية

الخروج بنتيجة مرضية . وهذه الآراء وان كانت تضع لنا ملامح نقدية فنية يمكن من خلالها وضع الأسس الفنية للحكم على النتاج الشعري الا أنها ملا مع موجزة مختزلة لا تنظر للشاعر من حيث غزارة شعره وتدفق معانيه وتحسن مواطن الضعف والاجادة لاصدار الحكم ، ولذا كانت هذه الآراء في مجملها الى العموم والسطحية أكبر منها الى العمق والاستقصاء .

والنقاد القدامى كما رأينا أيضا لم يعنوا بدراسة الشعر كله وتتبعه واستقصائه ، ولم يعقدوا الموازنات الشاملة التي يمكننا أن نتبين من خلالها صدق هذا الحكم أو ذاك على أيّ من شعرائنا الثلاثة .

ومن هنا كانت آراؤهم تحمل طابع النقد اللماح المركز الذى يكتفى بالاشارة ويبعد عن التفصيل (١) .
ومع تقديرنا لهذه الآراء وأصحابها ، والاعتراف بجهودهم
اذ من خلالها استطاع النقد فيما بعد أن يتوصل الى نتائج جيدة
في الحكم على الأثر ، وكانت هذه الآراء نواة للنقد الأدبي بمفهومه
الواسع في العصور اللاحقة (٢) .

(=) تجعل الأخطل دون جرير والفرزدق .

انظر أطلى البيزدى : ٨٠ ، الأغانى : ٢٨٣/٨ .

(١) الأخطل شاعر بنى أصمة د. سيد غازى : ٢١٢ .

(٢) كانت هناك عوامل كثيرة أثرت في النقد اللغوى وساعدت على ازدهاره لعل من أهمها الرواية والتعمق للقدم والتطور اللغوى ومن هنا ازدهر النقد في القرن الرابع الهجرى وكان النقد اللغوى نواة لهذا الازدهار . انظر النظرية النقدية لفند العرب د . هند حسين طه :

نقول : ان نقادنا القدماء لم يفصلوا القول ، ولم يعمدوا الى تحليل النصوص تحليلا أدبيا يمكننا من الوقوف على خصائصها الدقيقة وأسرارها الفنية . وما يكمن فيها من جمال فني ، ولم يقابلوا النصوص بعضها ببعض بل اكتفوا بالاشارة الدالة والرأى الشخصى لكل ناقد فجاء نقادهم فى رأينا جزئيا فى أغلب حالاته مبنية على الفطرة والذوق لا على تحليل النصوص والوقوف على خصائصها^(١) . وكان المسار اللغوى للنقد آنذاك سمة بارزة فعمد اللغويون الى تتبع سقطات الشعراء النحوية كما فعلوا مع الفرزدق ، ومن ثم كانت تبنى بعض الأحكام^(٢) فى المقابلة بين أصحاب الفن مما أثار جدلا بين النحاة والشعراء وأصبحت سالة التفاضل بين أرباب الشعر سالة خاضعة للرأى الجزئى واصدار الحكم من خلال بيت أو أبيات معدودة أعجب بها هذا الناقد من زاوية معينة حتى أن الشاعر نفسه أصبح لا يتتردد اذا سُئل من أشعر الناس أن يقول أنا^(٣) .

فقد سُئل الأخطل ذات مرة من أشعر الناس فأجاب أشعار الناس رجل فى قصيصى^(٤) .

ولقد كانت للنقاد القدماء لفتات جزئية فى النقد ، فقد سُئل ابن سلام عن بيته جرير والأخطل فى مدح عبد الملك كما رأينا

(١) انظر أنس النقد الأدبي عند العرب د . أحمد أحمد بدوى : ٦-٥ .

(٢) انظر نظرية اللغة فى النقد العربى د . عبد الحكيم راضى : ٢٣-٩ .

(٣) جمهرة أشعار العرب : ١٠٣ ، ١٠٢ ، الأغانى : ٢٩٤-٢٩٣ / ٨ .

(٤) الأغانى : ٢٨٢ / ٨ .

فأشار الى حلاوة وسirورة بيت جرير ورصانة وجذالة بيت الأخطل
وسائل الفرزدق من أشعر الناس؟ فقال : أنا وقال جرير أيضا
أنا مدينة الشعر^(١) ، وأخذوا على الأخطل بعض السقطات الفنية
كتوله في مدح سماك بن حمير الأسدى^(٢) :

نعم المجير سماك من بني أسد
بالطف اذ قتلت جيرانها مضر
قد كت أحسيبه قينا وأنبيئه
فال يوم طير عن أثوابه الشرر

وكان يقال لرهمه القبور ، وهذا مدح كالهجاء . وقد حدث
عكس هذا عندما أراد أن يهجو سعيد بن منجوف فقال^(٣) :

وماجذع سوء خرب السوسosome
لما حملته وائل بمطريق

فقال سعيد : هجوتني بزعمك فمدحتني لأنك جعلت وائل حملتني
أمرها ..

كما أخذوا على الفرزدق أنه يأتي بالاحالة في شعره وينظم
أهجن كلام ويتعجب بذلك أهل النحو ومنهم سيبويه شيخ النحاة^(٤) .
وأخذوا على جرير كذلك أن في شعره كثيراً مما جاد لفظه
وحسن فإذا فتشت عن المعنى لم تجد شيئاً ذا فائدة^(٥) .

(١) الأغانى : ٣٦٦/٢١ ، ٥٣/٨٠ .

(٢) الشعر والشعراء : ٤٨٧/١ - ٤٨٨ .

(٣) الشعر والشعراء : ٤٨٨/١ .

(٤) الموشح : ١٦٤ - ١٦٥ .

(٥) الشعر والشعراء : ٦٨-٦٦/١ . ولعل ابن قتيبة من أكثر النقاد القدامى
انصافاً وعمقاً وقد ألقى موقفه عن كاهل النقد بعض الأثقال التي لاصلة
لها بالعمل الفني وقيمه .

وهكذا كانت آراء القدامى فى مجلتها تميل الى الاجتزاء ، والتعصيم والحكم من خلال أبيات معدودة لا ينبعى للناقد الحصيف أن يحكم على شعراً لهم ثراءً شعري يتسم أغلبه بالقوة والجزالة من خلال بيت واحد ، ويقارن مقارنة لا ترقى الى درجة النقد الوعي . سواء كانت هذه المقارنة من حيث الجودة أم من حيث المأخذ وعدم الاستحسان . وهذا ما وقع فيه النقاد القدامى اذ لم يفصلوا القول فى مواطن هذه الاجادة أو تلك السقطات الفنية ولكنهم اكتفوا بالبيت الواحد للشاعر أو الرأى الموجز للناقد يحکمون به على أن هذا أشعر العرب أو مدح العرب أو أشعر شعراً طبقته أو دونهما أو يتهمون الشاعر بالسرقة وانتهال شعر غيره كما حدث للفرزدق حينما اتهموه بأنه كان يغير على شعر غيره فينسبه لنفسه وهكذا . (١)

وخلال هذه القول حول هذه الآراء النقدية للقداماء أنها كانت أحكاماً جزئية قصيرة تعمد الى التركيز الجزئي أكثر من التوسيع فى الاستقراء واصدار الحكم ولم تكن صادرة نتيجة استقراء تام ولم يكشفوا عن مواطن الجمال الفنى لدى الشاعر أو يبينوا الأثر الذى لا يرقى الى درجة الجودة والاستحسان . وقد كان الجانب اللغوى سيدرا على اتجاه النقد فاهتموا بالجانب النحوى وتتبعوا سقطات الشعراء النحوية (٢) وابتعدوا عن التحليل المفصل فلم يبينوا خصائص ومقومات

(١) انظر الموضع : ١٦٢ .

(٢) انظر الطراز الموسي فى صناعة الاعشاء - محمد النجار : ٣٢ .

كل شاعر ولم يتعرضوا للتيارات الاجتماعية التي أثرت في فن الشعراء الثلاثة ، وقد أغفلوا الجوانب السياسية والظروف النفسية لكل شاعر والتي مان شك في أن لها دورها في موهبة الشعراء كما رأينا من قبل (١) .

بقيت لنا ملحوظة هي أن بني أمية من أمثال عبد الملك بن مروان وابنه الوليد ، وسليمان وغيرهم من الخلفاء والأمراء كانت آراءهم في الشعراء الثلاثة تحمل شيئاً من التأثير السياسي ففضلوا الأخطل بادئ الأمر ثم تجافي له الوليد وقرب ابن الرقاع كما قرب سليمان بن عبد الملك الفرزدق ، وهذا ..
 ومن هنا فإن آراء هؤلاء يمكن أن يشوبها شيء من التعصب السياسي ، وبالتالي ينبغي للباحث العنصف أن يأخذ هذه الأقوال بحذر حين الاستعارة بها كما فعل بعض الدارسين المحدثين عندما تحدث عن الأخطل (٢) .

×××××××

(١) انظر الباب الأول من هذا البحث .

(٢) انظر الأخطل الكبير د . فخر الدين قباوة : ٢٩١ ، والموازنة بين الشعراء د . زكي مبارك : ٢٠-١٦ (مصطفى الحلبي الطبعة الثالثة ١٣٩٣هـ) .

الفصل الثاني

دراسات المحدثين
حول الشعراء الثلاثة

" الفصل الثاني "

+ + + + + + + + + +

* * دراسات المحدثين حول الشعراء الثلاثة * *

—————

لقد كان من الطبيعي أن تقوم في العصر الحديث حول الشعراء الثلاثة دراسات متعددة نظراً لما يمثلونه في الأدب العربي من قيمة فنية، وما خلفوه للدارسين من نتاج يحتاج إلى البحث والاستقراء، وكان لابد لهذه الدراسات أن تعمق، وأن تكون أكثر تخصصاً من ذي قبل، وأن تستفيد من آراء القدامي ودراساته في عملية التقييم.

وقد تناول مؤرخوا الأدب في العصر الحديث جريحاً والفرزدق، والأخطل بالدراسة ولكنهم كانوا يميلون في دراساتهم هذه إلى الاختصار لأنهم إنما يُؤرخون للأدب ورواده فلا يتقصون كل جوانب شخصية الشاعر أو الأديب، وما يتعصب نفسه، وإنما يقومون بجمع النصوص وترتيبها وتوزيعها على عصور الأدب المختلفة، ويقسمون الشعراء والأدباء والنصوص إلى مدارس ومنذئات ذاهب

(١) انظر على سبيل المثال : تاريخ الأدب العربي "بروكليمان" ، تاريخ الأدب العربي - عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي - حنا الفاخوري ومن تاريخ الأدب العربي - د. طه حسين ، تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي - د. يوسف خليف ، تاريخ آداب اللغة العربية - جرجي زيدان ، وتاريخ الأدب العربي - العصر الإسلامي د. شوقي ضيف ، موسوعة "فؤاد سزكين" ، تاريخ التراث العربي المجلد الثاني الجزء الثالث من الطبعة العربية (جامعة الإمام) وكلهم مع غيرهم تحدثوا عن الشعراء الثلاثة باقتضاب .

وأغراض^(١) إلا أنها ظهرت في هذا العصر دراسات أكثر تخصصاً تناولت بالتفصيل كل شاعر على حدة وحلل هؤلاء الدارسون كثيراً من النصوص وأصدروا بذلك أحكامهم التي جاءت تتلاءم وطبيعة الدراسة المتأنية ولن أتناول هنا كتب تاريخ الأدب وما في حكمها كدائرة المعارف الإسلامية وبعض الكتب الأخرى التي تناولت الشعراء الثلاث كتاب "الهجاء والهجاءون" للدكتور محمد حسين ، و"دراسات في أدب ونصوص العصر الأموي" للدكتور محمد عبد القادر أحمد ، و"أدب السياسة في العصر الأموي" للدكتور أحمد الحوفي ودراسة "نقائض جرير والأخطل" للدكتور عبد المجيد المحتسبي وغيرها من الكتب المؤلفة في العصر الحديث .

وسأقتصر على الدراسات المتخصصة بشيء من البيان والايضاح - باذن الله - .

xxxxxxxxxxxxxx

(١) انظر تاريخ نشأة علوم البلاغة وأطوارها للدكتور عبد العزيز عرفة ص ١٣) (دار الطباعة المحمدية بالأزهر - الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ) .

لقد قامت حول الأخطل دراسات عديدة في العصر الحديث نظراً لما له من قيمة فنية في الشعر العربي، وقد انبرى بادىء ذي بدء الأدب (أنطون صالحاني اليسومي)^(١) فأكب على دراسة شعر الأخطل منذ عام (١٨٩١م) وحتى عام (١٩٣٨م)^(٢). وبقيت آثار الأدب صالحاني هذه عدة دارسين لهذا الشاعر فيما بعد، وقد أصبح العثور عليها مع مرور الزمن من الصعوبة بمكان نظراً لنفادها.

(١) أنطون بن عبد الله الصالحاني الدمشقي كاهن أديب من الآباء اليسوعيين سريانى كاثوليكى ولد بدمشق وتعلم فى لبنان وهو من المؤلفين الذين اشتهروا بذلك . توفي حوالي سنة (١٣٦٠هـ) .

انظر الاعلام : ٢٨/٢ .

(٢) حيث أصدر عام (١٨٩١م) شعر الأخطل عن نسخة بطرسبيرج ، وفي العام (١٩٠٥م) أصدر شعر الأخطل عن نسخة بغداد ، واستمر فى نشر نتاج هذا الشاعر فأصدر شعر الأخطل عن نسخة اليمن عام (١٩٠٩م) ، ونقاىض جرير والأخطل عام (١٩٢٢م) وذيل ديوان الأخطل عام (١٩٢٥م) والشذر الذهبى فى شعر الأخطل التغلبى عام (١٩٢٥م) والتكملا لشعر الأخطل عن نسخة طهران عام (١٩٣٨م) .

وقد تخلل ذلك كل مقالات ودراسات نشرها في مجلة المشرق ، تحدث فيها عن كل ما يتعلق بالأخطل من حيث نشأته وشعره وحياته انظر مقدمة ديوان شعر الأخطل تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة : ٢/١: ٤٢٥/٢٠، ٤٣٢/٦، ٩٢/٨، ٢٠٢٢/٢١، ٣٥/٢٢، ٢٣٩ . وكل اصدارات الصالحاني هذه كانت تصدر من بيروت .

انظر تاريخ الأدب العربي "بروكمان" : ٢٠٨/٢ .

وفي عام (١٩٥٠م) قام الدكتور " سيد غازي " بدراسة شاملة تحت عنوان (الأخطل شاعر بنى أمية) (١) اعتمد فيها على دراسة " صالحاني " فيما يتعلق بالنصوص الشعرية . وقد تناول في هذه الدراسة حياة الشاعر الأولى قبل اتصاله بالأمويين اذ تحدث عن بيئته الأخطل ونشأته وركز على الجوانب التاريخية والسياسية ، وأشار الى اتصال الأخطل ببني أمية أول مرة في خلافة معاوية كما أشار الى تلك الأسباب التي خدمت هذا الشاعر حتى أوصلته الى قمة المجد الذي يتوق اليه ، وأخرجته من حيز القبيلة والبادية الى بلاط الخلفاء وعليه القوم (٢) .

وقد أحصى قصائد المديح عنده احصاء مجملًا من خلال حديثه عن شعره في بني أمية وبين بعض القيم الفنية في هذه المدائح ، ثم تحدث عن الأهاجي وركز على الجانب السياسي الذي كان من أدق العوامل في اذكاء نارها ، وقد ذكر أقوال القدامي في الأخطل ليخلص الى الحكم بأن السبق في المديح للأخطل دون جرير والفرزدق . وذلك من خلال موازنته بين الشعراء الثلاثة من حيث الخصائص الفنية .

(١) هذه الدراسة بحث نال به المؤلف درجة الماجستير في الآداب من جامعة الاسكندرية وطبع بدار المعارف في نفس العام في كتاب يقع في (٢٦٥) صفحة .

(٢) انظر هذه الدراسة : ١٤٧ - ١٤٩ .

وعلى الرغم من أن هذه الدراسة قد أقتضت الضوء على جوانب كثيرة من شخصية الأخطل الفنية .. إلا أن هناك بعض الجوانب الهامة قد أغفلها هذا الباحث لعل من أهمها أنه أخذ آراء - السابقين دون محاولة منه لمناقشتها اذ سلم بها وعليها بنى حكمه وكان الأولى به أن يتعرض لتلك الآراء بالمناقشة والدراسة فلعل فيها بعض العيوب أو النقص ، كما أنه أغرق اغراقا في الجوانب التاريخية فأطّال في دراسة هذه الناحية اطالة مفرطة حتى ليحيل للقارئ أن هذه الدراسة تاريخية وليس أدبية ، وإن كان المنهج التاريخي من أهم العناصر الأدبية ، إلا أن الاغراق في دراسة الجوانب التاريخية واهمال الجوانب الفنية قد ينأى بالباحث أحيانا عن ابراز الوجه الحقيقي للشخصية الأدبية . هذا مانظنه عينا يوخذ على الدكتور سيد غازي في دراسته عن الأخطل .

وفي عام (١٩٦٢م) قام الدكتور " فخر الدين قباوة " باعادة تحقيق وطبع ديوان الأخطل ونشره في جزئين وأظهره في حلقة قشيّة ثم أتبع ذلك دراسة وافية عن الأخطل بعنوان (الأخطل الكبير . حياته وشخصيته وقيمة الفنية) (١) وتوضح أهمية هذه الدراسة من عنوانها حيث تعد أولى وأشمل من دراسة الدكتور سيد غازي وبخاصة فيما يتعلق بعرض آراء القدامي فقد عرضها ثم ناقشها مناقشة علمية

(١) دراسة كاملة تقع في (٣٦٥) صفحة عن الأخطل بالإضافة إلى تحقيق شعره في جزئين بلغ حجمها (٩٣٩) صفحة ، والدراسة والتحقيق من منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت - عام

وبين مافيها من تضارب في بعض الأحيان ومن تعصب أعمى في أحياناً أخرى فجاءت هذه الدراسة أكثر تخصصاً إذ ترجم للشاعر ترجمة وافية تعرض فيها لاسمه وكتبه وأسرته وقبيلته ، وتاريخ مولده ، وكيف وصل إلى مكانة سامية أصبح فيها شاعر بنى آية بلا منازع ، ثم درس بشيء من التفصيل انحسار شاعريته عندما تقدمت به السن ودأهنته الشيخوخة . كما تحدث عن سماته الخلقية والعقلية والسياسية والدينية على أن الجانب الأكثر أهمية في هذه الدراسة هو الجانب الفني المتمثل في القيمة الفنية لهذا الشاعر ، فقد أشار هذا الدارس أولاً إلى ما يعرض الباحث في تقويم شعر الأخطل من مشكلات في دراسة العمل الفني وتقويمه لوجود آراء متباينة ومتضاربة للنقد القديم يصعب معها الخروج برأي فصل إلا بعد تدقيق وتمحیص .

ومن هنا كانت دراسته لفن الأخطل الشعري وتقويمه حيث بدأ باستعراض لآراء النقاد القدماء حول هذا الشاعر سواء منها ما كان له أم عليه أم ما كان معتدلا دون الإفراط والتغريط ، ومن ثم قسم هذه الآراء وناقشها وخرج بنتيجة مؤداها أنه لم يبق للأخطل من الأغراض التي أجاد فيها سوى المديح ووصف الخمر . وقد بين بعض السمات الفنية لهذا الشاعر فأشار إلى أنه من عبيد الشعر ونادى له وبال مقابل فقد أشار إلى بعض السقطات الفنية التي أخذت عليه ، ثم ختم هذه الدراسة بالحديث عن تأثيره وتأثيره بالنسبة للشعراء السابقين والمعاصرين له^(١) .

(١) انظر هذه الدراسة : ٢٦٣ - ٢٦٥ .

ولكن هذا الدارس لم يتبع دراسته هذه بعقد موازنة فنية بين الأخطل وصاحبيه فجاءت ناقصة من هذه الناحية حيث اكتفى بابراز آراء النقاد القدامى فى الأخطل وبعضاً لآراء النقدية القديمه التي كانت تجمع الثلاثة فى موازنة مقتضبة ينقصها الاستقراء التام لكل شاعر^(١). فلو قام بها الدكتور " فخر الدين قباوة " لجاءت دراسته هذه من أوفى ماكتب عن الأخطل فى العصر الحديث . وعلى أى حال فإنها وفت ببعض ماقصرت فيه دراسة السابقين عن هذا الشاعر .

وفي عام (١٩٧٩م) صدرت لailia حاوی دراسة عن الأخطل بعنوان (الأخطل في سيرته ونفسه وشعره^(٢)) ولكنها لم تكن في مستوى دراسة الدكتور قباوة فهو وإن تحدث عن موطن الشاعر وقبيلته وأسرته ونشأته إلى غير ذلك إلا أنه أسرف في التحليلات النفسية في أثناء تناوله للنص ، وقد ينأى التحليل النفسي عن مفهوم النقد الأدبي السليم في بعض الأحيان فلا يعتمد على منطلقات فنية ثابتة تتعلق بالتأثير لا بالشاعر ، ولكن هذا الدارس اهتم في دراسته هذه بظواهر الانفعال النفسي أكثر من اهتمامه بالقيم الفنية حتى إذا ماجأه ليدرس بعض النصوص دراسة فنية تخبط يميناً وشمالاً لينفي العلاقة

(١) انظر الأخطل الكبير حياته وشخصيته وقيمه الفنية د . فخرالدين قباوة - : ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٧٩ - ٢٧٨ وغيرها .

(٢) تقع هذه الدراسة في (٦٦٠) صفحة وهي مع ضخامتها تقل جودة عن سابقتها للأسباب المشار إليها هنا . وقد صدر هذا الكتاب في بيروت في طبعته الثانية عام ١٩٨١ م .

بين اليد والعطاء وهو مايعرف في البلاغة العربية بالكتابة فقد قال
محللاً لقول الأخطل في مدح خالد بن أسد :

أَخَالِدْ مَا وَأَكْمَلْ مِنْ حَلْ وَاسْعَ
وَكَفَاكَ غَيْثَ لِلصَّعَالِيكَ مُرْسَلٌ

فَيَقُولُ مَعْلِقاً عَلَى هَذَا الْبَيْتِ^(١) :

“... ان نسبة الغيث الى اليد لا تستقيم اذ لا علاقة حسية
ممكنة بينهما بالرغم من العلاقة الذهنية الافتراضية ... لكن نسبة اليد
إلى الغيث مباشرة جعلت للتشبيه مودى ذهنيا ينطوى على اختلال
فعلى ، وتثبت له فضيلة التعبير الصورى الذى يكاد الأخطل
لا يكف عنه ... ” .

ويمثل هذه التعبيرات الغامضة التي تتأى عن الذوق العربي
والسلبية العربية يعني " هذا الدارس " في تحليل كثير من نصوص
الأخطل الشعرية التي تناول من خلالها دراسة فن الأخطل ولكن
قيمة هذه الدراسة تكمن في الجزء التاريخي منها حينما ثُحدث عن
تغلب قبيلة الشاعر ثم اسمه ونسبه وولادته وفتوته وديانته واتصاله
بالخلفاء . أما الجانب الفنى فلم يوفق هذا الدارس فيه . فقد
تحدث عن مدائح الأخطل باختصار ثم اكتفى بشرح وتحليل مدحه
واحدة وهى رأيته (خف القطين) في مدح عبد الملك ثم أردف
بالحديث عن الأهاجى والمفاخر والوصف كما قام بجمع شعر الأخطل
في ديوان وشرح بعض مفرداته وأبياته شرعاً مقتضاها . ولم يقسم

(١) الأخطل في سيرته ونفسيته وشعره - ألييا حاوي : ١٧٠ - ١٧١ .

بعقد موازنة بين الأخطل وصاحبيه ، فلم يتعرض لجرير والفرزدق إلا في صفحة واحدة عندما أراد أن يذكر أن الأخطل قد وضع معهما في طبقة واحدة وقد تعصب -لنصرانيته - للأخطل ففضله على جرير والفرزدق في حديث مقتضب لا يرقى إلى درجة الموازنة الدقيقة (١)، حيث اعتمد على الآراء التي تفضل الأخطل على صاحبيه فأورد هما دون مناقشة ، ولعله مؤمن بها على عواهنهما .

وفي سلسلة من الروائع قام " فؤاد البستاني " بانتخاب بعض المدائح والخمريات والأوصاف وغيرها من الأغراض في شعر الأخطل ، وشرحها بايجاز ، ولكن هذا الشرح لم يصل الى درجة النقد الأدبي الذي يبين من خلاله مواطن الجمال الفنى لـ شاعر ومواطن الابداع الذى

(١) انظر هذه الدراسة : ٥١ - ٥٥

(٢) باستعراض موجز لطبعات ديوان الفرزدق نجد المستشرق الفرنسي

"ريشارد بوشيه" قد قام بطبع جزء منه وترجمه للفرنسيّة سنة

— يوسف الألماني المستشرق قام عام (١٩٠٠م) وفي عام (١٨٧٠م)

أما الدراسات المتخصصة التي قامت حول الفرزدق فكان من أهمها وأشملها دراسة الدكتور "شاكر الفحام" في كتابه (الفرزدق) الذي أصدره سنة (١٣٩٧هـ) في دمشق^(١)، وقد تناول في هذه (=) هل "بإصدار الجزء الثاني في "بيانخ" وبقى هذا العمل مرجع الباحثين في شعر الفرزدق في العصر الحديث بالإضافة إلى ما قام به السيد "أمين بن عمر زيتونة" في مصر عام (١٨٢٦م) حينما أصدر ديوان الفرزدق ضمن خمسة دواوين لشاعراء مختلفين، وفي مصر عام (١٩٣٦م) أصدر الأستاذ عبد الله الصاوي ديوان الفرزدق في جزئين، وظل مرجع للدارسين حتى الآن رغم ظهور آخر طبعة مصورة للديوان عن طبعة الصاوي في بيروت والتي أصدرتها دار صادر عام (١٩٦٠م) وهي معتمدة على طبعة الصاوي بعد أن اختصرت منها بعض المقدمات النثرية للقصائد . وصدرت طبعة أخرى عن دار بيروت للطباعة والنشر عام ١٤٠٠هـ .

كما قام كذلك "إليا الحاوي" بشرح ديوان الفرزدق عام (١٩٨٣م) ومع هذا كله فلم يتحقق حتى الآن . انظر تاريخ التراث العربي د. فؤاد سزكين (٢٢/٣ - ٢٩) . (ترجمة د. محمود فهمي حجازي طبع جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية ١٤٠٣هـ) .

(١) طبع الكتاب في بيروت ويقع في (٥٣٠) صفحة من منشورات دار الفكر وهو رسالته التي نال بها درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة (١٩٦٣م) .

الدراسة بيئة الشاعر وحياته فتحدث عن المظاهر السياسية والاجتماعية والدينية والفكرية والأدبية ثم تحدث عن قبيلته وأسرته ونشأته وشبابه ورحلته الى الحجاز فارا من " زياد " في خلافة معاوية ، وصلاته بالولاة والخلفاء وأيام شيخوخته ، وقد خص شعر الفرزدق بجزء من هذه الدراسة فتحدث عن الديوان وتوثيقه ونقاشه الفرزدق مع جرير صورتها وأغراضها وخصائصها الفنية كما تحدث عن الهجاء والغزل قبل الأعراض الأخرى التي تكلم عنها كذلك ، وهي الغزل والوصف والمدح والرثاء ، وختم هذه الدراسة بالحديث عن الطواهر — اللغوية والنحوية وأخيرا خصائصه المعنوية واللفظية .

وتعد هذه الدراسة أشمل ما كتب عن الفرزدق في العصر الحديث لأن الكاتب عاش مع شعر الفرزدق فترة من الزمن يستجلی روائعه ويحلل فنه ويدرس خصائصه المعنوية ، فأخرج لنا هذه الدراسة بعد أن رأى أن الفرزدق رأس الشعراء المسلمين (١) وأغزهم شعرا لم يحظ بنصيبه الذي يستحقه من الدراسات الناقدة . فجاءت هذه الدراسة شاملة ضافية في كثير من الجوانب ، ولبيه أتبعها دراسة وتحقيق ديوانه كما فعل الدكتور " نعسان طه " في دراسته عن جرير صنو الفرزدق والأخطبل ، كما أنه لم يعقد موازنة مستقلة بين الشعراء الثلاثة مع أن الأمر يتضمن هذا وإن كان في أثناء حديثه عن النقاشه وخصائصها الفنية قد تعرض لجرير كثيرا ووان بين بعض الصور عنده عند الفرزدق ، إلا أن هذا لا يفي بالغرض

(١) انظر هذه الدراسة : ٦

المطلوب لأن النقائض في مجلتها هجاء وفخر بين الفرزدق وجريس
فخرج الأخطل من هذه الموازنة ، وأيا كان الأمر فان هذه الدراسة
تعد أشمل ماكتب عن هذا الشاعر كما قلنا ، وهي شمعة تضيء
الطريق لدراسة الفرزدق الذي لم يأخذ نصيه في دراسات المحدثين
وتحقيقاتهم للتراث العربي وهذا قصور يؤخذ عليه المثقفون والمهتمون
بدراسة تراثنا العربي في العصر الحديث .

ولم يكن الدكتور "الفحام" وحده هو الذي درس الفرزدق ففي
سلسلة نوابغ الفكر العربي أصدر الدكتور "مدوح حقي" دراسة موجزة
عن الفرزدق (١) بدأها بالحديث عن الحركات السياسية وتعدد الأحزاب
في العراق والشام في عصره ، ثم تناول بالحديث الموجز الشاعر من
حيث اسمه ولقبه وكنيته ونسبه وطفولته وشبابه وزوجاته وأولاده وشيخوخته
وقد تكلم عنه كشخصية سياسية وكشاعر فتحدث عن الهجاء والمدح
والفخر والغزل والرثاء والوصف في شعره ولكنه كان موجزا في كل
حديثه فجاءت هذه الدراسة مخلة بكثير من الجوانب الهامة لشخصية
الفرزدق وقد أشار إلى تأثيره وتأثيره وماخذ العلماء عليه ، كما أردف
دراسته باختيار بعض المنتخبات من آثاره الشعرية وأثبت أن أنه انفرد
بالفخر والاقذاع دون صاحبيه ، ولكن هذه الدراسة ينقصها الكثير
ما لم يهتم به هذا الدارس كالموازنة بين الشعراء الثلاثة والخصائص
الفنية وبعض الظواهر الأخرى في أسلوبه كالتقديم والتأخير والغرابة

(١) تقع هذه الدراسة الموجزة في (٩٥) صفحة من مطبوعات دار
المعارف بمصر .

والتعليق ومن هنا كان قصور هذه الدراسة الموجزة .

هذه في الواقع أهم الدراسات التي تناولت الفرزدق في العصر الحديث بالإضافة إلى ما كتب عنه في كتاب تاريخ الأدب الحديث وغيرها من الكتب هنا وهناك وبعض المقالات التي نشرت في بعض المجلات.^(١)

ومهما يكن من أمر فسيظل العمل ناقصاً مالما
حق ديوانه الكبير الذي تفتقر إليه
المكتبة الأدبية والتراث العربي الأصيل .

أما جرير فقد نال عنوان
فأقة من الدارسين المحدثين فقد
قامت حوله دراسات متعددة كان من أهمها وأشملها دراسة الدكتور
"نعمان طه" في كتابه "جرير حياته وشعره"^(٢)
وتعد هذه الدراسة أوفى الدراسات الحديثة عن "جرير"
تناول فيها المؤلف البيئة الجغرافية التي عاش فيها الشاعر كما

(١) انظر ثبتاً باهم ما كتب عن الفرزدق في الدراسة التي قام بها الدكتور شاكر الفحام : ١٩٥٥، وأشار هنا إلى أن الدكتور "مصطفى عبد الواحد" قد قام بدراسة وافية لأثر الإسلام في شعر الفرزدق وصدرت هذه الدراسة سنة (١٤٠٢هـ) في طبعتها الأولى بدار

الإصلاح في الدمام .

(٢) تقع هذه الدراسة في (٤٠٠) صفحة من منشورات دار المعارف المصرية سنة (١٩٦٨م) .

تحدث عن البيئة السياسية والاجتماعية والنقدية في العصر الأموي ليخلص من هذا كله إلى الحديث عن بيئته الشاعر الخاصة حيث تكلم عن " تميم " في الجاهلية من حيث تاريخها ونسبها وقبائلها وحروفيها وعلاقتها بالقبائل الأخرى كما تحدث عنها في الإسلام وبعد ذلك تحدث عن أسرة الشاعر وأجداده ، وأولاده ، وأحفاده ، ومتى بدأ يقول شعرا ، والتحمام مع الشعراء ثم حياته الاجتماعية الخاصة والعامة واتصاله بالولاق والخلفاء وتطوافه بالبلدان و موقفه من العصبيات القبلية وأخلاقه وصفاته وملكته النقدية ثم أردد دراسته ببعض مآخذ النقاد عليه وتكلم عن المهاجنة بينه وبين صاحبيه وغيرهما من الشعراء الذين كانوا ينهاشونه ، ثم تحدث عنه بين صاحبيه الأخطل والفرزدق فأورد آراء القدماء ثم ناقشها وبخاصة ما يتعلق بجرير وأما الأخطل والفرزدق فقد رأى هذا الدارس أن يرجح حكمه عليهم لأنه كما يقول : (لا يمكن أن أبدى الرأي في الفرزدق والأخطل لأنني لم أدرسهما الدراسة التفصيلية ولم أحلى مع شعرهما وأخبارهما حياة نفسية أستطيع بها في النهاية الحكم عليهم) (١) .

ومن هنا وما أوحىت علينا به عبارة الدكتور نعمان جاءت — دراستنا لهرؤلاء الثلاثة - والا فان دراسة الدكتور " نعمان طه " وافية شاملة - علينا نكمل ما بقى من خلال موازنتنا بين الشعراء الثلاثة في الفصل الثالث من هذا الباب - باذن الله - .

ولقد تحدث هذا الدارس عن جرير شاعرا فتكلم عن أغراض

(١) جرير حياته وشعره د . نعمان طه : ٢٠٩ .

شعره متداولاً بالمديح ففصل القول فيه وبين ميزاته وخصائصه الفنية كما تكلم عن الغزل ، والنسيب ، والهجاء ، ونقاشه مع الفرزدق والأخطل ، ثم تناول الفخر وبين ميزة هذا الغرض عند جرير وأنه لم يقصد إليه قصداً ، وإنما دفعه إلى ذلك مارأه من فخر الفرزدق فأراد أن يصطنع له فخراً يطامن به من فخر الفرزدق القوى ، وأشار إلى الطبيعة في شعر جرير فذكر وصفه للصحراء التي قطعها أثناء رحلاته ، كما وصف الأبل والحصان وغير ذلك من مظاهر الطبيعة الصامتة والمتحركة ، وذكر العتاب والرثاء عند جرير فتحدثت عن ذلك مبيناً الجانب الحزين في نفس هذا الشاعر فقد كان جرير رقيق القلب ومثل لهذا من شعره ، كما ذيل هذه الدراسة الواقية بتلخيص ضاف للسمات الفنية في شعر جرير تناول فيها صور هذا الشاعر الفنية من خلال أغراضه وصياغته لهذا الفن الشعري وأسلوبه وبين أن جريراً لم يعتمد في ذلك على جملة الألفاظ وقوتها أو المبالغات الخيالية وعرض لموسيقاه الشعرية ، فذكر تجاوب موسيقى اللحظة الواحدة مع موسيقى الألفاظ مجتمعة ، وقد رأى جرير الجرس الموسيقي الذي يعبر عن روح المعنى ، وهكذا تناول كل السمات الفنية التي تلوح للدارس في شعر جرير فبسط الحديث عنها ووضح مواطن الجمال الفني والضعف في نتاج هذا الشاعر ولم يترك شيئاً يستحق البحث ويتعلق بجرير إلا وفاته حقه في هذه الدراسة وقد زاد عمله اتقاناً أنه أردف بعد ذلك بتحقيق ديوان جرير في جزئين بلغ حجمهما (١٢٦٦) صفحة^(١) وقد سهل بذلك على



الدارسين لشعر جرير حيث استقصى كل نتاجه بالدراسة والبحث والتحقيق .

وان كانت قد قامت دراسات أخرى حول هذا الشاعر الا أنها ليست من العمق والاستقصاء الذي يمكن في كتاب الدكتور "نعمان طه" .

ولعل من هذه الدراسات الحديثة أيضاً ما قام به الأستاذ محمد ابراهيم جمعة في دراسته الموجزة عن جرير ضمن سلسلة نوابغ الفكر العربي (٢) .

كما قام الدكتور محمد عبد العزيز الكفراوى بدراسة أخرى - بعنوان جرير ونقاشه مع شعراء عصره (٢) تحدث فيها عن بعض المظاهر السياسية والقيم الفنية لشعر جرير وخصوصاته مع الشعراء وستبقى هذه الدراسات دون دراسة الدكتور نعمان طه من حيث الشمول والاستقصاء لجوانب شخصية جرير الفنية .

هذه في الواقع أهم الدراسات التي تناولت الشعراء الثلاثة والتي خصصها دارسوها لتناول الشعراء كل على حده حسب مارأينا هنا والحقيقة أننا لا ندعى الكمال فليست كل ما قيل عن هذا المثلث ولكنها قد تكون أهم ما قيل ، ومهما يكن فميدان البحث

(١) تقع هذه الدراسة الموجزة في (١٣٠) صفحة من الحجم الصغير وقد طبعت بدار المعارف المصرية سنة ١٩٨٠ م .

(٢) طبعت هذه الدراسة الموجزة بالقاهرة دار نهضة مصر للطبع والنشر وتقع في (١٣٨) صفحة من الحجم الصغير ولم أقف على تاريخ نشرها .

والدراسة لهؤلاء الشعراء الفحول لا يزال واسعاً نأمل أن تتلوهـا دراسات أخرى تكشف عن المزيد من الأسرار الجمالية لنتاجهم والقيمة الفنية فيهـ للموازنة بينهم موازنة استقرائية شاملة ، فبصدقها تعرف الأشياء كما يقولون ، ولابد أن يوضع الشعراء الثلاثة في لوحة واحدة وهذا ما سأحاول أن أفعله في الفصل التالي - باذن اللهـ - للموازنـة النقدية بينهم .



الفصل الثالث

موازنة بين الشعراء الثلاثة
في ضوء النقد الحديث

" الفصل الثالث "

÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷ ÷

* * موازنة بين الشعراء الثلاثة في *

* ضوء النقد الحديث *

—————

أجمع نقاد الشعر على أن لواءه في العصر الأموي عقد للشاعرَ
الثلاثة جرير والفرزدق والأخطل ، ولكنهم اختلفوا في السابق منهم (١)
ولقد تحامي كثير من الأدباء وأهل البصر بالشعر عن تقديم
أحدهم على صاحبيه كما رأينا من قبل . ولعل الخصومة التي نشببت
بينهم كانت من أقوى الأساليب الرئيسية التي أدت إلى ظهور آراء
متعددة حولهم لم تجمع على أحدهم أفضل فقد وضعهم ابن سلام
رأس طبقات المسلمين وبين اختلاف الناس فيهم (٢) ، فإذا كان
النقد القديم الذي دار حول هؤلاء الشعراء لاماً موجزاً يعتمد
إلى الجزئيات البسيطة فيحكم من خلالها مركزاً على نقاط معينة أشارت
النقد استحساناً أو قبحاً فان هذه النقاط لا ترقى إلى مستوى النقد
الواعي الذي يعتمد إلى الميزانات الدقيقة بعد الاستقرار التام ، ومن
هنا فإن النقد الحديث لم يعد ينظر إلى الشاعر نظرة جزئية
من خلال البيت أو البيتين أو حتى القصيدة الواحدة فيحكم من

(١) انظر المنهل العذب في الأدب العربي وتاريخه . أحمد محمد الإمام

٩٨ : شركة المدينة للطباعة والنشر بجدة) .

(٢) انظر طبقات حول الشعراء : ٢٩٩/١ .

خلالها ، ولم تعد مسألة الموازنة بين الشعراء في النقد الحديث ترکز على أيهم أفضل بقدر ما هي ساورة جادة لتحسس مواطن الجمال الغنى والاجادة عند الشاعر^(١) . اذ أن لكل منهجه وتجاربه في الحياة . وقدراته الذاتية في مجال الابداع . وقبل أن أدخل في الموازنة التفصيلية بين الشعراء الثلاثة لابد من معرفة موقف كل منهم من أحداث عصره التي كان لها الأثر الكبير في توازن الشعراء مع المجتمع بحسب ماقررته عليهم ظروفهم الاجتماعية والاتجاهات السياسية في عصرهم . فالأخطل شاعر البلاط الأموي منذ اللحظة الأولى ، قربه الأمويون فأشاد بهم وتفنن بتأثرهم ورمى غيرهم بأشد الهجاء حتى أنصار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يسلموا من اقدامه ليرضي بذلك يزيد . فلا غرابة أن يأتي شعره منسجما مع هذا التقريب وما تعلمه عليه الحياة السياسية .

وأما الفرزدق فكان شامخ النفس متعال بنسبه يربأ بذاته أن يرتسى في أحضان الخلفاء والأمراء والولاة لأنه سليل مجد تليد وربيب أسرة عريقة حظها من الشرف في القمة فاستمد من واقعه مفاخر جمة تطاول فيها على الخليفة معاوية وبعض الولاة^(٢) .

وجريدة من تميم زبرية الهوى وهو يخطب في حال قيس أخلص في مدائحه للحجاج فجاءت رائعة فاقت مادح به الخلفاء

(١) انظر مقدمة في النقد الأدبي د . محمد حسن عبد الله : ٣٦ - (دار البحث الكويت) .

(٢) ديوان الفرزدق : ١/٥٢ - ٥٣ - ٣٩٣ .

وتغنى كثيراً بعثر قيس وبخاصة عندما ينافض الأخطل . . ومع هذا فقد طرق الجميع في النهاية أبواب الخلفاء ومدحومهم ، وكان هذا نتيجة لابد منها بعد أن استقرت الأمور لبني أمية وانتهت عواصف الفتنة التي اشتعلت نارها حينذاك .

هذه في الواقع صورة مبسطة لاتجاه كل منهم وتکيفه مع الوضع السياسي السائد في المجتمع الذي عاش فيه شعراً وفناناً ثلاثة . . وفي هذه الموازنة سناحول جهداً بيان موقف هؤلاء الشعراء في مدحهم لبني أمية ومن عاش في عصرهم من الفضلاء والسدادات من حيث تتبعهم للقيم النبيلة والمثل الحية للإنسانية ، وهل عبروا عن هذه المثل تعبيراً صادقاً وميزة شخصيات معد وحيهم بسماتهم التي كانوا بها عظماء؟ ومدى توخيهم في فخرهم للمعاني السامية أم أنهم ركزوا على النعرات القبلية ففاخروا بها واصطنعوا لأنفسهم سجايا لم تكن لهم ولم يتصرفوا بها من قريب أو بعيد ، وسناحول تناول الأغراض الأخرى علينا نكون منصفين أو قريبين من الانتصاف في هذه الموازنة وإن كان البحث مقصوباً على المديح والفخر إلا أن أمانة الحكم تتقتضي منا أن ننظر إلى الشعر كله من غير تفريق ولو بصورة موجزة بالنسبة للأغراض الأخرى غير المديح والفخر ، لأن النهج الذي اختطته في هذه الرسالة يفضي بي إلى هذا ، وسابداً في هذه الموازنة بمنهج القصيدة عند كل منهـم .

.....

عندما نستعرض قصائد الأخطل نجده يبدأ مقدماته^(١) — بالحديث عن الديار العافية والرسوم الدائرة ، وصرم الحبيب له إلا أنه كثيراً ما يذكر السرى وما فيه من العنت والمشقة ، ويدرك راحته ويصفها مصورة هزالية ، وتصب عرقها من طول الرحلة ، ثم يستفرق كثيراً من مطلعه في وصف الخمر والتغنى بها والتلذذ بمحاذتها وكأنها معشوقته الوحيدة وهذا مالم يفعله جرير أو الفرزدق ، وقد يربط الأخطل بين أثر الخمر وبين حاله النفسي تقلیداً لغيره من شعراء الجاهلية ، وفي بعض الأحيان نجده يهجم على معناه هجوماً دون مقدمة لذلك كما حدث في بعض نقاشه مع جرير^(٢) وإن كان هذا قليلاً بخلاف جرير الذي يغلب على نقاشه الابتداء بالنسبة على عادة الشعراء الجاهليين والاسلاميين ، ولقد كانت مقدمات الأخطل واضحة لا غموض فيها ولا التواء ، وأما الفرزدق فلم يلتزم الاستهلال بالغزل فكثيراً ما هجم على معناه هجوماً ، وإن قدم لقصيدته أحياناً فإنما يمر به متجللاً وكأنه يحس شيئاً من جسوي يبعد بينه وبين هذا الفن فلا يطرقه إلا لماما^(٣) ولهذا كان في غزله متلكفاً فاتئراً

(١) أن أول ما يلاحظه الناقد على القصيدة في شكلها الخارجي هو المطلع فقد عنى نقاد العرب بمطلع القصيدة عناية فائقة وطالبو أن يكون بينا وأضحا لا غموض فيه ولا التواء سهل المأخذ لاتعقيده فيه ولا صعوبة في فهم معناه / انظر أساس النقد الأدبي عند العرب - د. أحمد

أحمد بدوى : ٢٩٢ .

(٢) انظر نقاشه جرير والأخطل : دراسة الدكتور عبد السلام المحاسب : ٤٩٤ - ٤٩٢ .

(٣) انظر الفرزدق - د. شاكر الفحام : ٣١٥ .

الاحساس^(١) لأن شخصيته من الشخصيات التي لا تلين للمرأة وحسبنا
في هذا الصدد قوله^(٢) :

واهون مفقود اذا الموت ناله على المرء من أصحابه من تقعنـا

ويكشف عن طبيعته قول المتنبي أيضا^(٣) :
تذلل لها واخضع على القرب والنوى فما عاشق من لا يذل ويخضع

ولكن الفرزدق لم يتذلل ولم يخضع لما يشعر به من العظمة
والشرف وربما لأن جريرا قد سلب منه ومن الأخطل كل عاطفة رقيقة
ولم يترك لهما مجالا في هذه الناحية لأنها الوحيدة التي بقيت
لجرير كي يجيد فيها بعد ما ذهب الفرزدق بالفخار والأخطل بالمدح
والهجاء على رأى بعض النقاد القدامى^(٤) .

وأما جرير فنجد له في عامة قصائده يبدأ بالنسبة الذي تغلب
عليه الرقة والعذوبة والغفوة فكتيراً ما تفزل بأحدى زوجاته ، وكان من
هذه الناحية مع عفته محافظاً على نسق القصيدة الجاهلي .

ويدور مطلع جرير في أغلب حالاته حول ذكر صاحبته وحواره -
معها وأداء رأيه فيها وذكر الوصال والفارق والوشاة والأعداء

(١) انظر الوقوف على الأطلال د . مصطفى عبد الواحد : ٨٤ (مطبوعات
نادي مكة الثقافي) .

(٢) ديوان الفرزدق : ٤٢٢/١ .

(٣) ديوان المتنبي بشرح البرقوقي : ٤١٢/١ .

(٤) الشعر والشعراء : ٤٦٢/١ .

ووصف المطابا وتحية المنازل وهكذا . ثم يخلص الى الفرض الذى يريد أن يبني عليه القصيدة سواء أكان مدحًا أم هجاءً أو غير ذلك من أغراض الشعر .

ويلاحظ على جرير في مقدماته أنه لا يمعن كثيرا في وصف الرحلة وطولها ولكنه يركز على النسيب الجميل وهذا ماميز أسلوبه الفني وطبعه بطابع الحلاوة والعدوية والوضوح وعدم الفوضى .
هذا مايتعلق بالمقدمات عند الشعراء الثلاثة . . .

أما مايتعلق بخلاصات الشعراء من هذه المقدمات إلى الغرض فقد أحسنوا فيها وقد أشار بعض النقاد المحدثين إلى حسن تخلصات الغرزدق (١) وإن كان أصحابه لا يقلان عنه حسنا .
أما الغرض ذاته فما من شك في أن الأخطل في مدائحه لبني أمية يعد أكثر تنقيحا وتهذيبا في عرف النقاد القدامي ، فلم يكن يرضى بالمدحنة التي تكون وليدة الوقت القصير بل لابد من أن يوجد وينقع ولو أخذ منه هذا مدة أطول . ومن هنا كان ممن يطلق عليهم " أصحاب الحوليات " اذ أنه ينظم القصيدة في تسعين بيتا ثم يختار منها ثلاثين بيتا فيطيرها (٢) . وقد يبدو في مدائحه لبني أمية مهتما بالنواحي السياسية أكثر من مدائحه في غيرهم وبالاخص عندما يمدح بنى مروان نظرا لأن شخصية عبد الملك ومن

(١) انظر أحسن النقد الأدبي عند العرب . أحمد أحمد بدوى : ٣٠٩ .

(٢) انظر الأغانى : ٢٨٤/٨ .

جاء بعده من الخلفاء قد فرضت على الأخطل أن يتأنى في اختيار معانى وصور مدحه لهم ويدقق فيها ، فعبد الملك بن مروان غير يزيد بن معاوية ، والوليد أشد من أبيه في تعامله مع النصارى وهكذا ولذلك جاءت مدائحه في بنى مروان تتسم بطابع السياسة اذ رسم لهم صورا قوية عرض فيها لمعانى البطولة ليؤكد أنه لا زال مواليا لهم وأنه شاعرهم الأول . بخلاف مدائحه ليزيد بن معاوية الذى لم يدخل إلى روعه مدخل البطل الفاتح وإنما الشاب النزق الذى يتلذذ ويلهو . ونتيجة لتروى الأخطل في قصائده نجده يرتب عناصر المدحه وفق ما يريد فينتقل بين أجزائها ببروية وتمهيل .

ولعل أول ما يصادف القارئ لمديحه عناته الفائقة بشخصية المدحه وتعاظم هذه العناية عندما يكون خليفة (١) أو من أبناء البيت الأموي . اذ يتناول هذه الشخصية بكل مقوماتها السياسية والاجتماعية وما تتصف به من سجايا نبيلة وخلال حميدة . ويفسر للجانب البطولي جزءا كبيرا في المدحه فيشيد بدور الصدح في المعارك وانتصاره فيها مصورة بلاءه وشدة بطيشه بالأعداء . وبالمقابل يذكر حلم المدحه وكرمه وأيادييه البيضاء واصلاحاته الداخلية التي تخدم المجتمع .

(١) انظر على سبيل المثال مدائحه في عبد الملك بن مروان ويزيد ابن معاوية / شعر الأخطل : ٣٩/١، ١٢٩، ١٦١، ٩٣، ١٩٢، ٢٠٢، ٤٣٢، ٤١٠ / ٢٠٣٠، ٢٩٢ الشخصيتين عند الشاعر . والنواحي التي اعنى فيها بشخصية كل منهم في المدحه الواحدة .

وإذا كان المدح فرعاً من دوحة عظيمة وجدنا الأخطل يشيد بما شرّ قومه وكرهم وشجاعتهم وفي نشوة الابداع وغمرة المدح لا يتناهى نفسه وأطماعه فيفترخ تارة ويذكر ما شرّ تغلب أخرى ويندد بأعدائه وأعداء قبيلته، وقد ظهرت هذه الناحية في مدائحه ليزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان وأخيه بشر لما يشعر به من الحظوة والتمكّن عندهم، بينما خفت هذه الناحية أثناء مدحه للوليد وأخيه سليمان وغيرهم . ومن هنا جاءت مدائحه لبني أمية أكثر جودة وأقوى معانى وأطول نفساً، فإذا مدح غيرهم من شخصيات وفضلاً عصره كان غرضه محدود المعانى قليل العناصر يتركز في المديح الخالص وبعض الصفات الشخصية كالكرم والشجاعة وعراقة العنت لا يتعدّى المدح وقبيلته وبنائى به عن النواحي السياسية وإذا أخذنا شلا مدائحه في جرير بن عبد الله البجلي ، أو سماك بن مخرمة الأسدى أو غيرها نجد لها أقصر نفساً من مدائحه في عبد الملك بن مروان والوليد ويزيد وبشر وغيرهم من بني أمية حيث جاءت صوره متقاربة متابعة وخفت منها الصور الدينية التي لا تظهر الا في مدحه للخلفاء والأمراء من بني أمية .

إن الأخطل يتكلف في شعره عناء شديداً ويجهد نفسه في انتقاء الفاظه ورسم صوره وبخاصة عندما يمدح الخلفاء^(١). فقد

(١) ومن هنا كان مقللاً في المديح مع أنه لازم ببني أمية وقتنا من الزمن ووصل حاله بحالهم وقتاً طويلاً ولكن مدائحه فيهم كانت أقل نسبة من مدائح جرير والفرزدق .

انظر الجداول الملحقة بهذا البحث من ٦١ للمقارنة .

دامت صلته بعد الملك خمسة عشر عاما ولم يمتدحه الا بثلاث قصائد حفظها لنا ديوانه الموجود بين أيدينا . ونتيجة لهذا التكفل وهذا التنقيح والتهذيب جاءت مدائحه قليلة اذا ما قيس بمدائح الفرزدق وجرير فلم يكن الأخطل من الشعراء المطبوعين الذين ينظمون أشعارهم عفويا (١) وانما كان يتعب نفسه ويجهدها طلبا للاقتناع والجودة . وكانت البيئة التي عاش فيها فى ظل الأميين تفرض عليه هذا لأنّه يخاطب بهذه المدائح خلفاء وأمراء منهم الشاعر والناقد والمذوق للشعر ومن هنا كان حتما على الأخطل هذا التنقيح والتجويد فى فنه فقد انطلق من منطلقات فنية معينة تفرض عليه الاحتفال بشعره والتروى فى اختيار الفاظه ، فيزيد بن معاوية شاعر مبدع قبيل فيه وفي امرئ القيس لقد بدأه الشعر بملك وختم بملك (٢) .

وكان أبوه من قبله يقول : " اجعلوا الشعر أكبر همك وأكبر آدابكم فان فيه مآثر أسلافكم (٣)" . وقال : " يجب على الرجل تأديب ولده والشعر أعلى مراتب الأدب (٤)" .

وعبد الملك بن مروان كان أدبيا يجمع بين الرواية والنقد حتى قال فيه الشعبي : " ما جالست أحدا الا وجدت لي الفضل عليه

(١) انظر الأخطل شاعر بنى أمية د . سيد غازى : ٢٣٣ .

(٢) انظر الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية لابن الطقطقى : ١١٣

(٣) الكامل للمبرد : ١٢٣٢/٣ .

(٤) العدة لابن رشيق : ٢٩/١ .

الا عبد الملك بن مروان فانتى ما ذاكتره حديثا الا زادنى فيه
ولا شعرا الا زادنى فيه " (١) .

وكان الوليد بن عبد الملك وأخوه هشام يربون الأشعار ويفاضلان
 بين الشعراء .

ولقد قدر للأخطل أن يبدأ صلته ويعقد أسبابه بهؤلاء القوم
بادئ ذي بدء فكان لزاماً عليه أن يوجد فيه ويحفل بشعره لأن من
يخاطبهم ليسوا من عامة الناس ولكنهم من علية القوم أدباء وجلاة
فكان أن انتهج مدرسة أصحاب الحوليات في الشعر وكان من عبيده.

ومن هنا كان اعجاب الرواة بشعره لأنه امتداد للشعراء
الجاهليين في التهذيب والتجويد، وقويت ملحة الخيال عنده فيسرع
في التصوير الذي غدا الطابع العام لشعره وليس معنى هذا أن كل
مدادي الأخطل ذات صور قوية ولكننا نجد صوره تجود كثيراً وتقتصر
في بعض الأحيان قليلاً، وإنما جاء هذا القصور بعد أن شعر
الأخطل بضعف مكانته عند الوليد فاستعاذه عن الصور بالصالفات والقسم
في أغلب مداديه للوليد بما يدل على ضعف نفسه (٢). وكان هذا

(١) البداية والنهاية : ٩/٦

(٢) انظر طبقات فحول الشعراء : ١ / ٤٧٤ .

(٣) انظر شعر الأخطل : ٢٢٢/١ ، ٢٤٤ ، ٢٧٠ :

نتيجة طبيعية بعد أن فقد مكانته فجأة متوسلاً متشفعاً طالباً
لقومه السلام ورفع الضرائب .

وخلامقة القول :

أن مدائح الأخطل في ظل بنى أمية وبخاصة عبد الملك بن مروان ، وأخيه بشر ومن قبله يزيد بن معاوية وأخيه وابنه وبعضاً من القادة والولاة في عصرهم تحمل أروع ما افتتحت به قريحة الأخطل الشعرية في هذا الفرض من حيث طول النفس وتماشك البناء وقوية التصوير وفخامة المعنى . وكان هذا الاتقان في مدائحه تلك نتيجة لعدة عوامل من أهمها حرصه الشديد على كسب ودهم وهم سادة المجتمع ومعرفتهم بالشعر ونقده فلا يغفرون له أى سقطات أو زلل ثم عطاهم الوفير الذي يناله الشاعر بغير حساب ، وبعد هذا كله وقوفه أن الأخطل نصراواني في وسط سلم لا يرضي ولاة الأمر فيه أن تخذل عظمة الإسلام ، ومن هنا تمثل هذا الشاعر في القصيدة وأجاد وعاد ونفع حتى غداً هذا سمة بارزة فيه ، ومن ثم كان سر اعجاب العلماء بشعره .

أما غرض الفخر عند الأخطل فانتا تجد معانيه صورة لمعاني القدماء ، فالشجاعة والكرم وقتل الملوك والأبطال ليست معانٍ جديدة ابتكرها الأخطل وافتخر بها ، وإنما هي معانٍ مطروقة في الشعر الجاهلي جاء بها هذا الشاعر وجعلها منطلقاً له في فخره وبخاصة عندما يناقض خصميه جرييراً .

ولقد حال الإسلام دون الكثير من المعانٍ التي كانت تدور

في رأسه ويود أن يفخر بها ولذلك وجد ناه يركز على الافتخار
برجال قومه كعمرؤين كلثوم ، والسفاح التفلبي ، والهذيل بن هبيرة
وبيدد دائمًا انتصارات قومه في الجاهلية والإسلام ويفخر بذلك
وبخاصة مكان بينهم وبين قيس عيلان من أيام حروب ولا يذكر
عظماء قومه إلا في فخره على جرير .

ولو قدر للأخطبل وقبيلته الدخول في الإسلام لأبدع فخرا
عظيما ، فقد نجده يسامي أحيانا الفرزدق في فخره القبلي لأنـه
يعتمد على مجد مؤشر لتغلب^(١) قديم ولكن هذا المجد ينحصر
في الإسلام لأن موضوع الفخر الحقيقي ما تلام وطبيعة الدين الإسلامي
الذى يسود المجتمع والذى يسعى الخلفاء جاهدين لاعلائه ، ولذا
 جاء فخره من هذه الناحية خافت الصوت تغلب عليه الشكوى منـ
القيسيـة والتضرع إلى الخلفاء ومنهم عبد الملك والوليد أن ينصرـا
قومه الذين يوالون الخلافة ضد هؤلاء الذين يتربصون بها للقضاء
عليها . ولم يعد فخره في معرض مدحـه لعبد الملك وابنه الوليد
كمـا كان في عهد معاوية وبزيـد بن معاوية اذ أن نـفـمة الفخر فيـ
معرض مدحـه أخذـت تحـفـ وتـتلاشـى حتى اختـفت ولم يـبقـ له إلا أنـ

(١) تغلب قبيلة عظيمة لها أيامها في الجاهلية وقد نبغ منها
فرسان وشعراء ، ومن هنا فاخر الأخطبل كثيراً بها وردد
أسماء فرسانها مفاخرًا جريزا .

يذكرهم بموقف قومه معهم ليعيد في أذهانهم ما يجب أن يحظى به الشاعر وقبيلته . وكأنه يعتنى عليهم ماعله معهم .

بني أمية قد ناضلت دونكم أبناء قوم هموا آروا وهم نصرموا (١)

ومن هنا خلا فخره بما شرط قومه النصارى في الوسط الإسلامي من الصور النافذة التي تبلغ الذروة في العرض والتصوير وكثير عنده السرد الذي وان كان في الفخر مقبولا الا أنه قد يكون في غيره ضئيل المكانة الأدبية ، وإذا قدر له أن يفتخرون في رحاب الخلفاء فليس له أن يرفع صوته فوق أصواتهم ويتعالى بانتماه القبلى في رحابهم اذ سرعان ما يصطدم بعقيدته النصرانية التي تكبله وتكتل معه قومه وقد رأينا هذا عندما قال الأخطل لجوير في مجلس عبد الملك : " أنا الذي منعت نومك وتهضمت قومك " . فرد عليه جرير قائلا : " أما منعك نومي فهو نمت عنك لأن خيرا لك ، وأما تهضتك قومي فكيف تهضم وأنت من ضربت عليهم الذلة وباءاً وبغضب من الله وأدوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، وكيف تهضم لا أم لك قوماً فيهم النبوة والخلافة وأنت لهم عبد مأمور محكوم عليه لا حاكم " (٢) .

فأني للأخطل أن يفتخرون بعد هذا؟ لم يبق له إلا الضيافة التفلبية والأمجاد السالفة والخيال النجيبة التي كانت عنوان شجاعتهم أما الشلل العليا التي أضفها الإسلام على الناس فليس للأخطل

(١) شعر الأخطل : ٢٠٢/١ .

(٢) الأغاني : ٦٣٠٦٢/٨ .

ولا لقومه رصيد منها . ولنست له مزايا ذاتية يفتخرون بها فجاء فخره الشخصى قليلا جدا اذا ما قيس بفخره بقمه وكانت معانى فخره الشخصى باهته ليس فيها ما يشير الوجود ان ويستفز الشعور فهو من علياء تغلب كريم ضياف حامى الذمار يدافع عن قبيلته ويرفع من شأنها وهى معان يستطيع كل شاعر أن يقولها ويصطنعها لنفسه ، وقد تحاشى كما رأينا الفخر بديانته فلم يذكرها الا في بيت او بيتين اثنين فقط (١) . ولذلك كان فخره القبلى أقوى من فخره النفسي لأن ركز فيه على الانتصارات الحربية والضيافة التغلبية ، والأمجاد السالفة لقبيلته ونتيجة لتمجيد للقوه والفخر بها كثيرا فقد تضاءلت قيمة هذا الفخر الفنية وأصبحت النعرة الجاهلية من أهم ميزاته وأصبح همه ومنعوها ، وأن الأعداء عجزوا عن منازعة التغلبيين وأن خيلهم نحيبة متعرسة في القتال . وهكذا تتواتى معان ليست من ابتكار الأخطل وحده ولنست تغلب القبيلة الوحيدة التي تتصف بهذه الصفات دون

ان الأخطل كان يشعر في فخره بضآلته نفسه وبكت مشاعره اذا
ما أراد أن يطلق لها العنان فيصطدم بشخصيات الخلفاء التي
تحد من انفعاله وترده الى حجمه الحقيقي فلا غرابة في الا يكون
من فضل في فخره الا قوة الصياغة دون الفكرة الجديدة او الذاتية
المبتكرة .

١١) شعر الأخطل : ٢٤٤-٢٤٥ / ٢

وأما من حيث الرثاء والهجاء والغزل فان ماعناه الأخطل في بداية حياته من كبت واضطهاد من قبل زوجة أبيه التي كانت تضطهد وتهينه وتلطفه رعى الغنم وتفضل عليه أولادها كل هذا بالإضافة إلى جفاء طبعه ونزعه إلى المراجعة في النظم قد أثرت هذه العوامل في نفسيته فتأخر في الغزل والرثاء . حتى أتنا لم نجد له في الرثاء في حياته الطويلة الحافلة غير أربعة أبيات رشى بها يزيد (١) . وكأنه لم يهتز لموت أحد من ولده وأسرته وأصدقائه كما هزه موت يزيد فجادت قريحته بأربعة أبيات .

واما غزله فليس فيه الا موسيقية اللفظ أما دقة الشعور وقوه الاحساس فلا نجدها عند الأخطل . ومن هنا خلا غزله من رقة الاحساس وحلوه المعنى . وفي الهجاء نجده يعنى بالألفاظ ويدقق في اختيار عباراته دون أن يندفع اندفاع جرير ولذا رأيناه يتأنى في عرض صوره فجاء لفظه في الهجاء جزلا رصينا ومعناه بارعا طريعا ، ولم يكن في هجائه يميل إلى السخرية والنكتة كما عند جرير فقد كان الأخطل يصنع الهجاء كالغزل والرثاء . (٢)

واما الغزدق فقد يستحوذ الغرض عنده على معظم القصيدة وبذلك أصبح طول النفس عنده في معظم قصائده ميزة له يتميز بها في أغلب شعره ، ونستخلص من هذا النفس الطويل قدرة الشاعر

(١) شعر الأخطل : ٥٣٣/٢ .

(٢) انظر الأخطل شاعر بنى أمية د. سيد غازى : ٢٣٦ - ٢٣٧ .

الفنية واستطراده في المعنى وتمكنه من اللغة التي تمنه بسبب
غير من الألفاظ والمعانى والصور الفنية ولا يستغرب هذا على الفرزدق
فإن كثرة الألفاظ التي تعيناها ذاكرته المميزة عن ذاكرتى جرير
والأخطل دفعت به إلى الابداع والخوض في اعماق اللغة ولهذا قالوا
: " لولا شعر الفرزدق لضاع ثلت اللغة " (١) .

وعلاوة على هذا التمكّن والاقتدار من ناحية اللغة فإن هذا
الشاعر كان ينطلق في مدحه وفخره بنفس حره لا تعرف التوصل
والاستجداة على الأقل في بداية حياته وشبابه ، وهذا الانطلاق يتمثل
في شعره عندما يقوله وهو واثق من نفسه ، ولذلك نجده يقول القصيدة
في الغرض الذي يريد ، ولا ينهى قصيده حتى يستوفى غرضه ولو
طلب منه ذلك جهدا ، فمثلاً قصيده " الراية " في مدح سليمان
ابن عبد الملك والتي مطلعها (٢) :

طرقت نوار دين مطريقها
جذب البرى لنواحل صغر

بلغت تسعه وتسعين بيتاً متماسكة البناء محكمة المعانى تكتظ بالصور
الفنية التي لم نجد لها مثيلاً عند الأخطل أو جرير من حيث عمق
الفكرة وبلاهة التشبيهات ، واستقصاء المعانى وعمقها حتى أن المتأمل
فيها يقف طويلاً أمام أبياتها لكي يفهم ما يقصده الشاعر من وراء
عباراته في هذه المدحه ، وليس هذا الوقوف نتيجة لاغراب الشاعر

(١) انظر الأغانى : ٣٩٥/٢١ .

(٢) ديوان الفرزدق : ٢٦١/١ - ٢٦٨ .

أو تعقيد معناه ، وإنما لقوة معانيه وكثرة ألفاظه وعمق أفكاره .
ونجد له قصائد أخرى تربو أبيات القصيدة الواحدة على السبعين
بيتا وقد تتجاوز المائة (١) .

ولقد جاء شعر الفرزدق صورة صادقة لشخصيته فكان مثلاً
لهذه الشخصية المتمردة أصدق تمثيل ، وانعكست طباعه الخشنـة
العنيفة على نتاجه . فظهرت سمة البداؤة واضحة في الفاظـة
وعباراته ، وقد استمد الكثير من تشبيهاته من البيئة البدوية التي
عاش فيها فظهرت في قصائده ملامح كثيرة لهذه الطبيعة الصلدة
وتتردد على لسانه الكثير من الأسماء الموجودة في حياة البدو : كالحبل
والدلو ، والمطايا ، وغير ذلك .

وكثر في شعره التقاديم والتأخير الذي لم يدفع إليه ضحالة فكر
أو ضعف شاعرية وإنما تزاحم معانٍ وامتلاء نفسه بالفكرة . فالفرزدق
من الشعراء الذين يكذبون ذهنهم في القصيدة ، ويتعبن في التنقيح
والتهذيب ومن هنا كان شعره رائجا في بيئة اللغويين والنحاة فكان
من هذه الناحية أشهر خمسة وجرير أشعر عامته (٢) .

(١) انظر بعض هذه القصائد مثلاً في ديوانه : ٩٩/١ ، ٣٦٢ ، ٣٦١ ، ٣٦٣ ، ٣٧٦ ، ٣٧٦ ، ٢٣/٢ ، ١٥٥ ، ١٦١ ، ١٦٩ ، ٣٠٢ . وهي مزيج بين
المديح والفخر والبهجة وهناك قصائد أخرى عديدة في الديوان لا
تقل القصيدة الواحدة عن خمسين بيتاً .

(٢) انظر الأغاني : ٣٩٤/٢١ .

والفرزدق في مدائحه للخلفاء وبالأخص عبد الملك بن مروان ، وسليمان ، والوليد لم يكن ليطلب شيئاً لنفسه بل كان يصور لهؤلاء الخلفاء مجتمعة وما يحيط به من ظلم الولاة أو الجباة ، ويصل إلى أسماع المدحدين وكأنه شاعر معارضة يحق له أن يبدى عيوب وظلم الولاة ويسقط هذه العيوب أمام الخليفة . وهي صور لم نجدها في مدائح الأخطل وجرير ونجدده يطيل في مدائحه اطالة مفرطة فيرسم للمدحوج أبعاداً جديدة لما في نفسه من تطلعات وما يريد له المجتمعه من خير على يد هذا الخليفة .

وقد تجلت عظمة الفرزدق وظهرت شخصيته القوية في أثناء مدائحه لعبد الملك وابنه الوليد وسليمان . ولم يتخلص الفرزدق من عقدة السياسة فانساق وراء تيارها ولم يرتم في أحضان الأمويين في بداية الأمر وإنما كان ضالعاً في هواه مع بني هاشم ، ولكنه عاد بعد أن استقر الأمر لبني أمية يزجيهم مدحه ويشيد بهم وهو الذي افتخر من قبل على معاوية ومدح بعض بني هاشم فهو يبدو متارجح المواقف فلا مدحه يدل على حبه الدائم ولا هجاوه يدل على بغضه الدائم فقد هجا هشام بن عبد الملك ومدحه ، وهجا الحجاج معرضاً به عند سليمان بعد موته وكان قد مدحه في حياته ومدح ابن هبيرة مرة وهجاه أخرى (١) .

ولقد جادت صور الفرزدق كثيراً في مدحه لسليمان بن عبد

(١) انظر الأغانى : ٣١٣/٢١ .

الملك تلك المدائع التي كان متبعها عاطفة متاجدة نحو المدح .
وأن المتبع لمدائع الفرزدق جميعها تتراءى له تلك الكثرة الكاثرة
من الممدوحين خلفاء وأمراء وولاة وقادة وفضلاء وقبائل مما يدل على
علو مكانة الشاعر وسعة معرفته بالناس على مختلف مستوياتهم ولن
تتأتي هذه المعرفة الا لمن كانت له علاقة حسنة بجمع الناس وكان
مقصوداً لعلو كعبه ورفعة شأنه .

وخلصة القول :

أن الفرزدق في مدحه يتأنى في عرض صوره وألفاظه كما يتأنى في
تناول غرضه ويحتفل به فيجود صوره وينتقمي ألفاظه وتجده يمزج في
كل مدحه بين الدين والسياسة ويتخذ من البيئة البدوية مساعدة
يسنتى منها صوره وتشبيهاته . ولذلك جاءت ألفاظه منتعة مختارة
وتعبيراته ضخمة القسمات ظهرت عنده الصور الفنية واضحة وكثرة في
شعره حتى أصبحت كثرة الصور الفنية ميزة لمدائعه ، ولقد جاءت عنده
ملامع للتعقيد والغموض ولكنها كانت قليلة اذا ما قيس بشعره كله
الذى لا يدانبه نتاج شاعر معاصر له او لاحق فيما نرى . ثم
أن هذه الملامع لم تكن نتائج شعر الفرزدق الذى قاله فى شبابه
ونضجه ، وإنما جاءت نتيجة لكبر سنّه وضعف قواه وفراغ يده من المال
بعد أن تغيرت حاله وتقدمت به السن فرأيناها يطلب ويستجدى من
هشام ويزيد حينما اتصل بهما بعد عمر طويل حافل بالقوة الجسمية
والعقلية والفنية فلا يستغرب اذا أن تظهر في شعره ملامع التعقيد
والغموض نتيجة لما حصل فيه من كثرة التقديم والتأخير . ونتيجة

لزاد حام المعانى التى لم تعد تعيها ذاكرته .

أما الفخر عنده فقد ملك عليه نفسه وظهر فنه الأول الذى يز فيه أقرانه (١)، لأنه ينطلق فيه من واقع عظيم يعده ماللشاعر وقومه من أمجاد فقد انطلق فى فخره من عاطفة صادقة وخيال متوجب فان افتخر بتميم فهى من أعظم القبائل شأنًا فى الجاهلية والاسلام وان قصر فخره على مجاشع ودارم فقد حلوا من تميم ذؤابتها واقتعدوا سناً مجدها ، وان افتخر بمضر كلها فعنها الرسول والخلفاء . وان قصر فخره على نفسه فهو ابن حمال الديات صاحب المعاشرة المشهورة مع " سحيم بن وشيل الرياحى " ، وان كان فخره بجده فهو محى العوّدات فى الجاهلية ، وأخواله من بني ضبة ورث منهم كريم الخلال وعظيم السجايا ومنها شاعريته (٢) .

ومن هذا المنطلق العظيم كان الفرزدق كالأئمى (٣) فى مفاخره ففاق غيره من الشعراء وعد فارس حلبة الفخر . وليس معنى هذا أن أغراضه الأخرى كانت قاصرة ولكن الفخر استحوذ على جانب كبير من أشعاره نعرف به من خلاله تغليبا له على غيره من الأغراض . والا فان مدائحه تعد نموذجا رائعا في فن المديح وقد نجد له أثناء مدائحه للخلفاء وغيرهم بعض الجوانب من الفخر فمثلا في مدحه

(١) وقد فضله عبد الملك بن مروان على غيره من الشعراء في هذا الفرض انظر الأغانى : ٣٢٢ / ٢١ .

(٢) انظر الشعر والشعراء : ٤٢٨ / ١ .

(٣) الأئمى : أى السيل .

لعم بن عبد العزيز لا يدخل الى غرضه الا بعد أن يررض نفسه بشيء من الفخر كقوله في قصيدة التي يمدح بها عمر بن عبد العزيز والتي مطلعها (١) :

لاماء اذ أهلى لأهلك جيزة
واذ كل موعد له أنت آمله
يقول مفتخرا في معرض هذا المديح :

ومجد أذود الناس أن يلحوظه
ويقول في معرض مدحه لعبد الرحمن ابن أم الحكم والى الكوفة
سنة ٥٨ هـ :

وماساقها من حاجة اجحت بها
وبهذا نجد الفرزدق في فخره المتاثر في مدائحه وأهاجيه
وقصائده التي يدعها في هذا الغرض يشيد بنفسه وبقومه ويحلق
بهذا في عالم رحمة، ولقد نجد له نهجا فريدا في الفخر بكرم
قومه اذ يأثر تصوير رائع عندما صور عجوزا فقيرة قد تعلق بها
أولادها من شدة المسغبة تسأل عنبني دارم بعد أن حل الجدب
بالأرض وخلت أيدي الناس من الأموال فتجد عندهم بغيتها وينتقل
من هذه الصورة إلى الحديث عن كرم قومه وشجاعتهم وسيادتهم
ماشرة بعد أن يمهد بعرض صورة فنية تشد الانتباه وتسترسى
القارئ، ومثل هذه المظاهر والصور كثير في فخر الفرزدق حيث

تترى صوره المعبرة واحدة بعد الأخرى وبهذا يدل على مافي نفسه من معانٍ سامية وهي معانٍ تنبئ بها عاطفة الشاعر المتذمّقة.

وخلاصة القول :

أن الفرزدق قد تغنى في قصائد الفخر بما في نفسه من مشاعر الزهو والعظمة حيث ظل وفيها لفته طوال حياته لا يخل ولا يسام وي بذلك كان الفخر في الفرزدق الأول ومن الطبيعي بعد هذا أن يقصر غزله ورثاءه عن هذا الغرض ، فاذا تعزل لم يسرف في الوصف ولم يطل وإنما يظهر في القصيدة جفاء الشاعر وغلظة حسنه ممتزجاً بذلك بزهوه بنفسه وتعاليه ومهمها يكن فقد قصر عن جرير في هذين الغرضين حتى أن النايات ندين النوار زوجه عند ما توفيت بشعر جرير اذ لم يجدن في شعر الفرزدق ما يتناسب وحجم الموقف لأن عنجهيته قد نحت به منحى القوة الذاتية والمعنى والشعرية أيضاً وطبعت نفسه بطابع البداءة والجلافة ، بخلاف جرير صاحب العاطفة الرقيقة والاحساس المرهف السريع التأثر .

ولم يستطع الفرزدق أن يتخلص من نيرة الفخر حتى في رثائه لأبيه غالب عندما داهمته المنية وقد رأى فيه جماع مكارم الأخلاق ومن هنا جاء ليرثيه فافتخر بأنه سيرثه في محامده وأخلاقه :

ورث أبي أخلاقه عاجل القرى وضرب المثالى كومها وشبوها

ومهلا يكن من أمر الفرزدق في تأثره بفقد الأحبة سواء من أسرته الدنيا أو من قبيلته فقد وجدناه متخلفا في هذا الفن ربما

لأن قوة شخصيته وعدم تأثره بالأحداث قد حدثت من سرعة انفعاله
لما يفقد من الأهل والولد وقد وجه هذه عنايته صوب المجد والعلا
واكتساب الشرف أنى كان فلا تهزه أحداث الدنيا ولا تأخذ منه
وبالتالى جاء رثاؤه بين وبين .

نخلص من هذا العرض الموجز لشخصية الفرزدق الفنية من خلال
أغراضه التي عرضنا لها إلى صاحبه وصنوه جرير الذي وقف في
وجه الفرزدق ينقض قصائده الواحدة تلو الأخرى كما فعل مع الأخطل
ومن كان ينهشه من شعراء عصره .

فاما جرير فيختلف عن الفرزدق والأخطل في معدن الشعر
 فهو من الشعراء المطبوعين الذين ينظمون أشعارهم عفو الخاطر
 ولا يضيع وقته وجهده في التنقيح والتهذيب كما يفعل الأخطل
 والفرزدق وإنما يترك نفسه لرياح الطبع تدفعه إلى حيث تشاء ولا يهمه
 أن يطيل المدحنة بقدر ما يهمه أن ينجزها في وقت قصير ، ومن هنا
 اتسمت مدائحه بالقصر (١) فقد أكمل مدحته في عبد الملك (بطون راح
 . . .) في ثلاثة أيام بينما مكث الأخطل في رايته " خف القطيين " .
 سنة فلم يبلغ ما أراد . ولقد أجاد في مدائحه للولاة فصورهم أربع
 تصوير واعتنى بهم وبخاصة الحاج الذي نال غير مدائح جرير
 حتى أن عبد الملك رفض أن يستمع لمديحه وقال له : أشdenا في
 الحاج إنما أنت للحجاج (٢) .

(١) وقد ورد عنه قوله : يابنى اذا مدحتم فلا تطيلوا المادحة فانه ينسى أولها
 ولا يحفظ آخرها . وهذا المنهج يحظى باهتمام النقاد لما فيه من مراعاة
 مقتضي الحال . انظر العمدة : ١٢٨ / ٢ . (٢) انظر الأغانى : ٦٧ / ٨ .

ومن هنا جاءت مدائحه للولاة نابعة من عاطفة صادقة فيها
جودة ودقة تصوير وعمق في المعانى وتنافوت مدائحه في بنى أمية
فجاء بعضها لاما فيه جودة وعدوة وتصوير فني وبعضها قلل
حظه من سمات الابداع وملامح الجودة ، ولم يعن جرير بتصوير
مدوحية من الخلفاء بخلاف الحجاج وغيره من الولاة الذين صورهم
تصويرا رائعا (١) نعدمه في مدائحه للخلفاء والأمراء من بنى أمية
وقد اهتم بتصوير المدح وقوة بأنه ش ذكر أعماله العظيمة التي
يستحق بها المدح والثناء .

وأما فخره فقد اصطنعه اصطناعا حيث طاف به من فخر
خصمه الفرزدق ولم يتورع أن يفتخر على الأخطل بالاسلام وأن قومه
يملكون المشاعر كلها بخلاف قوم الأخطل الذين قل نصيبهم من
هذا الارث ونتيجة لضياع المعانى من جرير في فخره أمام الفرزدق
والأخطل أخذ يسمو الى الانتساب الى تميم كلها بل ومصر والخلافة
ولم يتتردد في أن ينسب نفسه الى الخليفة عندما افتخر على
الأخطل قائلا (٢) :

هذا ابن عمى فى دمشق خليفة لوشت ساقكم الى قطينا

وقد تحاشى أن يفتخر بآبائه وأجداده نظرا لوضاعتهم وقلة
مجدهم فاصطنع لنفسه مجالا يبرز فيه وهو المجال الذاتي حيث جعل

(١) ومن هؤلاء الولاة خالد بن عبد الله القسرى ، وهلال بن أموز المازنى
وغيرهما . انظر جرير حياته وشعره د . نعمان طه : ٢٢٦-٢٢٨ .

(٢) انظر ديوان جرير : ٣٨٨/١

من شاعريته منطلقاً لهذا الفخر وهذا التطاول . ومن هنا استطاع أن يقف أمام خصمه ويستند على هذا الفخر في نقاشه معهما : على أن الغرض الذي ميز الشاعر عن غيره هو الرثاء والنسيب اللذان حلقا بالشاعر في عوالم رحبة لم يلحقه غيره فيهما ، فنفسه شفافة وطباعه سهلة يتأثر بأبسط الأشياء فينوح ويبكي ، وقد امتنجت هذه العاطفة بدين وتعفف فجأة شعره في الرثاء والنسيب مميزاً من هذه الناحية . وأما الهجاء فقد كان فارس حلبته انتصر على ثمانين شاعراً أو ما يزيد وصمد له الفرزدق ولكنه لم يتغلب عليه . وتوفي الأخطل قبل أن يشتفي منه ولكنه كان نداً عنيداً له .

هذه في الواقع صورة مبسطة للأغراض الشعرية عند كل منهم لنخلص منها إلى مقابلة نهائية بين الشعراء على ضوء ما رأينا هنا عليها تتضح السمات الفنية لكل منهم وهذا حسبنا في هذا البحث.

يتمتع باحساس مرهف وتبصر عليه صفات الأبوة والزوجية وتحكم علاقاته
بالناس روابط انسانية تحترم الناس وتقدر الأحياء . ولقد انعكست
هذه السمات على شعره فسرى بين العامة والخاصة سريان الماء فى
النبات وانطبع شعر الأخطل والفرزدق بطابع الخشونة والقوه فراج عند

(!) الخاصة

وأما الصور الفنية فلقد جادت عند الأخطل والفرزدق فـى
المديح والفخر وقصر فيهما جرير ولكنه فاقهما في الرثاء والنسب
والهجاء (٢) ، ولقد خدمت السياسة الأخطل ففضلوه على خصمه جرير
وصديقه الفرزدق ، وعد شاعر المديح في العصر الأموي ولكن هذا
الحكم ينقصه الكثير من الأدلة والبراهين .

فضلا رأيته (٣) التي مدح فيها عبد الملك بن مروان والتي
تعد قمة المدائح عنده تجد للفرزدق رائحة (٤) في سليمان بن
عبد الملك تفوقها في التصوير الفني وقوه المعانى وبراعة الاستهلال

(١) ولهذا قالوا جريرا أشعر عامة والفرزدق أشعر خاصة .
انظر الأغانى : ٣٩٤ / ٢١ .

(٢) تقدم في النسب والرثاء لأنه يمتلك عاطفة رقيقة ومشاعر فياضة يلفها
الحزن تارة وتسبح بها تباريح الهوى ولواجع الشوق أخرى . وأما
في الهجاء فقد بزهها بتصویره الساخر اللاذع الذي يرى من خلاله
شعره بين الناس فيرونـه على اختلاف طبقاتهم .

(٣) وهي قصidته المشهورة (خف القطين) : ١٩٢ / ١ .

(٤) وهي قصidته القوية (طرقت نوار . . .) : ٢٦١ / ١ .

وطول النفس ومن هنا لم يعد الأخطل شاعر المدح وحده في العصر الأموي لأن للفرزدق مدائع تفوق مدائع الأخطل في أكثر من عنصر فني ولكن لم يقدر له أن تخدمه السياسة كما قدر للأخطل . أما جرير فما من شك في أن حائبه (بطن راح)^(١) من غير المدائع فيبني أمية لكنها دون رأيتي الأخطل والفرزدق جزالة وإن كان في مدائحه للولاة لا يقل شأنها عنها بل ربما فاقهما في بعض أبيات مدائحه للحجاج بن يوسف . ولقد استمد الشعراء الثلاثة صورهم من البيئة البدوية التي يعيشون فيها ، ونجد عند الأخطل والفرزدق صوراً متشابهة من حيث التركيب والاستطراد وعناصر التشبيه وما إلى ذلك بينما نجد جريراً قديراً في تصوير نفسه وتشبيهه بالطائر الذي فقد ريشه ، وقد ركز على هذه الناحية مما يدل على ضعف نفسه وتهافتة طلباً للرفد والعطاء . بخلاف الفرزدق الذي جنح كثيراً عن الاستجدا ، وأما الأخطل فقد كان شاعر بلاط يأتيه رزقه دونما الحاف وبخاصة في عهد عبد الملك ومن قبله . ولا ينazuء منازع في تفوق الفرزدق في الفخر لأنّه مؤمن بما يقول وأنّه يصدر في فخره عن حقائق ثابتة ولو قدر للأخطل أن يخرج ما في قلبه قبل أن يموت لأنّه كثيرة كان يريد الافتخار بها ولكن دياناته كانت سياجاً يمنعه من ذلك ، وأما جرير فقد اصطنع فخره اصطناعاً ولم يصدق إلا في فخره بشاعريته .

(١) ديوان جرير : ٨٢ / ١ .

فقد بز الشعراً وأوقعهم جميعاً باستثناء خصمه الأخطل والفرزدق وذلك بسخرية المريدة التي تحيز بها دونهما . ولقد تأثر الجميع بالدين الإسلامي ، فالأخطل مع أنه نصراني إلا أن ملاحم الإسلام تبدو واضحة عندما يمتحن الخلفاء ، وأما الفرزدق فقد تسرب إلى شعره عناصر إسلامية كثيرة سواء في المعانى والأفكار أو في الألفاظ والأساليب أو في الصور الفنية والخيال وهي عناصر كانت تعتمد على التقريب بينه وبين طبيعة العصر الذي يعيش فيه وتباعد نسبياً بينه وبين مزاجه الجاهلي الموروث ، وأما جرير فلا شك أنه كان ديناً عفياً كما أشار إلى ذلك بعض النقاد القدامى^(١) وقد أثبت البحث هذا الجانب بما لا زиادة فيه هنا .

وأما في الأساليب والموسيقى فالأخطل قد اتّخذ نهجاً من الفن والبيان عرفاً في الشعر الجاهلي وبخاصة عند عبد الشعر وأصحاب الحوليات ، ومن هنا ظهر واضح تأثره بالجاهليين في أساليبهم وبيانهم وقد استمد من البيئة البدوية بصرحائهما وجبارتها وأوديتها وما فيها من بهائم وسباع وطيور عناصر أسلوبه وأصطنع فيه الحركة وحاكي في صوره كثيراً من صور الجاهليين ، ومن هنا أطلق عليه حولياً لأنّه نجح مدرسة النابفة والأعشى وزهير وغيرهم من أصحاب الحوليات^(٢) . ولقد جاءت موسيقاً في بعض الأحيان صاخبة لاتخرج

(١) انظر الأغانى : ٥/٨ .

(٢) انظر الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري للدكتور على البطل : ٢٠٤ (دار الأندلس - بيروت) .

من دائرة الرتابة ، ولذلك لم يجد شعره من السيرورة ما وجده شعر جرير ، ولقد أثرت عبوديته الشعرية في موسيقاه فجف من شعره بعض ماء الطلاوة وبها الرونق ، وإن كنا لا نعمم هذا الحكم على شعره كله فان له قصائد ومقاطع تشير العاطفة بموسيقاها العذبة كما رأينا من قبل . وأما أسلوب الفرزدق فإنه يعتبر صورة حية لشخصيته ولقد تميز بميزات كثيرة منها كثرة التقديم والتأخير ، وجود التعقيد اللغطي والمعنوي والغموض أحياناً إلا أن هذه المآخذ لا تسم أسلوب الشاعر كله ولا يمكن تعميمها على شعره الذي يدل على موهبة عظيمة واحساس مبدع وقدرة على انتقاء اللفظ المصور ، ولقد جذب أسلوب هذا الشاعر صورة لأساليب الفصحاء من شعراء الجاهلية في فصاحتهم وجزالتهم وغرابة ألفاظهم في بعض الأحيان وسعة مفرداته ولا ننكر أن هذا الأسلوب كان في بعض الأحيان كذلك معقداً ملتويا يصور أغوار تلك النفس الجامحة المتباهية المتطلعة إلى مجدها السالف الذي تغنى به كثيراً . وتعد موسيقى الفرزدق جزءاً من مكونات اللغة الشعرية عنده ، وقد تميزت بحدتها وصيتها نظراً لصلابة ألفاظها وأغرائها أحياناً في البداوة إلا أنها جاءت تتلاءم وطبيعة ألفاظه وعمق معانيه .

وأما الرقة والسهولة والعذوبة فهذا ما امتاز به أسلوب جرير الذي استهوى الناس عامة في عصره فتفنوا بأشعاره وسهل عليهم حفظها ، وقد استخدم ألواناً كثيرة من الكيفيات البلاغية في أشعاره وجاء بها في أبسط صورها وأرقها فجاءت سهلة كسهولة شعره ونفسه وأما موسيقاها فقد تجلت في شعره كله وعدوه من الشعراء

المطبوعين الذين تميز شعرهم بموسيقية الألفاظ المتجاذبة بعضها مع بعض ولقد يحس القارئ موسيقى جرير وهي تن في أذنيه يجرسها الأخاذ ومقاطعها المتيسرة لكنها قد تصل أحيانا إلى حد التهافت الذي لا تحسد عليه ، والتي تصل بالشعر أحيانا إلى درجة بعيدة عن معانى القوة وكأنه شعر قيل بلسان أنشى (١) .

ولكن السمة الفالية لموسيقاه الجمال والتأثير في النفوس .
بقيت نقطة لابد من الاشارة إليها وهي أن الشعراء الثلاثة كانوا جميعا مولعين بالنظم على الطويل والكامل والوافر والبسيط .

وبعد هذا العرض لأهم الملامح الفنية عند الشعراء الثلاثة في هذه الموازنة يتبقى الإجابة عن السؤال الحائز المثير من أشهر الثلاثة ؟ ومن هنا نقول أن النقاد القدامى لم يجمعوا على أحدهم ، كما أن دراسات المحدثين لا تفضل واحدا على صاحبيه وعلى الرغم من أن موضوع هذه الرسالة لا يحتمل الإجابة على هذا السؤال لأن عنوان رسالتى لم يترك لنا المجال لدراسة الشعراء الثلاثة وأغراضهم كلها بل كانت هذه الدراسة مقصورة على غرضين هما مدح والفخر مما حرم الشاعر جرير من دراسة أغراض عرف تفوقه فيها على خصمه وهى الرثاء والغزل والهجاء ، وكذلك فاغلب الظن أننا لسنا فى معرض المفاضلة بين الشعراء الثلاثة لأن النقد الحديث يرى أن لكل انسان ذوقه الخاص ، وأن وجهات النظر قد

(١) انظر جرير حياته وشعره د . نعمان طه : ٣٨١ .

تفاوت من شخص لآخر حول الموضوع الواحد لأن الناقد الأدبي قد يكون وقع النص على نفسه من زاوية مغايرة لما يقصده المبدع فتأخذ القضية بعدها آخر تعدد في الآراء وتكثر المناقشات، وليس القضايا الأدبية نصوصاً شرعية لا يجوز تفسيرها بغير ماتحتمه من معانٍ تتفق مع الحكم حسب المنطق والمعلوم، وإنما هي اجتهادات وأذواق بشرية تشكل في النهاية تراثنا الأدبي والنقدى على السواء.

ولعل خير ما أختم به هذه الموازنة مقالة بعض النقاد القدامى في معرض موازنته بين جرير والفرزدق : (أما من كان يميل إلى جزالة الشعر وفخامته وشدة أسره فيقدم الفرزدق ، وأما من كان يميل إلى أشعار المطبعين والى الكلام السمح السهل الغزل فيقدم جريرا) (١) .

وخير لنا أن نضيف هنا :

أن من كان يميل إلى التهذيب والتنقية والتأني - صنيع أصحاب الحوليات - فإنه يقدم الأخطل .

لِيْلَةُ الْمَحْرُومَاتِ



* خاتمة البحث ونتائجها *

بعد الانتهاء من هذا البحث ب توفيق الله وع翁ه ، وبعد دراسة شاملة لفرضي المدح والفخر عند الشعراء الثلاثة ..
بان لى أن هذا السراب الخادع الذى مازال بعض الباحثين يجرون وراءه وهو الزعم بضعف أثر الاسلام فى شعراء العصر الاموى
وغلبة الجاهلية عليهم لا يعتمد على شيء من الحقيقة والدقة والفهم
السليم لمقومات الشعر العربى فى العصر الاموى . فقد ظهر لى من
الدراسة المستفيضة لبعض الباحثين المحدثين والتى أدلى بدلوى
فيها .. خطأ هذا الزعم وبطلانه وافقه . فقد كانت المعركة بين
المبالغين فى جاهلية العصر الاموى واسلامه معركة ينقصها الاستقرار
الثامن للثبت من صحة هذه القضية التى انتهت فيها الى أن الشعراء
الثلاثة قد أخذوا بحظ وافر من التأثر بالاسلام من ناحية أغلب
الأفكار والمعانى ، وبحظ وافر كذلك من الصياغة التقليدية الجاهلية
التي يسرى فيها نفحة طيبة من تيار قرآنى رائع تتهدى سماتها فى
أغلب أشعارهم .

كما بان لى أن عاطفة الأخطل نحو بنى أمية لم تكن صادقة فقد تملقهم كثيرا خوفا وطمعا ، وان وردت نفحات قليلة من تأثير الاسلام فى شعره فانها غطاء لكسب ود الخلفاء ، وليس صدورا عن عقبة صادقة ، ومن هنا لم تكن اشادته بانتصار خلفاء بنى أمية على الروم نابعة من قلب مفعم بحبه للإسلام والمسلمين وانما كان سببه تلك البغضاء التي كانت بين نصارى العرب والروم في الجاهلية .

وقد ظهر لى أن احدى سمات الفرزدق الأسلوبية وهى ظاهرة التقديم والتأخير انما هى احدى خلجانه النفسية فى طور من أطوار حياته وأعني به الطور الذى أودى فيه شبابه وقارعه المشيب فقد كان فيه ملحاً فى السؤال مكتراً من المبالغات ومن تلك الظاهرة المشار إليها آنفاً .

ولقد تبيّنت أن الصور الفنية الرائعة عند الفرزدق أقوى وأظهر منها عند صاحبها وكذلك كان أطول نفساً في مدائحه وأكثر منها عدد قصائد وعلو كعب فيه مما يزيل المقوله المشهورة بأن الأخطل أعلى هؤلاء الشعراء الثلاثة كعباً في هذا الغرض ، ولقد دار فخر الأخطل بتفلب في الجاهلية والاسلام ، وخاصة ما كان بينها وبين قيس من أيام ومناصرتها للخلافة فجاء فخراً سياسياً . وأما فخر الفرزدق فقد دار حول أصله ومحنته وطيب منبه ، وقد أحس جرير ضعفه في هذه الناحية فاستبدلته فخراً بشعره وهو مما لم يطرقه الفرزدق أو الأخطل ومن هنا كان فخر الفرزدق عصبياً . أما جرير فكان فخره شخصياً بفنه ولكنه التقى مع الفرزدق في الفخر بتيم التي ينحدران منها إلا أن فخر الفرزدق كان مدوباً بينما كان فخر جرير محاطاً بهالة من الاستكانة والضعف النفسي .

وأما من ناحية العبارة فيلتقي الأخطل والفرزدق في الجزلة وبهذا علا فخر الفرزدق الذي برع فيه على صاحبيه وكذلك مدبح الأخطل الذي جاء في تعدد معانيه تاليها لمدبح الفرزدق الذي تكلم بلسان المجتمع فرفع صيحة الشكوى إلى الخلفاء والأمراء مما يرفع من قيمة الفرزدق وشعره الاجتماعي الذي يكاد يظهر لأول مرة في

الشعر العربي بينما لم يطرق هذا الباب الأخطل الا بما يمت بصلة
 الى قبيلته فحسب . وبهذا جاء - على استحياء - تاليا للفرزدق في
 هذه الناحية ، ونرى أن تفضيل الأخطل في المديح كان تفضيلا
 سياسيا من جهة ، وبتأثير بعض الرواة الذين استهواهم شعره من
 جهة أخرى كحماد الرواية . ولم يكن يستحق التفضيل في المديح على
 جرير أو الفرزدق ، وقد اتخد جرير من دين الأخطل مفمرا وبهذا
 استطاع أن يدحره في الهجاء والسخرية اللاذعة دون الفخر ، ولم
 يجرؤ على ذلك الأخطل اذ ألمحه الاسلام دون ذلك . وفيما
 يتعلق بتصوير الشعراء الثلاثة للفتوحات الاسلامية التي تمت في
 عصرهم على أيدي الخلفاء من بنى أمية فلم يوفقا في الاشادة بهذه
 الناحية اذ لم نجد أحدا منهم يطرق هذا الباب فلم يمتدح الوليد
 مثلا بفتحه للأندلس ، هذا الحدث العظيم في تاريخ الأمة الاسلامية
 الذي مر دون أن يكون له نصيب من عطاء الشعراء الثلاثة الفنى .
 ولعل الخصومة التي نشب بينهم مجليه في النقائض ، ولكن كل
 منهم يحطب في حبل قبيلته كالأخطل ، أو ينشغل بطموحه الشخصي
 كالفرزدق ، أو يتقوقع في باديته كجرير ، كل ذلك كان سببا
 في بعدهم عن الاهتمام بقضايا الأمة الاسلامية وفتحوها
 وكان الأولى أن يشيدوا بهذه الفتوح ويصوروا عظمة مدد وحيهم
 من هذه الناحية بدلا من الانشغال بالهجاء الذي ملأوا
 به الساحة الأدبية أو المدح التقليدي الجاهلي الصور - في أغلبه ،
 وقد وجدنا شعراء العصر العباسي فيما بعد يعظمون من
 فتوح الخلفاء ، والانتصار على الروم كأسي تمام الذي أشاد

بفتح عمورية أو الصنبي الذى عظم من حروب سيف الدولة
ولعل هذه الأحداث لاترقى فى خطتها الى فتح الأندلس.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . . وصلى
الله على سيدنا محمد وآلها وصحابته وسلم . .

*

بِكَلْوَن
إِحْصَائِيَّةٌ عَنِ الْمَدَيجِ

(٤٤٢) جدول رقم (١) يبين عدد الأشخاص الذين دحهم الأخطل

م عدد القصائد والمقطوعات التي قال في

| العنوان | عدد أبيات
المدح
في الجمجم | عدد
أبيات
الجمع | مكان هذه القصائد
والمقطوعات في ديوان شعر
الأخطل | عدد القصائد
والمقطوعات | | اسم المدح | م |
|-----------------------------|---------------------------------|-----------------------|---|---------------------------|-----------|--|----|
| | | | | القصائد | المقطوعات | | |
| بلغ مجموع | ٣٦ | ١٨٢ | ٥٣٣/٢-٣٠٢٤٩٢٧٦١٩٣/١
٥٩٢ | ٢ | ٤ | يزيد بن معاوية بن أبي سفيان | ١ |
| أبيات القصائد
والمقطوعات | ٤٦ | ٩٩ | ٤١٠ - ٤٤٢/٢ | - | ٢ | عبد الله بن معاوية بن أبي سفيان | ٢ |
| المسجلة هنا | ١١ | ٢٤ | ٦٤/١ | - | ١ | خالد بن يزيد بن معاوية | ٣ |
| ١٢١١ | ٢٠ | ٢٠٥ | ١٩٢٠١٢٩ - ٣٩/١ | - | ٣ | عبد الملك بن مروان | ٤ |
| بها من الشعر | ٦٨ | ١٦٢ | ٢٧١٠٢٥٦٠٣٣٨ - ٢١٣٠٨٤/١ | - | ٥ | بشر بن مروان بن الحكم | ٥ |
| ولفت أبيات | ٨٢ | ١٦٢ | ٨ - ٢٨٤٠٢٦٢٠٢٢٩٠٤٣/١
٠٦٢٩ | ١ | ٤ | الوليد بن عبد الملك بن مسروان | ٦ |
| الطبع فيها | ١٢ | ٢٦ | ٢٦٠/١ | - | ١ | سلم بن زياد بن أبي | ٧ |
| ٤٥٤ | ١٠ | ٢٦ | ٤٠٢/١ | - | ١ | عمر بن زياد بن أبي | ٨ |
| كما يلفت | ٠٥ | ٠٨ | ٥٠٢/٢ | ١ | - | الحجاج بن يوسف الثقافى | ٩ |
| القصائد | ٢٩ | ٩٤ | ٠٤٤٩/٢ - ١٢٦/١ | - | ٢ | عمر وأبى بكر أبنا عبد العزىز بن مروان | ١٠ |
| ٣٢ قصيدة
والمقطوعات | ١٥ | ٨٢ | ٥٦٩٠٤٩١/٢ - ٥٦٩/٢ | ١ | ٢ | عكرمة الفياض | ١١ |
| ٩ مقطوعات | ٠٢ | ٢٢ | ٣٢٥/١ | - | ١ | خالد بن أسد | ١٢ |
| | ٠٦ | ١٦ | ٨٨/١ | - | ١ | عبد الله بن سعيد بن العاص | ١٣ |
| | ١١ | ١٢ | ٢٢٢/٢ | - | ١ | العباس بن عبد الله بن العاص | ١٤ |
| | ٠٢ | ٠٢ | ٢٣٢/١ | ١ | - | جرير بن عبد الله البجى | ١٥ |
| | ٠٥ | ١١ | ٢٢٢/٢ | - | ١ | زئربن الحارث | ١٦ |
| | ١٢ | ٥٤ | ١٤٨/١ | - | ١ | مالك بن محسن حزمى | ١٧ |
| | ٠٣ | ٠٢ | ٥٢٠/٢ | ١ | - | صفية بن هبيرة الشهابى | ١٨ |
| | ٠٢ | ٠٢ | ٥٢٥/٢ | ١ | - | طريق وربيع أبنا عبد الله بن أبي الحصين | ١٩ |
| | ٢٢ | ٤٠ | ٦١٢/٢ | - | ١ | سعيد بن منجوف وبكر بن واصل | ٢٠ |
| | ٠٢ | ٠٢ | ٢٤٢/٢ | ١ | - | همام بن مطرى الفنا | ٢١ |
| | | | | | | فى بني عوفين زيد مناة بن سهم | ٢٢ |

“جدول رقم (٢) يبين مطالم تقادم الأخطلل في مد وحبه ومقطوعاته”

| م | ماهها | في مدح يزيد بن معاوية بن أبي سفيان | في مدح يزيد بن معاوية بن أبي سفيان |
|----|-------|--|---|
| ١- | ٢٩٢/١ | بِدْ وَمَهْ خَيْتُ أَيَّهَا الظَّلَّ لَأَنْ
كَعْبَ الرَّسُمِ مِنْ سَلَمَى بِأَحْفَارِ | أَلَا يَا اشْلَمَا عَلَى التَّقَادُمِ وَالْبَلَى
وَأَقْرَبَتْ مِنْ سَلَمَى دِمْنَةَ الدَّارِ |
| ٢- | ١٦١/١ | بِهِيَ أَمِيرُ مُؤْمِنَةِ فَأَصْمَدَهُ
وَاسْتَحْبَتْ لَهُ فَالْقَلْبُ مَغْمُودُ | صَحَا الْقَلْبُ إِلَّا مِنْ ظَعَافَنَ فَاتَّهِي |
| ٣- | ٢٠٢/١ | | بَائِثُ سَعَادَ فِي الْعَيْنَيْنِ تَسْهِيدُ |
| ٤- | ٩٢/١ | | أَلَا يَا اشْلَمَا عَلَى التَّقَادُمِ وَالْبَلَى |
| | | ===== | ===== |
| | | (٢) في عبد الله بن معاوية بن أبي سفيان | |
| ١- | ٤١٠/٢ | وَنَاؤُكَ بَعْدَ تَقَارِبِ وَمَكَازِرِ
كَانَتْ تَحْلُلُ وَادِنَى دَارِهَا نَكَذُ | صَدَعَ الْخَلِيلُ شَاقَنِي أَجْرَارِي |
| ٢- | ٤٣٢/٢ | | حَلَّتْ صَبَرَةُ أَمْوَاءِ الْعِدَادِ وَقَدْ |
| | | ===== | ===== |
| | | (٣) في مدح خالد بن يزيد بن معاوية | |
| ١- | ٦٤/١ | رَأَيْتُ قَرِيشًا حِينَ سَرَّبَهَا
تَاحُكَ أَضْغَانَ وَطَغَى أَكْوَرِ | رَأَيْتُ قَرِيشًا حِينَ سَرَّبَهَا |
| | | ===== | ===== |
| | | (٤) في مدح عبد الملك بن مروان | |
| ١- | ١٢٩/١ | كُلِّنَ كَانَ حَيَا نَادِيَ آخِرَ الدَّهْرِ
وَأَرْجَتُهُمْ نَوَى فِي صَرْفَهَا غَيْرُ | أَلَا يَا اشْلَمِي يَا هِنْدَهُ بَنِي بَذْرِ |
| ٢- | ١٩٢/١ | | حَفَّ الْقَطِينَ فَرَاحُوا مِنْكَ أَوْبَكُرُوا |
| ٣- | ٠٣٩/١ | بِسَاهِمَةِ الْعَيْنَيْنِ طَارِيَةُ الْقُبْرِ
لَعْنُرِي لَعْنَ أَسْرِي لَأَلَيلَ عَاجِزِ | لَعْنُرِي لَعْنَ أَسْرِي لَأَلَيلَ عَاجِزِ |
| | | ===== | ===== |
| | | (٥) في مدح شربر من مروان | |
| ١- | ٨٤/١ | فَالْمُخْلِسَاتُ فَالْخَابُورُ فَالْمُجَمَّعُ
عَنِي الصَّبَابُ لَا يَكُنُّ وَلَا وَرَعُ | أَقْرَبَتِ الْبُلْجُ مِنْ عَيْلَانَ فَالرَّحَبِ |
| ٢- | ٢٥٦/١ | فَعَرَانُ الصَّرِيمَةُ فَالْهُجُولُ
عَنَّا الْجَفَنُ مَعَادِلُهُ مَنْ حَبَّ أَرْوَى أَخَابِلُهُ | فَدَكَفَ الْحِلْمُ عَنِي الْجَهَلِ فَانْقَشَعَ |
| ٣- | ٣٢١/١ | | عَنَّا مِنْ آلِ فَاطِمَةِ الدَّخْولِ |
| ٤- | ٣٢٨/١ | | صَحَا الْقَلْبُ عَنْ أَرْوَى وَأَصْرَرَ بَاطِلُهُ |
| ٥- | ٢١٣/١ | فَذَاتُ الصَّفَاصَخَرَا وَهَا فَقِصِيمَهَا
عَنَّا الْجَوْنِ سَلَمَى فَبَادَتْ مِنْ سَوْمَهَا | عَنَّا الْجَوْنِ سَلَمَى فَبَادَتْ مِنْ سَوْمَهَا |
| | | ===== | ===== |
| | | (٦) في مدح الوليد بن عبد الملك بن مروان | |
| ١- | ٢٢٩/١ | لَمْ يَقِنْ غَيْرُ وَسُومُ النَّارِ وَالْحَطَبِ
فَرُونُونَ الْقَطَا صَحَراً وَهُنَّ صَائِمُهُ | حَتَّى الشَّانِزَلَ بَيْنَ السَّفَعِ وَالرَّحَبِ |
| ٢- | ٢٨٤/١ | شَهَابُ الصَّيفِ وَالسَّفَرُ الشَّدِيمُ
فَأَجْبَالُ السَّيَالِي فَالْعَوْبُ | عَنَّا وَلَيْطُ مِنْ أَهْلِهِ مَدَانِيَّهُ |
| ٣- | ٦٢٩/٢ | | وَحَاجِلَةُ الْعُيُونِ طَوَى قُوَاهَا |
| ٤- | ٢٦٢/١ | | عَنَّا مِنْ عَيْدَتَ بِهِ حَفَرِيَّهُ |
| ٥- | ٢٢١/١ | لَمْ يَقِنْ غَيْرُ مُنَاحَ الْقِدْرِ وَالْخُسْمِ
أَشْكَرُ الدَّارَ أَمْ عَرْفَانَ مُتَزَلِّهُ | أَلَا يَا اشْلَمَا عَلَى التَّقَادُمِ وَالْبَلَى |
| | | ===== | ===== |

تابع للحدول رقم (٢)

(٨-٢) في مدح سلم بن زياد بن أبيه وعمران بن زياد بن أبيه

-١ يَامِيْ هَلَّا يُجَازِي بَعْضُ وَدَكُمْ أَمْ لَا يَفَادِي أَسِيرٌ عِنْدَكُمْ غَلِيقٌ

-٢ كَلِيلِيَّ قَوْمًا لِلرَّحِيلِ فَأَتَيْنَاهُ وَجَدْتُ بَيْنَ الصَّعَادِ غَيْرَ قَرِيبٍ



(٩) في مدح العجاج بن يوسف الشافعي

-١ صَرَّتْ حِبَالَكَ زَرْبٌ وَقَرْبٌ وَرُورٌ وَجَالُوهُنَّ إِذَا عَقَدْنَاهُنَّ فُرُورٌ



(١٠) في مدح عمر وأبي بكر أبناء عبد العزيز بن روان

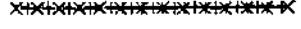
-١ إِنِّي أَبِيتُ وَهُمْ الْمَرْءَةُ يَعْرِيدُهُ مِنْ أُولَئِلِ الْلَّيلِ حَتَّى يَبْحَثَ الْكَفَرُ



(١١) في مدح عكرمة الفي

-١ أَلَا يَا اشْتَمِي يَا أَمَّ شِرْعَلَى الْهَجْرِ وَعَنْ عَهْدِكِ الْمَاضِي لَهُ قِدَمُ الدَّهْرِ

-٢ لِعْنِ الدَّيَارِ يَحْمِلُ فَوْكَالٍ دَرَسَتْ وَغَيْرَهَا سُونَ حَكَوَالٍ



(١٢) في مدح خالد بن أبي

-١ لَمْ يَقِنْ مَنْ يَقِنَ اللَّهُ خَالِدًا وَيُطْعِمُ إِلَّا خَالِدًا بْنَ أَبِي دِيدٍ

-٢ فَمَجَمَعُ الْخَرَفِينَ كَالْكَبَرِ أَجْمَعِينَ عَقَا وَاسِطُهُ مِنْ آلِ رَضْوَى فَنَبَشَّلَ

-٣ أَلَا حَيْتَا دَارًا لَمْ يَهْتَلِمْ وَكَيْفَ تَنَادَى دِمَنَةُ سَرَامٍ



(١٣) في مدح عبد الله بن سعيد بن العاص

-١ أَلَمْ تَغْرِيْضْ فَتَأَلَّآلَ لَهُ وَأَرَوْيَ وَالْمَدْلَةَ وَالرَّبَابَاتَ



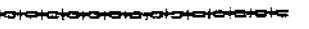
(١٤) في مدح العباس بن عبد الله بن العاص

-١ كَبَانَ الشَّبَابُ وَرَسَّا عَلَلَتْهُ بِالْعَانِيَاتِ وَبِالشَّرَابِ الْأَصْبَرِ



(١٥) في مدح جرير بن عبد الله الجلبي

-١ حَلَّتْ مُلَيْمَى يَدَ وَسَانِ وَكَطَّهَا غَربَ النَّوَى وَتَرَى فِي حُلْقَهَا أَوْدَا



(١٦) في مدح زفير بن العاص

-١ إِنِّي أَطْعَنَ بِزَارًا سَوَّا يَجْمَعَهَا بَعْدَ التَّفْرِقِ حَرَثَ شَهَابَ زَرَرُ



٦٠٢/٢

٢٦٠/١

٤٠٣/٢

٥٠٢/٢

٤٤٩/٢

١٣٦/١

٥٦٩/٢

١٤١

٤٩١/٢

٢٢٥/١

٨٨/١

٢٢٢/٢

٢٣٢/١

تابع للجدول رقم (٢)

| | | |
|-------|---|-----|
| ٦٢٣/٢ | (١٧) فِي مَدْحُ سَالِكَ بْنِ مُحَمَّدٍ .
يَقْعَدُ الْجِيَرُ سَالِكٌ مِنْ بَنِي أَنَّبِي
بِالْمَعْنَى إِذْ قَتَلَتْ جِيَرَانَهَا مُكَبَّرٌ | - ١ |
| ١٤٨/١ | (١٨) فِي مَدْحُ بْنِ هَبْرَةِ الشِّبَابِيِّ
هَلْ تَعْرِفُ الْيَوْمَ مِنْ مَوْيَةِ الطَّلَّا
تَحْمِلَتْ إِنْسَهُ عَنْهُ وَمَا احْتَمَ لَا | - ١ |
| ٥٣٠/٢ | (١٩) يَمْدُحُ أَبْنَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبْنَى الْحَصَنِ وَهُمَا طَرِيفٌ وَرَبِيعٌ
وَلَمْ تَظْلِمَا أَنْ تَكْفِيَا الْحَيَّ ضَيْفَهُمْ
وَأَنْ تَقِيَا سُقْيَا السَّرَّاةِ الْأَكَارِمِ | - ١ |
| ٥٢٥/٢ | (٢٠) يَمْدُحُ سُوِيدَ بْنِ مَنْجُوفٍ وَبَكْرَ بْنِ وَاعِيلٍ
أَلَيْسَ وَرَائِي إِنْ يَلَادُ تَنَكَّرَتْ
سُوِيدٌ بْنُ مَنْجُوفٍ وَبَكْرٌ بْنُ وَاعِيلٍ | - ١ |
| ٦١٢/٢ | (٢١) يَمْدُحُ هَسَامَ بْنَ مَطْرِفِ التَّغَلِيِّ
أَلَا طَرَقَتْ أَرْوَى الرِّحَالَ وَصُخْتَرَى
مَأْرِضَ شَنَاصِي الْحَزَنِ بِنَهَا سُهُولُهَا | - ١ |
| ٢٤٢/٢ | (٢٢) يَمْدُحُ بْنِي عَوْفٍ بْنِ زَيْدِ مَنَّا بْنِ تَسِيمٍ
أَلْبِلُ بْنِي عَوْفٍ بْنَ حَنَابَةَ
عَلَى كُلِّ آلَاءِ الْمَكَانِ مُرِبِّعٌ | - ١ |

(٤٥١)

“ جدول رقم (٢) يبين عدد الأشخاص من بنى أمة الذين ”

“ مدحهم الفرزدق ومدد القائد والمقطوعات ”
التي نسال فيهم

| العنوان | عدد أبيات
المدح
في
الكتاب | عدد أبيات
الجمع | مكان هذه الصائدة
والقطعات في ديوان
الفرزدق | عدد القائد
والقطعات | | اسم المنسد |
|------------------------|------------------------------------|--------------------|--|------------------------|---------|--|
| | | | | القائد | القطعات | |
| بلغت قيادة | ٣٦ | ٤٩ | ٠٢٢، ٣٣/١ | ١ | ١ | ١- عبد الملك بن مروان بن الحكم |
| الدج هنا | ١٣٠ | ١٥٦ | /٢٤٢٤٨، ٢٨٣، ٢٩/١ | ١ | ٢ | ٢- الوليد بن عبد الملك بن مروان |
| ٤١ سبعة
والقطعات | ٢١١ | ٤٤٢ | ٠٢٢، ٢٩٩، ١٤٣ | ٣ | ٢ | ٣- سليمان بن عبد الملك بن مروان |
| ٢ مقطوعات | | | ٠٩٩، ٨٢، ٢١/٢ - ٣٢٢ | | | |
| بلغت أبيات | | | - ٠٢٢٣، ٣٠٢ | | | |
| ١٥٥٨ الجمع | ٤٠ | ٢٦ | ٨٠/٢ - ١٨٢/١ | - | ٢ | ٤- عمر بن عبد العزيز |
| ٩١٨ بها | ١٣٦ | ٢١٢ | - ٣٤٤، ٢١٣، ١٤٣/١ | - | ٢ | ٥- يزيد بن عبد الملك |
| في الدج | | | ٣٥١، ٢٨١، ٣٢٤، ١٦/٢ | | | |
| يضاف لها | ١٥٨ | ٢٩٦ | /٣ - ١٤٠، ٨٢، ٥٩/١ | - | ٨ | ٦- هشام بن عبد الملك |
| ٢ سبعة أبيات | | | ٣٠١٤٩٩، ٢٢٨، ١٨٨ | | | |
| يصح جمجم
أبيات الدج | ٦٥ | ٩٣ | ٤١١، ٣٣٥، ٢٧٢، ١٢/١ | ١ | ٤ | ٧- الوليد بن يزيد بن عبد الملك |
| ٩٢٥ بها | ٣٩ | ٤٢ | ١٢٩، ٢٣١/١ | ١ | ١ | ٨- شر بن مروان |
| | ١٦ | ٤١ | ٢٤٤/١ | - | ١ | ٩- أبوبن سليمان بن عبد الملك |
| | ٥٨ | ٩٢ | ١٢/٢ - ٣٤١/١ | - | ٢ | ١٠- الصافين بن الوليد بن عبد الملك |
| | ٢٤ | ٢٤ | ٤٨/١ | - | ١ | ١١- عمر بن الوليد بن عبد الملك |
| | ١٥ | ٢٠ | ٢٨٣/٢ | - | ١ | ١٢- صاواحة بن هشام بن عبد الملك |
| | | | ٢٢٢، ١٣٥/١ | | | هناك أبيات متفرقات في ديوانه |
| | | | ٢٥٥، ٢٦/٢ | | | مدح بها بنى مروان وعدد ما
سبعة أبيات. |

لم ذكر الأشخاص الذين امتدحهم الفرزدق من غير بنى أمة تتبعه لكثرتهم وهذه الحقيقة توكلت غرارة

شعر هذا الشاعر راكب جير .

فِي مَدْوِيَةِ مِنْ بَنَى أُمَّةً

| م | اسم المسند و مطلع التصيّدة أو المقطوعة | |
|-------|--|-----|
| | (١) مدح عبد الملك بن سروان بن الحكيم | |
| ٢٢/١ | تَضَاحَكَ أَنْ رَأَى شَيْئًا تَغْرِبُ فِي
كَائِنَةِ أَبْصَرَتْ بَعْنَقَ الْأَعْجَاجِ بِـ | -١ |
| ٢٢/١ | إِذَا لَأَقَى بَنُو مَرْوَانَ سَلَـوا
لِدِينِ اللَّهِ أَسْيَافًا عَنْبَابَـا | -٢ |
| | (٢) مدح الوليد بن عبد الملك بن سروان | |
| ٢٩/١ | أَلْمَيْكَ جَهَلًا بَعْدَ سَيِّنَ حِجَـةَ
تَذَكُّرُ أَمَّةِ الْعَقْلِ وَالرَّأْسِ أَشْـيَـاً | -١ |
| ٢٨٢/١ | إِذَا عَرَضَ النَّامَ لَنَا بِسَلَـمَـا
فَقُلْ فِي لَيْلٍ طَارِقَةٌ قَبْـيـر | -٢ |
| ٢٤٨/١ | كَمْ مِنْ مَنَـادِي وَالشَّرِيفَانِ دُونَهُ
إِلَى الْتَّدْشِكِيِّ وَالْوَلِيدِ مَفَاقِـرُـةَ | -٣ |
| ١٤٩/٢ | دُعِيَ العَطْفَ وَالشَّكْوَى إِلَى قَاتِهِـا
جَمْعُـيـنَ الْحَاجَاتِ يَرْجَـمـي تَوَالِـهـا | -٤ |
| ١٤٢/٢ | سَلَـوـتُـعـنـ الدـهـرـ الذـىـ كـانـ مـتـجـعـاـ
وَمـشـلـ الذـىـ قـدـ كـانـ مـنـ ذـهـرـنـاـيـلـىـ | -٥ |
| ٢٠٩/٢ | إِشـيـ لـيـنـفـعـنـىـ بـأـسـىـ قـيـرـفـكـسـىـ
إـذـاـ أـتـىـ دـوـنـ شـئـ مـرـةـ الـكـوـدـ | -٦ |
| ١٢٦/٢ | شـكـوـنـاـ إـلـيـكـ الجـهـدـ فـيـ الـنـةـ الـيـ
أـقـامـتـ عـلـىـ أـمـوـالـنـاـ آـفـةـ الـمـحـدـلـ | -٧ |
| | (٣) مدح سليمان بن عبد الملك بن سروان | |
| ١٩/١ | لـعـمـرـىـ لـقـدـ أـتـىـ وـزـادـ وـفـاءـ
عـلـىـ كـلـ جـارـ جـارـ آلـ الـهـاـبـ | -١ |
| ١٩٦/١ | لـوـىـ اـنـ أـبـيـ السـرـقـاـقـ عـيـنـهـ بـعـدـ ماـ
دـكـاـ مـنـ أـعـالـىـ إـلـيـكـاـ وـغـرـاـ | -٢ |
| ٢٦١/١ | طـرـقـتـ نـوـارـ وـدـونـ مـطـرـقـهاـ
جـذـبـ الـبـرـ لـنـوـاحـ مـغـسـرـ | -٣ |
| ٢١/٢ | وـكـيـفـ يـنـفـسـ كـلـمـاـ قـلـتـ أـشـرـقـتـ
عـلـىـ الـبـرـ مـنـ حـوـماـ هـيـفـاـنـدـ مـالـهـاـ | -٤ |
| ٨٢/٢ | تـرـىـ كـلـ مـشـقـ الـقـبـيـمـ كـانـهـاـ
عـلـيـهـ يـلـيـخـ تـطـيـرـ رـمـاـيـلـهـ | -٥ |
| ٩٩/٢ | أـحـبـ مـنـ السـنـاءـ وـهـنـيـ شـسـئـيـ
حـدـيـثـ النـسـرـ وـالـحـدـقـ الـكـلـاـ | -٦ |
| ٢٠٢/٢ | تـحـيـ حـيـرـوـاـ الـمـدـيـةـ نـاقـيـتـيـ
حـيـنـ عـجـولـ يـنـتـفـيـ الـبـوـرـاـيـمـ | -٧ |
| ٢٢٢/٢ | إـنـ أـمـاـيـ خـيـرـ مـنـ وـطـيـ الـعـمـىـ
لـذـىـ هـمـةـ يـرـجـوـ الـغـنـىـ أـوـلـغـاـيـمـ | -٨ |
| ٢٩١/١ | أـيـنـجـبـ الـنـاسـ أـنـ أـصـحـكـ خـيـرـمـمـ
خـلـيـفـةـ اللـهـ يـنـتـشـقـ بـهـ الطـرـ | -٩ |
| ٣٢٣/١ | لـقـدـ أـيـنـ وـحـدـ الـبـلـادـ يـحـارـيـ
عـصـاـ الـدـيـنـ حـتـىـ مـاـخـافـ نـوـارـهـاـ | -١٠ |
| | (٤) مدح عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - | |
| ١٨٢/١ | زارـتـ سـكـيـنـةـ أـطـلـاحـ أـنـاخـ بـرـهـمـ
شـفـاعـةـ الشـفـعـ شـفـاعـةـ شـفـاعـةـ | -١ |
| ٨٠/٢ | لـأـعـاءـ إـذـ أـهـلـيـ لـأـهـلـكـ جـيـرـهـ
وـإـذـ كـلـ مـخـودـ لـهـ أـنـ آمـلـهـ | -٢ |

(٥) يَدْعُ يَزِيدَ بْنَ عَمَدَ الْمَسْكِ

- | | | | |
|---------|---|--|----|
| ١٤٣ / ١ | فُؤَدًا وَلَمْ تَشْعُرْ بِمَا فَدَ تَرَوْدًا | تَرَوْدَ سِهَا نَظَرَةً لَمْ تَنْدَعْ لَهُ | -١ |
| ٢١٣ / ١ | فِي ذَاكَ مِنْكَ كَنَائِي الدَّارِ مَهْجُورٌ | كَيْفَ يَسْتَهِي قَرِيبٌ مِنْكَ مَطْلُوبٌ | -٢ |
| ٢٤٤ / ١ | وَقَدْ نَامَ مَنْ يَخْتَى عَلَيْهَا وَأَسْحَرَهَا | وَالْغَيْرَةُ بَرَدُ الْمَحِاجَالِ احْتَيَثَةً | -٣ |
| ١٦ / ٢ | وَرَاءَ الَّذِي يُخْتَى وَجِيفُ التَّنَاهِيِّ | وَحَرْفٌ كَجَفْنِ السَّيْفِ أَذْرَكَ نِقْبَهَا | -٤ |
| ١٢٤ / ٢ | مِثْلُ الَّذِينَ إِلَى الْبَنَاءِ الْأَطْوَلِ | مَارِنْ أَبُو شَرِّرٍ وَلَا أَبَوَا هَمَّا | -٥ |
| ٢٨١ / ٢ | أَرَادَ نَوَّايَ فِي حِلَاقِ الْأَدَاهِمِ | إِلَيْكَ سَبَقْتُ ابْنَيَ فَرَزَارَةَ بَعْدَ مَا | -٦ |
| ٢٥١ / ٢ | قَتَلَ كَرْيُ مِنْ حَبْتُ أَصْبَحْتُ نَائِيَا | لَعْمَرِي لَقَدْ كَتَبْتَ يَا هَنْدَ مَيْتَ | -٧ |

(٦) في مدة حشام بن عبد الملك

- | | | |
|---|--|---|
| ١ | رَأَيْتُ بَنِي مَرْوَانَ يَزْرَقُونَ مُلْكَهُمْ | مُلْكَهُمْ |
| ٢ | إِلَيْكَ مِنَ الصَّدَافِ وَالرَّمْلِ أَقْبَلَتْ | كَعْتَ وَتَخْدِي مِنْ بَعْدِ سَابِقِهِ |
| ٣ | إِنْ أَسْتَطِعُ مِنْكَ الدَّنُو فَإِنَّمَا يَ | سَادُوكُوا شَلَاءَ الْأَمِيرِ الْقَيْدِ |
| ٤ | أَلْمَ تَذَكَّرُوا يَا آلَ مَرْوَانَ بِعَمَّةِ | لَهُرَوَانَ عِنْدِي مِثْلَهَا يَتَحَفَّظُ الدَّكَّا |
| ٥ | أَفَاطِمَ مَا أَنْسَى نُعَاصًا وَلَا سُرَى | عَقَابِلَ يُلْقَا مِنْ رَأْرَأِ غَارِبِهِ |
| ٦ | أَسْتَمْ عَاجِجَيْنَ مِنَ الْعَنَّا | شَرِيَ الْعَرَصَاتِ أَوْ أَشَرَ الْخِيَامِ |
| ٧ | رَأَيْتَ سَاءَ اللَّوِيَّ وَالْأَرْضَ الْقَاتِمِ | يَأْيُدِيهِمَا لَاهِنِ الْمُلْكِ الْقَاتِمِ |

(٢) تأسيس المسند بن عبد الملك

- | | | |
|---------|--|-----|
| ١٢ / ١ | أَبِيَتْ أُمَّتَيِ النَّفَسَ أَنْ تَوَفَّ كُلَّتِقِي
وَهَلْ هُوَ مَقْدُورٌ لِنَفْسٍ لِفَسَاوِهَا | - ١ |
| ٢٢ / ١ | إِلَيْكَ يَنْفِرِي حِينَ بَعْدَ حَشَائِشِ
رِكَابٍ طَرِيدٍ لَا يَزَالُ مَلَى نَحْنِ | - ٢ |
| ٢٢٥ / ١ | إِنَّ الَّتِي نَظَرَتْ إِلَيْكَ يَنْفَادِرِ
نَظَرَتْ إِلَيْكَ يَمْثُلُ عَيْنِي جُنُونَدِرِ | - ٣ |
| ٤١١ / ١ | إِنَّتِي إِلَى خَمْرِ الْعِرِيشَةِ كُلَّهَا
رَحَلْتُ وَمَا ضَاقَتْ عَلَيَّ الْمَطَامِعُ | - ٤ |
| ٩٢ / ٢ | وَرَبِّتْ أَبَا سُقَيْفَانَ وَأَبِيَّهُ وَالْمَذْدِي
بِهِ الْحَرَبُ ثَالِثُهُ مِنْ لِفَكَاهِ حِيَالَهَا | - ٥ |

(٨) ميدح شعر بين سروان بن الحكم

- ١- لِيُثْرِ بَنْ سَرْوَانِ عَلَى كُلَّ حَالَةٍ
بَنِ الدَّهْرِ فَضْلٌ فِي الرَّحْمَةِ وَفِي الْجَهَدِ

-٢- يَاعَمِّا لِلْعَذَابِ أَرِيَ يَوْمَ مَعْتَلَةَ
عَيْرَتِي تَحْتَ ظَلَّ السَّدْرَةِ الْكَبِيرَا

(٩) يحيى أبى بن سليمان بن عبد الملك

- ١- أَتَصْرِفُ عَنِ الْيَمِينِ إِنَا أَمْ تَرْوَهَا
وَمَا مَرْمُ لَيْسَ بَعْدَ مَا سَأَتْ زِبْرَهَا

(١٠) مدح العباس بن الوليد بن عبد الملك

إِنْ تَذَعِرِ الْوَحْشَ مِنْ رَأْسِي وَلِسْتُ
كَفُدْ أَصْبَدُ بِهَا الْغَزَّالَ وَالْبَقَرَ
لَقَدْ كُنْتُ أَحْيَا نَاسًا صَبُورًا فَهَا جَنِي
مَنَاعِفُ الدَّيْرِ مِنْ رَجْحِ الْمَرَادِ فِي

-١

-٢

(١١) مدح عمر بن الوليد بن عبد الملك

إِلَيْكَ سَمِّيَّا أَمِنَ الظِّيرِ رِكَابًا
وَرِكَابًا أَسْمَى إِلَيْكَ وَأَعْمَدَ

-١

(١٢) مدح معاوية بن هشام بن عبد الملك

أَلْيَعْ مَعَاوِيَةَ الْكَبِيْرِيَّ بِيَمِينِيَّهِ
أَمْ الْعِرَاقِ وَأَمْرُ كُلِّ شَاءَ

-١

" جدول رقم (٥) يبين عدد الأشخاص من بين أميّة الذين مدحهم جرير وعدد القصائد " والقطوّات التي قالها فيهم وأبياتها وأبيات المدح فيهم "

| م | اسم المدد | عدد القصائد
والقطوّات | القصائد
المقطوّات | مكان هذه القصائد
والقطوّات في ديوان جرير | | | | عمره | أبيات
الدح
في
الجيمع | عدد
أبيات
الدح | عمره | أبيات
الجيمع |
|-----|-----------------------------------|--------------------------|----------------------|---|---------|-----------|----------|------|-------------------------------|----------------------|------|-------------------|
| | | | | القطوّات | القصائد | المقطوّات | القطوّات | | | | | |
| -١ | عبد الملك بن سروان | ٤ | - | /٢-٩١٠٢٩٣٠٨٢/١ | | | | ٤٣ | ١٥١ | | | بلغ عدد قصائد |
| -٢ | الوليد بن عبد الملك | ٢ | - | ٦٦٠ | | | | | | | | جرير التي مدح بها |
| -٣ | سليمان بن عبد الملك | ١ | - | ٦٢/١ - ٦٤/٢ | | | | ٢٢ | ٢١ | | | أميّة |
| -٤ | عمر بن عبد العزيز | ٢ | - | ٢١٦/٢ | | | | ١٨ | ٣٠ | | | ٣١ قصيدة |
| -٥ | يزيد بن عبد الملك | ٣ | - | ٢٤٠/٢-١٦٨٠١٤٤/١ | | | | ٤٢ | ١٤٤ | | | قطوّة واحدة |
| -٦ | هشام بن عبد الملك | ٤ | - | ٢١٧٢٢١٠٢٨٢٠٣٤٣/١ | | | | ١٠٠ | ١٦١ | | | أبياتها |
| -٧ | عبد العزيز بن سروان | ٢ | - | ٦٢/٢ - ٢٦٥/١ | | | | ٢٢ | ٦١ | | | أبيات ولغة |
| -٨ | عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك | ٦ | - | ٦٨٨٠٦٦٧/٢-٥٠٢/١ | | | | ٣٢ | ١٢١ | | | أبيات الجيمع |
| -٩ | العباس بن الوليد بن عبد الملك | ٢ | - | ٧٠٢٠٦٦٩ | | | | | | | | ١٠٤٥ بيتاً |
| -١٠ | أبيوبن سليمان بن عبد الملك | ١ | - | ٦٢٢/٢ - ٣٩٢/١ | | | | ١٧ | ٤٥ | | | كما بلغت |
| -١١ | معاوية بن هشام بن عبد الملك | ٢ | - | ٣٤٢/١ | | | | ١٥ | ٤٢ | | | أبيات الدح |
| -١٢ | سلمة بن هشام بن عبد الملك | ١ | - | ٢٤٢/٢ - ٣٧٥/١ | | | | ٤١ | ٨٨ | | | في الجيمع |
| -١٣ | | | | ٦٥٣/٢ | | | | ٤٣٢ | ٤١ | | | |

ومكانها في الديوان وأسماء الأشخاص المعذ وحين من بني أمية وغيرهم

| م | اسم المسند و مطلع كل قصيدة أو مقطوعة | مكانها في
الديوان |
|-------|---|----------------------|
| | (١) في مدح عبد الملك بن مروان | |
| ٨٢/١ | أَتَصْخُرُ بِلَنْ نَوْادِكَ غَيْرِ صَاحِبِ
عَشَيَّةَ هَمَّ صَحْبِكَ يَا سَرْوَاجَ | -١ |
| ٢٩٣/١ | أَوَاصِلَ أَنْتَ أَمَّ الْعَنْزِ أَمْ تَسْدَعَ
أَمْ تَغْطِعَ الْحَبَيلَ مِنْهُمْ مُثْلَ مَا قَطَعُوا | -٢ |
| ٩١/١ | وَدَعَ أَمَامَةَ حَانَ مِنْكَ رَحِيلَ
يَانَ الْوَدَاعَ إِلَى الْحَبَيلِ قَلِيلَ | -٣ |
| ٦٦٠/٢ | أَكْلَفْتَ تَصْعِيدَ الْحُدُونَ السَّرْوَافَ
كَانَ خَبَالِي بَعْدَ بُزُّ مَرَاجِعِي | -٤ |
| | (٢) في مدح الوليد بن عبد الملك | |
| ٦٨٤/٢ | طَرِيقَتْ وَمَاهِدَّا الصَّبَا وَالْتَّكَالَفَ
وَهَلْ لِلْهَوَى إِذْ رَأَهُ الْبَيْنَ صَارِفُ | -١ |
| ٦٢١/١ | حَيَّ الدَّيَارِ يَعْاقِلُ نَالَنَمَّ
كَالْيَخِي فِي رَقِ الْزَّرْسُورِ الْمُعْجَمِ | -٢ |
| | (٣) في مدح سليمان بن عبد الملك | |
| ٢١٦/٢ | عَلَامَ ثَلَوْمَ عَاذِلَةَ جَهَنَّمَ
وَقَدْ بَلَى رَوَاحِلَنَا الرَّحِيلَ | -١ |
| | (٤) في مدح عمر بن عبد العزيز | |
| ١١٢/١ | أَبْتَعْثَاكَ بِالْحُسْنِ الرُّقَادَادَا
وَأَنْكَرْتَ الْأَصَادِقَ وَالْبَلَادَادَا | -١ |
| ٢٢٤/١ | هَلْ زَامَ أَمَمَ لَمْ يَرِمْ ذُو السَّدْرِ فَالثَّلَمَ
ذَاكَ الْهَوَى مِنْكَ لَا دَانَ وَلَا أَمَمَ | -٢ |
| ٤١٢/١ | لَجَّتْ أَمَامَةَ فِي لَوْنِي وَمَا عَلِمْتَ
عَرْضَ الشَّمَا وَرَوْحَاتِي وَلَا بَكَرِي | -٣ |
| ٢٣٢/٢ | إِنَّ الَّذِي بَعَثَ الشَّبِيَّ مُحَمَّدًا
جَعَلَ الْخِلَافَةَ فِي الْإِمَامِ الْعَادِلِ | -٤ |
| | (٥) في مدح يزيد بن عبد الملك | |
| ٦٤٠/٢ | أَرَقَ الْعَيْنَوْنَ فَنَوْهُنَّ غَرَارِ
إِذْ لَا يَسْعِفُ مِنْ هَوَالِكَ سَرَازَ | -١ |
| ١٤٤/١ | أَسْتَنْكِرْتُهِي أَمْ ضَنْتُ بِتَخْبِيرِي
حَتَّى الدَّبَارَ عَلَى سَفْنِ الْأَعَاصِيرِ | -٢ |
| ١٦٨/١ | اَنْظُرْ خَلِيلِي مِأْلُوْنَ شَرْمَدَاءَ ضَحَّى
وَالْعِيسَ جَائِلَةَ أَغْرَاضِهَا خُلُفَ | -٣ |
| | (٦) في مدح هشام بن عبد الملك | |
| ٣٤٣/١ | حَيَّا أَمَامَةَ وَأَذْكَرُوا عَهْدَ مَضَى
قُلْ التَّمَدُّعَ مِنْ شَالِيلِ الدَّكَوَى | -١ |
| ٢٨٢/١ | عَفَا التَّرَانِ بَعْدَكَ وَالسَّوْرِيَّ
وَلَا يَقْنَى لِعَدَّ تِهِ جَدِيدَ | -٢ |
| ٢٢١/١ | أَمْسَحَ وَنْلُ حَلَكُمْ يَمَا مَا
وَمَا عَهْدَ كَعَهْدِكَ يَا أَمَامَةَا | -٣ |

| | | |
|-------|--|---|
| ٢١٢/١ | <p>أنت وما رفقت بأئذن علومي</p> <p>وكلت مقالة الخطيل الطاًبُورِم</p> <p>(٧) يمدح عبد العزيز بن سروان</p> | ٤ |
| ٢٢٥/١ | <p>أربت بعينك الدمع الساقِي ولا الربيع سار</p> <p>فلا العهد متّري ولا الربيع سار</p> | ١ |
| ٢٠٢/٢ | <p>ألم خيال هاج من حاجة وقرا</p> <p>عليك السلام ما زيارتك التفرا</p> | ٢ |
| | <p>(٨) يمدح عبد العزيز بن عبد الملك</p> | |
| ٢٦٢/٢ | <p>عن نهيا حماما فالجسوا</p> <p>لطول شابين جسرت الظاء</p> | ١ |
| ٢٣٩/٢ | <p>بكرا الأمير لعربة وتنادى</p> <p>قلقد نسيت برا مكين عزاري</p> | ٢ |
| ٦٨٨/٢ | <p>أراغ الحي من إرم الطارد</p> <p>كما أبغوا لعيتك من كَواد</p> | ٣ |
| ٥٠٢/١ | <p>بيان الخليط فودعوا يسواوي</p> <p>وندا الخليط روابي الأمساد</p> | ٤ |
| ٢٠٢/٢ | <p>إليك كلفنا كل يوم هجرية</p> <p>شد معانى ظلّى أغالبة</p> | ٥ |
| ٦٦٩/٢ | <p>أوصيل أنت سلمي بعد محبة</p> <p>أم صار الحبل من سلمي فضروم</p> | ٦ |
| | <p>(٩) يمدح العباس بن عبد الله</p> | |
| ٢٩٢/١ | <p>حيي الهدمة والأثقاء والجردا</p> <p>والعزل الفقر ما تلقى به أحدا</p> | ١ |
| ٦٢٢/٢ | <p>أهاج الشوق معرفة الديار</p> <p>يرهبي الصلب أو يلوئ مطار</p> | ٢ |
| | <p>(١٠) يمدح أيسوب بن سليمان بن عبد الملك</p> | |
| ٢٤٢/١ | <p>هل ينفعك إن جربت تجرب</p> <p>أم هل شبابك بتعاليف ملوك</p> | ١ |
| | <p>(١١) في معاوية بن هشام بن عبد الملك</p> | |
| ٢٤٢/٢ | <p>قد قرب الحي إذ حاجوا لاصعاد</p> <p>برلا محبة أرمام أقواد</p> | ١ |
| ٢٢٥/١ | <p>أمسى قوادك ذا شجون مقصدا</p> <p>لؤان قلبك ينتفع تحلادا</p> | ٢ |
| | <p>(١٢) يمدح ملامة بن هشام بن عبد الملك</p> | |
| ٦٥٣/٢ | <p>ماهاج شوقك من عهود رسم</p> <p>سادت معارفها بذى الفيصل</p> | ١ |

" جدول رقم (٢) يبين عدد القصائد والمقطوعات التي قالها " "

حرب في غير بي أمية وأمساء المدح والمعزى

| مكانها في
الديوان | اسم المدح وطالع القصائد والمقطوعات | م |
|----------------------|---|----|
| | <u>(١) مدح الحجاج بن يوسف الشفقي</u> | |
| ٢٤٦/١ | بَيْانُ الْخَلِيلِ فَمَالَهُ مِنْ مَطَافٍ
وَجَدَرَتْ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِ شَغْرِيْ | -١ |
| ١٣٦/١ | هَاجَ الْهَوَى لِفَوَادِكَ الْمُهَشَّاجِ
فَانْظُرْ بِتُوضِّحَ كَاكِرَ الْأَحَدَاجِ | -٢ |
| ٣٩٩/١ | شَعْفَتْ بِعَهْدِ ذَكْرَةِ الْمَنَازِلِ
وَكَدَّتْ تَنَاسِيَ الْعِلْمِ وَالْقِبْلَةِ شَامِلِ | -٣ |
| ٨٤٨/٢ | غَدَ إِلَيْجِنَاعِ الْحَتَّى نَقْرِي لَبَانَةَ
وَأَقْسِمُ لَأَعْقَضِي لَبَانَةَ | -٤ |
| ٢٢٢/٢ | مَتَى كَانَ الْمَنَازِلُ بِالْيَمِينِ
طَلُولٌ مِثْلُ حَاتِيَّةِ الْبَرُودِ | -٥ |
| | <u>(٢) في مدح المهاجر بن عبد الله الكلابي</u> | |
| ٤١٠/١ | أَقَادَكَ بِالْقَادِرِ هَوَى عَجِيْبِ
وَلَجَّتْ فِي مَبَاعِدَ قَفَّاصِ | -١ |
| ٦٣٢/٢ | إِنَّ الْمُهَاجِرَ حِينَ يَهْتَظُ كَذَّةَ
سَبَطِ الْجَنَانِ طَوِيلٌ عَظِيمٌ السَّاعِدِ | -٢ |
| | <u>(٣) في مدح هلال بن أحوذ المازني وهريم بن طحمة العجاشي</u> | |
| ٤٦٨/١ | لِمَنْ رَسَمَ دَارِكَادَ أَنْ يَتَّهَجِّيْرَا
شَرَوْحَةُ الْأَرْوَاحِ وَالْغَنَّاطُ أَعْصَمُ | -١ |
| ٢٢١/٢ | أَلَا حَتَّى الْمَنَازِلُ وَالْحِيَامُ
وَسَكَنًا طَالَ فِيهَا كَا أَقَامَ | -٢ |
| | <u>(٤) في مدح خالد بن عبد الله القرشي</u> | |
| ٦٠٢/٢ | لَعَلَ فِرَاقُ الْحَيَّ لِلْبَنِ عَامِدِي
مَشِيَّةُ قَارَاتِ الرَّحِيلِ الْفَوَارِدِ | -١ |
| | <u>(٥) محمد بن هبيرة الفزارى</u> | |
| ٢٩٩/٢ | إِذَا أُولَئِ النَّجُومُ بَدَتْ فَقَارَثَ
وَقَلَّتْ أَتَى مِنَ اللَّيْلِ اثْتِسَافُ | -١ |
| | <u>(٦) زيادة بن كعب</u> | |
| ٤٥٢/١ | مَنْ ذَا تُحَمِّلُ حَاجَةً تَرَكَتْ بَنَى
بَعْدَ الْأَغْرِيْرَ سَوَادَةَ بَنِ كِبَلَ | -١ |
| | <u>(٧) في مدح يحيى بن أبي حفص جد مسروان</u> | |
| ٤٥١/١ | أَزَادَ أَسْوَى يَحِيَّ ثُرِيدَ وَصَاحِبَّا
أَلَا إِنَّ يَحِيَّ يَعْمَ زَادَ السَّافِرِ | -١ |
| | <u>(٨) في مدح عباد بن عساد</u> | |
| ٤٨٩/١ | عَيْتَ تَعْيِمَ يَأْمُرِ كَانَ أَنْظَمَهَا
فَقَرَحَ الْكَرَبَ عَبَادَ بْنَ عَسَادَ | -١ |

| | | |
|--------|--|----|
| | (٩) مدح رجلا من بني عدى بن عبد مناف بن أدد | |
| ٤٥٤/١ | لَقَدْ عَلِيُّوا أَنَّ الْكَبِيْرَ كَبِيرًا
بِحَجْرٍ إِذَا لَاقَ الْكَمِيْسَ ابْنَ مَالِكَ | -١ |
| | (١٠) مدح مخزق السدوسي وشبان الحميسي | |
| ٢٥٢/٢ | أَقُولُ لَا صَحَابِيْ أَرْفَعُوا مِنْ مَطْبِحِيْمَ
فَيَوْمَ لَنَا بِالْفَرِيْتَيْنِ ظَلِيلٌ | -١ |
| | (١١) مدح بعض رجواه قيس وطوى وبنى سعد بن ضبة وبني رفاعة | |
| ٨٠٦/١ | نَفِيْسِ الْفِدَاءِ لِقَوْمِ زَيْنُوا حَسَنِي
وَإِنْ مَرْضَتْ فَهُمْ أَهْلِيْ وَكَوَادِي | -١ |
| ٤٦٥/١ | جَدِيلَةُ وَالْفَوْتُ الْذِيْنُ تَعِيْبُهُمْ
كَرَامُ وَمَا مِنْ عَابِهِمْ بَكْرِيْمٌ | -٢ |
| ٤٦٢/١ | فِدَئِيْ لِيْتِيْ سَعِيدُ بْنُ ضَيْثَةَ خَالِيْتِي
إِذَا أَفْزَعَ الرَّزْوَعَ الْكَنَانَ الصَّفَرَا | -٣ |
| ٤٦٢/١ | كَائِنِيْ بِالْعَدِيْنِ بَرِيْبِينِ زَكَرَى
وَبَيْنَ قَرَى أَبِي صُفَرَى أَبِيْرِ | -٤ |
| | (١٢) مدح بني مازن وأل منظور وبني نمر وبني الأزرد | |
| ٢٢٥/٢ | حَتَّى الْمَنَازِلِ بِالْأَجْرَاعِ غَيْرَهُمَا
مَرَّ السَّيْنَيْنَ وَآبَادَهُ وَآبَادَهُ | -١ |
| ١٠٣٦/٢ | فَلَا خَوْفَ عَلَيْكَ وَلَكُنْ تَرَاعِي
يُعْقُوْنَ سَارِزَنَ وَبَنِي هِلَالٍ | -٢ |
| ٢٥٦/١ | أَرْسَمَ الْحَقِيقَ إِذْ تَزَلُّوا أَبِيَّ سَادَهَا
تَجَرَّبَ الرَّايمَاتِ بِهِ فَبَكَادَا | -٣ |
| ٢١٥/٢ | إِنَّ النَّدَى مِنْ يَنِيْ ذُيْسَانَ قَدْ عَلِيْوا
وَالْعَجَدُ فِي آلِ مَنْظُورِ بْنِ سَيْنَارِ | -٤ |
| ٤٩٠/١ | جَاءَتْ بَنُو نَمَرٍ كَانَ عَيْوَهُمْ
جَنْزُ الرَّفَعَا بِتَدَرِي وَطَلَامِ | -٥ |
| | (١٣) مدح بني نهشل وبني رفاعة بن زيد بن كليب | |
| ٨٨٤/٢ | لَقَدْ سَرَنِيْ أَنْ لَا تَعْدَ مَحَايِي
مِنَ الْفَخْرِ إِلَّا عَقْرَنَابِ بِصَوَارِ | -١ |
| ٤٥٢/١ | كَفَى الْأَجْرَاعَ فَوَقَ بَنِي ثَبَّابٍ
سَاجِجُ كُلَّ مُرْجَزٍ هَرِيزِ | -٢ |
| | (١٤) بعض قصائد حماء فيها مدح للقياسين ويظهر الفخر فيها أكثر | |
| ١٣٤/١ | أَذْكُرُهُمْ وَحَاجَتْكَ أَذْكَارَ
وَقَلْبُكِ فِي الْطَّعَاءِ مِنْ سَعَادَهُ | -١ |
| ١٥٠/١ | قُلْ لِلَّهِ يَارِ سَقِيْ أَطْلَالَكَ الْمَطَرَ
قَدْ هَجَرَ شَوْقًا فَمَاذَا تَرْجِعُ الذَّكَرَ | -٢ |
| ١٢٩/٢ | أَرْزَتْ دِيَارَ الْحَيِّ أَمْ لَا تَزُورُهَا
وَأَنَى مِنْ الْحَيِّ الْجَمَادَ وَدَوْرَهَا | -٣ |

الفکر

" فهرس المصادر والمراجع "

(١) القرآن الكريم .

(أ)

- ١- أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ / للدكتور ابراهيم شعوط - دار الشروق
الطبعة السادسة ، ٤٠٣ هـ .
- ٢- أثر الاسلام في شعر الفرزدق / للدكتور مصطفى عبد الواحد - دار الاصلاح
الطبعة الأولى ٤٠٢ هـ .
- ٣- أخبار أبي تمام / للصولي / تحقيق خليل عساكر وغيره - المكتب التجاري
للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - بدون تاريخ .
- ٤- الأخطل شاعربني أمية / للدكتور سيد غازى - دار المعارف ، الطبعة الثانية .
- ٥- الأخطل في سيرته ونفسيته وشعره / لايليا الحاوى - دار الثقافة ، بيروت ،
الطبعة الثانية ، ١٩٨١ م .
- ٦- الأخطل الكبير - حياته وشخصيته وقيمه الفنية / للدكتور فخر الدين قبساوة
دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩ هـ .
- ٧- أدب السياسة في العصر الأموي / للدكتور أحمد الحوفي - دار نهضة مصر
للطبع والنشر ، الطبعة الخامسة .
- ٨- أدب العرب / مارون عبود - دار الثقافة - بيروت - ١٩٦٠ م .
- ٩- الأدب العربي في الجاهلية والاسلام / عمر رضا كحالة - المطبعة التعاونية
دمشق ، ١٣٩٢ هـ .

- ١٠ - أدب ما قبل الاسلام دراسة وصفية تحليلية / محمد عثمان على ، المؤسسة العالمية للدراسات والنشر والتوزيع - الطبعة الأولى ٤٠٣ هـ .
- ١١ - أساس البلاغة / للزمخشري - دار صادر بيروت ١٣٨٥ هـ .
- ١٢ - أساس النقد الأدبي عند العرب / للدكتور أحمد أحمد بدوى - دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٢٩ م .
- ١٣ - الاسلام والجاهلية في شعر بنى أمية / للدكتور شوقى عبد الحليم حماده مطبعة السعادة ١٤٠٢ هـ .
- ١٤ - الاشتقاد / لابن دريد / تحقيق عبد السلام هارون مطبعة عيسى الحلى ١٣٢٩ هـ .
- ١٥ - الاصابة في تعییز الصحابة / لابن حجر العسقلانی / تحقيق على محمد الجاوى ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٢٠ م .
- ١٦ - أصول النقد الأدبي / أحمد الشايب - مكتبة النہضة المصرية - الطبعة الثامنة ١٩٢٣ م .
- ١٧ - الأعلام / لخیر الدین الزركلی - دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة الخاصة - ١٩٨٠ م .
- ١٨ - الأغانی / لأبي الفرج الأصفهانی - مؤسسة جمال للطباعة والنشر - بيروت - مصورة عن نسخة دار الكتب المصرية .
- ١٩ - الأفصاح في فقه اللغة / تأليف حسين يوسف عبد الفتاح الصعيدی - دار الفكر العربي - الطبعة الثانية .
- ٢٠ - الأمالي / لأبي على القالی - دار الكتاب العربي - بيروت - بدون تاريخ .

- ٢١ - أمالى المرتضى / تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - مطبعة عيسى الحلبي ،
الطبعة الأولى ، ١٣٣٣ هـ .
- ٢٢ - أمالى اليرذى / لأبى عبد الله محمد بن العباس اليزدی ، مكتبة
المتنبى ، القاهرة ، مصورة عن طبعة حيدر أباد (الهند) ، عام ١٣٦٩ هـ .
- ٢٣ - إنباء الرواہ على أنباء النهاه / لجمال الدين القبطى / تحقيق محمد أبو
الفضل ابراهيم ، دار الكتب المصرية ، الطبعة الأولى ، ١٣٦٩ هـ .
- ٢٤ - أيام العرب في الجاهلية / تأليف محمد أبو الفضل ابراهيم وغيره ،
مطبعة عيسى الحلبي ، الطبعة الثانية ، ١٩٤٢ م .
- (ب)
- ٢٥ - البخلاء / لأبى عثمان عمرو بن يحر الجاحظ / تحقيق د . طه الحاجرى ،
دار المعارف ، الطبعة السادسة ،
- ٢٦ - البداية والنهاية / للحافظ بن كثير ، طبعة دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ .
- ٢٧ - البستان (معجم لغوى) / تأليف عبد الله البستانى ، المطبعة الأمريكية ،
بيروت ، ١٩٢٧ م .
- ٢٨ - بناء القصيدة العربية / للدكتور يوسف حسين بكار ، دار الاصلاح ، الملاكة
العربية السعودية ، الدمام ، بدون تاريخ .
- ٢٩ - البيان والتبيين / للجاحظ / تحقيق عبد السلام هارون ، الطبعة الرابعة ،

(ت)

- ٣٠ - تاج العروس / للزیدى ، المطبعة الخيرية بمصر الطبعة الأولى ، ١٣٠٦ هـ .

- ٢١- تاريخ آداب اللغة العربية / جرجى زيدان . مكتبة الحياة ، ١٩٨٣م
- ٢٢- تاريخ الأدب العربي / لأحمد حسن الزيات ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الطبعة الخامسة والعشرون .
- ٢٣- تاريخ الأدب العربي / لحسنا الفاخوري ، المطبعة البوليسية ، بيروت ، الطبعة السادسة .
- ٤٢- تاريخ الأدب العربي : ١- العصر الجاهلي / للدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، الطبعة الثالثة .
٢- العصر الإسلامي / للدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، الطبعة السابعة .
- ٤٥- تاريخ الأدب العربي / للدكتور عمر فروخ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨١م .
- ٤٦- تاريخ الأدب العربي / كارل بروكلمان / ترجمة / ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ، دار المعارف ، الطبعة الرابعة .
- ٤٧- تاريخ التراث الإسلامي / لفؤاد سزكين / ترجمة د . محمد فهمي ، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ٤٠٣ هـ .
- ٤٨- تاريخ الخلفاء / للسيوطى ، دار الفكر ، ١٣٩٤هـ .
- ٤٩- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي / للدكتور حسن إبراهيم حسن ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة السابعة ، ١٩٦٤م .
- ٤٠- تاريخ الإسلام / للذهبي ، مكتبة القدس ، القاهرة ، ١٣٦٨هـ .
- ٤١- تاريخ دمشق / لابن عساكر ، تهذيب عبد القادر بدران ، دار المسيرة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩هـ .

- ٤٢ - تاريخ الطبرى / ابن جرير الطبرى / تحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم،
دار المعارف ، الطبعة الثالثة .
- ٤٣ - تاريخ نشأة علوم البلاغة وأطوارها / الدكتور عبد العزيز عرفة دار الطباعة
المحمدية ، الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ .
- ٤٤ - تاريخ النقاوص فى الشعر العربى / لأحمد الشايب ، مكتبة النهضة
المصرية ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٦ م .
- ٤٥ - التصوير البىانى دراسة تحليلية لسائل البيان / الدكتور محمد أبوemosى ،
مكتبة وهبى ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٠ هـ .
- ٤٦ - التطور والتتجدد فى الشعر الأموى / الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ،
الطبعة السادسة .
- ٤٧ - التعريفات / محمد بن على الجرجانى ، دار الكتب العلمية الطبعة
الأولى ، ١٤٠٣ هـ .
- ٤٨ - التفسير النفسي للأدب / الدكتور عز الدين اسماعيل ، دار العودة ،
بيروت (دون تاريخ) .

(ج)

- ٤٩ - جرير .. حياته وشعره / الدكتور نعман محمد أمين طه ، دار المعارف ،
- ٥٠ - جرير ونقائضه مع شعراء عصره / الدكتور محمد عبد العزيز الكفراوى ،
دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الطبعة الأولى .
- ٥١ - جرير (من نوابع الفكر العربى) لمحمد ابراهيم جمعة ، دار المعارف ،
الطبعة الخامسة .

(٤٦٥)

- ٢٥- جمهرة أشعار العرب / لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشى /
تحقيق على محمد البجاوى ، دار نهضة مصر ، الطبعة الثانية .
- ٢٥- جمهرة أنساب العرب / لابن حزم الأندلسى / تحقيق عبد السلام هارون ،
دار المعارف ، الطبعة الرابعة .

(ح)

- ٤٥- الحماسة / لأبي تمام / تحقيق الدكتور عبد الله العسيلان ، طبعة جامعة
الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠١ هـ .
- ٥٥- الحماسة البصرية / لأبي الفرج بن الحسن البصري / تحقيق الدكتور
عادل جمال سليمان ، لجنة أحياء التراث الإسلامي ، القاهرة .
- ٦٥- الحور العين / لنشوان الحميري / تحقيق كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي ،
القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٦٢ هـ .

(خ)

- ٧٥- خزانة الأدب / للبغدادى ، تحقيق عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية
العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ، ١٩٢٩ م .
- ٨٥- الخلاصة الواافية في علمي العروض والطافية / تأليف حامد سليمان عباس ،
مطبوعات الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية ، الرياض ، ١٣٩٠ هـ .

(د)

- ٩٥- دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة العربية) .
- ١٠٦- دائرة معارف القرن العشرين (لغريد وجدى) .
- ١١٦- دراسات في أدب الدعوة الإسلامية / للدكتور محمود زيني ، نادى مكتبة
الثقافى ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢ هـ .

- ٦٢ - دراسات في أدب ونصوص العصر الأموي / للدكتور محمد عبد القادر أحمد
مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢ هـ .
- ٦٣ - دراسات في حضارة الإسلام / تأليف " هامتون جب " ترجمة الدكتور
احسان عباس وغيره ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثانية
١٩٧٤ م .
- ٦٤ - دراسات في نقد الأدب العربي / للدكتور بدوى طبانه ، مكتبة الأنجلو
المصرية ، الطبعة الثانية ١٣٢٣ هـ .
- ٦٥ - ديوان الأدب / للفارابي - الهيئة العامة لشئون المطبع الاميرية ، تحقيق
أحمد مختار عمر ١٣٩٤ هـ .
- ٦٦ - دفاع عن البلاغة العربية / محمد حسن الزيات ، عالم الكتب ، الطبعة
الثانية .
- ٦٧ - ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس / تحقيق الدكتور محمد محمد حسين
مؤسسة الرسالة ، الطبعة السابعة ، ١٤٠٣ هـ .
- ٦٨ - ديوان ابن قيس الرقيات / تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم ، دار بيروت ،
للطباعة والنشر ، ١٣٢٨ هـ .
- ٦٩ - ديوان حرير / تحقيق الدكتور نعман محمد أمين طه ، دار المعارف
الطبعة الأولى .
- ٧٠ - ديوان جرير / شرح ايليا الحاوي ، دار الكتاب اللبناني ، الطبعة الأولى ،
١٩٨٢ م .
- ٧١ - ديوان جميل بشينه / تقديم بطرس البستاني ، دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٨٥ هـ .

(٤٦٢)

- ٢٢- ديوان الحطينة / تحقيق الدكتور نعمان طه ، طبعة الحلبي ، م ١٩٥٨
- ٢٣- ديوان عمر بن أبي ربيعة / تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة المدنى ، الطبعة الثالثة ٤ ١٣٨٤ هـ
- ٤- ديوان الفرزدق / دار بيروت للطباعة والنشر ، ٤٠٠ هـ
- ٢٥- ديوان كثير عزة / شرح الدكتور احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٣٩١ هـ
- ٢٦- ديوان المتنبى / بشرح البرقوقي المكتبة التجارية الكبرى بعصر ١٣٤٨ هـ
- ٢٧- ديوان المعانى / لأبي هلال العسكري ، مكتبة القدسى ، القاهرة ، طبعة سنة ١٣٥٢ هـ
- ٢٨- ديوان النابغة الذبياني / المكتبة الثقافية ، بيروت . بدون تاريخ .

(ر)

- ٢٩- الراعى النميرى عصره حياته ، شعره/للدكتور محمد نبيه حجاب ، مكتبة نهضة مصر - الطبعة الأولى ، ١٣٨٢ هـ .
- ٣٠- رحلة الشعر / للدكتور مصطفى الشكعه - عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٩ هـ .
- ٣١- رحلة مع النقد الأدبى / فخرى الخضراوى ، دار الفكر العربي ، م ١٩٢٢
- ٣٢- رسائل الجاحظ / تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجى ، ١٣٨٤ هـ .
- ٣٣- الروائع (عن جرير والأخطل) / سقلم فؤاد أفرام البستانى ، دار الشرق ، بيروت الطبعة الخامسة .

(ز)

٤٨- زهر الآداب / لأبي اسحاق ابراهيم بن على الحصري القيرواني / تحقيق
على محمد البحاوى ، مطبعة عيسى البانى الحلبي ، الطبعة الثانية

(س)

٤٩- سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون / تحقيق محمد أبوالفضل
ابراهيم ، مطبعة المدنى ، ١٣٨٣ هـ .

٥٠- سبط اللآلى فى شرح أمالى القالى / للبكرى / تحقيق عبد العزيز
الميمنى ، دار الحديث للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ، ٤٠٤ هـ .

٥١- سير أعلام النبلاء ، للذهبي / تحقيق شعيب الأرناؤوط وغيره ، مؤسسة
الرسالة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢ هـ .

٥٢- السيرة النبوية / لا بن هشام / تحقيق مصطفى السقا وغيره ، طبعة
مصطفى الحلبي ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٧٥ هـ .

(ش)

٥٣- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب / لا بن العماد الحنبلي ، دار
الآفاق الجديدة ، بيروت ، دون تاريخ .

٥٤- شرح شواهد الكافية / للإمام محمود العيني ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة
الأولى .

٥٥- شرح شواهد الغنى / للسيوطى ، دار مكتبة الحياة ، بيروت . دون تاريخ .

٥٦- شرح قصيدة كعب بن زهير / لا بن هشام الأنصارى / تحقيق الدكتور
محمود أبو ناجى ، طبع الوكالة العامة للتوزيع ، دمشق (بدون تاريخ) .

(٤٦٩)

- ٩٣ - شرح مقامات الحريري / تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ١٣٨٩هـ .
- ٩٤ - شرح نهج البلاغة / مطبعة مصطفى الحلبى بصرى، الطبعة الأولى .
- ٩٥ - شعر الأخطل / بتحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، منشورات دار الآفاق ، الجديدة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ .
- ٩٦ - الشعر الاسلامى فى صدر الاسلام / للدكتور عبد الله الحامد مطابع الاشاعر التجارية ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ .
- ٩٧ - الشعر الجاهلى خصائصه وفتوحه / للدكتور يحيى الجبوري ، مؤسسة الرسالة الطبعة الرابعة ، ١٤٠٣هـ .
- ٩٨ - شعر زهير بن أبي سلمى / بتحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٠م .
- ٩٩ - الشعر العربى بين الجمود والتطور / للدكتور محمد عبد العزيز الكفراوى ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الطبعة الثانية .
- ١٠٠ - الشعر فى الأدب العربى على ضوء التصور الاسلامى / للدكتور شوقي عبد الحليم حمادة ، مطبعة الشادة ، ١٤٠٢هـ .
- ١٠١ - شعراء النصرانية / الأب لويس شيخو ، مكتبة الآداب وطبعتها بالجمايز ، طبعة جديدة ١٩٢٦م .
- ١٠٢ - الشعر والشعراء / لابن قتيبة / تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار الصارف ، الطبعة الثانية ، ١٣٧٧هـ .
- (ص)
- ١٠٣ - الصحاح / للجوهرى / بتحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ .

(٤٧٠)

- ٤ - الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث / للدكتور محمد الكتاني ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، مطبعة الأولى ، ٢٠١٤ هـ .
- ٥ - صفة جزيرة العرب / للمهداني ، منشورات ، دار اليمامة ، بالرياض بدون تاريخ .
- ٦ - (كتاب) الصناعتين لبني هلال العسكري / تحقيق على محمد البجاوى و محمد أبو الفضل ابراهيم ، مطبعة عيسى الحلبي ، الطبعة الثانية .
- ٧ - الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث / للدكتور نصرت عبد الرحمن ، مكتبة الأقصى ، عمان الأردن ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٢ م .
- ٨ - الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري / للدكتور على البطل ، دار الأندلس ، بيروت (دون تاريخ) .
- (ط)
- ٩ - طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام / تحقيق محمود شاكر ، مطبعة المدى ، ١٣٩٤هـ .
- ١٠ - الطرائف الأدبية / تصحيح عبد العزيز الميمني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، دون تاريخ .
- ١١ - الطراز الموسي في صناعة الأنشاء / تأليف محمد التجار ، المطبعة العمومية بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٨٦٩ م .
- (ظ)
- ١٢ - ظاهرة التكثب وأثرها في الشعر العربي ونقده / للدكتور درويش الجندي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، ١٩٧٠ .

(ع)

- ١١٣ - المعرض تهذيبه واعادة تدوينة / صنعة الشيخ جلال الحنفي ، مطبعة العانى ، بغداد ، ١٩٢٨ ، م ١٩٧٣ ،
- ١١٤ - العصبية القبلية وأثرها فى الشعر الأموى / للدكتور احسان النص ، دار الفكر الطبعة الثانية ، م ١٩٧٣ ،
- ١١٥ - العقد الفريد / لابن عبد ربه / تحقيق محمد سعيد العريان ، دار الفكر الطبعة الثانية .
- ١١٦ - علم النفس أصوله وتطبيقاته التربوية / للدكتور مصطفى فهمي ، مكتبة الخانجى ، ١٣٩٥ هـ .
- ١١٧ - العمدة / لابن رشيق القيروانى / تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠١ هـ .
- ١١٨ - عيون الأخبار / لابن قتيبة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية لسنة ١٣٤٣ هـ .
- (ف)
- ١١٩ - الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية / لمحمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقا ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٦ هـ .
- ١٢٠ - الفرزدق / للدكتور شاكر الفحام ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى .
- ١٢١ - الفرزدق / للدكتور مصطفى حقى ، دار المعارف ، الطبعة الخامسة .
- ١٢٢ - الفرق الإسلامية في الشعر الأموي / للدكتور نعمان القاضى ، دار المعارف ، ١٩٧٠ م .

(٤٢٢)

- ١٢٣ - الفصول والغايات / لأبي العلاء المعزى / تحقيق محمود حسن زناتي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، م ١٩٧٧
- ١٢٤ - في الشعر / لأرسسطو / ترجمة الدكتور شكري محمد عياد ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، ١٣٨٦ هـ
- ١٢٥ - في قضايا الأدب واللغة / للدكتور عبد بدوى ، مؤسسة الصباح ، الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١ هـ

(ق)

- ١٢٦ - القاموس المحيط / للغفروز ابادى ، مطبعة الحلبي ، الطبعة الثانية ، ١٣٢١ هـ

(ك)

- ١٢٧ - الكامل في التاريخ / لابن الأثير ، طبعة القاهرة .
- ١٢٨ - الكامل في اللغة والأدب / للأمام أبي العباس العبرد / تحقيق أحمد محمد شاكر ، مطبعة مصطفى الحلبي ، الطبعة الأولى : ١٣٥٦ هـ -
- ١٢٩ - الكتاب / لسيبوبيه - طبعة (بولاق) القاهرة ، ١٣١٦ هـ

- ١٣٠ - لسان العرب / لابن منظور ، طبعة دار المعارف (طبعة جديدة)
- محققة .

(م)

- ١٣١ - المثل السائرد في أدب الكاتب والشاعر / لضياء الدين ابن الأثير ، تحقيق الدكتور أحمد الحوفي والدكتور بدوى طبانة ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الأولى ١٣٢٩ هـ

(٤٢٣)

- ١٣٢ - مجاني الأدب / لويس شيخو ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٣٦
- ١٣٣ - مجلة كلية الآداب / جامعة بغداد العدد الخامس لسنة ١٩٦٢ ، ١٣٤ - مجلة المشرق / الأعداد (٣٥ ، ٣١ ، ٢٤ ، ٨ ، ٢٠٦)
- ١٣٥ - المحبر / ابن حبيب ، منشورات دار الأفاق الجديدة ، بيروت (دون تاريخ)
- ١٣٦ - المخصص / ابن سيده ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .
- ١٣٧ - المدخل الى علم النفس / للأستاذ عبد الله عبد الحى موسى ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٩ .
- ١٣٨ - مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان / للإيافعي أبو محمد عبد الله بن سعد ، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٠ هـ .
- ١٣٩ - المرشد الى فهم أشعار العرب وصناعتها / عبد الله الطيب ، الدار السودانية ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٠ .
- ١٤٠ - مرق الذهب / المسعودي / تحقيق محمد محبي الدين عبد الحميد / دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ .
- ١٤١ - المصباح المنير / تحقيق الدكتور عبد العظيم الشناوى ، دار المعارف ، ١٣٩٧ هـ .

(٤٢٤)

- ١٤٢ - المعارف / ابن قتيبة / تحقيق الدكتور شوت عكاشه ، دار المعارف ،
الطبعة الرابعة .
- ١٤٣ - معاهد التنصيص على شواهد التلخيص / للعباسي / تحقيق محمد
محى الدين عبد الحميد ، عالم الكتب ، بيروت ١٣٦٧ هـ .
- ١٤٤ - معجم الأدباء / لياقوت ، طبعة الرفاعي ، بالقاهرة .
- ١٤٥ - معجم الشعراء / للمرزاوى / تحقيق عبد الستار فراج ، مطبعة
عيسي الحلبي ، ١٣٧٩ هـ .
- ١٤٦ - معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع / للبكري / تحقيق مصطفى
السقا ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٦٤ هـ .
- ١٤٧ - معجم مصطلحات العربية في اللغة والأدب / مجدى وهبة ، وكامل
المهندس ، مكتبة لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٤ م .
- ١٤٨ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / محمد فؤاد عبد الباقي ،
المكتبة الإسلامية ، بيروت ، ١٩٨٤ م .
- ١٤٩ - المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف / د. أ. د. ونسك ، مكتبة
برلين ، ليدن ، ١٩٣٦ م .
- ١٥٠ - المعجم الوسيط ، دار المعارف ، الطبعة الثانية .
- ١٥١ - مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي / للدكتور جابر أحمد عصفور
دار الإصلاح للطباعة والنشر ، المملكة العربية السعودية ، الدمام
١٩٢٢ م .
- ١٥٢ - مقدمة في النقد الأدبي / محمد حسن عبد الله ، دار البحث الإسلامي ، الكويت
الطبعة الأولى ، ١٣٩٥ هـ .

(٤٢٥)

- ١٥٣ - مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي ، للدكتور حسين عطوان ،
دار المعارف ، ١٩٢٤ م .
- ١٥٤ - مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي / للدكتور شكري فيصل .
دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٩٢٨ م .
- ١٥٥ - من تاريخ الأدب العربي / للدكتور طه حسين ، دار العلم للملايين
الطبعة الرابعة .
- ١٥٦ - المنجد في اللغة والأعلام / دار الشرق ، بيروت ، الطبعة السادسة ،
والعشرون .
- ١٥٧ - المنهل العذب في الأدب العربي وتاريخه / أحمد محمد الامام ومحمد
الجنيدي جمعة ، شركة المدينة للطباعة والنشر ، جدة ، ١٣٩٠ هـ .
- ١٥٨ - المؤتلف والمختلف / للأمدي / تحقيق عبد الستار فراج - عيسى الحلبي
١٣٨٠ هـ .
- ١٥٩ - الموازنة بين الشعراء / رزكي مبارك ، مطبعة مصطفى الحلبي ، الطبعة
الثانية ، ١٣٩٣ هـ .
- ١٦٠ - مواسم الأدب وآثار العجم والعرب / للعلوي ، مطبعة السعادة بمصر
الطبعة الأولى ، ١٣٢٦ هـ .
- ١٦١ - موسيقى الشعر / للدكتور ابراهيم أنيس - مكتبة الأنجلو المصرية
الطبعة الخاصة ، ١٩٨١ م .
- ١٦٢ - الموشح / للمرزاوى / تحقيق على محمد البحاوى / دار النهضة
المصرية للطبع والنشر ، ١٩٦٥ م .

- ١٦٣ - ميزان الاعتدال / للذهبى / تحقيق على محمد البجاوى ، القسم الثاني ، مطبعة عيسى البابى الحلبي ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٢هـ .
- (ن)
- ١٦٤ - شأة النحو وتاريخ أشهر النجاة / محمد الطنطاوى ، مطبعة السعادة ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٩هـ .
- ١٦٥ - نظرات في الشعر الاسلامي والأموي / لظا فر القاسمي /، دار النفائس بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٨هـ .
- ١٦٦ - نظرية اللغة في النقد العربي / للدكتور عبد الحكيم راضى ، مكتبة الخانجي ، (دون طبعة وتاريخ) .
- ١٦٧ - النظرية النقدية عند العرب / للدكتورة هند حسين طه ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، الجمهورية العراقية ، ١٩٨١م .
- ١٦٨ - نقائض جرير والأخطل / لأبي تمام / تعليق انطون صالحاني اليسوعى دار المشرق ، بيروت ، ١٩٢٢م .
- ١٦٩ - نقائض جرير والأخطل / للدكتور عبد المجيد المحتب ، مكتبة المحتب ، طبعة دار الفكر ، ١٩٢٢م .
- ١٧٠ - نقائض جرير والفرزدق . (طبعة الصاوي)
- نقائض جرير والفرزدق - طبعة مكتبة المتنبى بغداد .
- ١٧١ - النقد الأدبى الحديث / محمد غنيمى هلال ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الطبعة الثانية
- ١٧٢ - نقد الشعر / لقديمة بن جعفر / تحقيق محمد عبد المنعم خفاجى مكتبة الكليات الأزهرية ، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ .

(٤٢٢)

١٧٣ - نهاية الأرب في فنون الأدب / للنويري - المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة - مصور عن طبعة دار الكتب المصرية ،
دون تاريخ .

١٧٤ - نوادر المخطوطات / تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة مصطفى
الحلبي ، الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ .

(ه)

١٧٥ - الهجاء والهجاءون في عصر صدر الإسلام / للدكتور محمد محمد
حسين ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة
الثانية ، ١٣٩١ هـ .

(و)

١٧٦ - وفيات الأعيان / لابن خلكان / تحقيق محمد محيي الدين عبد
الحميد مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٦٢ هـ .

١٧٧ - الوقوف على الأطلال بين شعراء الجاهلية والإسلام حتى الخامس
الهجري / للدكتور مصطفى عبد الواحد - مطبوعات نادى مكتبة
الثقافي - الطبعة الأولى ، ٤٠٤ هـ .



فهرس الموضوعات

" " فهرس الموضوعات " "

| الصفحة | الموضوع |
|--------|---------|
| ٥٥٥ | ٥٥٥٥٥٥٥ |
| أ - خ | المقدمة |
| | التمهيد |

المديح والفخر في اللغة والعصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام ٢٠ - ١

" الباب الأول "
 س

الدّوافع النفسيّة والاجتماعية التي أدت إلى ظهور

الفرضين عند الشعراء الثلاثة . ٤٢ - ٢١

: مدخل

الفصل الأول : الأخطلل ٣٣ - ٢٦

الفصل الثاني : الفرزدق ٣٩ - ٣٤

الفصل الثالث: جرير ٤٢ - ٤٠

" الباب الثاني "
 س

دراسة تاريخية موضوعية للفرضين عند الشعراء الثلاثة ٢٢٥ - ٤٨

الفصل الأول : الفرمان لدى الأخطلل ١٠١ - ٤٨

الفصل الثاني : الفرمان لدى الفرزدق ١٢٥ - ١٠٢

الفصل الثالث : الفرمان لدى جرير ٢٢٥ - ١٢٦

" الباب الثالث "
 س

أثر الإسلام في الشعراء الثلاثة ٢٢٢ - ٢٢٦

مدخل : الحياة الإسلامية وأثرها في الشعر الأموي ٢٤٦ - ٢٣٥

- | | |
|-----------|--|
| ٢٤٦ - ٢٣٥ | الفصل الأول : مدى تأثير الأخطل بالبيئة الإسلامية |
| ٢٥٦ - ٢٤٧ | الفصل الثاني : أثر الإسلام في مدح وفخر الفرزدق |
| ٢٢٢ - ٢٥٧ | الفصل الثالث : أثر الإسلام في مدح وفخر جرير |

"الباب الرابع"

- | | |
|-----------|--|
| ٣٦٥ - ٢٧٣ | دراسة فنية للغرضين عند الشعراء الثلاثة |
| ٣٠٢ - ٢٢٣ | الفصل الأول : دراسة الفن التعبيري عند الأخطل |
| ٣٤٢ - ٣٠٨ | الفصل الثاني : دراسة الفن التعبيري عند الفرزدق |
| ٣٦٥ - ٣٤٣ | الفصل الثالث : دراسة الفن التعبيري عند جرير |

"الباب الخامس"

- | | |
|-----------|---|
| ٤٤٣ - ٣٦٦ | النقد حول الشعراء الثلاثة |
| ٣٩٥ - ٣٦٢ | الفصل الأول : آراء النقاد القدامى في الشعراء الثلاثة
ومناقشتها . |
| ٤١٤ - ٣٩٦ | الفصل الثاني : دراسات المحدثين حول الشعراء الثلاثة |
| ٤٤٣ - ٤١٣ | الفصل الثالث : موازنة بين الشعراء الثلاثة في ضوء النقد الحديث |

خاتمة البحث ونتائجها

- | | |
|-----------|--|
| ٤٤٦ - ٤٤٤ | جداول احصائية عن غرض المدح عند الشعراء الثلاثة |
| ٤٥٩ - ٤٤٧ | المصادر والمراجع . |
| ٤٢٢ - ٤٦٠ | |
| ٤٧٩ - ٤٧٨ | فهرس الموضوعات . |